



Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



ALPHALOC
VIBRIVIBU
VIBRILI

Kitāb al-Faraj ba'd ash-Shiddah

by

Abū 'Alī al-Muḥsin al-Tanūkhī.

2 plts in 1 vol.

Cairo.

1357 A.H.

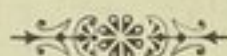
1938 A.D.

53169 B

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

كتاب

الفرج بعد الشدة



تأليف

﴿ القاضي أبي علي المحسن التنوخي ﴾

﴿ قوبلت هذه النسخة على نسخة خطية ﴾

﴿ الجزء الأول ﴾



﴿ يطلب من * زكي مجاهد ﴾

بالصنادقية بحوار الأزهر * ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م

التنوخى

53169B

﴿ القاضى * أبو على ﴾

(٣٢٧ أو ٣٢٩ - ٣٨٤) (*)

(القاضى) أبو على المحسن بن أبي القاسم على بن محمد بن

أبى الفهم داود بن إبراهيم بن تميم التنوخى

سمع بالبصرة من أبى العباس الأثرم وأبى بكر الصوري والحسين بن محمد
ابن عثمان النسوى وطبقتهم ونزل ببغداد وأقام بها وحدث إلى حين وفاته
وكان سماعه صحيحاً وكان أديباً شاعراً اخبارياً * ولي القضاء بعكرمكرم
وايدج ورامهرمز * وتقلد بعد ذلك أعمالاً كثيرة فى نواحى مختلفة
وفى سنة ٣٦٣ كان متولى القضاء بواسط وتوفى ببغداد

﴿ مؤلفاته ﴾

ديوان شعر وكتاب نشوار المحاضرة وكتاب المستجد من فعلات
الاجداد والفرج بعد الشدة المطبوع من مؤلفاته

- (١) الفرّج بعد الشدة (أدب) جزء (٢) مصر ١٩٠٣ طبعة أولى
- (٢) جامع التواريخ المسمى بكتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة
طبع الجزء الأول منه بتصحيح مرجليوث بمطبعة هندية ١٩٢١
وطبع أيضاً جزء آخر بالشام

(*) البيّمة ٢ - ١١٥ ابن خلكان ١ - ٤٤٥ معجم الأدباء ٦ - ٢٥١

معجم مركيس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾

الحمد لله الذي جعل بعد الشدة فرجا * ومن الضيق سعة ومخرجا * ولم يخل
محنة من منحة * ولا نقمة من نعمة * ولا نكبة ورزية * من موهبة وعطية
وصلى الله على سيد المرسلين * وخاتم النبيين * وعلى آله الطيبين الطاهرين
﴿ أما بعد ﴾ فاني لما رأيت أبناء الدنيا متقلبين فيها بين خير وشر ونفع وضر
ولم يكن لهم في أيام الرخاء * أنفع من الشكر والثناء * ولا في أيام البلاء * أنجع
من الصبر والدعاء * لأن من جعل الله عمره أطول من محنته * فانه سيكشفها عنه
بطوله ورأفته * فيصير ما هو فيه من الأذى * كما قال بعض من مضى ويروى
للأغلب العجلى أو غيره

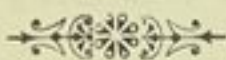
الْعَمْرَاتُ ثُمَّ يَنْجَلِينَا * ثُمَّ يَذْهَبْنَ فَلَا يَجِينَا

وطوبى لمن وفق في الحالين * للقيام بالواجبين * وجدت من أقوى ما يفزع
إليه * من أناخ الدهر بمكر وهه عليه * قراءة الأخبار التي تنبئ عن تفضل الله
عز وجل على من حصل قبله في محصله * ونزل به مثل بلائه ومعضله * بما أتاحه
الله تعالى له من صنيع أسهل به الأرزاق * ومعونة حل بها الخناق * ولفظ
غريب نجاه * وفرج عجيب أنقذه وتلافاه * وان خفيت من ذلك الأسباب
ولم يبلغ ما حدث منه الفكر والحساب فان في معرفة الممتحن بذلك تشجيد
بصيرته للصبر * وتقوية عزيمته على التسليم لله مالك كل أمر * وتصويب رأيه
في الاخلاص * والتفويض إلى من بيده ملك النواص * وكثيرا إذا علم الله تعالى
من وليه وعبيده * انقطاع آماله الا من عنده * لم يكله إلى سعيه وجهده * ولم
يرض له باحتماله وطوقه * ولم يخله من عنايته ورفقه * وأنا بمشيئة الله تعالى جامع
في هذا الكتاب * أخبارا من هذا الجنس والباب * أرجوه انشراح صدور

ذوى الالباب * عند ما يدهمهم من شدة ومصاب * إذ كنت قد قاسيت من ذلك
 في محن دفعت إليها ما يحنوبني على الممتحنين * ويحدوبي على بذل الجهد في تفريج
 غموم المكر وبين * وكنت وقفت في بعض محبي على خمس أوست أوراق جمعها
 أبو الحسن على بن محمد المدايني وسماها كتاب الفرج بعد الشدة والضيق وذكر
 فيها أخبارا تدخل جميعها في هذا المعنى فوجدتها حسنة ولكنها لقلتها نموذج
 صغير ولم يأت بها مؤلفة * ولا سلك بها سبيل الكتب المصنفة * ولا الأبواب
 الواسعة المؤلفة * مع اقتداره على ذلك ولا أعلم غرضه في التقصير ولعله أراد أن
 ينهج طريق هذا الفن من الأخبار * ويسبق إلى فتح الباب فيه بذلك المقدار
 وينقل جميع ما عنده فيه من الآثار * ووقع إلى كتاب لأبي بكر عبدالله بن محمد
 ابن أبي الدنيا قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة في نحو عشرين ورقة والغالب فيه
 أحاديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وأخبار عن الصحابة والتابعين
 رحمهم الله تعالى يدخل بعضها في معنى طلبته * ولا يخرج عن قصده وبغيته
 وباقيها أحاديث وأخبار في الدماء والصبر والأرزاق والتوكل والتعرض للشدائد
 بذكر الموت وما يجري مجرى التعازي ويتسلى به عن طوارق الهموم * ونوازل
 الأحداث والغموم * ويستحق عليها من الثواب في الآخرة * مع التمسك
 بالحزم في الأولى * وهو عندي خال من ذكر فرج بعد شدة غير مستحق أن
 يدخل في كتاب مقصور على هذا الفن وضمن الكتاب نبذا قليلة من الشعر
 وروي فيه شيئا يسيرا جدا مما ذكره المدايني إلا أنه جاء به بلا إسناد له إلا عن
 المدايني وقرأت أيضا كتابا للقاضي أبي الحسين عمر بن القاضي أبي عمرو محمد
 بن يوسف القاضي رحمهم الله في مقدار خمسين ورقة قد سماه كتاب الفرج بعد
 الشدة أودعه أكثر ما رواه المدايني وجمعه وأضاف إليه أخبارا أخر أكثرها
 حسنة وفيها ما هو غير مماثل عندي لما عناه * ولا مشاكل لما نحاه * وأتى في
 أثنائها بأبيات شعر يسيرة * من معادن لامثالها حجة كثيرة * ولم يلم بما أورده
 ابن أبي الدنيا ولا أعلم أتعمد ذلك أم لم يقف على الكتاب ووجدت أبا بكر بن
 أبي الدنيا والقاضي أبا الحسين لم يذكر المدايني كتابا في هذا المعنى فإن لم يكونا عرفا
 هذا فهو ظريف وإن كانا تعمدا ترك ذكره تثقيفا لكتايبهما وتعطية على كتاب

الرجل فهو أظرف ووجدتهما قد استحسننا استعارة لقب كتاب المدايني على اختلافهما في الاستعارة * وحيدهما عن أن يأتيا بجميع العبارة * فتوهمت أن كل واحد منهما لما زاد على قدر ما أخرجه المدايني اعتقد أنه أولى منه بلقب كتابه فإن كان هذا الحكم ماضياً * والصواب به قاضياً * فيجب أن يكون من زاد عليهما أيضاً فيما جمعه * أولى منهما بما تبعاً في تصنيفه ووضعاه * فكان هذا من أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على أكثر مما جمعه القوم وابين للمعنى واكشف وأوضح وإن خالف مذهبهم في التصنيف * وعدل عن طريقهم في الجمع والتأليف * فانهم نسقوا ما أودعوه كتبهم جملة واحدة وربما صادفت مللاً من سامعيها * أو وافقت سائمة من الناظرين فيها * فرأيت أن أنوع الأخبار واجعلها أبواباً * ليزداد من يقف على الكتب الأربعة بكتابي من بينها إعجاباً * وإن أضع ما في الكتب الثلاثة في موضعه من أبواب هذا الكتاب إلا ما اعتقد أنه يجب أن لا يدخل فيه وأن تركه وتعديه أصوب وأولى * والتشاغل بذكر غيره مما هو أدخل في هذا المعنى ولم يذكره القوم أليق وأحرى * وأن أعزو ما أخرجه مما في الكتب الثلاثة إلى مؤلفيها تأدية للامانة * واستيثاقاً في الرواية * وتبييناً لما آتني به من الزيادة * وتنبيهاً على موضع الافادة * فاستخرت الله عز وجل ذكره وبدأت بذلك في هذا الكتاب ولقبته بكتاب ﴿ الفرج بعد الشدة ﴾ يتمنا لقارئه بهذا المقال * وليستسعد في ابتدائه بهذا الفال * ولم استبشع إعادة هذا اللقب * ولم احتشم تكريره على ظهور الكتب * لأنه قد صار جارياً مجري تسمية رجل ابنه عمداً أو محموداً أو سعداً أو مسعوداً * وليس لقائل مع التداول لهذين الاسمين أن يقول لمن سمي بهما الآن إنك انتحلت هذا الاسم أو سرقتة ووجدتني متى أعطيت كتابي هذا حقه من الاستقصاء * وبلغت به حده في الاستيفاء * جاء في ألوف أوراق لطول ما مضى من الزمان وإن الله سبحانه وتعالى بحكمته أجرى فيه أمور عباده منذ خلقهم * وإلى أن يقبضهم على القلب بين شدة ورخاء ورغد وبلاء وأخذ وعطاء ومنع وصنع وضيق ورحب وفرج وكرب * علماً منه تعالى بعواقب الأمور * ومصلحة الكافة والجمهور * فأخبار ذلك كثيرة المقدار

عظيمة الترداد والتكرار * وليست كلها بمستحسنة ولا مستفادة * ولا مستطابة
الذكر والاعادة * فاقصرت على أحسن ما رويته من هذه الأخبار * وأصح
ما بلغني في معانيها من الآثار * وأملح ما وجدت في فنونها من الأشعار وجعلت
قصدي إلى الإيجاز والاختصار * وإسقاط الحشو وترك الاكثار * وإن كان
المجتمع من ذلك جملة يستطيعها الممول ولا يتفرغ لقراءتها المشغول * وأنا راغب
إلى من يصل كتابي هذا إليه وينشط للوقوف عليه * أن يصفح عما يعثر به
من زلل * ويصلح ما يحد فيه من خطأ أو خلل * والله أسأل السلامة من المعاب
والتوفيق لبلوغ المحاب والارشاد إلى الصواب * ويفعل الله ذلك بصرمه
إنه جواد وهاب



الباب الأول

فيما أنبأ الله تعالى به في القرآن من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان
قال الله تعالى وهو أصدق القائلين وقوله الحق اليقين بسم الله الرحمن الرحيم
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ
فهذه السورة كلها مفصحة باذكار الله عز وجل رسوله ﷺ منته عليه
في شرح صدره بعد الغم والضيق ووضع وزره عنه وهو الاثم بعد إنقاض الظهر
وهو النقل الذي أثقله لنقض العظام كما ينتقض البيت إذا صوت للوقوع ورفع
جل جلاله ذكره بعد أن لم يكن بحيث جعله الله تعالى مذكورا معه والبشارة له
في نفسه عليه الصلاة والسلام وفي أمته بأن مع اليسر الواحد يسرين إذا رغبوا
إلى الله تعالى ربهم وأخلصوا له طاعتهم ونياتهم وقال الله تعالى : سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ
عُسْرٍ يُسْرًا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ

يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَقَالَ جَلِ ثَنَاؤُهُ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ
إِلَى قَوْمِهِ أُمِّمُوا أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ الَّذِي مَرَّ عَلَى الْقَرْيَةِ
اسْتَبَعَدَ أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ أَهْلِهَا الْبَلَاءَ بِقَوْلِهِ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ فَلَا شِدَّةَ أَشَدَّ مِنَ الْمَوْتِ وَالْخُرَابِ
وَلَا فَرْجَ أَفْرَجَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْ الْعِمَارَةِ فَأَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا فَعَلَهُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَحِبُّ أَنْ
يَسْتَبَعَدَ فَرْجًا مِنَ اللَّهِ وَصَنَعَ كَمَا عَمِلَ بِهِ وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْقَرْيَةَ وَأَهْلَهَا كَمَا
أَحْيَاهُ اللَّهُ تَعَالَى فَأَرَاهُ بِذَلِكَ آيَاتِهِ وَمَوَاضِعَ صَنَعِهِ وَقَالَ جَلِ ثَنَاؤُهُ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ
عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا
لِجَنِّهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ
كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالَ جَلِ مِنْ قَائِلٍ هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَهُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا
جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا
لِلَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَقَالَ جَلِ مَنْ
قَائِلٍ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا
مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ
تُشْرِكُونَ وَقَالَ جَلِ ثَنَاؤُهُ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا
أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ
بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ وَقَالَ جَلِ ذَكَرَهُ وَنَزِيدُ أَنْ نَمُنَّ

عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَتَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً وَتَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنَمَكِّنَ لَهُمْ
 فِي الْأَرْضِ وَزَيَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ وَقَالَ جَلَّ مِنْ
 قَائِلَ أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ
 مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ وَقَالَ تَعَالَى وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ
 يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ وَقَالَ تَعَالَى وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى
 اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَآكُرًا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ
 الْعَذَابِ وَقَالَ تَعَالَى وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا
 دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ وَقَالَ تَعَالَى وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ
 مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
 الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ
 مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ
 النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا
 بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ
 وَرَوَى عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عَجَبًا لِمَكْرُوبٍ غَفَلَ عَنْ خَمْسٍ
 وَقَدْ عَرَفَ مَا جَعَلَ لِمَنْ قَاهُنْ قَوْلُهُ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ إِلَى قَوْلِهِ
 هُمُ الْمُهْتَدُونَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ
 سَيِّئَاتٍ مَآكُرًا وَقَوْلُهُ تَعَالَى وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ

فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلُهُ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ إِلَى قَوْلِهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (وَقَوْلُهُ تَعَالَى (١) (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِي الضَّرَّ إِلَى قَوْلِهِ وَذِكْرِي لِلْعَابِدِينَ) وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ مِنْ لَزِمَ قِرَاءَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الشَّدَائِدِ كَشَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لِأَنَّهُ قَدْ وَعَدَ وَحَكَمَ فِيهِنَّ بِمَا جَعَلَهُ لِمَنْ قَالَهُنَّ وَحَكَمَهُ تَعَالَى لَا يَبْطُلُ وَوَعْدُهُ لَا يَخْلَفُ وَقَدْ ذَكَرَ تَعَالَى فِيمَا قَصَّهُ مِنْ أَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ شَدَائِدَ وَمَحَنًا اسْتَمَرَّتْ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ وَضُرُّو بِمَا جَرَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ فَأَعْقَبَهَا بِفَرَجٍ وَتَخْفِيفٍ وَتَدَارَكِهِمْ مِنْهَا بِصَنْعٍ جَلِيلٍ لَطِيفٍ * فَأُولَئِكَ مِمَّنْ خَلَقْنَا مِنْهُمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبُو الْبَشَرِ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ خَلَقَهُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا وَأَسْجَدَ الْمَلَائِكَةَ لَهُ وَنَهَاةً عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ فَوَسَّوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْهُ مَا قَالَهُ الرَّحْمَنُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى هَذَا بَعْدَ أَنْ أَهْبَطَهُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى

الْأَرْضِ وَأَفْقَدَهُ لِذِيذِ ذَلِكَ الْخَفِضِ فَاتَّقَضَتْ عَادَتُهُ * وَغَلِظَتْ مَحَنَتُهُ وَقَتَلَ أَحَدَ أَبْنِيهِ الْآخَرَ وَكَانَا أُولَئِكَ أَوْلَادَهُ فَلَمَّا طَالَ حَزْنُهُ وَبَكَاءُهُ وَاتَّصَلَ اسْتِغْفَارُهُ وَدَعَاؤُهُ رَحِمَ اللَّهُ تَذَلُّهُ وَخَشْوَعَهُ وَاسْتِكَانَتَهُ وَدَمُوعَهُ * فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ وَكَشَفَ مَا بِهِ وَنَجَاهُ فَكَانَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ مَنْ دَعَا فَأَجِيبَ * وَامْتَحَنَ فَأَثِيبَ * وَخَرَجَ مِنْ ضَيْقٍ وَكَرْبٍ * إِلَى سَعَةٍ وَرَحْبٍ * وَسَكَنَ هُمُومَهُ * وَنَسِيَ غَمُومَهُ * وَأَيُّقِنَ بِتَجْدِيدِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ النِّعَمِ * وَازَالَتْهُ عَنْهُ النِّقَمُ * وَانْهَ تَعَالَى إِذَا اسْتَرْحِمَ رَحِمَ فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا بِتِلْكَ الشَّدَائِدِ * وَعَوَّضَهُ بِدَلِ الْإِبْنِ الْمَفْقُودِ وَالْإِبْنِ الْعَاقِ

(١) وَفِي نَسْخَةِ بَدَلِ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى) قَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَأَتَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَجِبُ الْمُحْسِنِينَ)

الموجود نبي الله شيئاً عليه السلام وهو أول أولاده البررة بالوالدين * ووالد
النبيين والصالحين وأبو الملوك الجبارين وجعل ذريته هم الباقين وخصهم من النعم
بما لا يحيط به وصف الواصفين وقد جاء في القرآن * من الشرح لهذه الجملة
والبيان * مالا يحتمل ذكره هذا المكان * وقد روى فيه من الأخبار * مالا
وجه للإطالة به والاكتار * ثم نوح عليه السلام فانه امتحن بخلاف قومه عليه
وعصيان ابنه له والطوفان العام وركوب السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال
 واعتصم ابنه بالجبل وتأخره عن الركوب معه فقاسى نوح بذلك الشدائد فأعقبه
الله تعالى الخلاص من تلك الأهوال بالتمكين له في الأرض وبغيض الطوفان وجعله
شبه آدم عليه الصلاة والسلام لانه أنشأ منه ثانياً جميع البشر كما أنشأهم أولاً من
آدم فلا ولد لآدم الا من نوح عليه الصلاة والسلام * قال الله تعالى (وَلَقَدْ نَادَانَا
نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَحْنَاهُ وَأَهْلُهُ مِنَ السَّكَرِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَحْنَاهُ وَأَهْلُهُ مِنَ
السَّكَرِ الْعَظِيمِ) ثم إبراهيم عليه السلام وما وقع له من كسر الأصنام ومالحقه من قومه
من محاولة احراقه فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً . وقال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا
إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ ظَالِمِينَ) ثم اقتص قصته في قوله تعالى (قَالُوا حَرِّقُوهُ
وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَنْتَرُكُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ
وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْآخِصِينَ وَنَحْنَاهُ وَلَوْ طَأَّ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
لِلْعَالَمِينَ) إلى قوله تعالى (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) وما كلفه الله تعالى إياه من
مفارقة وطنه بالشام لما فارت عليه سارة من أم ولده هاجر فهاجر بها وبابنه منها
اسماعيل الذبيح عليه السلام فأسكنهما بواد غير ذي زرع نازحين بعيدين منه
حتى أنبع الله عز وجل لهما الماء . وتابع عليهما النعماء وأحسن لإبراهيم فيهما

الصنع . والفائدة والنفع . وجعل لإسماعيل النسل والنبوة والعدد والملك هذا
بعد أن كان أمر سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يجعل ابنه إسماعيل لسبيل
الذبح قال الله تعالى فيما اقتضه من ذكره في سورة الصافات (فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ
يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسَامَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ
وَنَادَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ
الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) فلا بلاء أعظم من بلاء
شهد الله جل ثناؤه أنه بلاء مبين وهو تكليف إنسان أن يجعل سبيل الذبح ابنه
وتكليفه هو والمذبح أن يؤمنا ويصبرا ويساما ويحتسبا فلما أديا من كلنا من
ذلك وعلم الله جل جلاله منهما صدق الإيمان * والصبر والتسليم والاذعان * فدى
الابن بذبح عظيم وخلصهما من تلك الشدائد الهائلة * ومن هذا الباب قصة
لوط عليه السلام لما نهى قومه عن الفاحشة فعصوه وكذبوه وتضييفه الملائكة
عليهم السلام فطالبوه بما طالبوه فحسف الله تعالى بهم أجمعين * ونجى لوطا وأثابه
ثواب الشاكرين * وقد نطق بهذا كلام الله العظيم في مواضع من الذكر الحكيم
ويعقوب ويوسف عليهما السلام فقد أفرد الله تعالى بذكر شأنهما وعظم بلواهما
وامتحانهما سورة محكمة بين فيها حسد أخوة يوسف له على المنام الذي بشره
الله فيه بغاية الأكرام حتى طرحوه في الجب فخلصه الله تعالى منه بمن أدلى الدلو
ثم استبعد فألقى الله عز وجل في قلب من صار إليه أكرامه واتخاذهم ولدائهم
مرأودة امرأة العزيز إياه عن نفسه وعصمة الله له منها وكيف جعل طاقبته بعد
الحبس إلى ملك مصر وما لحق يعقوب من العمى لفرط البكاء وما لحق أخوة
يوسف من التسريق وحبس أحدهم نفسه حتى يأذن له أبوه أو يحكم الله له وكيف
أنقذ يوسف عليه السلام إلى أبيه عليه السلام قميصه حتى رده الله عز وجل به
بصيرا وجمع بينهم وجعل كل واحد منهم بالنعمة مسرورا * وأيوب عليه السلام

وما امتحن به من الاسقام وعظم اللآواء * والدود والادواء * وقد جاء القرآن الكريم بذكره ونطقت الاخبار بشرح أمره قال الله تعالى وأيوب إذ نادى ربه أَنِّي مَسْنِيَ الضَّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضِرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَإِنَّا لِلْعَابِدِينَ * ويونس عليه السلام وما اقتص الله عز وجل من قصته في غير موضع من كتابه العزيز ذكر فيها التقام الحوت له وتسبيحه في بطنه وكيف نجاه الله تعالى وأعقبه بالرسالة والصنع قال الله تعالى (وَإِن يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّكَ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) إلى قوله (فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) ومنها قوله وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ قال بعض المفسرين معنى أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) أى نضيق عليه وهذا مثل قوله تعالى (وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) أى من ضيق عليه رزقه ومثل قوله تعالى (إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) وهو خير الرازقين وقد جاء قدر في القرآن بمعنى ضيق في مواضع كثيرة ومن هذا قيل للفرس الضيق الخطو فرس أقدر لأنه لا يجوز أن يهرب من الله تعالى نبي من أنبيائه ومن ظن أن الله تعالى لا يقدر عليه أى لا يدركه وأنه يعجز الله هرباً فقد كفر والانبيا عليهم السلام أعلم بالله سبحانه من أن يظنوا فيه هذا الظن الذي هو كفر وقد روى أنه من أدام قراءة (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) إلى قوله نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) في الصلاة وغيرها في أوقات شدائده عجل الله له الفرج وأنا أحد من واضبطها في

نكبة عظيمة لحقتني يطول ذكرها عن هذا الموضع وقد كنت حبست وهددت بالقتل ففرج الله سبحانه وتعالى عني وأعلقت في اليوم التاسع من حين قبضت وموسى بن عمران عليه الصلاة والسلام فقد نطق القرآن بقصصه في غير موضع منها قوله تعالى (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذَا خَفَتْ عَلَيْهِ قَالِقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) إلى قوله (وَلَكِنَّ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) فلا شدة أعظم من أن يبغى الناس بملك يذبح أبناءهم حتى ألفت أم موسى ابنها في البحر ولا شدة أعظم من حصول طفل في بحر فكشف الله سبحانه ذلك عنه بالتقاط آل فرعون له وما ألقاه في قلوبهم من الرأفة عليه حتى استحبوه وحرم عليه المراضع حتى رده إلى أمه وكشف عنها الشدة في فراقه وعنه الشدة في حصوله في البحر ومعنى قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزناً أي يصير عاقبة أمره معهم إلى عداوته لهم وهذه لام العاقبة كما قال الشاعر

لدوا للموت وابنوا للخراب وكلكم يصير إلى ذهاب

وقد علم أن الولادة لا يقصد بها الموت والبناء لا يقصد به الخراب وإنما عاقبة الأمر فيهما أن يصيرا إلى ذلك وعلى الوجه الأول قوله تعالى (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا

لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ) أي عاقبة أمرهم وفعلهم واختيارهم لأنفسهم يصيرهم إلى جهنم فيصIRON لها لا أن الله جل ثناؤه خلقهم لقصد تعذيبهم بالنار

في جهنم عز الله تعالى عن الظلم * وقال عز وجل في تمام هذه القصة (رَجَاءُ رَجُلٍ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فُخْرِجْ

إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)

فهذه شدة أخرى كشفها الله تعالى عنه وقال سبحانه وتعالى (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ

مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) إلى قوله (مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٍ) فهذه شدة

أخرى لحقته بالاغتراب والحاجة إلى الاضطراب في المعيشة والاكتساب فرفق

الله له شعيبا عليه السلام وزوجه ابنته قال الله تعالى في تمام القصة (جَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا
 تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ
 وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) ثم أخبر الله تعالى في
 هذه القصة كيف زوجه شعيب ابنته بعد أن استأجره ثمانى حجج وأنه خرج
 بأهله من عند شعيب فرأى النار فمضى ليقتبس منها فكلمه الله تعالى وجعله نبيا
 وأرسله إلى فرعون فسأله أن يرسل معه أخاه هرون فشد الله عضده به وجعله
 نبيا معه فأى فرج أحسن من فرج من أتى خائفا هاربا فقيرا قد آجر نفسه
 ثمانى حجج فجوزى بالنبوة والملك قال الله تعالى (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ
 أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ
 وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) فهذه شدة أخرى لحقت بنى إسرائيل
 فكشفها الله تعالى عنهم قال الله تعالى (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي
 قَوْمِي وَأَصْلِحْ . وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا
 مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِنَا وَمِنْ بَعْدِ
 مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدْوُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
 تَعْمَلُونَ) وقال تعالى (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا
 وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرُشُونَ) فأخبر الله تعالى عن صنعه
 لهم وفلقه البحر لبنى إسرائيل حتى عبروه يبسا وإغراقه فرعون لما تبعهم
 فكل ذلك أخبار عن محن عظيمة انجلت بمنح جليلة لا يؤدي شكر الله
 عليها ويجب على العاقل تأملها ليعرف كنهه تفضل الله بكشف الشدائد
 واغاثته باصلاح كل فاسد لمن تمسك بطاعته * واخلص في خشيته * واصلاح من

نيته * ليسلك من هذه السبيل * فانها إلى النجاة من المكاره أوضح طريق
 واهدى دليل * وذكر سبحانه وتعالى في السماء ذات البروج أصحاب الأخدود
 وروى قوم من أهل الملل المخالفة للإسلام عن كتبهم أشياء في ذلك فذكرت
 اليهود ان أصحاب الأخدود كانوا دعاة إلى الله تعالى وان ملك بلدهم اضرهم لهم ناراً
 وطرحهم فيها فاطلع الله على صبرهم وخلوص نياتهم في دينهم وطاعتهم له فأمر النار
 ان لا تحرقهم فشوهدها فيها قعوداً وهي تضرم عليهم ولا تحرقهم ونجوا منها
 وجعل الله دائرة السوء على الملك فأهلكه وذكر هؤلاء القوم ان نبيا كان في
 بني إسرائيل بعد موسى عليه الصلاة والسلام بزمان طويل يقال له دانيال وان
 قومه كذبوه فأخذهم ملكهم بختنصر فقدمه إلى أسدين كان يجوعهما في جب فلما
 علم الله تعالى حسن اتكأه عليه * وصبره طلباً لما لديه * أمسك عنه أفواه
 الأسدين حتى قام على رؤسهما برجليه وهي مذلة له غير ضارة فبعث الله تعالى
 أرميا من الشام حتى خلص دانيال من هذه الشدة وأهلك من أراد هلاك دانيال
 وعضدت روايتهم أشياء رواها أصحاب الحديث منها ما حدثوني عن عبد الله بن
 أبي الهذيل قال ان بختنصر جوع أسدين وأطلقهما في جب وجاء بدانيال فألقاه
 عليهما فلم يهيجاه فكث ما شاء الله ثم اشتهى ما يشتهى الآدميون من الطعام
 والشراب فأوحى الله تعالى إلى أرميا وهو بالشام ان أعد طعماً وشراباً لدانيال
 فقال يارب أنا بالارض المقدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فأوحى الله
 إليه أن أعد ما أمرتك به فسأرسل إليك من يحمل ما أعددت ففعل
 فأرسل الله إليه من حمله وحمل ما أعد حتى وقف على رأس الجب فقال دانيال من
 هذا قال أنا أرميا قال ماجاء بك قال أرسلني إليك ربك قال وقد ذكرني قال نعم
 قال دانيال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من دعاه
 والحمد لله الذي من توكل عليه كفاه والحمد لله الذي من وثق به لم يكله إلى غيره
 والحمد لله الذي يجزي بالأحسان إحساناً وبالسّيئات غفراً أنا والحمد لله الذي يجزي
 بالصبر نجاة والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا وكر بتنا والحمد لله الذي هو يقيننا

وَرَجَاؤُنَا حِينَ تَنْقَطِعُ الْحِيلُ عَنَّا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ ثِقَتُنَا حِينَ تَسُوءُ ظَنُّونَنَا بِأَعْمَالِنَا
وقد ذكر الله تعالى في محكم التنزيل الشدة التي جرت على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله
وعلى آله وأصحابه الأخيار فيما اقتضه من قصة الغار فقال سبحانه وتعالى
إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْهُمَا فِي الْغَارِ إِلَى
قَوْلِهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وروى أن النبي ﷺ لما خاف أن تلحقه المشركون حين
سار عن مكة دخل الغار هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه فاستخفيا فيه فأرسل
الله تعالى عنكبوتا فنسج في الحال على باب الغار وحمامة عشت وباضت وأفرخت
للوقت فلما انتهى المشركون إلى الغار ورأوا ذلك لم يشكوا أنه غار لم يدخله أحد
منذ حين وإن النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه ليريان أقدامهم ويسمعان كلامهم
فلما انصرفوا وبعثوا وجاء الليل خرجا فصارا نحو المدينة فورداهما سالمين وروى
أصحاب الحديث أيضا في شرح حال النبي ﷺ في المحن التي لحقته من المشركين
من شق الفرث عليه ومحاولة أبي جهل وشيبة وعتبة ابني ربيعة وأبي سفيان بن
حرب والعاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وغيرهم لعنهم الله تعالى قتله وما
كانوا يكشفونه به من السب والتكذيب والاستهزاء والتأنيب ورميهم له ﷺ
بالجنون وقصدهم إياه غير دفعة بأنواع الأذى والفضيحة والافتراء
وحصرهم إياه ﷺ وجمعهم بني هاشم في الشعب وتخويفهم إياه وتديبرهم أن
يقتلوه حتي بعد بيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مكانه وعلى فراشه يطول
ذكره واقتصاصه ويكثر شرحه ثم أعقبه الله عز وجل من ذلك بالنصر والتمكين
واعزاز الدين وإظهاره على كل دين * وقع الجاحدين والمشركين * وقتل أولئك
الكفرة المعادين والمعاندين * وغيرهم من المكذبين الكاذبين الذين كانوا عن
الحق ناكشين * وبالدين مستهزئين * وللمؤمنين ناصبين متوعدين * وللنبي ﷺ
مكاشفين محاربين * وأذل من بقي منهم بعز الإسلام * بعد أن عاد بإظهاره
وأضمر الكفر في أسرارهم * فصار من المنافقين الملعونين * والحمد لله رب العالمين
فهذه أخبار جاءت في آيات من القرآن * نفع الله بها وينفع بها غير انسان * وهي

تجرى في هذا الباب وتنضاف إليه * وروى عن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال كان
النبي ﷺ يتلو هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا
يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل
شيء قدرا ثم يقول يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بذلك لكفاهم * حدثنا على
ابن أبي الطيب باسناده قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال ان بنى فلان اغاروا على
فذهبوا بابنى وابلى فقال رسول الله ﷺ ان آل محمد لكذا وكذا ما فى بيئهم
مد من طعام فاسأل الله تعالى فرجع الى امرأته فقالت له قال لك فأخبرها فقالت
نعم ماردك إليه رسول الله ﷺ فما لبث ان رد الله عليه ابله او فر مما كانت وابنه
فأتى النبي ﷺ فأخبره فصعد النبي ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأمر
الناس مسألة الله عز وجل والرجوع إليه والرغبة وقراءة ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره
قد جعل الله لكل شيء قدرا وسئل أبو الدرداء عن هذه الآية كل يوم هو في شأن
فقال سئل عنها رسول الله ﷺ فقال من شأنه يغفر ذنبا ويكشف كربا ويرفع
اقواما ويضع آخرين واخبرني محمد بن الحسن باسناد طويل قال سمعت سعيد بن
عنبسة يقول بينما رجل جالس وهو يعبت بالحصى ويحذف به إذ رجعت حصاة
منها عليه فصارت في أذنه فجهدوا بكل حيلة فلم يقدرُوا على اخراجها فبقيت الحصاة
في أذنه مدة وهى تؤلمه فبينما هو ذات يوم جالس إذ سمع قارئاً يقرأ أمن يجيب
المضطّر إذا دعاها الآية فقال الرجل يارب انت المجيب وانا المضطر فاكشف عني
ضر ما أنا فيه فنزلت الحصاة من أذنه في الحال * وروى ان أبا عبيدة حصر فكتب
إليه عمر رضى الله عنه مهما نزل بامرئ من شدة يجعل الله له بعدها فرجا وانه
لمن يغلب عسر يسرين وانه يقول عز وجل اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا

الله لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ * وروى عن النبي ﷺ انه قال ان يونس عليه السلام حين بداله أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو في بطن الحوت فقال اللهم لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَقْبَلَتِ الدَّعْوَةُ نحو العرش فقالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف مكروب من بلاد غريبة قال أما تعرفون ذلك قالوا لا يارب قال ذلك عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل نرفع له عملاً صالحاً متقبلاً ودعوة مستجابة قال نعم قالوا يارب أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمرت الحوت فطرحه بالعراء وقال أبو صخر فاخبرني أبو سقيط وأبوه حدثه بهذا الحديث انه سمع أبا هريرة يقول طرح بالعراء فأثبت الله عليه اليقطينة قلنا وما اليقطينة قال شجرة الدبا قال أبو هريرة وهياً الله أرنبه وحشية تأكل من حشائش الأرض وتجيء فتفشع عليه وترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتي نبت جلده وقال أمية بن أبي الصلت قبل الاسلام في ذلك شعرا

فَأَثْبَتَ يَقْطِينَا عَلَيْهِ بِرَحْمَةٍ * مِنْ اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ التَّيُّ ضَاحِيَا

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام أهوى به إلى قرار البحر فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصا وهو في ظلمات ثلاث ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) قال الله عز وجل (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ) قال كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش حدثني فتي من الكتاب البغداديين يعرف بأبي الحسن بن أبي الليث وكان أبوه من كتاب الجند يتصرف مع اشكرون بن سهلان الديلمي أحد الأمراء في عسكر معز الدولة بن أحمد بن بويه قال قرأت في بعض الكتب إذا دهمك أمر تخافة فبت وأنت طاهر على فراش طاهر وثيابك كلها طاهرة واقراً (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا) إلى آخر السورة سبعا (وَاللَّيْلُ إِذَا يَنشَأُ) إلى آخر السورة سبعا ثم قل « اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي فَرَجًا وَخَرِّجًا مِنْ أَمْرِي » فانه يأتيك في الآية الأولى أو الثانية إلى السابعة

آت في منامك فيقول لك المخرج منه كذا وكذا قال فحبست بعد ذلك بسنين
حبسة طالت حتى أيست من الفرج . وكنت قد أنسيت هذا الخبر فذكرته يوما
وأنا في الحبس ففعلت ذلك فلم أر في أول ليلة ولا في الثانية ولا في الثالثة شيئا
فلما كان في الليلة الرابعة فعلت ذلك على الرسم فرأيت في منامى كأن قائل يقول
لى خلاصك على يدى على بن إبراهيم فأصبحت من غد متعجبا ولم أكن أعرف
رجلا يقال له على بن إبراهيم فلما كان بعد يومين دخل على شاب لا أعرفه فقال
قد كفلت ما عليك فقم وإذا معه رسول إلى السجن بتسليمى إليه فقمتم معه
فحملنى إلى منزلى وسلمنى فيه والنصف فقلت لهم من هذا قالوا رجل من أهل
الاهواز يقال له على بن إبراهيم يكون في الكرخ قيل لنا انه صديق للذى حبسك
فطرحنا أنفسنا عليه فتوسط فى أمرك وضمن ما عليك وأخرجك قال مؤلف
هذا الكتاب فلما كان بعد يسير جاءني على بن إبراهيم هذا وهو معاملى في سنين
كثيرة فذاكرته بالحديث فقال نعم كان هذا عبدوس الذى حبسه هو ابن أخت
أبي على النصراني خازن معز الدولة فلما طالبه بالمبلغ الذى كان عليه من الضمان
الذى ضمنه منه وكان عبدوس صديقى فجاءنى من سألنى خطابه فى أمره فخرى
الأمر على ما عرفت قال مؤلف الكتاب وجدت فى كتاب محمد بن جرير الطبرى
الذى سماه بكتاب الآداب الحميدة والأخلاق النفيسة حدثنى محمد بن عمار الأسدى
عن روح بن الحارث بن حبيش الصنعاني عن أبيه عن جده أنه قال لبنيه إذا
دعهمك أمر فلا يبيتن أحدهم إلا وهو طاهر على فراش طاهر ولا يبيتن معه امرأة
وليقرأ (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا) إلى آخر السورة سبعا (وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى) إلى آخر
السورة سبعا ثم يقل « اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِى فَرَجًا وَمَخْرَجًا » فانه يأتيه آت
في أول ليلة أو في الثالثة أو في الخامسة وأظنه قال أو في السابعة يقول لك المخرج
مما أنت فيه كذا قال أنيس وأصابني وجع شديد فلم أدر ما علاجه فبت على هذه
الحالة فأتاني في أول ليلة اثنان جلس أحدهما على رأسى وجلس الآخر عند رجلي
فقال أحدهما لصاحبه جسه فامس جسدى كله فلما بلغ موضعا من رأسى قال
احجم هذا ولا تحلقه ولكن اغسله بمخظمية ثم التفت إلى أحدهما أو كلاهما وقال

لى فكيف لو ضمنت إليهما (وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ) فلما أصبحت سألت لم أمرت
بالخطمية فقبل لتمسك المحجمة فبرأت وأنا إلى اليوم لا أحدث بهذا الحديث
أحدا فيعالج به من تلك العلة إلا وجد الشفاء باذن الله تعالى وأضمم إليهما قراءة
(وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ) وحدثت عن أحمد بن أبي داود قال حدثني الوائق قال حدثني
المعتصم أن قومًا ركبوا البحر فسمعوا هاتفاً يهتف بهم من يعطيني عشرة آلاف
دينار حتى أعلمه كلمات إذا أصابه غم أو أشرف على هلكة فقالها انكشفت عنه
فقام رجل من أهل المركب معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف أنا
أعطيك حتى تعلمنى فقبل له ارم بالمال في البحر فرمى بالمال فسمع الهاتف يقول
إذا أصابك غم أو أشرفت على هلكة فاقرأ (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ . وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بِالْأُمُورِ قَدَّ جَعَلَ
اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) فقال جميع من في المركب للرجل لقد ضيعت مالك فقال
كلا إن هذه لفظة ما أشك في نفعها قال فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم
ينج منهم أحد غير ذلك الرجل على لوح فحدثت بعد ذلك قال طرحتني البحر على
جزيرة فصعدت أمشي فيها فاذا بقصر منيف فدخلته فاذا فيه من كل ما يكون
من الجواهر التي في البحر وغيرها وإذا بامرأة لم أر قط أحسن منها فقلت لها من
أنت وأي شيء تعملين ههنا قالت أنا ابنة فلان بن فلان التاجر بالبصرة
وكان أبى عظيم التجارة وكان لا يصبر شئ فسافر بي في البحر معه فأنكسر مركبنا
فاختطففت حتى حصلت في هذه الجزيرة وانه يخرج إلى شيطان من البحر فيتلاعب
بي سبعة أيام من غير أن يطأني إلا أنه يلامسني ويؤذيني ويتلاعب بي وينظر إلي
ثم ينزل إلى البحر سبعة أيام وهذا يوم موافته فاتق الله في نفسك واخرج قبل
موافته وإلا أتى عليك . فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة عظيمة قد
أقبلت فقالت قد جاء والله وسيهلكك فلما قرب منى وكاد يغشاني قرأت الآية
فاذا هو قد خر كقطعة جبل إلا أنه رماد محترق فقالت المرأة هلك والله وكفيت
أمره من أنت يا هذا الفتى الذى من الله على بك فقممت أنا وهى وانتخبنا ذلك

الجوهر حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر ولزمنا ساحل البحر نهارنا أجمع
فلما كان الليل رجعنا إلى القصر قال وكان فيه ما يؤكل فقلت لها من أين لك هذا
قالت وجدته ههنا فلما كان بعد أيام رأينا مركباً يمين عن بعد فلوحننا إليهم
فدخلوا خملونا وسلمنا الله عز وجل إلى البصرة فوصفت لى منزل أهلها فأتيهم
فقالوا من أنت قلت رسول فلانة بنت فلان فارتفعت الواغية وقالوا ياهذا لقد
جددت علينا مصيبتنا فقلت اخرجوا ثم أخذتهم ورجعت حتى جئت بهم إلى
ابنتهم فكادوا يموتون فرحاً وسألوها عن خبرها فقصة عليهم وسألته أن يزوجني بها
ففعلا وجعلنا هذا الجوهر رأس مال بيني وبينها وأنا اليوم أيسر من بالبصرة
وهؤلاء أولادى منها * وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء
ان عبد الله بن المعلی بن أيوب حدثه عن أبيه قال قال المعلی بن أيوب أعنتني
الفضل بن مروان ونحن في بعض الأسفار فطالبني بعمل بعيد يعمل في مدة
بعيدة واقتضانيه في كل يوم مرارا إلى أن أمرني عن المعتصم أن لا أبرح إلا بعد
الفراغ منه فقعدت في ثيابي وجاء الليل فجعلت بين يدي تقاطة وطرح غلماي
أنفسهم حولي وورد على أمر عظيم لأنني قلت ما تجاسر على ان يوكل بي إلا وقد
وقف على سوء رأي في من المعتصم قال فاني لجالس وذقني على يدي وقد مضى
من الليل بعضه وأنا مفكر خملتني عيني فتمت فرأيت كأن شخصا قد مثل بين
يدي وهو يقول لي (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا
وْخَفِيَّةً لَنْ أَنْجِيَنَّكُمْ مِنْ هَذِهِ لَنْسَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ
كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ) ثم انتبهت فقرأتها فاذا أنا بمشعل قد أقبل من بعيد
فلما قرب مني رأيت وراه حمادا ونفس صاحب الحرس وقد أنكر تقاطتي فجاء
ليعرف سببها فأخبرته خبري فمضى إلى المعتصم فأخبره فاذا الرسل يطلبونني
فدخلت إليه وهو قاعد ولم يبق من الشمع إلا أسفله فقال لي ما خبرك فشرحت
له فقال لي « وَيَلَى عَلَى النَّبَطِيِّ يَمْتَنُّكَ » وأى يد له عليك أنت كاتبي كما هو كاتبي
انصرف قال فانصرفت وبكرت إلى الفضل على عادتي لم أنكر شيئا * حدثني

أبو الفضل محمد بن عبد الله في المذاكرة في خبر طويل لست أقوم عليه إن رجلاً كانت بينه وبين رجل يتمكن من أذاه عداوة نخافه خوفاً شديداً وأهمه أمره ولم يدر ما يصنع فرأى في منامه كأن قائلًا يقول له اقرأ في كل يوم في إحدى ركعتي الفجر (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَسَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) إلى آخر السورة قال فقرأتها فما مضت إلا شهوور حتى كفيت أمر ذلك الرجل وأهلكه الله عز وجل وأنا أقرأها إلى الآن قال مؤلف هذا الكتاب فوقعت أنا بعد ذلك في شدة لحقتني من عدو خفته فاستترت منه فجعلت دأبى قراءة هذه السورة في الركعة الثانية من صلاة الفجر كل يوم وأقرأ في الأولى منها ألم نشرح لك صدرك إلى آخر السورة لخبر كان بلغني فيها فلما كان بعد شهرور كفاني الله أمر ذلك العدو وأهلكه من غير سعى لي في ذلك ولا حول ولا قوة وأما الخبر في ألم نشرح فإن أبا بكر بن شجاع المقرئ البغدادي الذي كان يخلفني على العيار في دار الضرب بسوق الاهواز في سنة ست وأربعين وثلاثمائة وكان شيخاً ثقة نبيلاً وهو من أمناء القاضي الأحنف محمد ابن أبي الشوارب حدثنا بإسناد ذكره أن بعض الصالحين ألح عليه الغم وضيق الصدر وتعدر الأمر حتى كاد يقنط فكان يمشي يوماً وهو يقول أرى الموت لمن أمسى على الذلة له أصلح * فهتف به هاتف يسمع صوته ولا يري شخصه أو قال رأي في النوم كأن قائلًا يقول

ألا يا أيها المرء * الذي ألهم به برح * إذا ضاق بك الصد * د ففكر في ألم نشرح قال فقرأتها في صلاتي فشرح الله صدرى وأزال كربى وسهل أمرى أو كما قال وحدثني غيره هذا الخبر من قريب بهذا الحديث وزاد في الشعر حيث قال

فان العسر مئرو * ن يسرين فلا تبرح

وقد ذكر القاضي أبو الحسين في كتاب الفرج بعد الشدة البيتين فقط وقال في الأخير منهما

إذا أعضلك الأمر بدل إذا ضاق بك الصدر



الباب الثاني

* ما جاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللأواء *

* وما يتوصل به الي كشف الشدة والبلاء *

أخبرني القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي بالاسناد الصحيح قال قال رسول الله ﷺ سلوا الله من فضله فإن الله تبارك وتعالى يحب أن يسأل وأفضل العباد انتظار الفرج . مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال انتظار الفرج من الله عز وجل عبادة . علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أفضل أعمال أمتي انتظارها فرج الله * جعفر بن محمد عن أبيه عن حده أن رسول الله ﷺ قال لعلي رضي الله عنه في حديث ذكره وأعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا عن عمر بن مرة قال سمعت أبا وائل يحدث عن كردوس بن عمرو وكان ممن قرأ الكتب أنه قال ان الله عز وجل يبتلي العبد وهو يحبه لیسْمَع تضرعه حدثنا ابن أبي الدنيا يرفعه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ألا أعلمك كلمات تنفع بهن قال بلى يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله جف القلم بما كان وما هو كائن ولو جهد العباد أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لما قدروا فإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين فافعل فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا دوى أنس عن رسول الله ﷺ انه قال قال رسول الله ﷺ إذا المعونة من الله عز وجل تأتي

الْعَبْدَ عَلَى قَدْرِ الْمُؤُونَةِ وَإِنَّ الصَّبْرَ يَأْتِي عَلَى قَدْرِ شِدَّةِ الْبَلَاءِ وَبِمَا قَالَ إِنَّ الْفَرَجَ
 يَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ شِدَّةِ الْبَلَاءِ * وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ
 مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ نَقَسَ عَنْ أَخِيهِ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا
 نَقَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا دَامَ الْعَبْدُ
 فِي عَوْنِ أَخِيهِ وَرَوَى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ وَرَوَى
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ
 النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ مَنْ أَجْرَى اللَّهُ عَلَى يَدِهِ فَرَجًا مُسْلِمًا فَرَجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَ الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ * رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ مَنْ
 أَكْثَرَ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ فَرَجٍ وَمِنْ كُلِّ ضَيْقٍ مَخْرَجًا وَرِزْقَهُ
 مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ * وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ
 قَالَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ دَوَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ أَيْسَرُهَا اللَّهُمَّ * وَعَنْ نَصْرٍ بْنِ زِيَادٍ
 قَالَ كُنْتُ عِنْدَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَتَاهُ سَفِيَّانُ بْنُ سَعِيدٍ الثَّوْرِيُّ قَالَ يَا ابْنَ
 رَسُولِ اللَّهِ حَدِّثْنِي فَقَالَ يَا سَفِيَّانُ إِذَا اسْتَبَطَّاتِ الرِّزْقَ فَأَكْثَرُ مِنَ الْإِسْتِغْفَارِ وَإِذَا
 وَرَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ تَرَاهُ فَأَكْثَرُ مِنَ لِحَوْلٍ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ وَإِذَا أُنْعِمَ
 اللَّهُ عَلَيْكَ بِنِعْمَةٍ فَأَكْثَرُ مِنَ الْحَمْدِ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ صَالِحٍ الصَّالِحِيُّ بِالسَّنَادِ
 عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَزَلُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَسِيرُونَ إِذْ أَخَذَهُمُ
 الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَأَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ فَسَدَّتِ الْغَارَ فَقَالُوا تَعَالَوْا
 فَلْيَسْأَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّ رَجُلٍ مَنَا بِأَفْضَلِ عَمَلِهِ فَقَالَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ تَعْلَمُ
 أَنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةٌ عَمَّ جَمِيلَةٌ وَكُنْتُ أَهْوَاهَا فَدَفَعْتُ إِلَيْهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَلَمَّا جَلَسْتُ
 مِنْهَا مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنَ الْمَرْأَةِ قَالَتْ اتَّقِ اللَّهَ يَا ابْنَ الْعَمِّ وَلَا تَقْضِ الْخَنَازِمَ إِلَّا بِحَقِّ فَقُمْتُ

عَنْهَا وَتَرَكْتُ لَهَا الْمِائَةَ دِينَارٍ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ خَشْيَةً مِنْكَ وَابْتِغَاءً
لِمَا عِنْدَكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَانْفَرَجَ عَنْهُمْ ثَلَاثُ الصَّخَرَةِ وَقَالَ الْآخِرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ
أَنَّهُ كَانَ لِي أَبُوَانُ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ فَكُنْتُ أَغْدُو عَلَيْهِمَا بِصَبُوحِهِمَا وَأُرُوحَ عَلَيْهِمَا
بِغُبُوقِهِمَا فَغَدَوْتُ عَلَيْهِمَا يَوْمًا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ فَكَرِهْتُ أَنْ أَوْقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ
أَنْ أَنْصَرِفَ عَنْهُمَا فَيَفْقِدَانِ غَدَاءَهُمَا فَوَقَفْتُ حَتَّى اسْتَيْقَظَا فَدَفَعْتُ إِلَيْهِمَا غَدَاءَهُمَا
اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً مَا عِنْدَكَ وَخَشْيَةً مِنْكَ فَافْرُجْ عَنَّا
فَانْفَرَجَ عَنْهُمْ الثَّلَاثُ الثَّانِي وَقَالَ الثَّلَاثُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنِي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا
فَلَمَّا دَفَعْتُ إِلَيْهِ أَجْرَهُ قَالَ عَمَلِي أَوْفَى مِنْ هَذَا وَتَرَكَ لِي أَجْرَهُ وَقَالَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
يَوْمٌ يَتَوَخَذُ لِلْمَظْلُومِ فِيهِ مِنَ الظَّالِمِ وَمَضَى فَابْتِغَتْ لَهُ بِأَجْرِهِ غَنًا فَلَمْ أَزَلْ أُرْغَاهَا وَنَمَتَ
حَتَّى تَزَايَدَتْ وَكَثُرَتْ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ مَدَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ أَتَانِي فَقَالَ يَا هَذَا إِنْ لِي عِنْدَكَ
أَجْرَةٌ عَمَلْتُ لَكَ كَذَا وَكَذَا فِي وَقْتٍ كَذَا وَكَذَا فَقُلْتُ لَهُ خُذِ الْغَنَمَ فَهِيَ لَكَ فَقَالَ
تَمْنَعُنِي أَجْرَتِي وَتَهْزَأُ بِي فَقُلْتُ خُذْهَا فَاتَّهَى لَكَ فَأَخَذَهَا وَدَعَا لِي اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ
أَنِّي أَنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا خَشْيَةً مِنْكَ وَابْتِغَاءً لِمَا عِنْدَكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَانْفَرَجَ عَنْهُمْ بَاقِي
الصَّخَرَةِ وَخَرَجُوا يَمْشُونَ وَذَكَرَ الْحَدِيثُ قَالَ مُؤَلِّفُ هَذَا الْكِتَابِ هَذَا حَدِيثٌ
مَشْهُورٌ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى وَالنَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَعَنْ كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمْ عِدَّةُ طَرُقٍ وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي أَلْفَاظِهِ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ وَلَيْسَ غَرَضِي هُنَا جَمْعُ
طَرُقِهِ وَالْفَاظُ فَاسْتَقْصَى ذَلِكَ هُنَا رَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ كُنَّا
جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرَبٌ
أَوْ بَلَاءٌ مِنَ الدُّنْيَا دَعَاهُ فَفَرَّجَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ بَلَى فَقَالَ دُعَاءُ ذِي النُّونِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَارٍ قَالَ حَدَّثَنَا ابْنُ عَدَى بِالسَّانِدِ

عن حميد بن عبد الرحمن الحميري قال كان بأبي الحصاة وكان يلتقي من شدة ما به من
البلاء ألما عظيما فانطلقت إلى بيت المقدس فلقيت أبا العوام فشكوت له الذي
بأبي وأخبرته خبره فقال مره فليدع بهذه الدعوات وهي ربنا الذي في السماء
تقدس اسمه أمرك ماض في السماء والأرض كما رحمتك في السماء فاجعلها في الأرض
اغفر لنا حوبتنا وخطايانا إنك رب الطيبين أنزل رحمة من عندك وشفاء من
شفائك على ما بفلان بن فلان من وجع قال فدعا به فأذهب به الله عز وجل . وروى
عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال كلمات الفرج لا إله
إلا الله الحكيم الكريم لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع
والأرضين السبع ورب العرش العظيم . حدثنا عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن
أبيه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو
فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت وروى عبد الله
ابن جعفر قال علمتني أمي أسماء بنت عميس شيئا أمرها به رسول الله ﷺ أن
تقول عند الكرب الله ربّي لا أشرك به شيئا . وروى عبد الله بن جعفر بن
أبي طالب قال علمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أو شدة أن أقول لا إله
إلا الله الحكيم الكريم عزّ الله وتبارك ربّ العرش العظيم والحمد لله ربّ العالمين
وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال علمني رسول الله ﷺ إذا
نزل بي كرب أن أقول لا إله إلا الله العلي الكريم سبحانه الله وتبارك الله رب
العرش العظيم والحمد لله رب العالمين قالت أسماء بنت عميس سمعت رسول الله
ﷺ يقول من أصابه هم أو غم أو سقم أو شدة أو ذل أو آواء فقال الله ربّي
لا شريك له كشف ذلك عنه . عن أبي سلمة الجهمي عن أبي القاسم عن
عبد الرحمن عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ ما أصاب مساماً قط هم ولا حزن
فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك
عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك
أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن

العظيم ربِّيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همي
 وأبدله مكان حزنه فرجاً قالوا يارسول الله أفلا نتعلم هذه الكلمات قال بلى ينبغي
 لمن سمعهن أن يتعلمهن * وروي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أصابه غم
 أو كرب يقول حسبي الرب من العباد حسبي الخالق من المخلوقين حسبي الرازق
 من المرزوقين حسبي الله هو حسبي حسبي الله ونعم الوكيل حسبي الله لا إله إلا
 هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم * روى إسماعيل بن فديك أن رسول الله
 ﷺ قال ما أكرهني أمر إلا تمثّل لي جبريل وقال يا محمد قل توكلت على الحي
 الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم
 يكن له ولي من الدّل وكبره تكبيراً * وروي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا
 نزل به هم أو غم قال يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث * وروي ابن مسعود رضي
 الله عنه عن النبي ﷺ مثل ذلك * وفي الأخبار أن موسى عليه السلام كان
 دعاؤه حين يتوجه إلى فرعون وهو دعاء رسول الله ﷺ يوم حنين ودعاء كل
 مكروب كنت وتكون وأنت حي لا تموت أبدا تنام العيون وتنكدر النجوم
 وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم يا حي يا قيوم * دعاء للفرج أعطانيه
 أبو الحميد داود بن الناصر المعروف بطاطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن
 علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقال لي إن أهله يتوارثونه عن أمير المؤمنين
 علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يا من يحل عقد المكاره ويفك حلق الشدائد
 ويأمن يلتمس به المخرج إلى محل الفرج ذلت لقدرتك الصعاب وتشبثت بملطفك
 الأسباب وجري بطاعتك القضاء ومضت على ذكرك الأشياء فهي بمشيئتك دون
 قولك مؤتمرة وبارادتك دون وحيك منزجرة أنت المدعو للمهمات وأنت المفزع
 في الملمات لا يندفع منها إلا ما دفعت ولا ينكشف منها إلا ما كشفت قد نزل بي
 ما يكيدني ثقله وألم بي ما يهينني حمله وبقدرتك أوردته عليّ وبسلطانك وجهته
 إلى لا مصدر لما أوردت ولا كاشف لما وجهت ولا فاتح لما أغلقت ولا مغلق

لما فتحت ولا ميسر لما عسرت ولا معسر لما يسرت صل على محمد وعلى آل محمد
وافتح لي يارب أبواب الفرج بطولك واحبس عني سلطان الهم بحولك وأنلني
حسن النظر فيما شكوت وأذقني حلاوة الصنع فيما سألت وهب لي من لدنك فرجا
قريبا هنيئاً وصلاحاً في جميع أمري واجعل لي من عندك مخرجاً رحيباً ولا تشغلني
بالاهتمام عن تعهد فروضك واستعمال سنتك فقد ضقت ذرعاً بما قد عراني
وتحيرت في أمري وفيما نزل بي ودهاني وضعفت عن حمل ما قد أثقلني هماً
وتبدلت فيما أنا فيه قلقاً وغماً وأنت القادر على كشف ما وقعت فيه ودفع ما ثقلت
به فافعل بي ذلك يا سيدي وإلهي وإن لم أستحقه وأجبنني إليه وإن لم أستوجبه
يا ذا العرش العظيم ثلاث مرات * وأعطني دعاء آخر وقال لي إن أهله يتوارثونه
عن أهل البيت عليهم السلام وهو لا إله إلا الله حقاً حقاً لا إله إلا الله تعبدوا ورزقا
لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً يا منزل الرحمة من أماكنها ومنشئ البركة من معادنها
أسألك أن تصلي على محمد عبدك ونبيك وخيرتك من خلقك وصفيك وعلى آله
مصاييح الدجا وأئمة الهدى وأن تفرج عني فرجاً عاجلاً وتلبسني في أموري
صلاحاً شاملاً وتفعل بي في ديني ودنياي ما أنت أهله وتنبليني صلاحاً لجميع أمري
شاملاً يا كاشف كل كرب ويا غافر كل ذنب * حدثني أيوب بن العباس بن الحسن
باسناد كثير أن أعرابياً شكاً إلى أمير المؤمنين على رضي الله عنه شكوى لحقته
وضيقاً في الحال وكثرة من العيال فقال له عليك بالاستغفار فإن الله عز وجل يقول
(اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً) الآيات فمضى الرجل وعاد إليه فقال يا أمير المؤمنين
اني قد استغفرت الله كثيراً ولم أر فرجاً مما أنا فيه فقال له لعلك لا تحسن الاستغفار
قال عامني فقال أخلص نيتك وأطع ربك وقل اللهم إني أستغفرك من كل ذنب
قوى عليه بدني بعافيتك أو نالته قدرتي بفضل نعمتك أو بسطت إليه يدي بسابغ
رزقك واتكلت فيه عند خوفي منه على أمانك ووثقت فيه بحلمك وعولت فيه
على كريم عفوك اللهم اني أستغفرك من كل ذنب خفت فيه أمانتي أو بخست فيه
نفسي أو قدمت فيه لذتي أو آثرت فيه شهوتي أو سعت فيه لغيري أو استغويت
إليه من تبغني أو غلبت فيه بفضل حيلتي أو أحلت فيه على مولاي فلم يعاجلني
على فعلي إذ كنت سبحانك كارها لمعصيتي غير مریدها مني لكن سبق علمك

في باختيارى واستعمال مرادى وإيثارى فحملت عنى ولم تدخلنى فيه جبرا ولم
 تحملنى عليه قهرا ولم تظلمنى عليه شيئا يا أرحم الراحمين يا صاحبي في شدتى
 يا مؤنسى في وحدتى يا حافظى في غربتى يا ولى في نعمتى يا كاشف كربتى يا مستمع
 دعوتى يا راحم عبرتى يا مقيل عثرتى يا إلهى بالتحقيق يا ركنى الوثيق يا رجاى
 للضيق يا مولائى الشفيق يا رب البيت العتيق أخرجنى من حلق المضيق إلى سعة
 الطريق بفرج من عندك قريب وثيق واكشف عنى كل شدة وضيق واكفنى
 ما أطبق وما لا أطيق اللهم فرج عنى كل هم وغم وأخرجنى من كل حزن وكرب
 يا فارج الهمم ويا كاشف الغم ويا منزل القطر ويا مجيب دعوة المضطر يا رحمن الدنيا
 والآخرة ورحيمهما صل على محمد خيرتك من خلقك وعلى آله الطيبين الطاهرين
 وفرج عنى ما ضاق به صدرى وعيل معه صبرى وقلت فيه حيلتى وضعفت له
 قوتى يا كاشف كل ضر وبلية يا عالم كل سر وخفية يا أرحم الراحمين وأفوض
 أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد * وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وهو رب
 العرش العظيم * قال الاعرابى فاستغفرت بذلك مرارا فكشف الله عنى الغم والضيق
 ووسع على فى الرزق وأزال المحنة * وعن أبى مخلد أنه قال قال عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه ما أبالي على أي حالة أصبحت على ما أحب أو على ما أكره وذلك
 لأننى لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره * وروى عن الأعمش عن إبراهيم قال
 إن لم يكن لنا خير فيما نكره لم يكن لنا خير فيما نحب * وروى عن سفیان بن عيينة
 قال قال محمد بن على رضى الله عنه لمحمد بن المنكدر مالى أراك مغموماً فقال أبو حازم
 لدين فدحه قال محمد بن على افتح له فى الدعاء قال نعم قال بورك لك فى حاجة أكثر
 فيها دعاء ربك كانت لك ما كانت * دعاء لداود عليه السلام سبحانه مستخرج
 الدعاء بالبلاء سبحانه مستخرج الشكر بالرخاء * روى عن طاوس قال إنى لفى الحجر
 ذات ليلة إذ دخل على ابن الحسين عليه السلام فقلت رجل صالح من أهل بيت
 الخير لآسمعن إلى دعائه الليلة فصلى ثم سجد فأصغيت بسمعى إليه فسمعتة يقول
 عبيدك بفنائك يرجو ثوابك ويخشى عقابك قال طاوس فما دعوت بها فى كرب
 إلا فرج الله عنى * روى فى الأخبار أن صديقا ذبح عجلا بين يدى أمه فقبل عقله
 فبينما هو كذلك ذات يوم تحت شجرة فيها وكر طائر إذ وقع فرخ ذلك الطائر

في الأرض فغبر في التراب فأناه الطائر فجعل يطير فوق رأسه فأخذ الصديق الفرخ
فسحه من التراب وأعاده في وكره فرد الله عليه عقله * وقال ابن عيينة ما يكرهه
العبد خير له مما يحب لأن ما يكرهه يهيج على الدعاء وما يحبه يلهيه * وروى
عن عبد الصمد العمى قال سمعت مالك بن دينار يقول في مرضه وهو آخر كلام
سمعته منه ما أقرب النعم من البؤس يعقبان ويوشكان زوالا * روى عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه أنه قال لجلسائه يوماً وفيهم عمرو بن العاص ما أحسن شيء
يناله المرء فأني كل رجل برأيه وعمرو ساكت فقال له عمر مات قول يا عمرو قال
الغمرات ثم ينجلين * كتب سعيد بن حميد إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتاباً
من الأنبار قال فيه وأرجو أن يكشف الله بالأمير هذه الغمة الطويل مداها البعيد
منتهاها فان طولها قد أطمع في انقضائها وتراخي أيامها قد سهّل طريق الأمل لفنائها
قال مؤلف هذا الكتاب لحقتني محنة عظيمة من السلطان فكتب الي أبو الفرج
عبد الواحد بن نصر الخزومي رقعة يتوجع إلى فيها نسختها بسم الله الرحمن الرحيم
مدد النعم أطل الله بقاء القاضي بغفلات المسار وان طالّت احلام وساعات المحن
وان قصرت بسوا بغيرهم أعوام وأحظانا بالمواهب من ارتبطها بالشكر وأنهننا
بأعباء المصائب من قاومها بعدد الصبر اذ كان أولها بالعظة مذكراً وآخرها بمضمون
الفرج مبشراً وانما يتعسف ظلم الفتنة ويتمسك بتفريط العزم ضال الحكمة ومن
كان بسنة الغفلة مغموراً وبضعف المنية والرأي مقهوراً وفي انتهاز فرص الحرم
مفرطاً والمرضى ما اختاره الله تعالى متسخطاً والقاضي أنور بصيرة وأظهر سريرة
وأكل حزمًا وأنفذ مضاء وعزماً من أن يتسلط الشك على يقينه أو يقدح اعتراض
الشبه في مروءته ودينه فيلقى ما اعتمده الله من طارق القضاء المحتوم بغير واجبه
من فرض الرضا والتسليم ومع ذلك فانما تعظم المحنة إذا تجاوزت وضعف التنبيه
من الله جل ذكره الى واجب العقوبة ويصير تبجني السلطان بها وجوب الحجة
فشغلت اللسن عن محمود الثناء منها بمذموم اللائمة فاذا خلت من هذه الصفات
اللييمة والشوائب المذمومة كانت وان راع ظاهرها بصفات النعم أولى وبأسباب
المنح أحق وأحرى وهي أعمال ذى الفهم الثاقب والفكر الصائب مثله أيده الله
تعالى بكامل عقله وزائد فضله فيما يساح به الدنيا من مرتجع هباتها وتبدله من

خدع لذاتها من علم أن أسعد أهلها منها بلوغ الآمال أقر بهم فيما خوله من التغيير
 والانتقال وصفاءها مشوب بالكدر وأمنها مروع بالحذر لأن انتهاء الشيء الى
 حده ناقل له عما كان عليه الى ضده فتكاد المحنة بهذه القاعدة لاقتربها في الفرج
 بفسح الرجاء وانتهاء الشدة فيها الى مستجد الرخاء أن تكون أحق بأسماء النعم
 وأدخل في أسباب المواهب والقسم وبالْحَقِيقَةُ فكل وارد من الله عز وجل على
 العبد وان جهل مواقع الحكمة منه وساء استتار عواقب الخيرة بمفارقة ما نقل
 عنه غير خال من مصلحة بتقديم عاجل وادخار آجل وهذا الوصف ما ذكر الله به
 القاضي إذ كان للمثوبة مفيدا والفرج ضامنا وبالْحَقِظْ مبشرا والى المسرة مؤديا
 وبأفضل ما عوده الله عائدا وهو ينجز ذلك بمستحكم الثقة ووجاهة الدماء والرغبة
 ووسائل الصبر والمعونة ولعله يكون إليه أقرب من ورود رقعتي إليه بقدرة
 الله تعالى ومشيتته ولولا الخوف من الاطالة والتعرض للاضجار والملااة باخراج
 هذه الرقعة عن مذاهب الكتابة وادخالها ذكر ما نطق به نص الكتاب من ضمان
 اليسر بعد العسر وماوردت به في هذا المعنى الأمثال السائرة والأشعار المتناقلة
 في جملة الرسائل وخير المصنفات لاودعتها نبذا من ذلك لكنني آثرت أن لاأعدل
 بها عما افتتحتها واستخدمتها له مقتصر على استغناء القاضي عن ذلك بمراشد
 حفظه ووفور فضله ومأثور نباهته ونبله والله يبلغنا ويبلغه ما فيه نهاية الآمال
 ولا يخلية في طول البقاء من مواد السعادة والاقبال ان شاء الله تعالى وهو حسبنا
 ونعم الوكيل * وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال أفضل
 ما يعمل الممتحن انتظار الفرج والصبر على قدر البلاء والصبر كفيل بالنجاح
 والمتوكل لا يخيب ظنه * وقال بعض الصالحين استعمل في كل بلية تطرقك حسن
 الظن بالله تعالى في كشفها فان ذلك أقرب بك الى الفرج ويقال العاقل لا يذل لأول
 نكبة ولا يفرح بأول نعمة فرما أقلع المحبوب عما يضر وأجلى المكروه عما يسر
هـ كما عبدالله بن طاهر الى سليمان بن يحيى بن معاذ كاتبه بلاء خافه وتوقعه فقال له
 أيها الأمير لا يغلبن على قلبك إذا اغتممت ما تذكره دون ما تحب فلعل العاقبة
 تكون ما تحب وتوقى ما تكره فتكون كمن يتسلف الغم والخوف قال أما انك
 فقد فرجت عني ما أنا فيه بلغني أن الناس قحطوا بالمدينة في أيام عمر رضي الله عنه

نخرج بهم مستسقياً فكان أكثر قوله الاستغفار فقليل له يا أمير المؤمنين لو دعوت
 الله تعالى فقال أما سمعتم قوله تعالى استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء
 عليكم مدراراً الآيات فصار الاستكثار منه في خطب الاستسقاء سنة إلى اليوم
 حكى عن أنوشروان أنه قال جميع مكاره الدنيا ينقسم على ضربين فضرب فيه حيلة
 فالاضطراب دواؤه وضرب لاحيلة فيه فالاصطبار شفاؤه وكان بعض الحكماء
 يقول الحيلة فيما لاحيلة فيه الصبر وكان يقال من اتبع الصبر أتبعه النصر * ومن
 الأمثال السائرة الصبر مفتاح الفرج من صبر قدر ثمرة الصبر الظفر وعند اشتداد
 البلاء يأتي الرخاء وكان يقال تضايقت تنفرجى إذا اشتد الخناق انقطع الوثاق
 والعرب تقول ان في الشر خياراً قال الأصمعي معناها ان بعض الشر أهون من بعض
 وقال أبو عبيدة معناها إذا أصابتك مصيبة فاعلم أنه قد يكون أجل منها فلتهن عليك
 مصيبتك * وقال بعض الحكماء عواقب الأمور تتشابه في الغيوب قرب محبوب
 في مكروه ومكروه في محبوب وكم مغبوط بنعمة هي داءه ومرحوم من داء فيه
 شفاؤه ورب خير من شر ونفع من ضر وروى أن علي بن أبي طالب سلام الله عليه
 قال يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي قد أتى فانه ان يكن من
 عمرك يأتك الله فيه بمحنتك واعلم أنك لن تكسب شيئاً سوى قوتك الا كنت
 فيه خازناً لغيرك بعد موتك * وقال وادعة السهمى في كلام له اصبر على الشر ان
 فدحك فربما أجلى عما يفرحك وتحت الرغوة اللبن الصريح وقال شريح اني
 لاصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات أحمدته ان لم تكن أعظم مما هي وأحمدته
 اذ رزقني الصبر عليها وأحمدته اذ وفقتني للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب
 وأحمدته اذ لم يجعلها في ديني ويشبه هذا ما يروى عن بزرجمهر لما حبسه أنوشروان
 عند غضبه عليه في بيت كالقبر ظلمة وضيقاً وصفده بالحديد وألبسه الخشن من
 الصوف وأمر أن لا يزداد على قرصين في كل يوم من شعير وكف ملح جريشا
 ودورق ماء وأن تحصي ألفاظه فتنتقل إليه فأقام بزرجمهر أياماً لا يتكلم فقال
 أنوشروان أدخلوا اليه أصحابه وأمروهم أن يسألوه ويفاتحوه في الكلام واسمعوا
 ما يجري بينهم وعرفوني فدخل إليه جماعة من المختصين به وقالوا أيها الحكيم
 نراك في هذا الضيق والحديد والصوف والشدة التي وقعت فيها ومع هذا فان

سحنة وجهك وصحة جسمك على حالهما لم يتغيرا فما السبب في ذلك فقال اني عملت جوارشا من ستة أخلاط آخذ منه في كل يوم شيئا فهو الذي أبقاني على ماترون قالوا فصفه لنا فعسى أن يبتلى بمثل بلواك من اخواننا أحد فيستعمله أو نصفه له قال الخلط الأول الثقة بالله عز وجل والخلط الثاني علمي ان كل مقدر كائن والخلط الثالث ان الصبر خير ما استعمله الممتحن والخلط الرابع ان لم أصبر فأى شيء أعمل والخلط الخامس قد يمكن أن اكون في أثر مما أنا فيه والخلط السادس من ساعة إلى ساعة فرج قال فبلغ كسرى كلامه فعفا عنه

﴿ فصل ﴾ لبعض الكتاب وهو على بن نصر بن علي بن بشر النصراني وكما ان الله عز وجل يأتي بالمحبوب من الوجه الذي قد ورد المكره منه يأتي الفرج عند انقطاع الأمل واستبهاام وجوه الحيل ليحضر سائر خليفته بما يريد من تمام قدرته على صرف الرجاء اليه واخلاص التوكل عليه وان لا يزووا وجوههم في وقت من الأوقات على من تتوقع الروح منه ولا يعدلوا بآمالهم على حال من الحالات عن انتظار فرج يصدر عنه فكذلك أيضا سرهم فيما ساءهم بأن كفاهم بمحنة يسيرة أعظم منها وأفداهم بمحنة سهلة بما هو أنكى فيهم لو لحقهم * قال إسحق العابد ربما امتحن الله العبد بمحنة عظيمة يخلصه بها من الهلكة فتكون تلك المحنة أجل نعمة وقال سمعان من احتمل المحنة ورضي بتدبير الله عز وجل في النكبة وصبر على الشدة كشف الله له عن منفعتها حتى يقف على المستور عنه في مصلحتها وقال عبد الله ابن المعتز مأوطأ راحلة الوائق بالله تعالى وآنس مثنوى المطيع لله * حكى بعض النصارى ان بعض الأنبياء عليهم السلام قال المحن تأديب من الله عز وجل والأدب لا يدوم وطوبى لمن يصبر على التأديب ويثبت عند المحنة فيجب له لبس الكليل الغلبة وتاج الفلاح الذي وعد الله عز وجل محبيه وطأئعيه * وقال بزرجمهر انتظار الفرج بالصبر يعقب الاغتباط ﴿ فصل ﴾ لبعض الكتاب وهو على بن نصر بن بشر وكما أن الرجاء مادة الصبر والمعين عليه فكذلك علة الرجاء ومادته حسن الظن بالله عز وجل الذي لا يجوز أن يخيب فانا قد نستقرى الكرماء فنجدهم يرفعون من أحسن ظنه بهم ويخيبون من يخيب أملة فيهم ويتخرجون من إخفاق رجاء

من قصدهم فكيف بأكرم الأكرمين الذي لا يعوزهم أن يمنح مؤمليه ما يزيد على آمالهم فيه وأعدل الشواهد بمحبة الله جل جلاله أن يمسك عبده برجائه وانتظاره الروح من ظله وفنائته أن الانسان لا يأتيه الفرج ولا تدركه النجاة إلا بعد إخفاق أمه في كل ما كان يتوجه نحوه بأمله ورغبته وعند انغلاق مطالبه وعجز حيله وحيلته وتناهى ضره ومحنته ليكون ذلك باعثا له على صرف رجائه أبدا إلى الله تعالى وزاجرا له عن تجاوز حسن الظن بالله تعالى * وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال الفرج والروح في اليقين والرضا والهم والحزن في الشك والغضب قال أبان بن ثعلب سمعت أعرابيا يقول من أفضل آداب الرجال أنه إذا نزلت بأحدهم جائحة استعمل الصبر عليها وألهم نفسه الرجاء لزوالها حتى كأنه بصبره يعاين الخلاص والغناء توكلا على الله وحسن ظن به فمضى لزم هذه الصفة لم يلبث أن يقضى الله حاجته ويزيل كربته وينجح طلبته ومعه دينه وعرضه ومرواته وكان يقال الصبور يدرك أحمد الأمور * حكى الأصمعي عن أعرابي قال خف الشر من موضع الخير وارج الخير من موضع الشر فرب حياة سببها طلب الموت وموت سببه طلب الحياة وأكثر ما يأتي الأمان من ناحية الخوف قال مؤلف هذا الكتاب ما أقرب هذا الكلام من قول قطري بن الفجاءة الخارجي ذكره أبو تمام الطائي في كتابه المعروف بالحماسة

لا يركب أحد إلى الأحجام يوم الوغى متخوفا لحمام
فلقد أراني للرماح دريئة من عن يميني مرة وأمامي
حتى خضبت بما تحدر من دمي أكناف سرجي أو عنان لجام
ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب جزع البصير قارح الأقدام
هذا لمن أحب الموت طلبا لحياة الذكر وقد أفصح بهذا الحصين بن الحمام
المرى حيث يقول

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدم
وهذا كثير متسع ليس هو مما نحن فيه بسبيل فنستوعبه ونستوفيه ولكن
الحديث ذو شجون والشئ يذكر بالشئ ونعود إلى ما كنا فيه قال بعض عقلاء
التجار ما أصغر المصيبة بالأرباح إذا عادت بسلامة الأرواح وكأنه من قول

بعض العرب إن تسلم الحلة فالمسجل هدر ومن كلامهم لا تيبس أرض من
 عمران وإن جفاها الزمان والعامّة تقول نهر جرى فيه الماء لا بد أن يعود إليه
 وقال بيسمطيوس لم تتفاضل أهل العقول والدين إلا باستعمال الفضل في حال
 القدرة والنعمة وابتدال الصبر في حال الشدة والمحنة وقال بعض الحكماء العاقل
 يتعزى فيما نزل به من المكروه بأمرين أحدهما السرور بما بقى له والآخر رجاء
 الفرج مما نزل به والجاهل يحزع في محنته بأمرين أحدهما استكثار ما أتى إليه
 والآخر تخوفه مما هو أشد منه وكان يقال المحن آداب الله تعالى خلقه وتأديب
 الله يفتح القلوب والاسماع والأبصار * ووصف الحسن بن سهل المحن فقال معها
 تمحيص من الذنوب وتنبيه من الغفلة وتعرض للثواب بالصبر وتذكير بالنعمة
 واستدعاء للتوبة وفي نظر الله عز وجل وقضائه الخيار وبلغنى هذا الخبر على وجه
 آخر * وقرئ على أبى بكر الصولى وأنا أسمع فى كتابه كتاب الوزراء حدثكم
 أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل قال سمعت إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول
 يصف الفضل بن سهل ويذكر تقدمه وعلمه وكرمه وكان مما حدثنى به أنه
 برأ من علة كان فيها مجلس للناس فهنوه بالعافية فلما فرغ الناس من كلامهم قال
 الفضل إن فى العلل لنعم لا ينبغى للعقلاء أن يجهلوا تمحيص للذنوب وتعرض
 لثواب الصبر وإيقاظ من الغفلة وإذكاء بالنعمة فى حال الصحة واستدعاء للمثوبة
 وحض على الصدقة وفى قضاء الله تعالى وقدره بعد الخيار * كتب محمد بن الحنفية
 إلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حين سيره ابن الزبير عن مكة إلى الطائف
 أما بعد فقد بلغنى أن ابن الزبير سيرك إلى الطائف فأحدث الله لك بذلك ذخرا
 وحط عنك به وزرا يا ابن عم إنما يبتلى الصالحون وتعد الكرامة للأخيار ولولم
 تؤجر إلا فيما تحب لقل الأجر وقد قال الله تبارك وتعالى (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
 شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ) عزم الله لنا ولك
 بالصبر على البلاء والشكر على النعماء ولا أشمت بنا عدوا وللسلام * كتب بعض
 الكتاب إلى صديق له فى محنة لحقته إن الله تبارك وتعالى ليمتحن العبد ليكثر
 التواضع له والاستغاثة به ويحدد الشكر على ما يوليه من كفايته ويأخذ بيده فى

شدته لأن دوام النعم والعافية تبطر الانسان حتى يعجب بنفسه ويعدل عن ذكر ربه * وقد قال الشاعر

لا يترك الله عبدا لا يذكره بمن يؤدبه ومن يؤنبه
في نعمة تقتضى شكريا يدوم له أو نعمة حين ينسى الشكر ينكبه

وقال الحسن البصري رحمه الله الخير الذي لا شرف فيه الشكر مع العافية والصبر عند المحنة فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتل بمحنة وهو صابر والجزع لا ينفع مالم تنصرم أيام المحنة * وكان ابن شبرمة إذا نزلت به شدة قال سبحانه ثم تنقشع * وقال بعض الحكماء آخر الهم أول الفرج * وكان جعفر بن سليمان يقول جربناه فوجدناه كذلك * وذكر القاضي أبو الخير في كتابه قال حدثنا الحسن بن مكرم يرفعه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إني لأن أكون في شدة أتوقع بعدها رخاء أحب إلي من أن أكون في رخاء أتوقع بعده شدة * وذكر عن النبي ﷺ بغير إسناد أنه قال لو كان العسر في كوة لجاء يسر أن فأخرجاه * قال مؤلف هذا الكتاب كان لي في هذا الحديث خبر ظريف وذلك اني كنت قد لجأت إلى البطيحة هاربا من نكبة لحقتني فاعتصمت بأمرها معين الدولة أبي الحسن بن عمران بن شاهير السلمي فألقيت هناك جماعة من معارف بالبصرة وواسط خائفين على أنفسهم قد هربوا من ابن تعية الذي كان في الوقت وزيرا ولجئوا إلى البطيحة فكنا نجتمع في الجامع فنتشاكى أحوالنا وفتمنى الفرج مما نحن فيه من الخوف والشدة والشقاء فحدث أبو الحسن بن حيشان التاجر الصالحى قال حدثني أبو عبد الحسن بن عثمان بن قنيف بالاسناد قال قال رسول الله ﷺ لو دخل العسر كوة لجاء يسر أن فأخرجاه فلما سمعت ذلك فكرت ساعة ثم عملت بيتين من الشعر

إنا روينا عن النبي رسول الله فيما أفيد من أدبه

لو دخل العسر كوة لآتى يسر أن فاستخرجاه من ثقبه

فما مضى على هذا المجلس إلا أربعة أشهر حتى فرج الله عني وعن كثير ممن حضر ذلك المجلس وردنا الله تعالى إلى عوائده الجميلة عندنا فالحمد والشكر لله

رب العالمين * ووجدت هذا الخبر على غير هذا فقد حدث عن ابن مسعود أنه قال لو أن العسر دخل في حجر لجاء اليسر يدخل معه * قال الله تبارك وتعالى (فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق البلاء يكون الرخاء ومع العسر يكون يسر * وروى عنه كرم الله وجهه أنه قال ما أبالي باليسر رميت أو بالعسر لأن حق الله عز وجل في العسر الرضا والصبر وفي اليسر البر والشكر قال مؤلف هذا الكتاب حدثني بعض الشيعة بغير إسناد قال قصد أعرابي أمير المؤمنين عليا عليه السلام فقال إني لدو محن فعلمني شيئا أنتفع به فقال يا أعرابي إن للمحن أوقاتا ولها غايات فاجتهاد العبد في محنته قبل إزالته الله تعالى إياها يكون زيادة فيها لقوله تعالى **إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ** لكن استعن بالله واصبر واكثر من الاستغفار فان الله عز وجل وعد الصابرين خيرا كثيرا وقال استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا فأنصرف الرجل فقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه

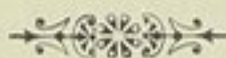
إذا لم يكن عون من الله للفتى * فاكثر ما يحني عليه اجتهاده
 * حدثنا أبو محمد الحسين بن محمد المهلب في وزارته قال كنت في وقت من الأوقات قد وقعت لي شدة شديدة وخوف عظيم لاحيلة لي فيه فأقمت ليلتي قلقا ولم أعرف الغمض فلجأت إلي الصلاة والدعاء وأقبلت على البكاء في سجودي والتضرع ومسئلة الله تعالى ففرج عني ما كنت فيه على أفضل ما أردت فقلت شعرا

بعثت إلي رب العطاء رسالة * تؤمل لي فيها دعاء مناصح

فجاء جوابي بالاجابة فأنجمت * بها كرب ضاقت بهن جوانحي

عن علي كرم الله وجهه أنه قال قال رسول الله ﷺ اشتدى أزمة تنفرجى * قيل أراد جعفر بن محمد بن علي الحج فمنعه المنصور فقال الحمد لله الكافي سبحانه الله الأعلى حسبي الله وكفى ليس من الله منجى ماشاء الله قضى ليس وراء الله منتهى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط

مستقيم اللهم ان هذا عبد من عبيدك خلقتك كما خلقتني ليس له على فضل الا ما فضلت به علي فاكفني شره وارزقني خيره واقدر لي المحبة في قلبه واصرف عني اذاه لا اله الا انت سبحان الله رب العرش العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله كثيرا قال فأذن له المنصور في الحج



الباب الثالث

﴿ من بشر بالفرج فنجا من محنه بقول أودعاء أو ابتهال ﴾
 أخبرني الصولي قال حدثنا البر القاضى قال رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد فذهب بزرع لها فجاء الناس يعزونها فرفعت رأسها إلى السماء وقالت اللهم أنت المأمول لاحسن الخلف وبيدك العوض عما تلف فافعل ماأنت أهله فان أرزاقنا عليك وآمالنا منصرفة إليك قال فلم أبرح حتى مر رجل من الاجلاء فحدث بما كان لها فوهب لها خمسمائة دينار * حدثني أبى فى المذاكرة من لفظه وحفظه ولم اكتبه عنه فى الحال وعلق بحفظى والمعنى واحد ولعل اللفظ يزيد أو ينقص عن أبى محمد عبد الله بن أحمد بن حمدون نديم المعتضد بالله قال حدثني أبى عن المعتضد أنه قال لما سمى إسماعيل بن بلبل بينى وبين أبى الموفق فأوحشه منى حتى حبسنى الحبسة المشهورة وكنت أتخوف القتل صباحاً ومساءً ولا آمن أن يرفع عني إسماعيل مايزيد في غيظ الموفق على فيأمر بقتلى فكنت كذلك حتى خرج الموفق الى الجند فازداد خوفاً وأشفقت أن يكاتبه إسماعيل عني بكذب يجعل غيبته طريقاً إليه ويأمر بقتلى فأقبلت على الدعاء والتضرع إلى الله تعالى والابتهال في تخليصى وكان إسماعيل يحببني في كل يوم مراعيأ خبرى ويوريني أن ذلك خدمة لى فدخل الى يوماً ويبدى المصحف وأنا أقرأ فتركته وأخذت أحادثه فقال أيها الأمير أعطني المصحف لأخذ فألك منه فلم أجبه بشيء فأخذ المصحف ففتحه وكان فى أول سطر منه عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون فاسود وجهه وأربد ثم خلط الورق ففتح المصحف ثانية فخرج وزيد أن عمن على

الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجَّعَهُمْ أَثْمَةً وَنَجَّعَهُمُ الْوَارِثِينَ فَازْدَادَ وَلَهَا وَاضْطَرَّ أَبَا
وَفَتَحَ الْمَصْحَفَ ثَلَاثَةَ فَيَخْرُجُ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَوَضَعَ الْمَصْحَفَ وَقَالَ أَنْتَ
الْخَلِيفَةُ وَاللَّهُ بِلَا شَكٍّ فَرَأَى حَقَّ بَشَارَتِي عَلَيْكَ فَقُلْتُ اللَّهُ اللَّهُ فِي دَمِي وَاسْأَلِ اللَّهَ
أَنْ يَبْقَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْأَمِيرَ النَّاصِرَ الْمُؤَفَّقَ وَمَالَنَا وَهَذَا وَمِثْلَكَ فِي عَقْلِكَ لَا يَطْلُقُ
مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ بِمِثْلِ هَذَا الْإِتِّفَاقِ قَالَ فَأَمْسَكَ وَمَا زَالَ يَحَادِثُنِي وَيُخْرِجُنِي مِنْ
حَدِيثٍ وَيُدْخِلُنِي فِي حَدِيثٍ إِلَى أَنْ جَرَى حَدِيثٌ مَا يَبْنِي وَيَبْنِي أَبِي فَأَقْبَلَ يَحْلِفُ
بِالْإِيمَانِ الْغَلِيظَةِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي أَمْرِي صَنْعٌ وَلَا سَعَايَةٌ عَلَى بَمَكْرُوهِ فَصَدَّقْتُهُ وَلَمْ أَزَلْ
أُخَاطِبُهُ بِمَا تَطِيبُ بِهِ نَفْسَهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَزِيدَ وَحْشَةً فَيَسْرِعَ إِلَى التَّدْيِيرِ فِي تَلْفِي إِلَيَّ
أَنْ أَنْصَرِفَ ثُمَّ صَارَ أَيُّ وَقْتٍ جَاءَنِي . أَخَذَ مَعِيَ فِي الْإِعْتِذَارِ وَالتَّنْصِلِ وَأَنَا أَظْهَرُ
التَّصَدِيقِ لَهُ وَالتَّاقِبِلِ حَتَّى سَكَنَ وَلَمْ يَشْكُ أَنْ مَعْتَقِدَ لِبَرَاءَةِ سَاحَتِهِ فَمَا كَانَ بِأَسْرَعَ
مِنْ أَنْ جَاءَ الْمُؤَفَّقُ وَقَدْ اشْتَدَّتْ عِلَّتُهُ وَمَاتَ فَأَخْرَجَنِي الْعُلَمَاءُ مِنَ الْحَبْسِ فَصَيَّرُونِي
مَكَانَهُ وَفَرَّجَ اللَّهُ عَنِّي وَفَاجَأَنِي بِالْخِلَافَةِ وَمَكَّنَنِي مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّ إِسْمَاعِيلَ
فَاتَّقَدْتُ الْحُكْمَ فِيهِ * حَكَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ أَصْبَحْتُ
يَوْمًا وَأَنَا فِي حَبْسِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ فِي خِلَافَةِ الْوَائِقِ آيَسَ مَا كُنْتُ مِنَ الْفَرَجِ
وَأَشَدَّ مَحَنَةٍ وَغَمًّا حَتَّى وَرَدَتْ عَلَيَّ رَقْعَةٌ مِنْ أَخِي الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ وَنَسَخَتْهَا

مِنْ أَبَا أَيُّوبَ أَنْتَ مَحْلُومٌ * فَإِذَا جَزَعْتَ مِنَ الْخَطُوبِ فَمِنْ لَهَا
أَنْ الَّذِي عَقَدَ الَّذِي انْعَقَدَتْ بِهِ * عَقْدَ الْمَكَارِهِ فَيَكُ يَحْسُنُ حِلْمُهَا
فَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْقِبُ فَرْجَةً * وَلَرَبَّمَا أَنْ تَنْجِلِي وَلَعَلَّهَا
وَعَسَى تَكُونُ قَرِيبَةً مِنْ حَيْثُ لَا * تَرْجُو وَتَمْحُو عَنْ جَدِيدِكَ ذَلَّهَا
قَالَ فَتَفَاءَلْتُ بِذَلِكَ وَقَوَّيْتُ نَفْسِي فَكُتِبَتْ لَهُ

صَبْرَتِي وَوَعِظْتَنِي فَأَنَالَهَا * وَسَتَنْجِلِي بَلْ لَا أَقُولُ لَعَلَّهَا
وَيَحْلُمُهَا مَنْ كَانَ صَاحِبَ عَقْدِهَا * ثِقَةٌ بِهِ إِذَا كَانَ يَحْسُنُ حِلْمُهَا
قَالَ فَلَمْ أَصِلْ الْعَتَمَةَ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى أَطْلَقْتُ فَصْلِيَّتَهَا فِي دَارِي وَوَجَدْتُ فِي هَذَا
الْخَبَرِ أَنَّ هَذِهِ الرِّقْعَةَ وَقَعَتْ فِي يَدِ الْوَائِقِ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ وَالْجَوَابِ فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ

سليمان وقال والله لا تركت الفرج يموت في حبسى لاسيما من خدمنى فأطلقه
 وابن الزيات كاره لذلك * روى أن الحسن البصرى دخل على الحجاج واسط فرأى
 بناءه فقال الحمد لله ان هؤلاء الملوك ليرون في أنفسهم عبرا وانا لنرى فيهم عبرا
 يعمد أحدهم الى قصر فيشيدده وفرس فيتخذده وقد حفر به ذباب طمع وفراش
 نار ثم يقول ألا فانظر وا ماصنعت فقد رأينا يا عدو الله ماصنعت فماذا يا أفسق
 الفاسقين أما أهل السماء فقتوك وأما أهل الأرض فلعنوك ثم خرج وهو يقول
 انما أخذ الله الميثاق على العلماء ليبينه للناس ولا يكتُمونه فتغيظ الحجاج عليه
 غيظا شديدا وقال يا أهل الشام هذا عبيد أهل البصرة يدخل على فيشتمنى فى
 وجهى فلا يكون لذلك مغير ولا نكير والله لا قتلنه فضى أهل الشام الى الحسن
 فحملوه الى الحجاج وعرف الحسن ما قاله فكان طول طريقه يحرك شفتيه فلما دخل
 وجد السيف والنطع بين يدي الحجاج وهو متغيظ فلما رآه الحجاج كله بكلام
 غليظ فرفق به الحسن ووعظه فأمر الحجاج بالسيف والنطع فرفعا ولم يزل الحسن
 يمر فى كلامه حتى دعا الحجاج بالطعام فاكلا وبالوضوء فتوضأ وبالغالية فغسله بيده
 وصرفه مكرما قال صالح بن مسمار فليل للحسن بم كنت تحرك شفتيك قال قلت
 يا غياثي عند دعوتى ويا عدتي فى ملمتى ويا ربى عند كربتى ويا صاحبي فى شدتى
 ويا وليى فى نعمتى ويا الهى وإله ابراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط
 وموسى وعيسى وبارب النبیین كلهم أجمعين وبارب كهيعص وطه وطس ويس
 وبارب القرآن الحكيم صل على محمد وآله الطيبين الطاهرين وارزقنى مودة عبدك
 الحجاج وخيره ومعروفه واصرف عنى أذاه وشره ومكرهه ومعرفته قال صالح فما
 دعونا بها فى شدة الأفرج عنا * حدثنا على بن أبى الطيب قال حدثنا بن الجراح
 قال حدثنا ابن أبى الدنيا قال حدثنا الفضل بن يعقوب قال لما أخذ أبو جعفر المنصور
 إسماعيل بن أمية أمر به الى السجن فر على حائط مكتوب عليه يا وليى فى نعمتى
 وصاحبي فى وحدتى وعدتى فى كربتى فلم يزل يدعو بها حتى خلى سبيله فر على ذلك
 المكان فلم ير شيئا مكتوبا * حدثنى أبو القاسم محمد بن أحمد الاثرم المقرئ باسناده
 ان عبد الملك بن مروان كتب الى طاملة بالمدينة هشام بن إسماعيل ان الحسن بن
 الحسن قد كاتب أهل العراق فاذا جاءك كتابى هذا فابعث اليه الشرط فليأتوا

به قال فأتوا به فشغله عنه شيء فقام إليه على بن الحسين وقال له يا ابن العم قل
كلمات الذرج يفرج الله عنك وهي لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلي
العظيم سبحانه الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين
قال وانصرف على بن الحسين وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ هشام من قراءة
الكتاب ونزل قال أري وجهاً قد قذف بكذبة خلوا سبيله وأنا أراجع أمير المؤمنين
فيه فأخروه وكتب إلى عبد الملك فكتب إليه فأطلقه بعد أيام * وروى في
الآخبار أنه كان في بني إسرائيل رجل في صحراء قريبة من جبل يعبد الله عز وجل
فيها اذ مثلت له حية وقالت قد خائني من يريد قتلي فأجرتني أبارك الله واخبئني
قال فرفع ذيله وذل ادخل فتطوقت على بطنه وجاء رجل بسيف وقال يا رجل حية
هربت مني الساعة أردت قتلها فهل رأيته فقال ما أرى شيئاً فأنصرف الرجل فقال
العابد لها اخرجي فقد أمنت قالت بل أقتلك وأخرج فقال لها الرجل ليس هذا
جزائي منك قالت لا بد قال فامهليني حتى آتي سفع هذا الجبل فأصلي ركعتين
وأدعوا الله وأحفر لنفسى قبراً فإذا نزلته فشأنك ومات يدين قالت افعل وبقيت
معلقة بجسمه فصلى بسفع الجبل ودعا الله فأوحى الله إليه اني قد رحمت ثقتك بي
ودعائك إياي فاقبض على الحية فانها تموت في يدك ولا تضرك ففعل ذلك فنجوا
وعاد إلى موضعه وتشاغل بعبادته ووقعت لى هذه الحكاية على سياقة أخرى وذلك
ان الرجل خبأ الحية في جوفه فقالت له الحية اختر مني احدى خصلتين أن أنكثك
نكثاً فأقتلك أو أكرث كبذك فتلقياها من أسفل قطعاً قال والله ما كافأتيني قالت
فلم تضع المعروف عند من لا يعرفه وقد عرفت عداوة ما بيني وبين أهلك قديماً
وليس معي مال فأعطيك ولادابة فأحملك فبهذا كافئك قال فامهليني حتى آتي
سفع الجبل وأمهد لنفسى قبراً فبينما هو يمشي إذ افترى حسن الوجه طيب الرائحة
حسن الثياب فقال له يا شيخ مالي أراك مستسلماً للموت آيساً من الحية قال من عدو
في جوفي يريد هلاكى فاستخرج شيئاً من كمي فدفعه إليه وقال كله فلما أكله
وجد مغصاً شديداً ثم ناوله أخرى فأكلها فرمى بالحية من أسفل قطعاً فقل له من
أنت يرحمك الله فما أحد أعظم منة على منك قال أنا المعروف الذي صنعت لأن أهل
السماء لما رأوا غدر الحية بك اضربوا كل يسأل ربه أن يغيثك قال الله عز وجل

يامعروف أدرك عبيدي فأياي أراد بما صنع * بلغني أن رجلا جنى على عهد
 عبد الملك بن مروان جناية فأهدر دمه وأمر بطلبه وأهدر دم من يأويه فتحاماه
 الناس فكان يأوى الجبال والمفاوز مستخفيا لا يذكر اسمه ويضاف اليوم واليومين
 فإذا عرف طرد فقال الرجل كنت يوما أسير في بطن واد فإذا بشيخ أبيض
 عليه ثياب بيض قائم يصلي فقممت فصليت إلى جانبه فلما سلم قال لي من أنت فقلت
 رجل أخافني السلطان وقد تحامنى الناس ولم يجزني أحد فأنا أسير في هذه البرية
 خائفا على نفسي قال فأين أنت من السبع قلت وأى سبع قال تقول سبحان الله
 الواحد الذي ليس غيره سبحان الدائم الذي لا يعاد له شيء سبحان القائم القديم
 الذي لا بدء له سبحان الذي يحيى ويميت سبحان الذي كل يوم هو في شأن الذي
 خلق ما يرى وما لا يرى سبحان الذي علم كل شيء بغير تعليم اللهم اني أسألك بحق
 هذه الكلمات وحرمتهم أن تفعل بي كذا وكذا فأعادهن على حتى حفظتهن قال
 الرجل وفقدت صاحبي فالتقي الله عز وجل الأمن في قلبي فخرجت من وقتي متوجها
 إلى عبد الملك بن مروان حتى وقفت ببابه واستأذنت فأذن لي فلما دخلت قال أوقد
 تعلمت السحر قلت لا يا أمير المؤمنين ولكنه كان من شأني كذا وكذا وقصصت
 الخبر فأمنني وأحسن إلى * أخبرني بعض أصحابنا أن صديقا له من الكتاب دفع
 إلى محنة صعبة فكان من دعائه يا كاشف الضربك استغاث من اضطر قال ورأيت
 قد نقشه على فص خاتمه وكان يردد الدعاء به فكشف الله عز وجل محنته عن قرب
 حدثني علي بن هاشم قال حدثني أحمد بن محمد قال مؤلف هذا الكتاب قال لي
 أبو القاسم عيسى بن علي في كلام جرى بيننا غير هذا طويل كان أحمد بن محمد أشار
 على المقتدر وقد اشتتاره فيمن يقلده الوزارة قال فأسميت له نفرا وقال سمعت عبيد الله
 ابن سليمان بن وهب يقول كان المتوكل من أغلظ الناس على ابتاخ فذكر فيه
 حديثا طويلا وصف فيه كيف قبض المتوكل على ابتاخ وابنه ببغداد لما رجعا من
 الحج بيد إسحق بن إبراهيم بن مصعب قال فيه قال سليمان بن وهب وساعة قبض
 على ابتاخ ببغداد قبض على بسر من رأي وسلمت إلي عبيد الله بن يحيى وكتب
 المتوكل إلى إسحق ابن إبراهيم بدخوله بسر من رأي ليتقوى به على الأتراك
 لأنه كان معه بضعة عشر ألفا لكثرة الظاهرية بخراسان وشدة شوكتهم فلما دخل

إسحق أمر المتوكل بتسليمي اليه وقال هذا عدوي ففصل عظامه هذا كان يلقياني في أيام المعتصم فلا يبدأني بالسلام وأبدأه لحاجتي فيرد علي كما ير المولي على عبده وكل ما دبره ابتاخ فعن رأيه فأخذني إسحق وقيدني بقيد ثقيل وألبسني جبة صوف وحبسني في كنيف وأغلق علي خمسة أبواب فكنت لا أعرف الليل من النهار فأقمت كذلك نحو عشرين يوماً لا يفتح علي الباب الا جملة واحدة في كل يوم وليلة ويدفع لي فيما خبز شعير وملح وماء حار فكنت آنس بالخناس وبنات وردان وأتمني الموت لشدة ما أنا فيه فعرض لي ليلة من الليالي أن أطلت الصلاة وسجدت ودعوت الله عز وجل بالفرج وقلت في دعائي اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي في دم نجاح ابن مسامة صنع فلا تخلصني مما أنا فيه وان كنت تعلم أنه لا صنع لي فيه ولا في غيره من الدماء التي سفكت ففرج عني فما استتمت الدعاء حتى سمعت صوت الأقفال تفتح فلم أشك في أنه القتل ففتحت الأبواب وجرى بالشمع وحملى الفراشون لثقل حديدى فقلت لحاجبه سألتك بالله أصدقنى عن أمرى فقال ما أكل الأمير اليوم شيئاً لأن أمرك غليظ وذلك ان أمير المؤمنين وبخه بسببك وقال سلمت إليك سليمان ابن وهب لتسمنه أو تستخرج ماله فقال الأمير أنا صاحب شرطة وسيف ولا أعرف وجوه المناظرة على الأموال وان تقررروا أمره على شيء طالبت به فأمر الكتاب بالاجتماع عند الأمير لمناظرتك والزائم ما يؤخذ به خطك وتطالب به وقد اجتمعوا واستدعيت لذلك قال فحملت الى مجلس إسحق فاذا فيه موسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج والحسن بن محمد صاحب ديوان الضياع وأحمد بن إسرائيل الكاتب وأبونوح وعيسى بن إبراهيم كاتب الفتوح بن خاقان وداود بن الجراح صاحب الزمام فطرح في آخر المجلس فشتمنى إسحق بن إبراهيم أقبح شتم وقال يا فاعل يا صانع تعرضنى لاستبطاء أمير المؤمنين والله لأفرق بين لحك وعظمتك ولا جعلن بطن الأرض أحب اليك من ظهرها أين الأموال التي جمعتها من غير وجهها فاحتججت بنسكة ابن الزيات فبدأني الحسن بن محمد فقال أخذت من الناس أضعاف ما أدبت وطادت يدك الى كتبة ابتاخ فأخذت ضياع السلطان واقتطعتها لنفسك وحزتها مرفة اليك وأنت تستغلها الى ألف درهم وتترى بزي الوزراء وقد بقيت عليك جملة من تلك المصادرة لم تؤدها وأخذت الجماعة تواجهنى بكل قبيح الا موسى بن

عبد الملك فانه ساكت لصداقة كانت بيني وبينه فأقبل من بينهم على إسحق فقال
ياسيدى تأذن لى فى الخلوة لفصل الأمر فقال له إسحق افعل فاستدنانى فحملت
اليه فسار إلى وقال عزيز على ياأخى حالك وبالله لو كان خلاصك بنصف ماأملكه
لافتديتك به ولكن صورتك قبيحة وان خالفتنى فأنت والله هالك فقلت لا
أخالفك فقال الرأى أن تكتب خطك بالتزام عشرة آلاف الف درهم تؤديها
فى عشرة أشهر كل شهر الف الف درهم وتترفه عاجلا مماأنت فيه فسكت سكوت
مبهوت فقال لى ما لك فقلت والله ماأرجع الى ربعاها الابعـد بيع عقارى ومن
يشترى منى وأنا منكوب وكيف يتوفر الثمن فقال أنا أعلم أنك صادق ولكن
احرس نفسك عاجلا بعظم ماتبذله ويطمع فيه من جهتك وأنا من وراء الخيلة لك
فى شىء أميل به رأى الخليفة الى صلاحك والله المعين ومن ساعة الى ساعة فرج
والا تتعجل الموت ولا تستفيد الراحة مما أنت فيه يوما فقلت لست أتهم ودك
ولا رأيك وأنا أكتب ذقبل على الجماعة وقال ياساداتى انى قد أشرت عليه أن
يكتب بشىء لاطاقة له باكثر منه ورجوت أن نعاونه باموالنا وجاهنا ليمشى أمره
وقد أوقفته ليكتب بكذا وكذا فقالوا الصواب أن تفعل هذا فدعاه بدواة
وقرطاس وأخذ خطه بالمال فلما أخذ قام موسى بن عبدالملك وقال لاسحاق
ياسيدى هذا رجل قد صار للسلطان عليه مال وسبيله أن يرفه ويحرس نفسه
وينقل عن هذه الحال ويغير زيه ويرد جاهه بازاله فى دار كبيرة واخدمه بفرش
وآلة حسنة ويمكن من يؤثر لقاءه من أهله وولده وحاشيته ومعاملية ليجد فى تحمل
الأموال وتبعة الناس ويبيع أملاكه ويرتجع ودائعـه ممن هى عنده فقال
إسحق افعل ذلك الساعة وغدا أخرجه الى دار كبيرة كماوصفت وأمكنه من جميع
ماالتمست له ونهضت الجماعة فامر إسحق باخذى فى الحال وادخالى الحمام وجاؤنى
بخلعة نظيفة فلبستها وبخور طيب فتبخرت واستدعانى إسحق فلما دخلت اليه
نهض الى ولم يكن فى مجلسه أحد واعتذر الى ما خاطبنى به وقال أناصاحب سيف
ومأمور ولقد لحقنى اليوم من أجلك سماع كل مكروه حتى امتنعت والله عن
الطعام بانابتلى بقتلك أويعتب الخليفة على من أجلك وانما خاطبتك بذلك اقامة
عذر عند هؤلاء الاشراف ليبلغوا الخليفة ذلك وجعلته وقاية لك من الضرب

والعذاب فشكرته وقلت ما حضرني من الكلام فلما كان من غد حولني الي دار
كبيرة حسنة مفروشة ووكل علي فيها باحسان واجلال واستدعيت كل من أردت
وتسامع الناس بامري وجاءني ففرج عني ومضت سبعة وعشرون يوما وقد
أعددت الف الف درهم وأنا أتوقع أن يرد الحبل فاطلب فأودى المال واذا أنا بموسى
ابن عبد الملك قد دخل الي فقممت اليه فقال أبشر فقلت ما الخبر فقال ورد كتاب
صاحب مصر بمبلغ ما لها هذه السنة مجملا ومبلغ الجمل في النفقات يبلغ ذلك حسابا
مفصلا فقرأ عبيد الله ذلك على أمير المؤمنين فوقع إلي باخراج مال مصر ليعرف
كأثر العامل فأخرجتها من ديوان الخراج والضيايع لأن ضيايع مصر تجري في ديوان
الضيايع وتجري في ديوان الخراج وينفذ حسابها الي الدواوين كما علمت فجعلت سنتك التي
توليت فيها عمالة مصر مصدرة وأفردت بعدها السنين النقص عر سنتك توصل في خلاصك
وجعلت أقول النقصان في سنة كذا وكذا من التي صدرتها كذا وكذا فلما قرأ
عبيد الله المفصل على المتوكل قال فهذه السنة الوافرة من كان يتولاها فقلت
يا أمير المؤمنين سليمان بن وهب فقال المتوكل لم لا يرد اليها فقلت يا أمير المؤمنين
وأين سليمان بن وهب ذاك مقتول بالمطالبة قد استصفي واقتقر فقال تزال عنه
المطالبة ويعاون بمائة الف درهم ويعجل اخراجه فقلت يا أمير المؤمنين وترد ضيايعه
ليرتفع جاهه قال ونفعل ذلك وقد تقدم إلى عبيد الله بذلك واستأذنته في أن أجيبك
وأخرجك فاذن لي فقم بنا الي الوزير قال وقد كان أرسل الي إسحق برسالة الخليفة
يأذنه في اطلاقه فخرجت من وقتي ولم أؤد من المال حبة واحدة ورددته الي موضعه
وجئت الي عبيد الله فوقع لي بمائة الف معونة على سفري ودفع إلي عهد مصر فخرجت
اليها مسرورا * حدثني عبيد الله الاسناتي قال أحزنني أمر ضقت به ذرعا فأتيت
يحيى بن خالد الأزرق وكان مستجاب الدعوة فرآني مكروبا قلقا فقال ما شأنك
قلت دفعت الي كيت وكيت فقال استعن بالله واصبر فإن الله جل جلاله وعدا صابر بن
أجرا فقلت ادع الله فحرك شفتيه بشيء لا أعلم ما هو فأنصرفت على جملة قلقي فبت
بليلة عظيمة فلما أصبحت أتاني الله بالفرج * حدثني احمد بن عبد الله
ابن داسة قال اعتلت علة عظيمة يئست فيها من نفسي فعادني بعض أصحاب سهل
ابن عبد الله التستري فقال كان سهل يدعو في علة بدعاء مادبا به أحدا لا عوفي فقامت

ماهو فقال اللهم اشفني بشفائك وداوني بدوائك وعافني من بلائك فواصلت
 الدماء فعوفيت * حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال حدثني أبو الحسين
 البواب المقرئ قال كان يصحبنا على القرآن رجل مستور صالح يكنى أبا أحمد وكان
 يكتب كتب العطف للمستورين من الناس فحدثني قال بقيت يوما بلاشي وأنا جالس
 في دكاني فدعوت الله عز وجل ليسهل لي سبيبا فما استتمت الدماء حتي فتحت باب دكاني
 غلام امرد حسن الوجه جدا فسلم بآداب حسن وجلس فقلت ما حاجتك فقال
 أنا عبد مملوك وقد طردني مولاي وغضب علي وقال انصرف عني الى حيث شئت
 وما أعددت لنفسى من أن طرحها عليه في مثل هذا الوقت ولا أعرف من أقصده
 وقد بقيت متحيرا في أمري وقد قيل لي انك تكتب كتاب العطف فاكتب
 فكتبت الكتاب الذي كنت اكتبه وهو بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
 الي آخر السورة والمعوذتين وآية الكرسي ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته
 خاشعا متصدعا من خشية الله الي آخر السورة وكتبت آيات العطف لو أنفقت ما في
 الأرض جميعا ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ومن آياته
 أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في
 ذلك لآيات لقوم يتفكرون واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
 بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا الي قوله لعلمكم تهتدون وقات له خذ هذه
 الرقعة فشدّها على عضدك الأيمن ولا تعلقها عليك إلا اذا كنت طاهرا قال فاخذها
 وقام ووضع بين يدي دينارا عينا فتداخلى رحمة له فصلت ركعتين ودعوت الله
 عز وجل أن ينفعه بالكتاب ويرضى عليه قلب مولاه وجلست فامضت الاساعتان
 فاذا بأبى الجود خليفة عجيف غلام ناذوك وكان على الشرطة قد جاءني فقال أجب
 الأمير ناذوك قال نخفت فقال لا ترع وأركبني بغلا وجاء بي الى دار ناذوك
 فتركني في الدهليز ودخل فلما كان بعد ساعة ادخلت الي ناذوك فاذا هو جالس
 في دست عظيم وبين يديه الغلمان قياما نحو ثلثمائة غلام واكثر وكاتبه أبو القاسم
 جالس بين يديه ورجل لا أعرفه فارتعت وأهويت لأقبل الأرض فقال مه عافك

الله لا تفعل هذه من سنن الجبارين ما نريد نحن هذا اجلس يا شيخ لا تخف
قال جلست فقال جاءك اليوم غلام أمرد فكتبت له كتاباً للعطف فقلت نعم
قال فاصدقني عما جرى بينكما حرفاً حرفاً قال فأعدته عليه حتي لم أخرم منه حرفاً
وتلوت عليه الآيات قال فلما قات له ان الغلام قال أنا عبد مملوك وما أعددت لنفسى
من أقصده لهذا الحال ولا أعرف جهة ألجا إليها وقد طردني مولاي بكيت أنا لما
تدخلني من رحمتي للفتى ومحبتى للدينار الذى أعطانيه قال فدمعت عين ناذوك ثم
تجلد واستوفى الحديث وقال قم يا شيخ بارك الله فيك وعليك ومهما عرضت لك
حاجة أو لجارك أو لصديقك فاسألني إياها فاني أقضيها إن شاء الله تعالى وأكثر
الحضور عندنا وانبسط في هذه الدار فانك غير محبوب عنها فدعوت له وخرجت
فلما صرت خارج باب المجلس إذا بغلام قد أعطاني قرطاساً فيه ثلثمائة درهم فاخذته
وخرجت فلما صرت في الدهليز إذا بالفتى فعدل بي إلى موضع وأجلسني فقلت
ما خبرك قال أنا غلام الأمير وكان قد غضب على وطردني فجئت فلما جلست عندك
طلبني فرجعت فاذا برسل قد انبثوا في طلبي فلما حضرت قال أين كنت فحدثته
فلم يصدقني فطلبك فلما حدثته بمثل ما حدثته أنا حرفاً بحرف وخرجت الساعة
أحضرني وقال يا بني انك الساعة من أجل غلاماني عندي وأمكنهم من قلبي وأخضعهم
بي إذ كنت لما عاملتك بهذا ما غيرك ذلك عن محبتى والرغبة في خدمتى وطلب الخيل
في الرجوع إلى وانكشف لي أنك ما أعددت لنفسك بعد الله عز وجل سواي ولا
عرفت وجهاً تلجأ إليه في الدنيا غيرى فما ترى بعد هذا إلا كل ما تحبه وساعلي
منزلتك وأبلغ بك أعلى مراتب نظرائك ولعل الله عز وجل استجاب فيك دعاء هذا
الشيخ ونفعك بالآيات من القرآن العظيم فبأي شيء كافأت الرجل فقلت ما أعطيته
غير ذلك الدينار فقال سبحانه الله قم إلى الخزانة وخذ ما تريد واعطه فاخذت
هذا من الخزانة وجئت بك به وأعطاني خمسمائة درهم وقال الزمنى فاني أحسن اليك
ان شاء الله تعالى فجئته بعد مدة فاذا هو قائد جليل وصار لي مدة على الزمان
قال وحدثنا أبو الحسن محمد بن محمد المعروف بابن المهتدين قال حدثني أبو مروان
الحامدي قال لما ظلم الناس بواسط أحمد بن سعيد الكوفي وهو إذ ذك يتقلدها
لناصر الدولة وقد تقلد ناصر الدولة امرأة الأمراء ببغداد كنت احد من ظلم ظلمي

وأخذ من ضيعي بالحامدية نيفا وأربعين كرا ارزا بالنصف من حق الدهقنة بغير
تأويل سوى ماأخذه من حق بيت المال وظلم فيه فتظلمت إليه وكلمته فلم ينصفني وكان
الكر الأرض بالنصف اذ ذاك يساوي ثلاثين دينارا فقلت له قد أخذ سيدنا ايده
الله مني ما أخذ ووالله ما عندي أنا وعيالي شيء سواه ومالي ما أقوتهم به باقى
سنتي ولما أعمر به ضيعتي وقد طابت نفسي ان يطلق لى من جملة عشرة اكرار
وأجعل الباقي له حلالا فقال لا أفعل وبكيت بين يديه وقبلت يده ورققته وقلت
فهب لى ثلاثة اكرار وتصدق بها على وأنت من جميعه فى حل فقال والله ولا رزة
واحدة قال فتحيرت وقلت له فأنى أتظلم إلى الله عز وجل منك فقال كن على ظلامتك
يكررها دفعات ويكسر الميم بلسان أهل الكوفة فانصرفت محترق القلب منقطع
الرجاء فجمعت عيالى ومازلت أدعو الله عليه ليالى كثيرة فهرب من واسط فى الليلة
الحادية عشرة من أخذ الأرض فجت إلى البيدر وأرذى مطر وح فيه وأخذته
وحملته إلى منزلى وما عاد الكوفى إلى واسط ولا أفلح * حدثنى غير واحد من
الكتاب عن سمع أبا على بن مقله لما عاد من فارس وزيرا يتحدث قال من ظريف
ما اتفق فى نكبتى هذه التى أدتنى إلى الوزارة أنى أصبحت وأنا محبوس مقيد فى
حجرة من دار ياقوت أمير فارس وقد لحقنى من الاياس من الفرج وضيق الصدر
بها ما أقنطنى وكاد يغلب على عقلى وكنت أنا وفلان محبوسين مقيدى فى بيت
واحد من الحجرة الا أنا على سبيل ترفيه واكرام فدخل علينا كاتب لياقوت كان
كثيرا ما يجيئنا برسالته فقال الأمير يقرأ عليكم السلام ويعرف أخباركم ويعرض
عليكم قضاء أى حاجة كانت لكما فقلت له تقرأ على الأمير السلام وتقول له قد ضاق
والله صدري واشتبهت ان أشرب على غناء طيب فان جاز ان يسامحنا بذلك سرا
فيتخذه عندنا منة وبرا تفضل بذلك قال والمحبوس معى يخاصمنى ويقول يا هذا
والله ما فى قلوبنا فضل لهذا فقلت للكاتب أعد عنى ما قلت لك قال السمع والطاعة
ومضى ثم جاء وقال الأمير يقول لك حبا وكرامتك وعزاة أى وقت شئت فقلت
الساعة فلم يمض الساعة حتى جاؤا بالطعام فأكلنا والمشام والفاكهة والنبيذ ووصف
المجلس فجلس والمحبوس معى مقيدا وقلت له تعال حتى نشرب ونتفاهل بأول
صوت يغنى به لنا فى هذه الساعة فى سرعة الفرج مما نحن فيه فلعله يصح الفأل

فقال أما أنا فلا أشرب فلم أزل أرفق به حتى شرب وجاءت المغنية فكان أول صوت غنته شعر

قواعد للبين الخليط لينبوا * وقالوا لراعى الذود موعذك السبت
ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة * وأفطع شئ حين يفجؤك البغت
فقال لي ما هذا مما يتفاءل به وأى معنى فيه يدل على فرجنا فقلت ما هو الأفال مبارك
ولعل الله أن يفرق بيننا وبين هذه الحال التى نحن فيها بالفرج والصلاح يوم السبت
قال وشربنا يومنا وسكرنا وانصرفت المغنية ومضت بقية أيام ذلك الأسبوع . فلما
كان يوم السبت لم يمض من النهار الا دون ساعتين فاذا بياقوت قد دخل علينا فجأة
فارتعنا وقت اليه فقال أيها الوزير الله الله فى واقبل مسرعاً الى وعانقنى واجلسنى
وأخذ يهنئنى بالوزارة فتهنيت ولم يكن عندى علم من شئ من الأمر ولا مقدمة له
فاخرج كتاباً قد ورد عليه من القاهر بالله يعلمه فيه تقليده اياى الوزارة ويأمره
فيه بطاعى وسلم الى كتاباً من القاهر بمثل ذلك يأمرنى فيه بالنظر فى أمر فارس
والأولياء بها واستصحب ما يمكننى من المال وتدير أمر البلدة بما أراه والبدار
الى حضرته فانه قد استخلف لى الى وقت حضورى الكلو باذى فحمدت الله تعالى
وشكرته وإذا الحداد واقف فتقدمت إليه ينفك قيودى وقيود الرجل ففكت
ودخلت الحمام وأصلحت من أمرى وأمر الرجل وخرجت فجلست ونظرت فى
الأعمال والأموال وجمعت مالا جليلا فى مدة يسيرة وقررت أمور البلدة
واستصحبت الرجل الى الحضرة حتى جلست هذا المجلس وفرج الله عنى وعنه فى
يوم السبت * وقال ابراهيم بن العباس كنت اكتب لأحمد بن أبى خالد فدخلت
عليه يوماً فرأيتته مطرقاً مفكراً مغموماً فسألته عن خبره فاخرج لى رقعة فاذا
فيها ان حظية من أعز جواريه يخالف اليها وتوطىء فراشه غيره ويستشهد فى
الرقعة خادمين على ذلك كاثنتين عنده قال فدعوت الخادمين وسألتهما عن ذلك
فانكراه فتهددتهم بالقتل فاوما على الانكار فضربتهما فاعترفا بذلك على الجارية
بكل ما فى الرقعة وانى لم أذق امس واليوم ذواقا وقد هممت بقتل الجارية قال
فوجدت بين يديه مصحفاً ففتحتته فكان أول ما خرج فيه يا أيها الذين آمنوا ان

جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الآية قال فشككت أنا في صحة الحديث وأريته ماخرج في الفال وقلت دعني اتلطف في كشف هذا نخلوت باحد الخادمين وناجيته عن الامر فقال النار ولا العار وذكر ان امرأة أحمد بن أبي خالد وجهت اليه بكيس فيه الف دينار وسالته الشهادة على الجارية وأمرته أن لا يذكر شيئاً الا بعد ان يقع به مكروه ليكون أثبت للخبر وأحضر الكيس مختوماً بختم المرأة ودعوت بالآخر نخلوت به فاعترف بمثل هذا فبادرت الى أحمد بالبشارة فواصلت اليه حتى وردت رقعة الحرة تعلمه فيها ان الرقعة الأولى كانت من فعلها غيره عليه من الجارية وان جميع ما فيها باطل وانها هي التي حملت الخادمين على ذلك وانها تائبة الى الله عز وجل من هذا الفعل وأمثاله فجاءته براءة الجارية من كل جهة فسر بذلك وزال ما كان فيه وأحسن لي الجائزة * وقال الحسن بن الحسن ان عبدالله بن جعفر زوج ابنته فلما أراد أن يهديها الى زوجها خلاها فقال اذا نزل بك الموت أو أمر من أمر الدنيا فظيع فاستقبله بان تقولي لا إله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين قال الحسن بن الحسن فبعث الى الحاجاج فقلتهن فلما مثلت بين يديه قال لقد بعثت اليك وأنا أريد ان أضرب عنقك ودخلت الى ومامن أهل بيت علي اكرم منك سل حاجتك * عن الشعبي قال كنت جالساً عند زياد فجاء رجل اليه يحمل ولم نشك في قتله فحرك الرجل شفتيه بشيء لاندري مادون فخلى سبيله فقلت للرجل ماقلت قال قلت اللهم رب ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ورب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومنزل التوراة والانجيل والقرآن العظيم ادراعني شر زياد فدرأ عني شره * حدثني أبو عبدالله الخزنبلي قال أمر الرشيد بعض خدمه قال إذا كان الليلة فصر الى الحجرة الفلانية وفتحها فخذ من رأيت فائت به موضع كذا وكذا من الصحراء فانك تجد قليلاً بمنجورا ذرم به فيه وطمه بالتراب وليكن معك فلان الحاجب قال فجاء الى باب الحجرة ففتحها فاذا فيها غلام كأنه الشمس الطالعة قال فجذبه اليه جذبا عنيفا فقال له اتق الله في فاني ابن رسول الله ﷺ فوالله الله ان تلمني جدي بدمي قال فلم يلتفت اليه وأخرجه الى الموضع قال فلما أشرف الفتى على التلف قال يا هذا انك على فعل مالم تنزل أقدر منك على رد ما فعلت فدعني أصلي ركعتين وأمض ما أمرت به فقال له شانك وما تريد فافعل فقام الفتى

فصلى ركعتين ثم سمعناه يقول يا خفي اللطف اغثنى في وقتي هذا والطف بي بلطفك
 الخفي فلا والله ما استتم دعاءه حتى هبت ريح باردة وغبرة فلم ير بعضنا بعضا ووقعنا
 لوجوهنا واشتغلنا بانفسنا عن الفتى ثم سكنت الريح والغبرة فرأينا الكواكب
 وطلبنا الفتى فلم نجده ورأينا قيوده مرمية بحضرتنا قال فقال الحاجب للخادم هلكنا
 سيقع لأمر المؤمنين انا أطلقناه فإذا نقول لئن نحن كذبناه لم نأمن ان يبلغه خبر
 الفتى ولئن صدقناه ليعجلن المكروه علينا فقال أحدهما للآخر لئن كان الكذب
 ينجي فالصدق أنجي فلما دخلوا عليه قال لهم ما فعلتما فقال الحاجب يا أمير المؤمنين
 الصدق أولى ما اتبع ومثلي لا يجترى ان يكذب على أمير المؤمنين وانه كان من
 الخبر كذا وكذا فقصه عليه فقال الرشيد والله لقد تداركه اللطف الخفي والله
 لأجعلنها من مقدمات دعائي امض لشانك واكتم ماجرى * عن أبي سلمة
 عبيد الله بن منصور قال جرت على رجل شدة هاضته فلع في الدعاء ذات ليلة فهتف
 به هاتف يا هذا قل يا سامع كل صوت ويا باري النفوس بعد الموت ويا من لا تغشاه
 الظلمات ويا من لا يشغله شيء عن شيء قل فدعا بها ففرج الله عنه ولم يسأل ربه
 حاجة تلك الليلة الا أعطاه * عن إسحاق العرواني قال زحف اليينا ابن ادم هو مرد
 عند مدينة الكرج في ثمانين فيلا فكادت تنقض الصفوف والخيول فكرب
 لذلك محمد بن القاسم فنادى عمران بن النعمان أمير أهل حمص وأمر الاجناد فنهضوا
 فما استطاعوا فلما أعيته الأمور نادى مرارا لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
 فكف الله القيلة بذلك وساط عليها الحر فانضجها فنزعت الى الماء فما استطاع
 سواها ولا أصحابها حبسها وحملت الخيل عند ذلك فكان الفتح * قال كان حبيب
 ابن سلمة يستحب إذا لقي العدو أو ناهض حصنا قول لاحول ولا قوة إلا بالله
 وانه ناهض يوما حصنا فانهزم الروم فقاها المسلمون فانصدع الحصن * حدثني
 الحسين بن عبد الرحمن ان بعض الوزراء نفاه الملك لموجدة وجدها عليه فغتم
 لذلك غما شديدا فبينما هو ذات ليلة في مستتر له إذ أنشد رجل معه بيتين من شعر وهما

أحسن الظن برب عودك * حسنا أمس وسوي اودك

ان ربا كان يكفيك الذي * كان بالأمس سيكفيك غدك

قال فسرى عنه ما كان فيه وأمر له الملك بعشرة آلاف درهم * عن محمد بن

رجاء قال أصابني غم شديد لأمر كنت فيه فرفعت مقعدا لي كنت جالسا عليه
فاذا رقعة فنظرت فيها فاذا مكتوب بيت شعر

يا صاحب الهم ان الهم منقطع * لا تيأسن . كان قد فرج الله
قال فذهب عني ما كنت أجده من الغم * ولم ألبث ان فرج الله عني * حدثنا
أبو بكر الثقفي قال قال رجل أصابني غم ضقت به ذرعا فنمت فرأيت في المنام كان
قائلا يقول هذه الأبيات

كن للمكارم بالغرام مقطعا * فاعمل يوما ان ترى ماتك ره
ولربما ابتسم الوقور من الأذى * وضميره من حره يتأوه

قال مؤلف هذا الكتاب حدثني علي بن الحسن الشاهد من حفظه قال حدثني
أبو الحسن بن أبي الطاهر محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش قال قبض محمد
ابن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في وزارته للقاهر بالله على أبي وعلى معا
خفبنا في حجرة من دار ضيقة واجلسنا على التراب وشدد علينا وكان يخرجنا كل
يوم فيطالب أبي بمال المصادرة واضرب أنا بحضرته ولا يضرب هو فلاقينا من
ذلك شدة صعبة فلما كان بعد أيام قال لي أبي ان هؤلاء الموكلين بنا قد صارت لنا
بهم حرمة فتوصل الى مكاتبة أبي بكر الصيرفي وكان صديقه حتى ينفذ الينا ثلاثة
آلاف درهم نفرقها عليهم ففعلت ذلك فنفذ الدراهم من يومه فقلت للموكلين في
عشية ذلك اليوم قد وجبت لكم علينا حقوق فخذوا الدراهم فانتفعوا بها فامتنعوا
من ذلك فقلت ما سبب امتناعكم فورا عني فقلت اما قبلتم واما عرفتموني السبب
فقالوا نشفق عليك من ذكره ونستحي فقلت لأبي قل لهم اذكروه على كل حال
فقالوا قد عزم الوزير على قتلكما الليلة ولا نستحسن أخذ شيء منكما مع هذا
الحال فقمتم وتغير حالي فقال أبي اردد الدراهم على أبي بكر فدفعتمها الي من جاء بها
فردها عليه وكان أبي يصوم تلك الأيام كلها فلما غابت الشمس ذلك اليوم وتطهر
لم يفطر وصلى المغرب وصليت معه ثم أقبل على الصلاة والدعاء إلى أن صلى العشاء
الآخرة ثم دعاني فقال اجلس يا بني جاثيا على ركبتيك ففعلت وجلس هو كذلك
ثم رفع رأسه الى السماء فقال يارب محمد بن القاسم قد ظلمني وحبسني على ما ترى
وأنا بين يديك قد استغثت اليك وأنت أحكم الحاكمين فاحكم بيننا لا يزيد عليها

ثم صاح بها الي ان ارتفع صوته ولم يزل يكررها بصياح وبكاء واستغاثة الى ان ظننت انه قد مضى ربيع الليل فوالله ما قطعها حتي سمعت الباب يدق فذهب عني أمرى ولم أشك انه القتل وفتحت الأبواب فدخل قوم بشموع فتأملت فاذا فيهم ساجد خادم القاهر فقال أين أبو طاهر فقال أين فقال ها أنا ذاك فقال أين ولدك فقال هو ذا فقال انصرفا الى منزلكما فاذا هو قد قبض على محمد بن القاسم واحدره الى دار القاهر فانصرفنا وعاش محمد في الاعتقال ثلاثة أيام ومات * لما خرج طاهر بن الحسين الى محاربة على بن عيسى بن ماهان جعل ذات يوم في كه دراهم يفرقها على الفقراء ثم أسبل كفه ناسيا فانقضت الدراهم فتطير من ذلك واغتم فانتصب له شاعر فقال

هذا تفرق جمعهم لا غيره * وذهابه منه ذهاب الهم
شيء يكون الهم نصف حروفه * لاخير في امساكه في الكم

فسلى همه ومابه وأمر له بثلاثين ألف درهم * انصرف يحيى بن خالد البرمكي من عند الهادي وقد ناظره في تسهيل خلع العهد عن هارون الرشيد ويحيى يخاف انه قد فعل ذلك وجهد به فامتنع هارون فقال له الهادي كذبت هذا من فعلك والله لا فعلن بك ولا صنعن وتوعده بكل عزيمة وصرفه فجاء إلى داره فكلهم غلامه في شيء فأجابه بما أغاظه فلطمه يحيى فانقطعت حلقة خاتمه وضاع النص فاشتد ذلك عليه وغمه فدخل عليه الشيارى الشاعر عقيب ذلك فاخبره بالصفة فقال في الحال

اخلاك من كل الهموم سقوطه * وأتاك بالفرج انفراج الختام
قد كان ضاق فقلت حلقة ضيق * فاصبر فما ريب الزمان بدائم

فما أمسى حتى ارتفعت الناعية على موسى وصار الأمر الى هارون وأعطى يحيى الشيارى مائة ألف درهم * قال أبو على العتائى حدثني جدى قال بكرت يوما الى موسى بن عبد الملك وحضر داود بن الحاج فوقف إلى جاني فقال كان بي أمس خبر ظريف انصرف من عند موسى بن عبد الملك فوجدت في منزلي امرأة شريفة من شرائف النساء فشكته الى وقالت قد حاول أن يأخذ ضيعتي الفلانية وأنت تعلم انها عمدتني في معيشتي وان في عنقي صبية ايتاما فأى شيء تدبر في أمرى وتشير على فقلت لها من معك وراء الستر قالت مامعى أحد فقلت لها اما التدبير في أمرك فمالي

فيه حيلة وأما المشورة فقد قال النبى لا تتبع أرضك من أقدام الرجل الردىء فان
الردىء يموت والأرض تبقى فدعت لى وانصرفت فنحن كذلك اذ خرج موسى
فقال لداود بن الحجاج يا أبا سليمان لا تتبع أرضك من أقدام الشرير فانه يموت
والأرض تبقى فقال لى داود سمعت هذا والله هو الموت أين اهرب أين امضى
ما آمنه والله على نفسى ولا نعمتى فاشتر على ما أصنع قبل نفاد طريقنا الى الديوان
فقلت ما أدري فرفع طرفه الى السماء وقال اللهم اكفنى شره وضره وامره فانك
عالم بقصتي وما أردت بما قلت الا الخير واشتد قلقه وكثر بكأؤه وقربنا من الديوان
فقال موسى وهو على حالته متى حدث هذا الجبل الأسود فى طريقنا وممل على
سرجه حتى سقط واستكت اسنانه وحمل الى منزله وكان آخر العهد به * ذكر
المداينى فى كتابه قال قال أبو سعيد وأنا أحسبه الأصمعى نزلت يوما بحى من كليب
مجديين وقد توالى عليهم سنون موتت الماشية ومنعت الأرض خروج نباتها
وأمسكت السماء قطرها فجعلت أنظر الى السحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء
متقاربة حتى تطبق السماء ويشرف لها الحى ويرفعون اصواتهم بالتكبير ثم يعدها
الله عنهم مرارا فلما كثر ذلك خرجت عجوز فعالت شرفاً ثم نادى باعلى صوتها يا ذا
العرش اصنع كيفما شئت فان أذاقنا عليك فأنزلت من موضعها حتى تغمى السماء
فقطرت مطرا كاد أن يغرقهم وأنا حاضر * حدثنا على بن أبي الطيب بالاسناد عن
وضاح ابن خيثمة قال أمرنى عمر بن عبدالعزيز باخراج من فى السجن فاخرجتهم
الايزيد بن أبى مسلم فهدر دمي فقال والله انى لافريقية اذ قيل قدم يزىد بن
أبى مسلم فهربت منه فادرس فى طابى فاخذت قاتى بي فقال وضاح فقلت نعم فقال
اما والله لطالما سألت الله تعالى ان يمكننى منك فقلت وأنا والله لطالما استعذت الله
من شرك فقال والله ما أعاذك الله والله لأقتلنك والله لو سابقنى ملك الموت على
قبض روحك لسبقته على بالسيف والنطع قال خفى بهما واقعدت فيه وكتفت
وقام قائم على رأسى بالسيف مشمرا وأقيمت الصلاة فخرج اليها فلما خر ساجدا
أخذته السيوف من أهل الهند فقتل فجاءنى رجل وقطع كتافى بسيفه وقال انطلق
حدثنى أبو الطيب عبدالعزيز حماد باسناد كثير عن القاضى اتنوخى الانبارى
قال حدثنى أبو عبد الله بن أبى عوف البزورى قال دخلت على ابى العباس بن ثوابه

وكان محبوبا فقال لي احفظ عني فقلت نعم فقال شعرا
 عواقب مكروه الأمور خيار * وأيام شر لاتدوم قصار
 وليس بيباق بؤسها ونعيمها * إذا كر ليل ثم كر نهار
 فلم يمض الايام يسيرة حتى أطلق من محبسه * حدثني أحمد بن عبدالله الوراق
 عن أبي بكر المعروف بالمستعيني بالاسناد عن بعض تجار المدينة قال كنت اختلف
 الى جعفر بن محمد وكنت له خليطا وكان يعرفني بحسن حال فتغيرت حالتي فرق لي
 فاتيتته فجعلت أشكو اليه سوء حالتي فقال شعر

فلا تجزع وان اعسرت يوما * فتد أيسرت في الدهر الطويل
 ولا تيأس فان اليأس كفر * لعل الله يغني عن قليل
 ولا تظن بربك ظن سوء * فان الله أولى بالجميل
 قال فخرجت من عنده وأنا أغنى الناس وفي رواية أخرى زيادة وهي
 فان العسر يتبعه يسار * وقيل الله أصدق كل قيل
 فلو أن العقول تسوق رزقا * لكان المال عند ذوى العقول

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه بالاسناد عن محمد بن موسى بن النرات قال
 كنت أتولى ماء سيدان وكان صاحب البر يد بها على بن زيد وكان قديما يكتب
 للعباس بن المامون فحدثني أن العباس غضب عليه وأخذ كل ما كان يملك حتى
 بقي بسر من رأى لا يملك شيئا الا برذونه بسرجه ولجامه ومنطقته وطيلسانا
 وقميصا وشاشية وانه كان يركب في أول النهار فيلتي من يحتاج الى لقائه ثم ينصرف
 فيبعث برذونه الى الكراء فيكسب عليه ما يعلقه وما ينفق هو وغلامه عليه فاتفق
 في بعض الأيام ان الدابة لم يكسب عليها شيئا فبات هو وغلامه طاويين قال ونالنا
 من الغد مثل ذلك فقال لي الغلام نحن نصبر ولكن الشأن في الدابة انا نخاف ان
 تعطب فقلت يا بني فنعمل ماذا ليس الا السرج واللجام والمنطقة والطيلسان
 والقلمسوة ومتي بعنا منها شيئا بطلت الحركة وبطل التصرف قال فانظر في أمرك
 قال فنظرت فاذا فراشي حصير خلق ومخديتي لبنة أغشيتها بخرقه وما أتمسح فيه
 للصلاة مطهرة خرف فلم أجد شيئا غير منديل ديبقي خلق قد بقي منه الاسم فقلت
 للغلام بع هذا المنديل واشتر لنا لحما بدرهم واشوه فقد قرمت اليه فمضى الغلام

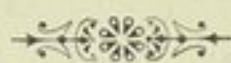
وأخذ المنديل وبقيت في الدار وحدي وفيها شاهم خرج قد جاع فلم أشعر إلا بعصفور قد سقط في المطهرة التي فيها الماء لطهرى عطشا فشرب ونهض اليه الشاهم خرج فناهضه فلضعفه قصر عنه وطار العصفور فوقف الشاهم خرج فأخذه بحمية فابتلعه فلما صار في حوصلة دخل المطهرة فتغسل ونشر جناحيه وصاح ونشط فبكيت ورفعت رأسي إلى السماء فقلت اللهم كما فرجت عن هذا الشاهم خرج ففرج عني وارزقني فما رددت طرفي حتى دق الباب داق فقلت من فقال إبراهيم بن نوح وكان للعباس وكيل هذا اسمه فقلت ادخل فنظر الي صورتني فقال مالي أراك على هذه الحالة فكتمته خبري فقال الأمير يقرأ عليك السلام وقد أصبح في هذا اليوم وهو يذكرك وأمر لك بخمسمائة دينار وأخرج الكيس ووضع بين يدي فحمدت الله تعالى ودعوت للعباس ثم أريته قصتي وأطلعته دارى ويوتي وعرفته خبر الدابة والمنديل والشاهم خرج والدعوة فتوجع لي وانصرف فلم يلبث أن عاد وقال قد صرت إلى الأمير وحدثته حديثك كله فتوجع وأمر لك بخمسمائة دينار أخرى ثانية لتلك وانفق هذه إلى أن يصنع الله عز وجل وعاد غلامى وقد باع المنديل ببضع عشرة درهماً فاشتري ما أمرته فأريته الدنانير وحدثته الحديث وما زال صنع الله يتعاهدني قال المدايني في كتابه وحدث القاضي أبو الحسن في كتابه عن المدايني بغير اسناد واللفظان متقاربان أن أعرابية كانت تخدم نساء النبي ﷺ وكانت كثيرات تمثل بهذا البيت

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا * إلا أنه من ظلمة الكفر انجاني
فقل لها إنك لتأثرين التمثل بهذا البيت وأنا لنظنه لأمر فها هو فقالت أجل كنت عسيفة على قوم من البادية والعسيف الأجير فجاءت جارية منهم فاختطف وشاحها عقاب ونحن لاندري فقلن أن الوشاح أنت صاحبة خلفت واعتذرت فابين قبول قولي واستعدين الرجال فجاءوا وفتشوني فلم يجدوا شيئاً فقال بعضهم احتملته في فرجها فأرادوا أن يفتشوا فرجى فما ظنكم بامرأة تخاف ذلك فلما خفت الشر رفعت رأسي إلى السماء وقلت يا رباه أغثنى فمرت العقاب فطرحته بيننا فندموا وقالوا ظلمنا المسكينة وجعلوا يعتذرون إلي فما وقعت في كربة إلا ذكرت ذلك وهو يوم الوشاح ورجوت الفرج * حكى القاضي أبو الحسين في كتابه

قال حدثني أبو الحسين بن نمير الخزازي قال سار الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى البرمكي في حاجة له فلم يرفع له رأساً ولا قضى له حاجة فقام مغضباً فلم يدع به ولا أكثر ثبث بغضبه وفي المجلس يحيى بن خالد فقال لبعض خاصته اتبعه فانظر ماذا يقول فان الرجل ينيء عما في نفسه في ثلاثة أما كن إذا اضطجع على فراشه وإذا خلا بفرسه وإذا استوى على سرجه قال الرجل فاتبعته فلما استوى على سرجه عض على شفتيه وقال شعرا

عسى وعسى يثنى الزمان عنانه بعثرة دهر والزمان عشور
فتدرك آمال وتقضى ما آرب ويحدث من بعد الأمور أمور

قال فلم يكن بين ذلك وبين أن سخط الرشيد على البرامكة إلا أيام يسيرة وفي رواية أخرى أن يحيى بن خالد رده وقضى حوائجه * أخبرني علي بن عبد الله الوراق المعروف بابن لؤلؤ بالاسناد عن عبد الله بن جعفر أنه أصابه مرض فمنعه من الطعام والنوم فبينما هو ذات ليلة ساهر إذ سمع وجبة في حجرته فاذا هو يسمع كلاماً فوطاه فبرىء مكانه * والكلام « اللهم أنا عبدك ولك أملى فاجعل الشفاء في جسدي واليقين في قلبي والنور في بصري وذكرك في الليل والنهار ما بقيت في لساني وارزقني منك زرقاً غير ممنوع ولا محظور »



الباب الرابع

- * من استطف غضب السلطان بصادق لفظ *
- * واستوقف مكروهاً بموقف بيان أو وعظ *

قرئ على أبي بكر الصولي بالبصرة وأنا أسمع في كتابه كتاب الوزراء وجدت بخط إبراهيم بن شاهين حدثني علي بن محمد النوفلي أن المأمون ذكر عمرو بن مسعدة واستبطاه في أشياء وكان ذلك بحضرة أحمد بن أبي خالد فأخبر به عمراً أحمد فدخل عمرو إلى المأمون فرمى بنفسه وقال أنا عائد بالله من سخطك يا أمير المؤمنين أنا أقل من أن يشكوني أمير المؤمنين إلى أحد ويسر على ضغننا

يظهر منه لمكانه ماء ظهر فقال له المأمون وما ذاك فأخبره بما بلغه فقال لم يكن كذلك وإنما جرى معنى أوجب ذكر ما ذكرت فقدمته قبل أن أخبرك به وكان ذلك عزمي وما لك عندي إلا ما تحب فليفرج روعك وليحسن ظنك وسكن ما به حتى شكره وجعل ماء الحياة يدور في وجهه فلما دخل أحمد بن أبي خالد قال له أشكو إليك من بحضرتي من أهلي وخدمي فما للمجالس حرمة حتى تؤدي ما يجري فيه إلى عمرو بن مسعدة فقد أبلغ لي شيئاً قلته فيه فأنهت به بعض بني هاشم ممن كان حاضراً وذلك أن عمراً دخل على فأعاد ما كان واعتذر فجعلت أعتذر إليه بعد ذلك لم يبين الحق نسجه ولم يتسق القول فيه وإن لسان الباطل ينبيء عن الظاهر بالباطن فقال له أحمد لا يهتم أمير المؤمنين أحداً أنا أخبرت عمراً قال ما دعاك إلى ذلك قال الشكر لله والله لاصطناعك والنصح بك والمحبة لاتمام نعمتك على أوليائك وخدمك وقد علمت أن أمير المؤمنين يحب إصلاح الأعداء والبعداء فكيف بالأولياء والقرباء لاسيما مثل عمرو في موضعه من الدولة وموقفه من الخدمة ومكانه من أمير المؤمنين فأخبرته بما أنكره عليه ليقوم أود يقينه ويتلافى ما فرط منه وإنما العيب لو أزعجت سرا فيه قدح على السلطان أو نقض تدبير له فقال له المأمون أحسنت والله يا أحمد إذ أخبرتني بخاصة الظن وصدقتني عن نفسك * أخبرني أبو الفرج الأصفهاني عن الحسين بن علي السلوסי عن أحمد بن سعيد بالاسناد أنه لما قتل إبراهيم بن عبدالله بياخري حشرنا من المدينة فلم يترك فيها منا محتلم حتى قدمنا الكوفة فكثنا فيها شهراً نتوقع القتل ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال يا هذه الأمة العلوية ادخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوى الحجى قال فدخلت إليه أنا والحسين بن زيد فلما صرت بين يديه قال لي أنت الذي تعلم الغيب قلت لا أعلم الغيب إلا الله جل ثناؤه قال أنت الذي يحجب إليك هذا الخراج قلت إليك يحجب يا أمير المؤمنين الخراج قل أتدرون لم دعوتكم قلت لا قال أردت أن أهدم رباعكم وأغور قلوبكم وأعقر نخلكم وأنزلكم بالسراة لا يجيئكم أحد من أهل الحجاز وأهل العراق فانهم لكم مفسدة فقلت يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر وإن أيوب ابتلى فصبر وإن يوسف ظلم فغفر وأنت من ذلك القبيل قال فتبسم وقال أعد فاعدت قل مثلك فليكن زعيم اقوم

قد عفوت عنكم ووهبت لكم خراج أهل البصرة * قلت حدثني أبي عن آبائه عن
 علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال الارحام معلقة بالعرش تقول صل
 من وصلني واقطع من قطعني قال زد من هذا قلت حدثني أبي عن علي رضي الله عنه
 عن رسول الله ﷺ قال إن الله يقول أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من
 اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته * حدثنا علي بن الحسن بالاسناد قال
 حج أبو جعفر المنصور في سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال ابعث الى
 جعفر بن محمد من يأتيني به تعباً قتلني الله ان لم أقتله فامسكت عنه رجاء أن ينساه
 فاغلظ في الثانية فقلت جعفر بن محمد بالباب فقال ائذن له فدخل فقال السلام عليك
 يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال لا سلم الله عليك يا عدو الله تلحد في سلطاني
 وتبغى الغوائل في ملكي قتلني الله ان لم أقتلك قال جعفر يا أمير المؤمنين ان سليمان
 أعطى فشكر وان أيوب ابتلى فصبر وان يوسف ظلم فغفر وأنت من ذلك السنخ
 فسكت طويلاً ثم رفع رأسه وقال أنت عندى يا أبا عبد الله البري الساحة السليم
 الناحية القليل الغائلة جزاك الله من ذى رحم أفضل ما يحزى به ذوو الارحام عن
 أرحامهم ثم تناول يده فأجلسه على مفرشه ثم قال يا غلام على بالمنفع والمنفع مدهن
 كبير فيه غالية فأتي به فغلقه بيده حتى خلت لحيته فاطرة ثم قال في حفظ الله وكلاءته
 ياربيع الحق أعط أبا عبد الله جائزته وكسوته وانصرف فلحقته فقلت اني قد رأيت
 ما لم تر ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت وقد رأيتك تحرك شفيتك فما الذي قلت فقال
 نعم انك رجل منا أهل البيت ولك محبة وود قلت اللهم احرسني بعينك التي لا تنام
 واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمي بقدرتك على لأهلك وأنت رجائي يارب
 كم من نعمة أنعمت بها على قل لك عندها شكرى فلم تحرمي فيا من قل عند بليته
 صبرى فلم يخذلني ويامن رآني على المعاصي فلم يفضحني يا ذا المعروف الذي
 لا ينقض أبداً ويا ذا النعم التي لا تحصى عدداً أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد
 بك ادراً في نحره وأعوذ بك من شره اللهم أعني على ديني بدنياً وعلى آخرتي
 بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يا من لا تضره
 الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفر لي مالا يضرك وأعطني مالا ينفعك انك أنت
 الوهاب أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً ورزقاً واسعاً والعافية من جميع البلاء

وشكر العافية * وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء أن موسى الهادي سخط على بعض كتابه ولم يسمه فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده ويتوعده فقال له الرجل يا أمير المؤمنين ان اعتذاري فيما تفرعني به رد عليك واقراي بما بلغك يوجب ذنباً على لم أجنه لكنني أقول شعرا

إذا كنت ترجو في العقاب تشفياً * فلا تزهدن عند التجاوز في الاجر

فصفح عنه وأمر بترك التعرض له وأحسن إليه * حدثني علي بن هشام بن عبيد الله الكاتب عن أبي عبد الله بن يحيى الكاتب قال لما نكب أبو الحسن ابن الفرات أبا علي بن مقله في وزارته الثالثة لم أدخل إليه في حبسه ولا كاتبته متوجعا له ولا راسلته خوفاً من أن يلتقي ذلك إلى ابن الفرات وكانت بيني وبين ابن مقله مودة لطيفة فلما طالت نكبته كتب إلى رقعة طويلة فيها

تري حرمت كتب الاخلاء بينهم * ابن لي أم القرطاس أصبح غاليا
فما كان لوساء لتنا كيف حالنا * وقد دهمتنا نكبة هي ماهيا
صديقك من رعاك عند شديدة * وكل تراه في الرءاء مراعيها
فهبك عدوى لاصديقي فر بما * تكاد الأعادي يرحمون الأعاديا

ثم اتبع ذلك بكلام يعاتبني فيه ويقول انه قد أتخذ إلى في طي رقعة رقعة إلى الوزير يسألني اعراضها عليه وقت خلوة لا يكون فيها ابنه أبو أحمد المحسن ففتحت رقعته إلى الوزير فاذا هي - بسم الله الرحمن الرحيم أقصرت أطال الله بقاء الوزير فعلى وصنعى على الاستعطف والشكوى حتى تناهت بي المحنة والبلوى في النفس والمال والجسم والحال إلى ما فيه شفاء للمنتقم وتقويم للمجتزم حتى أفضت إلى الحيرة والتبльд وعيالى إلى الهتكة والتلد وما أقول ان حالا أناها الوزير أيده الله في أمرى الابحق واجب وظن صدق غير كاذب الا أن القدرة تذهب الحفيظة والاعتراف يزيل الاقتراف والمعروف يؤثره أهل الفضل والدين والاحسان إلى المسيء من أفعال المتقين وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة وتأميل وخدمة فان كانت الاساءة تضيعها فرعاية الوزير أيده الله تحفظها فان رأى الوزير أطال الله بقاءه أن يلحظ عبده بعين رأفته وينعم عليه باحياء مهجته ويخلصها من العذاب الشديد والجهد الجهييد ويجعل له من معروفه نصيبا ومن البلوى فرجا قريبا فعل ان شاء الله

قال ابن يحيى فأقامت الرقعة في كمي أياما لا أتمكن من عرضها الى أن رسم الوزير ابن الفرات بكتابة نسخة الى جعفر بن أبي القاسم وهو عامله حينئذ في فارس في مهم وان احررها بين يديه وأعرضها عليه وخلا بي لهذا السبب فعملت النسخة وأوقفته عليها فأمرني بتحريرها فأغتنمت خلوته من كل أحد وقلت قد عرف الوزير أيده الله ما بيني وبين ابن مقله من الألفة والعشرة التي جمعتها عليها خدمتك والله ما كاتبته ولا راسلته ولا قضيت لها حقاً بمعونة ولا غيرها منذ سخط الوزير عليه وهذه رقعته الى تدل على ذلك ويسأل اعراض رقعة له على الوزير أيده الله وهي معي فان اذن عرضتها فقال ادفع رقعته الى فقلت اسأل الوزير أيده الله أن يكرم ذلك عن سيدي أبي أحمد يعني المحسن ابنه فاني أخافه قال أفعل ثم قرأ رقعة ابن مقله فقال والله يا أبا عبد الله لقد تناهى هذا الرجل في السعاية على دمي ومالي وأهلي ولقد صح عندي انه قال لما أسلم الى حامد والله لو قد علمت ان ابن الفرات يبقى بعد صرفه يوماً واحداً ما سعت به والله لقد كنت أدعو في حبسي بان لا يمكنني الله عز وجل منه ولا من الباقيات أمما هو فلاحسانى العظيم عليه وأما الباقياتى فلقبح اساءته الى وانه شيخ من شيوخ الكتاب وخفت العار بما كنت أعامله به لو حصل في يدي فأجبت دعوتي في الباقياتى ولم تجب فيه والآن فو حق محمد وآله عليهم السلام لا جري على ابن مقله مكروه أبداً بعد هذا وانا أتقدم بأخذه من يد المحسن فاتقذه مع سليمان بن الحسن الى فارس وأخبره في الأمر بحراسة نفسه وباقى حاله وأزيدك يا أبا عبد الله ما أحسبك فهمته قلت فما هو فاني لم أزل استفيد الفوائد أيديك الله تعالما وانعاما قال فقد بقيت له بقية وافرة من حاله ولولاها ما قال قولاً شديداً ولا فرغ قلبه لنظم شعر ولا بلاغة في سر * كان من الغد اتقذ من انتزعه من يد المحسن فأخرجه مع سليمان الى فارس مسلماً * أخبرني أبو الفرج الاصفهاني قال أخبرني حبيب ابن نصر المهلبى بالاسناد ان طريح بن اسمعيل الثقفي دخل على أبي جعفر فقال له لآحيالك الله ولا بياك اما اتقيت الله عز وجل حيث تقول للوليد

لوقلت لليل دع طريقك وال * موج عليه كالهضب يعلمج

لساح وارتد أولسكان له * الى طريق سواك منعرج

فقال له طريح قد علم الله اننى قلت ذلك ويدي ممدودة اليه عز وجل واياه

عنيت تبارك وتعالى اسمه وثناؤه فقال أبو جعفر ياربيع أما ترى هذا التخلص
أخبرني أبو الفرج الأصفهاني عن محمد بن أبي الأزهر قال كنت بين يدي المأمون
واقفاً فأدخل عليه ابن البواب الحاجب رقعة فيها أبيات شعر وقال إن رأى
أمير المؤمنين أن يأذن لي في إنشادها فظننها له فقال هات فأنشده

أجرني فاني قد ظمأت إلى الوعد متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد
أعيدك من خلف الملوك وقد ترى تقطع أنفاسي عليك من الوجد
رأى الله عبد الله خير عباده فلكم والله أعلم بالعبد
ألا إنما المأمون للناس بهجة مميزة بين الضلالة والرشد

فقال المأمون أحسنت يا عبد الله فقال يا أمير المؤمنين بل أحسن قائلها قال
ومن هو قال عبدك الحسين بن الضحاك فغضب ثم قال لا خير ولا حيا الله من
ذكرت ولا بياه ولا قربه ولا أنعم به عينا أليس هو القائل شعر

أعني جودا وابكيا لي محمداً ولا تدخرا دمعا عليه وأسعدا
فلا تمت الأشياء بعد محمداً ولا زال شمل الملك فيه مبدداً
ولا فرح المأمون بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشردا

هذا بذاك ولا شيء له عندنا فقال له ابن البواب فأين فضل أمير المؤمنين
وسعة حلمه وعادته في العفو فأمر بإحضاره فلما حضر سلم عليه فرد عليه رداً خافتاً
ثم أقبل عليه فقال أخبرني عنك هل عرفت يوم قتل أخى محمد رحمه الله هاشمية
قتلت أو هتكت قال لا قال فما معنى قولك

وما شجى قلبي وكفكف عبرتي محارم من آل النبي استحلت
ومهمتوكة بالجلد عنها سجوفها كعاب كقرن الشمس حين تبتدت
إذا خفرتها روعة من منازع لها المرط عادت بالخضوع وودنت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم هتفن بدعوى خير حي وميت
أرد يدا مني إذا ما ذكرته على كبد حرا وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا باغت آمالها ما تمتت

فقال يا أمير المؤمنين لوعة غلبتني وروعة فجأتني ونعم فقدتها بعد أن أغرقتني
وإحسان شكرته فأنطقني فدمعت عين المأمون وقال قد عفوت عنك وأمرت

بارداد أرزاقك عليك وإعطائك ما فاتك منها وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من
استخدامك * أخبرني محمد بن يحيى الصولي عن عون بن محمد دل حدثني الحسين
ابن الضحاك قال غضب على المعتصم في شيء جرى على فقال والله لا أدنيته
وحجبتني أياماً فكتبت إليه

غضب الامام أشد من أدبه وقد استجرت وعدت من غضبه
أصبحت معتصماً بمعتصم أثني الاله عليه في كتبه
لا والذي لم يبق لي سبباً أرجو النجاة به سوى سببه
مالي شفيع غير رحمة ولكل من أشفى على عطبه

قال فلما قرئت عليه التفت إلى الواثق وقال مثل هذا الكلام يستعطف الكرام
ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزال ما بنفسى عليه فقال له
الواثق هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه فرضى عني وأمر باحضاري
وانما كتب هذا الشعر إلي المعتصم لأنه بلغه أنه مدح العباس بن المأمون وتمنى
له الخلافة فطلبه فاستتر فخيث ظهر هجى العباس بن المأمون فقال شعر

خل اللعين وما اكتسب لا زال منقطع النسب
يا عرة النقلين لا ديناً رعيت ولا حسب
حسد الامام مكانه جهلاً هداك على العطب
وأبوك قدمه لنا لما تخير وانتخب
ما تستطيع سوى التنف س والتجرع للكرب
لا زلت عند أبيك لك منتقص المروءة والأدب

وجدت في بعض الكتب عن يزدجرد أنه قال غضب كسرى ابرويز على
بعض أصحابه من جرم عظيم خبسه زماناً ثم ذكره فقال للسجبان هل يتعاهده
أحد فقال لا إلا القلهند المغنى فانه يوجه إليه في كل يوم بسلة فيها طعام فقال كسرى
للقلهند غضب الملك على فلان وحبسه فقطعه الناس غيرك فانك تعاهده بالبر في
كل يوم فقال أيها الملك ان البقية التي بقيت له عندك فبقيت روحه في بدنه ابقت له
عندي بقدر ما أرسله إليه من الطعام قال أحسنت قد وهبت لك ذنبه واطلقة وجدت
في بعض كتبى ان رجلين أتى بهم الى بعض الولاة وقد ثبت على أحدهما الزندقة وآخر

شرب الخمر فسلم الوالي الرجلين الي بعض أصحابه وقال أضرب عنق هذا وأوماً الى الزنديق واجلد هذا الحد وأوماً الى الشارب وتسامهما وذهب ليخرج فقال له الشارب أيها الأمير سلمني الى غيره ليجلدني فاني لا آمن ان يغلط فيضرب عنقي ويجلد صاحبي والغلط في هذا لا يتلافى فضحك الأمير وأمر بتخليته وضرب عنق الزنديق * وجدت في كتاب أبي الفرج الخزومي عن أبي عبد الحسن بن طالب كاتب عيسى بن فرحا نشاه قال لما وليت ديار مصر لم تزل وجوهها يصفون لي محمد بن يزيد الأموي الحصيني بالفضل وينشدوني قصيدته التي أجاب بها عبدالله بن طاهر لما نخر بابيه ويذكرون قصته معه لما دخل عبدالله الشام واشرف الحصني على الهلاك خوفاً منه وكيف كفى أمره بالاسبب فكنت افتقد أمره في ضيعته وأحسن إليه في معاملي وكانت كتبه ترد علي بالشكر بأحسن عبارة الى ان عملت على طوف كور عملي وتصفح أمر الرعية والعمال فخرجت لذلك حتي وردت الكورة التي حصن محمد ابن يزيد في ناحية منها فخرج مستقبلاً لي وراغباً الي في النزول عليه فلما التقينا قال لم اخف مع فضلك ان تتجاوزني ولم آمن ان يعارضك ظن يصور لك ان عدو لك عنى ابقاء علي واشفاقاً من نسب السلطان لك يدعو الي ايثار لذتك في عدم لقائي فتطويني فحملت نفسي على خلاف ما كنت أحب ان يشيع لك من ابتدائي بالقصد قبل غيبتى فيه إليك فالحمد لله الذي جعل لك السبق الي الكرم ومررنا على حصنه فاقبل يقفني على المواضع المذكورة في الخبر والشعر الي ان دخلنا حصنه فلم يأخذ أهبة النزول به أدبا ومروءة وسبق بما حضر من القرى ولم يقض من يخدمنا عن أحضار ما أعد في سفرتنا ووجدت خدمته كلها تدور على جارية سوداء نذرة خفيفة الحركة يدل على نشاطها اعتيادها على الطراق الي ان رفع الطعام وحضر الشرب وحضرت السوداء في غير الزى الأول جلست أغنى فانكرتها حتي سألته عنها فوصف لي قديم حرمتها وقال هي كانت طلعتي حين قصدني عبدالله بن طاهر فاستفتحني مسألته عن الخبر فسألته فقال لما بلغني خبر اجماع عبدالله على الخروج لطلب نصر بن شبيب بنفسه أيقنت بالهلاك وخفت أن يقرب فتنا لني بادرته ولم أشك في ذهاب النعمة ان سامت النفس لما كان بلغه من اجابتي اياه عن قصيدته التي نخر بها وأنشدنيها

مدمن الاغضاء موصول ومديم العتب مملول
 وأخو الوجهين حيث رمى بهواه فهو مدخول
 وقليل من يبرره في يد التهذيب تحصيل
 فائئد تلقى النجاح به فاعتساف الأمر تضليل
 واعم عن عيب أخيك يدو م لك حبل فيه موصول
 من يرد حوض الردا صردا لا يسعه الري تعليل
 من بنات الروم لى سكن وجهه للشمس إكليل
 عتبت والعتب من سكن فيه تكثير وتقليل
 اقصرى عما لهجت به فقراغى عنك مشغول
 أنا من قد تعرفى نسبه سلفى الغر البهاليل
 مصعب جدى نقيب بنى هاشم والأمر مجهول
 وحسين رأس دعوتهم ودعاء الحق مقبول
 سئل بهم تنبيك نجاتهم مشرفيات مصاويل
 كل غضب مسرف عللا وحرار الحر مغلول
 وأبي من لا كفاء له من يساوى مجده قولوا
 سل به والخيول ساهمة خوله جرداء نأيل
 وربات الخدور وقد جعلت تبدوا الخلاخيل
 من ثنى عنه الخيول بأكنا فيها الخطية الشول
 أنظر الخلوغ كالكله وحواليه المقاول
 فتوى والتراب مضجعه غال عنه ملكه غول
 قاد جيشا نحو نائلة ضاق عنه العرض والطول
 من خراسان مصمصهم كليوث ضمها غنيل
 وهبو الله أنفسهم لا معازيل ولا ميل
 ملك محتاج سطوته ونداء الدهر مبذول
 قطعت عنه تمامه وهو مرهوب ومأمول

قال وكنت لما بلغني هذه القصيدة امتعصت للعرب وأنفت أن يفخر عليها
رجل من العجم لأنه قتل ملكا من ملوكهم بسيف أخيه لا بسيفه فيفخر عليها هذا
الفخر ويضع منها هذا الوضع فرددت عليه قصيدته ولم أعلم ان الايام تجمعنا ولا
ان الزمان يضطرني الى الخوف منه فقلت شعرا

لا يرعك القال والقيـل	كلما بلغت تضليل
ما هو لي حيث اعرفه	بهوى غيرك موصول
اين لي عنك الى بدل	ابدل عنك مقبول
أو وعدت العذل فيك إذا	انا فيك الدهر معذول
حملني كل لائنة	كلما حملت محمول
فاحكمي ماشئت واحتكمي	خراي لك تحليل
والذي أرجو النجاة به	مالقلي عنك تحويل
ما لداري منك مقفرة	وضميري منك مأهول
أيخون العهد ذو ثقة	لا يخون العهد مسؤل
واخو حبيك في تعب	مطلق مرا ومغول
مافراغي عنك مشغل	بل فراغي بك مشغول
وبدت يوم الوداع لنا	غادة بيضاء عطبول
حاسرا وذات متعة	ذات تاج فيه إكليل
آى عطفيها به انصرفت	ارج بالمسك معلول
تعاطى شد معجزها	ولطاق الخصر منحول
با كاليل لها قبل	حبذا تلك الأكاليل
فبنفسى دمج مشطتها	ومثانيها المراسيل
سبقت بالدمع مقلتها	فلها بالدمع تفضيل
ورمت بالسحر من كتب	فدفين الداء مقتول
لاحظت بالسحر عابثة	فشجاع الصبر مغول
شمطنا اذ ذاك مجتمع	وجناح البين مشكول
لا يخاف الدهر طائره	فاذاه عنه معقول

أيهما الباري بنطقته لا غاليط وتحصيل
قد تأولنا على جهة ولتأويلك تأويل
قاتل الخلو ع مقتول ودم القاتل مطول
ساراً وحل فتنبع بالتي يكبو لها القيل
لا تنجيه مذهبها نهر سيحون ولا النيل
ومدين القتل مرتين بدماء القوم مقتول
بيد الخلو ع طلت يدا لم يكن في باعها طول
وبنعماء التي سلفت فعلت تلك الافاعيل
وبراع غير ذي شفق حالت الخيل الأنايل
يا ابن بنت النار موقدها ما لحا ديها سراويل
أي مجد لك تعرفه أو نسيب لك بهلول
من حسين وأبوك ومن مصعب غالتهم غول
وزريق إذ تخلفه نسب لعمر ك مجهول
تلك دعوى لا تنافسها وأبواب مراديل
أسوة غير مباركة غيرها الشم البهاليل
ما جرى في عهد سلافكم ماء مجد فهو مدخول
قدحت فيه أسافله فأطاليله مهازيل
إن خير القول أصدقه حين تصطك الأقاويل
كن على منهاج معرفة لا تغرنك الأباطيل
إن للأصعاد منحدرًا فيه للهادي أهاويل
ولرب الدهر عن عرض بالردى عل وتنهيل
يعسف الصعبة رائفها ولها بالعسف تذليل
ويخون الرمح حامله وسنان الرمح مصقول
وينال الوتر طالبيه بعد ما يسلو المثاكيل
مضمرا حقدا ومنصلة مغمدا في الجفن مسلول

قال فلما قرب عبد الله بن طاهر استوحشت من المقام خوفا على نفسي

ورأيت بعدى وتسليم حرمنى عارا باقيا ولم يكن لي إلى هربي بحرمنى سبيل فأقمت على أتم خوف مستسما للاتفاق حتى إذا كان اليوم الذى قيل انه ينزل بهذه النواحي أغلقت حصنى وأقمت هذه السوداء ربيثة لى على شرف الحصن وأقمتها وأمرتها أن تعرفنى الموضع الذى ينزل فيه العسكر قبل أن يفجأني ولبست ثياب الموت أكفانا وتطيبت وتحنطت فلما رأيت الجارية أن العسكر يقصد الحصن نزلت فعرفتني فلم يرعنى إلا دق باب الحصن فخرجت فاذا عبد الله بن طاهر واقف وحده منفردا عن أصحابه فسألت عليه سلام خائف فرد على غير رد مستوحش وأومأت إلى تقبيل رجله فى الركاب فمنع ألطف منع وأحسن رد وجلس على دكان على باب الحصن ثم قال ليسكن روعك فقد أسأت الظن بنا ولو علمنا أننا بزيارتنا لك نروعك ما قصدناك ثم أطل الانتظار فى المسألة حتى رأى الثقة منى قد ظهرت فسألنى عن سبب مقامى فى البر وإيشارى إياه على الحاضرة ورفاهة العيش وعن حال ضيعتى ومعاملتى فأجبت بما حضرني حتى لم يبق من التأنيس شيئا أفضى الأمر إلى مسألتى عن حديث نصر بن شبيب وكيف الطريق إلى الظفر به فأخبرته بما عندى فى ذلك ثم أقبل على وقد انبسطت فى محادثته انبساطا شديدا فقال أحب أن تنشدنى القصيدة التى فيها

يا ابن بنت النار موقدها ما لحاديهـا سراويل

فقلت أصلح الله الأمير قد أربت نعمتك على قدر همتي فلا تذكرها بما ينغصها فقال إنما أريد الزيادة فى طمأنينتك وتأنسك بأن لا تراني متحفظا ماخفت وعزم على إنشاد القصيدة عزم مجد فقلت يريد أن تطرأ على سمعه فيزيد ما فى نفسه فيوقع بي ولم أجده من إنشاده بدا فأنشدته القصيدة فلما فرغت منها عاتبت عتاباً شديدا وكان منه أن قال يا هذا ما حملك على تكلف إجابتي فقلت الأمير أصلحه الله حملنى على ذلك فقال بماذا فقلت بقوله

وأبي من لا كفاء له من يسامى مجده قولوا

فقلت كما تقول العرب وتفتخر السوق على الملوك وكان لما بلغت إلى قوله

يا ابن بنت النار موقدها ما لحاديهـا سراويل

قال والله يا ابن مسامة لقد أحصينا فى خزائن ذى اليمينين بعد موته ألفاً

وثلاثمائة من السراويل ما أصلح في إحداهن تكة سوى ما استعمل في اللبس على أن الناس لا يفكرون في إدخال السراويل في كسائم فاعتذرت إليه بما حضرنى من القول في هذا وجميع ما تضمنته القصيدة فقبل القول وبسط العذر وأظهر الصفح وقال قد دلتنا على ما احتجنا إليه من أمر نصر بن شبيب فنستحسن القعود معنا في حربه وإلا يكون لك في الظفر به أثر يشاكل إرشادك لوجوه مطالبه فاعتذرت إليه بلزوم منزلى وضيعتي وعجزى عن السفر للقصور عن النفقة فقال نكفيك ذلك وتقبله منا باذنك ودعا بصاحب دوابه فأمر باحضار خمس مراكب من الخيل الهاليج بلجمها وسروجها المحلاة وبثلاث دواب من دواب الشاكرية وبخمسة أبغل من بغال النقل واستقرأ ذلك وأمر صاحب كموته باحضار ثلاث تحوت من أصناف الثياب الفاخرة وأمر خازنه باحضار خمس بدر دراهم فأحضر الجميع فوضع على الدكان الذى كان جالسا عليه بياب الحصن ثم قال كم مدة تأخرت عنا إلى أن تلحق بنا فنزلت فقام ليركب فبادرت إلى يده لأقبلها فمنعنى وركب وسار وتبعه العسكر فما نزل منهم واحد وخرجت السوداء فنقلت تلك الثياب والبدر وأخذ الغلمان الكراع وما لقيت عبد الله بعدها قال عيسى بن فرحان شاه أقمت عند محمد بن يزيد يومى وليمتي فأضافنى أحسن ضيافة وكانت مذاكرته لى بذلك أحب إلي من كل شئ فأسقطت عنه جميع خراجة فى تلك السنة وانصرفت * حدثنى عبد الله بن أحمد بن داسة المصرى قال سمعت أن بعض الجنيد اغتصب امرأة على نفسها من الطريق فعرض الجيران ليمنعوه فضربهم هو وغلماناه حتى تفرقوا وأدخل المرأة داره وقال اغلقوا الباب فأغلقوا الباب وراودها عن نفسها فامتنعت فأكرهها ولحقها منه شدة حتى جلس منها مجلس الرجل من المرأة فقالت له يا هذا اصبر حتى يغلق باب قد بقى عليك قال أي باب قالت الباب الذى بينك وبين الله فقام وقال قد فرج الله عنك انصرفى لا أتعرض لك أبدا * وجدت فى بعض الكتب أن الجاحظ أنفذ إلى أحمد بن أبى دؤاد بعد نكبة محمد بن عبد الملك الزيات مفيدا فى قيصر رث فأوقف بين يديه ليأمر فيه بأمره فقال له ابن أبى دؤاد والله ياعمرى ما علمتكم إلا سبابا للنعمة جاحدا للصنعة معددا للمثالب مخفيا للمناقب وإن الأيام لا تصلح مثلك لفساد

طويتك وسوء اختيارك فقال الجاحظ خفض عليك فوالله لأن تكون المنة لك على خير من أن تكون لي عليك ولأن أسىء وتحسن أحسن في الاحدوثة عنك ولأن تغفو في حال قدرتك أجمل بك من أن تنتقم فقال لي ابن أبي دؤاد ما علمتك إلا كثير رونق اللسان قد جعلت ثيابك أمام قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق أعزب قبحك الله فانهض في قيوده ثم قال يا غلام الحقه وخذ قيوده وسر به إلى الحمام واحمل إليه خلعة يلبسها واحمله إلى منزل يأوى به بفرش وفرش وآلة وقماش ويزاح فيه الله وادفع إليه عشرة آلاف درهم لنفقتة إلى أن يصح من علته ففعل ذلك فلما كان من الغد رأى الجاحظ متصدرا في مجلس ابن أبي دؤاد وعليه خلعة من ثيابه وطويلة من قلانس وهو مقبل عليه بوجهه يقول هات يا أبا عثمان أخبرني أبو الفرج الأصمهاني بأسناده عن إسحق الموصلي قال لم أرقط مثل جعفر بن يحيى كانت له فتوة وظرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل وكان يأخذ بأجل حظ من كل فن فحضرت باب الرشيد يوما فقبل لي أنه نائم فأنصرفت فلقيني جعفر بن يحيى قال لي ما الخبر فقلت أمير المؤمنين نائم فقال لي قف مكانك ومضى إلى دار أمير المؤمنين فأعلم أنه نائم فرجع فقال سر بنا إلى المنزل حتى نخلو بقية يومنا وأغنيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا فقلت نعم فصرنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا ودعا بالطعام فطعمنا وأمر باخراج الجوارى وقال ابرزن فليس عندنا من نحتشمه فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخلق ودعا لي بمثل ذلك وجعل يغنيني وأغنيه وكان قد تقدم إلى الحاجب أن لا يأذن لأحد من الناس كلهم وإن جاء رسول أمير المؤمنين اعلمه أنه مشغول واحتاط في ذلك وتقدم إلى جميع الحاجب والخدم ثم قال إن جاء عبد الله فأذنوا له يعني رجلا كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته ثم أخذنا في شأننا فوالله اني لعل حالة سارة إذ رفع الستر وإذا عبد الملك بن صالح الهاشمي وغلط الحاجب ولم يفرق بينه وبين الذي يأنس به جعفر وكان عبد الملك الهاشمي من جلاله القدر والتكشف والامتناع عن منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل وكان أمير المؤمنين قد اجتهد أن يشرب قدحا فلم يفعل ترفعا لنفسه فلما رأيناه مقبلا أقبل كل واحد منا ينظر إلى صاحبه وكاد جعفر ينشق غيظا وفهم الرجل حالنا وأقبل نحونا حتى إذا صار إلى الرواق

الذي نحن فيه نزع جبته فرمى بها مع طيلسانه جانبا ثم قال اطعمونا شيئا فدعى له جعفر بالطعام وهو منقح غيظا ثم دعا برطل فشربه ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه ثم أخذ بعضادتي الباب وقال أشركونا فيما أتم فيه فقال له جعفر ادخل فدخل بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة اقداح ثم اندفع يغنينا فكان والله أحسن غناء فلما طابت نفس جعفر بن يحيى وسرى عنه ما كان فيه التفت إليه وقال له ارفع حوائجك فقال له ليس هذا موضع حوائج قال لتفعلن ولم يزل يلح عليه حتى قال أمير المؤمنين على واجد كما علمت فأحب أن يرضى عني قال أمير المؤمنين قد رضى عنك فهات حوائجك قال هذه حاجتي قال ارفع حوائجك كما أقول لك قال على دين فادح قال كم مبلغه قال أربعة آلاف ألف درهم قال هذه أربعة آلاف الف درهم فان أحببت أن تقبضها مني فاقبضها في منزلي الساعة فانه لم يمنعني من إعطائك إياها إلا أن قدرك يحملك عندي من أن يصلك مثلي ولكني ضامن لها حتي تحمل إليك من مال أمير المؤمنين غدا فسل أيضا فقال ابني تكلم أمير المؤمنين حتى ينوه باسمه قال قد ولاه أمير المؤمنين مصرا وزوجه الغالية ابنته ومهرها عنه ألفي الف درهم من ماله قال إسحق فقلت في نفسي قد سكر الرجل أعني جعفرا فلما أصبحت حضرت دار الرشيد فاذا جعفر بن يحيى البرمكي ووجدت في دار الرشيد جلبة فاذا أبو يوسف القاضي رحمه الله تعالى ونظراؤه وقد دعى بهم ثم دعى بعبد الملك بن صالح وابنه فدخلا على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك ان أمير المؤمنين قد كان واجدا عليك وقد رضى عنك وأمر لك بأربعة آلاف الف درهم فاقبضها من جعفر بن يحيى الساعة ثم دعا بابنه فقال اشهدوا اني قد زوجته الغالية بنت أمير المؤمنين ومهرتها عنه من مالي ألفي الف درهم ووليتها مصرا فلما خرج جعفر سأله عن الخبر فقال بكرت إلى أمير المؤمنين فحكيت له جميع ما كنا فيه وما كان منا حرفا بحرف ووصفت له دخول عبد الملك وما كان منه فعجب ثم سربه ثم قال لي وقد ضمنت له على أمير المؤمنين ضمانا فأوف بضمائك فأمر باحضاره فكان ما رأيت * أخبرني أبو الفرج الأصفهاني قال جرى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلام وهما على مسرة فنفر الأمين لذلك ووجد على إبراهيم وبانت لابراهيم الوحشة منه فانصرف إلى منزله فأمر الأمين بحجابه عنه وبلغ ذلك إبراهيم

فبعث الى الامين بالطاف ورقة يسأل فيها صرف غضبه فرد الامين الهدية ولم
يجب على الرقعة فوجه ابراهيم اليه وصيفة مليحة مغنية كان قدرباها وعلماها وبعث
معها عودا معمولا من العود الهندي مكلا بالجواهر والبسها حلة منسوجة بالقصب
وقال أبيتا وغنى فيها والقاها عليها حتى أخذت الصوت واحكت الصنعة فيه فوقفت
الجارية بين يدي أمير المؤمنين وقالت له عمك يا أمير المؤمنين يقول لك واندفعت
تغنى شعرا

هتكت الضمير برد اللطف وكشفت هجر كلى فانكشف
فان كنت تحقد شيئا جري فهب للعمومة ما قد سلف
وجد لى بصفحك عن زلتى فبالفضل يأخذ أهل الشرف

فقال لها الامين أحسنت يا صبية فما اسمك قالت هدية قال أفأنت كاسمك أم أنت
طارية قالت انا كاسمى وبه سماني لما اهداني الى أمير المؤمنين فسر بها الامين وبعث
إلى ابراهيم بن المهدي فأحضره ورضى عنه وأمر له بخمسين الف دينار * وقف أحمد
ابن عروة بين يدي أمير المؤمنين المأمون لما عزله عن الاهواز فقال له خربت البلاد
وقتل العباد والله لا فعلن بك ولا فعلن فقال يا أمير المؤمنين ما تحب أن يفعل الله بك
إذا وقفت بين يديه وقد قرعك بذنوبك قال العفو والصفح قال فافعل بعبدك ما تحب
أن يفعل بك مولاك قال قد فعلت ارجع إلى عملك فوال مستعطف خير من وال
مستأنف * وروي انه جنى غلام للحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين
جناية توجب العقاب فأمر به ان يضرب فقال يا مولاي والكاذمين الغيظ قال خلوا
عنه قال يا مولاي والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال يا مولاي والله
يحب المحسنين قال أنت حر لوجه الله تعالى ذلك ضعف ما كنت أعطيك * قال
الأصمعي أتى عبد الملك بن مروان برجل قامت عليه البينة بسرقة فأمر بقطع يده
فقال الرجل

يدي يا أمير المؤمنين اعيدها بعفوك من طار على يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها إذا شال فارقتها يمينها

قال هذا حد من حدود الله تعالى ولا بد من اقامته عليك فقامت أمه وكانت عجوزا
كبيرة السن فقالت يا أمير المؤمنين كادى وكاسى وابنى وواحدى فبه لي فقال لها

بئس الكاد والابن والواحد هو لابد من اقامة حد الله فقالت يا أمير المؤمنين فاجعله
بعض ذنوبك التي تستغفر الله تعالى منها قال خلوه واطلقه . أخبرني الفضل بن الربيع
قال رأيت مروان بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة
في جماعة من الشعراء فيهم سلم الحاسر وغيره فأنشده مديحا فقال له من أنت فقال له
شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة فقال له المهدي ألسنت القائل

أقمنا بالمدينة بعد معن مقاما لا نريد به زوالا

وقلنا ابن نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوال

قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا لاشيء لك عندنا جروا برجله قال
فجروا رجله حتى أخرج فلما كان في العام المقبل تأنف حتى أدخل مع الشعراء وإنما
كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة فمثل بين يديه وأنشده بعد رابع
أو خامس شعرا

طرقتك زائرة فخي خيالها بيضاء تملط بالحياء دلالها

نادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الي الضنا فأماها

قال فانصت له حتى بلغ الى قوله

هل تطمسون من السماء نجومها با كفكم أو تسترون هلالها

أو تمجدون مقالة عن ربه جبريل بلغها النبي فقالها

شهدت من الاتقال آخر آية بترائهم فاردتم ابطالها

قال فرأيت المهدي قد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط اعجابا بما سمع
ثم قال كم هي قال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف أعطيها شاعر
في أيام بني العباس * أخبرني أبو الفرج الأصفهاني عن الحسن بن علي قال حدثني محمد
ابن القاسم بن مهران عن عبد الله بن سعيد قال غضب الرشيد على العباس وحجبه
فدخل سرا مع المتظاهرين بغير اذن فمثل بين يدي الرشيد فقال له يا أمير المؤمنين
قد أدبتني الناس لك ولنفسى فيك وردني ابتلاؤهم الي شكرك ومامع ذكرك قناعة
بأحد غيرك ولنعم الصائن لنفسى كنت لو أعاني عليك الصبر ولذلك أقول شعرا

أخضني المقام الغمران كان غرني نسا حاب أو زلت القدمان

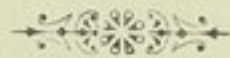
اتركني جذب المعيشة مقفرا وكفأك من ماء النداء يكفان

وتجعلني سهم المطامع بعد ما بللت يدي من ماء النداء ولساني
قال نخرج وعليه الخلع وقد أمر له بمجازة فمأيت العباس قط أنشط منه يومئذ
قال أبو الفرج في البيهقي الأولين غناء لمخارق ثاني ثقیل بلوسطی * حدثني عون
ابن محمد قال حدثنا سعيد بن هريم قال قال المأمون للفضل بن الربيع يا فضل ما كان
من حق عليك وحق آبائي ونعمهم عندك وعندك ان تطلبني وتشتمني وتحرض
علي دمي أحب افعلك مع القدرة عليك ما أردته بي فقال الفضل يا أمير المؤمنين
ان عذري لا يقوم عندك وان كان واضحا جميلا فكيف اذا غفته العيوب وقبحته
الذنوب فلا يضيق غنى من عفوك ما وسع غیری منه فأنت والله كما قال الشاعر فيك
صفوح عن الاجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي ان يكون به الأذى اذا ما الأذى لم ينش بالكره مساما
قال الصولي والشعر للحسن بن رجاء * وقرئ على أبي بكر الصولي في كتابه كتاب
الوزراء بالاسناد عن الحسن بن عيسى الانباري الكاتب قال أمر المأمون محمد بن بزوان
والوزير أحمد بن أبي خالد أن يناظرا عمرو بن مسعدة في مال الاهواز فناظراه
فتحصل عليه ستة عشر ألف درهم فأعلم محمد المأمون بذلك فقال له المأمون
اقبل كل حجة له وكل ادعاء وكل تعلق قال قد فعلت قال عد لذلك فعاد فتعلق عمرو
بأشياء لا أصل لها فسقطت من المال عشرة آلاف الف وبقى ستة آلاف الف درهم
لاحجة له فيها أخذ خطه بها فأخذ المأمون الرقعة ثم أحضر عمرا بعد خروج محمد
فقال هذه رقعتك فقال نعم فقال وهذا المال واجب عليك قال نعم قال فخذ رقعتك
فقد وهبناه لك قال اذا تفضلت به يا أمير المؤمنين فانه واجب لو أجزت به على أحمد
ابن عروة عامل الاهوان وهو مقر به وأشهدك اني قد وهبته له فأغتاظ المأمون
وخرج عمرو وقد عرف غيظ المأمون وخطأه فيما عمله فلجأ الى أحمد بن أبي خالد
فأخبره بالخبر وكان يخصه فقال لا عليك فدخل الى المأمون فلما رآه قال ألا تعجب
يا أحمد من عمرو وهبناه ستة آلاف الف درهم بعد ان تجافينا له عن اضعافها فوهبها بين
يدي من أحمد بن عروة كأنه أراد ان يباريني ويصغر معروفي قال أو فعل هذا
يا أمير المؤمنين قال نعم قال لو لم بفعل هذا لوجب ان يسقط حاله قال وكيف قال لانه
لو استأثر به على أحمد بن عروة وآخذ أحمد بالمال وأداه اليه كان قد أخرجه من

معروفك صفرا ولما كانت نعمتك على عمرو نعمة على أحمد وهما خادمان وكان الأجل ان يتضاعف معروفك عندهما فقصد عمرو ذلك فصار المال تفضلا منك على عمرو وعلى أحمد بن عروة ومع ذلك فأنت سيد عمرو لا يعرف سيديا غيرك وعمرو سيد أحمد فاقتدي في أمر أحمد بما فعلته في أمره وأراد أيضاً ان يسير في ملوك الأمم ان خادماً من خدمك اتسع قلبه لهبة هذا المال من فضل احسانك إليه فيزيد في جلالة المملكة وجلالة قيمتها فيكسر ذلك الاعداء الذين يكاثرونك فسرى عن المأمون وزال ما بقلبه على عمرو * وغضب الرشيد على محمد بن الأشعث غضباً شديداً من كلام جرى بينهما فخاف جعفر أن يستفز الغضب فقال يا أمير المؤمنين انما تغضب لله فلا تغضب له بما لم يغضب به لنفسه فانهطف له الرشيد * أحضر هشام ابن عبد الملك ابراهيم بن أبي عيلة الذي تقلد ديوان الحكم لمروان بن محمد فقال له انا قد عرفناك صغيراً وخبرناك كبيراً وأريد ان أخلطك بحاشيتي وقد وليتك الخراج بمصر فاخرج إليها فأبى ابراهيم وقال ليس الخراج من عملي ولا لي بصربه فغضب هشام عليه غضباً شديداً حتى خاف ابراهيم بادرته فقال يا أمير المؤمنين تأذن لي في الكلام قال قل قال يقول الله عز وجل اننا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال الآية فوالله ما كرهها ولا سخط عليها ولقد ذم الانسان لما قبلها فقال هشام ابيت الاربعة فأعفاه ورضى عنه * استسلف موسى بن عبد الملك من بيت المال الخاصة مالا الى أجل قريب وضمن للمتوكل رده قبل الأجل والمال متأخر فاغتاز المتوكل من مدافعتة به وقال لعبد الله بن يحيى بن خلعان وقع اليه عنى برد المال اليوم وضيق عليه في المطالبة وأنفذ التوقيع مع عتاب بن عباب ومره بأن يطالبه فان أخر المال فاضربه بالمقارع في ديوان الخراج بحضرة الناس ولا ترفع المقارع عنه الا بحضور المال فأدى بعض الخدم الي موسى بالخبر فجلس ينظر في وجوه يرد منها المال ويحمد وصار اليه عتاب بالتوقيع مختوماً وكان ذلك اليوم شديد الحر وقد انتصف النهار وموسى في خيش له في حجرة من ديوانه يتناوب عليه فراشان يروحانه بها فدخل عتاب وفي يد موسى كتاب طويل يقرأه وقد أكب موسى عليه يتشاغل به عن خطاب عتاب وأصاب عتابا برد الخيش والمروحة فنام جالسا وقد ثقل وكان عتاب قد أخرج الكتاب الذي معه حين

جلس فوضعه على دواة موسى فغمز موسى بعض غلمانه فأخذ الكتاب بعينه ومازال عتاب ينام ويذنبه وموسى يعمل الى ان انقضت الهاجرة وقد توجه بعض المال وانفذ بعض أصحابه لقبضه فقال له عتاب أنظر فيما جئنا به قال أصلحك الله فيم جئت به قال فيما تضمن الكتاب قال أي كتاب قال الكتاب الذي أوصلته اليك من أمير المؤمنين قال متى قال الساعة وضعت على دواتك قال أحسبك رأيت في النوم شيئاً فطلب عتاب الكتاب فلم يجده فقال سرق الكتاب والله يا أصحاب الأخبار اكتبوا فقال موسى يا أصحاب الأخبار اكتبوا كذب فيما ادعاه ما أوصل الى كتابا وأنتم حضور فهل رأيتموه أوصل الى شيئاً لعلك يا أبا عبد الله الكذاب في طريقك فأنصرف عتاب الى عبد الله فأخبره فدخل عبد الله الى المتوكل فحدثه فضحك وقال احضروا موسى الساعة فحضر فقال له المتوكل يا موسى سرقت الكتاب من عتاب قال أي والله ياسيدي خمنت أنه كتاب بمكروه ونام عتاب قبل أن يوصل الكتاب فامرت من سرق منه الكتاب وقد أعددت نصف المال والساعة أحمله إلى بيت المال الخاصة وأحمل النصف الباقي بعد خمسة أيام وأقبل يتضرع فأتممت المتوكل معه من يتبعض المال وأنصرف وقد رضى عنه * ذكر المدائني في كتابه قال أرسل زياد إلى رجل من بني تميم من قعدة الخوارج فاستدماه فجاءه خائفاً فقال له زياد ما يمنعك من إتياني قال قدمت علينا وقلت لا أعديكم خيراً ولا شراً إلا وفيت به وأنجزته وقلت من كف لسانه ويده لم أتعرض له فكففت لسانى ويدي وجلست في بيتي فأمره بصلاة وخرج والناس لا يشكون انه قتيل فقالوا له ما قال لك الأمير فقال ما كلكم أستطيع أن أخبره بما كان عندنا ولكنى وصلت إلى رجل لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فرزق الله تعالى فيه خيراً أخبرني أبو الفرج الأصفهاني بأسناده أن المأمون أقام بعد قدومه إلى بغداد عشرين شهراً لم يسمع حرفاً من الأغاني ثم كان أول من تغنى بمحضرة أخوه أبو عيسى بن الرشيد ثم واطبه على السماع مستتراً متشبهاً بالرشيد في أول أمره فأقام المأمون كذلك أربع حجج ثم ظهر للندماء والمغنين وكان حين أحب السماع سأل عنى فخرجت بمحضرة فقال الطاعن على ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلفاء ما أبقى هذا من التيه شيئاً إلا استعمله فأمسك عن ذكرى وجفانى

من كان يصلاني لسوء رأيه الذي ظن فيَّ فأضر ذلك بي حتى جاءني علوية يوماً فقال أتأذن لي في ذكرك فانا قد دعينا اليوم فقلت لا ولكن غنه بهذا الشعر فانه سيبعثه على أن يسألك لمن هو ذا فاذا سألك لمن هو انفتح لك ما تريده فكان الجواب أسهل عليك من الابتداء قال هات فألقيت عليه لحنى في شعري يأسرحة الماء قدسدت موارده أما إليك طريق غير مسدود لحائهم حام حتى لا حيام له مخلاة عن طريق الماء مطرود قال أبو الفرج والغناء فيه لاسحق الموصلي رمل بالوسطى * رجع الحديث فغنى علوية لما استقر المجلس غناء بالشعر الذي أمره به فقال ويلك يا علوية لمن هذا الشعر فقلت سيدي لعبد من عبيدك جفوته وطرده من غير جرم فقال إسحق يغنى قلت نعم قال يحضر الساعة فجاءني رسوله فصرت إليه فلما دخلت عليه قال ادن مني فدنوت إليه فرفع يديه فأنكببت فاحتضنني بيديه وأظهر من يرى وإكرامى ما لو أظهره صديق لصديقه لسره



الباب الخامس

من خرج من حبس أو أسر أو اعتقال إلى سراح وسلامة وصلاح حال حدثنا أبو العباس أحمد المعروف بالأشرم المقرئ الخياط البغدادي بالبصرة بالاسناد عن رسول الله ﷺ يوم حنين أنه لما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسبائهم أدركته هوازن بالجعرانة قد أسلموا فقالوا يا رسول الله إنا أهل عشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله إن ما في الحظائر من النساء خالاتك وعماتك وحواضتك اللاتي تكفلنك ولو أنا صابحنا ابن أبي شمر النسائي أو النعمان بن المنذر * ثم أصابنا منهم الذي أصابنا منك رجونا عائدهما أو عطفهما وأنت خير المكفولين ثم أنشده شعرا
امن علينا رسول الله في كرم فانك المرء نرجوه وننتظر

امنن على بيضة قد عاقها قور مفرق شملها في دارها غير
 أبقت لنا الحرب أقواما على حذر على قلوبهم الغماء والغمر
 إن لم تداركهم نعماء تبشرهم يأرجح الناس حلما حين تختبر
 امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك تملاه من محضها درر
 لا تجعلنا كمن شالت نعمته واستبق منا فانا معشر زهر
 إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
 ياخير من مرحت كمت الجياد به عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
 فالبس العفو من قد كنت ترضعه من أمهاتك إن العفو مشتهر
 إنا نؤمل عفوا منك نلبسه هادي البرية إذ تعفو وتنتصر
 عفوا عفا الله عما أنت واهبه يوم القيامة إذ يهدي لك الظهر

فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر قال ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم
 فقالت قریش ما كان لنا فهو لله عز وجل ولرسوله ﷺ فأطلقهم * أخبرني
 أبو بكر الصولي قال كان القائم بن عبد الله الوزير قد تقدم عند وفاة المعتضد بالله
 إلى صاحب الشرطة يونس الخازن أن يوجه إلى عبد الله ابن المعتز وقصى بن المؤيد
 وعبد العزيز بن المعتمد فيحبسهم في دار ففعل ذلك وكانوا في الحبس خائفين إلى
 أن قدم المكتفي بالله ببغداد فعرف خبرهم وأمر بإطلاقهم ووصل كل واحد منهم
 بألف دينار حدثنا عبد الله بن المعتز قال سهرت ليلة قدم في صبيحتها المكتفي إلى
 ببغداد فلم أتم خوفاً على نفسي وقلقا بورودة فرت بي في السحر طير فصاحت
 فتمنيت أن أكون مثلها لما يجري على من النكبات ثم فكرت في نعم الله عز وجل
 وماخاره لي من الاسلام والقربة إلى رسول الله ﷺ وماؤمله من البقاء الدائم في
 الآخرة فقلت في الحال

يانفس صبرا لعل الخير عقباك حاشاك من بعد طول الامن دنياك
 مرت بنا سحرا طير فقلت لها طوباك ياليتني اياك طوباك
 لكن هو الدهر فألقيه على حذر قرب مثلك ينزو تحت اشراك

فلما أصبحت أفرج عني ووصلني بأشياء لم تكن في حسابي * حدثني علي بن
 هشام الكاتب عن أبي القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال لما بعد أبي إلى مصر

لازمت أبا عبادة البحتري وأبامعشر المنجم وكنت أسر بهما في وحدتي وملازمتي
 البيت وكانا في أكثر الأوقات عندي يحدثاني ويعاشراني فحدثاني يوماً أنهما ضاقتا
 أضاقة شديدة وكانا مصطحبين فعن لهما أن يلقيا المعتز بالله وهو محبوس فيتوددا
 إليه ويؤصلا عنده أصلاً فتوصلا حتى لقياه في حبسه قال البحتري فأنشدته
 أبياتاً التي قالتها في عهد بن يوسف الثغري لما حبس وخاطبت بها المعتز كافي عملتها
 إليه في الحال

﴿شعر﴾

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك من الحادثات المشكو والنازل المشكى
 وما هذه الأيام إلا منازل فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
 وقد هذبتك الحادثات وانما صفي الذهب الأبريز قبلك بالسبك
 أما في رسول الله يوسف أسوة لمثلك محبوساً على الظلم والافك
 أقام جميل الصبر في الحبس برهة نال به الصبر الجميل إلى الملك
 على أنه قد ضيم في حبسك العلي وأصبح عز الدين في قبضة الشرك
 فأخذ الرقعة التي فيها الآيات فرفعها إلى خادم كان واقفاً على رأسه وقال احفظها
 وغيبها فان فرج الله عز وجل عني فذكرني بها لا قضي حق هذا الرجل الحر
 وقال لي أبو معشر وقد كنت أنا أخذت مولده وقت عقده العتد ووقت عقدت
 البيعة للمستعين بالخلافة فنظرت في ذلك وصححت الحكم للمعتز بالخلافة بعد فتنة
 تجرى وحروب وحكمت على المستعين بالقتل فسلمت ذلك إلى المعتز وانصرفنا
 وضرب الدهر ضربه وصح الحكم بأمره قال لي أبو معشر فدخلت أنا والبحتري
 إلى المعتز بالله وهو خليفة بعد خلع المستعين وتغريقه فقال لي المعتز لم أنسك وقد
 صح حكمك وقد أجريت لك في كل شهر مائة دينار رزقا وثلاثين ديناراً نزلاً
 وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة وأمرت لك عاجلاً باطلاق ألف دينار صلة
 فقبضت ذلك كله من يومي وقال لي البحتري فتقدمت وأنشدت المعتز قصيدة
 مدحته بها وهنأته بالخلافة وهجوت فيها المستعين أولها
 يجانبنا في الحب من لا يجانبه ويبعد عنا في الهوى من تقاربه
 حتى انتهيت إلى قولي

وكيف رأيت الحق قرر قراره وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه
ولم يكن المعتز بالله إذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعرى من برد النبي مناكيه
وقد سرتني أن قيل وجد عاريا من الشرق تحدوسقته وركائبه
إلى واسط حيث الدجاج ولم يكن لينشب إلا في الدجاج مخالبه

قال فاستعاد منى هذه الآيات مرارا فأعدتها ودعا بالخدام الذي كان معه
في الحبس وطلب الرقعة التي كنت أنشدته الشعر الذي فيها في حبسه فأحضره
إياها بعينها فقال قد أمرت لك بكل بيت منها بألف دينار وكانت ستة أبيات
فأعطيت ستة آلاف دينار ثم قال لي كأنني بك قد بادرت فاشتريت منها غلاما
وفرسا وجارية والتفت وقال لا تفعل فإن لك فيما تستأنف معنا في أيامنا ومع
وزرائنا وأسبابنا إذا عرفوا موضعك عندنا غناء عن ذلك ولكن افعل بهذا
المال كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذي وصل إليه من عبد الله بن جعفر اشتر
به ضيعة جليلة تنتفع بغلتها ويبقى عليك وعلى ولدك أصلها فقلت السمع والطاعة
وخرجت فاشتريت بالمال ضيعة جليلة * أخبرني أبو بكر الصولي بإجازة ونقلته من
خطه * قال حدثني إبراهيم القنوي قال طوّل أبو سعيد الثغري بعد غزواته
المشهورة وسلم إلى أبي الخير النصراني الجهبذ ليستخرج المال منه فجعل يعذبه
فشق ذلك على المسلمين وقالوا آخذ به نار النصرانية فقال البحترى

أيا ضيعة الدنيا وضيعة أهلها والمسلمين وضيعة الإسلام
طلبت دخول الشرك في دار الهدى بين المداد والسن الأقلام
هذا ابن يوسف في يدي أعدائه يحزى على الأيام بالأيام
نامت بنو العباس عنه ولم تكن عنه أمية لو دعت بذيام
فقرىء هذا الشعر على المتوكل فأمر بإطلاق أبي سعيد وأمر باحضار البحترى
واتصل به وكان أول شعر أنشده * جعلت فداك الدهر ليس بمنفك

وجدت في كتاب صاحب أبي الفرج الخزومي الخطي عن أبي طالب الجعفرى
أنه سمع رجلا يحدث عن عبد بن الفضل الجرجاني في وزارته للمعتصم قال كنت
أتولى ضياع عجيف بكسار فرفع على أنى خنته وأخرت الضياع فأنفذ إلي من يقيدني

فأدخلت عليه في داره بسر من رأى على تلك الحالة فإذا هو يطوف على ضياع فيها فلما نظرني شتمني فقال أخربت الضياع ونهبت الأموال والله لأقتلنك هاتوا السياط فأحضرت وسحبت للضرب فلما رأيت ذلك ذهب على أمرى وبلت على ساقى ونظر كاتبه إليّ فقال لعجيف أعز الله الأمير أنت مشغول القلب بهذا البناء وضرب هذا وقتله في أيدينا ليس يفوت فرم بحبسه وانظر في أمره فإن كانت الواقعة صحيحة فليس يفوتك عقوبته وإن كانت باطلة لم تتعجل الانتم وتنقطع عما أنت بسببه من الهم فأمرني إلى الحبس فكشيت به أياما وغزا أمير المؤمنين المعتصم فأتصل بكاتبه الخبر فأمر باطلاقى وأطلقني وخرجت وما اهتدى إلى حبة فضة فما فوقها فقصدت صاحب الديوان بسر من رأى فتوجع من سوء حالى وعرض على ماله فقلت بل تنفضل بتصريفى في شيء أستتر بجائزته فقلدنى عملا بنواحي ديار ربيعة واقتضت من التجار لما سمعوا خبر ولايتى ما تجملت به إلى العمل وخرجت وكان من ضياع العمل ضيعة تعرف بكراثا فرأيتها في بعض طريقى ونزلت دارا منها فلما كان السحر وجدت المستحم ضيقاً غير نظيف وخرجت من الدار فإذا بتل جلست أبول عليه وخرج صاحب الدار فقال أتدرى على أي شيء بلت قلت على تل تراب فضحك وقال هذا قبر رجل يعرف بعجيف من قواد السلطان كان سيخط عليه وحمل مقيدا فلما صار إلى ههنا قتل وطرح في هذا المكان تحت حائط فلما انصرف العسكر طرحنا الحائط عليه لنواريه من الكلاب قال فتعجبت من بولي خوفا منه وبولي على قبره * وروى ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي معمر عن رجل من أهل الكوفة قال كنا مع مسلمة بن عبد الملك ببلاد الروم فسبنا سببا كثيرا وأقام ببعض المنازل فعرض السبي على السيف فقتل خلقا حتى عرض عليه شيخ ضعيف فأمر بقتله فقال ما حاجتك إلى قتل شيخ مثلى إن تركتني جئت بك بأسيرين من المسلمين شاينين قال ومن لى بذلك قال انى إذا وعدت وفيت قال لست أثق إليك قال فدعنى أطوف في عسكرك لعلى أعرف من يكفلنى إلى أن أمضى وأجىء بالأسيرين فوكل به من أمر بالطواف معه في عسكره والاحتفاظ به فما زال الشيخ يطوف ويتصفح

الوجوه حتى مر بفتى من بنى كلاب قائماً يحسن فرسه فقال يا فتى اضمنى من الأمير
وقص عليه قصته قال افعل وجاء الفتى معه إلى مسامة فضمنه فأطلقه مسامة فلما
مضى قال أتعرفه قال لا والله قال ولم ضمنته قال رأيتك يتصفح الوجوه فاختراني
من بينهم وكرهت أن اخلفه ظنه فلما كان من الغد عاد الشيخ ومعه أسيران من
المسلمين شابان فدفعهما إلى مسامة وقال يأذن الأمير في هذا الفتى أن يصير معي
إلى حصنى لا كافئه على فعله معي قال مسامة للكافي أن شئت فامض معه فلما مضى
وصار معه إلى حصنه قال له يا فتى تعلم والله أنك ابني قال وكيف أكون ابنك
وأنا رجل من العرب مسلم وأنت من الروم نصراني قال أخبرني عن أمك ماهي
قال رومية قال فاني أصفها لك فبالله أن صدقت الا صدقتني قال افعل فأقبل الرومي
يصف أم الصبي ما خرج منها شيئاً فقال هي كذلك فكيف عرفت اني ابنها قال
بالشبه وتعارف الأرواح وصدق الفراسة ثم أخرج إليه امرأة فلما رآها الفتى لم
يشك في انها أمه لشدة شبهها بها وخرجت معها عجوز كأنها هي فأقبلن يقبلن
رأس الفتى فقال له الشيخ هذه جدتك وهذه خالتك ثم طلع من حصنه فدعا
بشباب في الصحراء فأقبلوا فكلهم بالرومية فجعلوا يقبلون رأس الفتى ويديه
ورجليه ويترشفونه فقال هؤلاء اخوالك وبنو خالتك وبنو عم والدتك ثم أخرج
إليه حلياً كثيراً وثياباً فاخرة فقال هذا لوالدتك عندنا منذ سببت نخذه معك
فادفعه اليها فانها ستعرفه ثم أعطاه لنفسه مالا كثيراً وثياباً جليلاً وحمله على عدة
دواب وبغال والحقه بعسكر مسامة وانصرف فأقبل الفتى قافلاً حتى دخل منزله
فأقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرفه الشيخ انه لأمه فتراه فتبكي فيقول لها
قد وهبته لك فلما أكثر هذا عليها قالت يا بني اسألك بالله من أي بلد صارت
إليك هذه الثياب وهل قتلتم أهل هذا الحصن الذي كان هذا فيه فقال لها الفتى
صفة الحصن كذا وكذا وصفة البلد كذا وكذا ورأيت فيه قوماً من حالهم كذا
فوصف لها أمها وأختها وأولادها وهي تبكي وتتلقي فقال لها ما يبكيك فقالت
الشيخ والله والله أبي والعجوز أمي وتلك أختي فقص عليها الخبر وأخرج بقية
ما كان معه مما أنفذه أبوها إليها فدفعه لها * وجدت في كتاب أبي الفرج الخزومي
الحنطى عن أبي أمية الهشامى بإسناده عن منارة صاحب الخلفاء قال رفع إلى

هرون الرشيد ان رجلا بدمشق من بقايا بني أمية عظيم الجاه واسع الدنيا كثير
المال والأموال مطاعا في البلد له جماعة وأولاد وماليك وموال يركبون الخيل
ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه
لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذه الحال
وهو في الكوفة في بعض خرجاته الى الحج في سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد
من الموسم وبيع أمير المؤمنين الأمين والمأسون والمؤمن أولاده فدعاني وهو
خال فقال اني دعوتك لأمر يهمني وقد منعتي النوم فانظر كيف تعمل وتكون ثم
قص على خبر الأموي وقال أخرج الساعة فقد أعددت لك الجهيزات وأزحت
عنك في الزاد والنفقة والآلات فضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي
الى أمير دمشق ليركب في جيشه فاقبضوا عليه وجئني به وقد أجملتك لذهابك
سته ولعودك ستة ويوماً لعودك وهذا محمل تجعله في شقة إذا قيده وتجلس
أنت في الشق الآخر ولا تكل حفظه الي غيرك حتى تأتيني به اليوم الرابع عشر من
خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع ما فيها وولده وأهله وحاشيته وغلمانه
وما يقولون وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفاً حرفاً من
جميع الفاظه منذ وقوع طرفك عليه الى ان تأتيني به وإياك ان يشذ عليك شيء
من أمره انطلق قال منارة فودعته وخرجت فركبت الابل وسرت اطوى المنازل
وأسير الليل والنهار ولا انزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلاً
الى ان وصلت الى دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت طرقها
ونمت بظاهرها الى ان فتح بابها من غد فدخلت على هيئتي حتى أتيت باب الرجل
وعليه طفف كثيرة وحاشية كثيرة فلم استأذن ودخلت بغير اذن فلما رأى القوم
ذلك سألوا بعض من معي عنى فقالوا هذا منارة صاحب أمير المؤمنين أرسله
أمير المؤمنين الى صاحبكم فأمسكوا فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلساً
رأيت فيه قوما جلوساً فظننت ان الرجل فيهم فقاموا الى ورحبوا بي واكرموني
فقلت أفيكم فلان قالوا لانحن أولاده وهو في الحمام قلت فاستعجلوه ففضى بعضهم
يستعجله وأنا افتقد الدار والأحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت بأهلها موجاً
شديداً فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد ان أطل فاستربت واشتد قلتي

وخوفى من أن يتواري إلى أن رأيت شيخا قد أقبل بزي الحمام يمشى في الصحن
وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان هم أولاده وغلaman كثيرة فعلمت أنه الرجل
خفاء وسلم على سلاماً خفيفاً وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته
فأخبرته بما وجب وما قضى كلامه حتى جاءه بأطباق الفاكهة فقال لي تقدم
يا منارة كل معنا فقلت ما بي إلى ذلك حاجة فلم يعاودني فأقبل يأكل هو
والحاضرون معه ثم غسل يده ودعا بالطعام فخاءوه بمائدة حسنة عظيمة لم أر مثلها
إلا للخليفة فقال لي تقدم يا منارة فساعدني على الأكل لا يزيدني على أن يدعوني
باسمى كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه فما طودني وأكل هو وأولاده وكانوا تسعة
وجماعة كثيرة من أصحابه وتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت
جاشه رابضاً وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن ووجدته لا يرفع من
بين يديه شيء قد جعل على المائدة إلا ويوهب وقد كان غلامانه لما نزلت الدار
أخذوا جمالي وجميع غلمانى فعدلوا بهم إلى دار له فما أطاقوا مما نعمتهم وبقيت
وحدى ليس بين يدي إلا خمسة أوسنة غلمان وقوف على رأسي فقلت في نفسي
هذا جبار عنيد وإن امتنع على من الشخوص لم أطق أشيخه بنفسى ولا بمن معى
ولا حفظه إلى أن يلحقنى أمير البلد وجزعت جزعا شديدا ورأيت منه استخفافه
بي وتهاون به بأمرى ويدعوني باسمى ولا يفكر في امتناعى من الأكل ولا يسألنى عما
جئت له ويأكل مطمئنا وأنا أفكر في ذلك إذ فرغ من طعامه وغسل يده واستدعى
بالبخور فتبخر وأقام الصلاة فصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال ورأيت صلاته
حسنة فلما انقضى من صلاته أقبل على فقال ما أقدمك يا منارة فقلت أمر لك من
أمير المؤمنين وأخرجت الكتاب ودفعته إليه ففضه وقرأه ولما استتم قراءته دعا
أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق فلم أشك أنه يريد أن يوقع بي فلما تكاملوا
ابتدأ خلف أيماناً غليظة فيها الطلاق والعناق والحج والصدقة والوقف والحبس
ان اجتمع منهم اثنان في موضع وان ينصرفوا ويدخلوا غلامانه وحاشيته منازلهم
فلا يظهر منهم أحد إلى أن ينكشف له أمر يعمل عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين
يأمرني بالمسير إلى بابه ولست أقيم بعد نظرى فيه لحظة واحدة فستوصوا بمن
ورائى من الحرم خيرا وما بي حاجة أن يصحبني غلام هات أقيادك يا منارة

فدعوت بها وكانت في سفط وأحضر حدادا ومد ساقيه فقيدته وأمرت غلمانى بحمله حتى حصل في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقى ولم ألق أمير البلد ولا غيره وسرت بالرجل ليس معه أحد إلى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثنى بانبساط حتى انتهينا إلى بستان حسن في الغوطة فقال لى ترى هذا قلت نعم قال انه لى ولى فيه غرائب من الأشجار كيت وكيت ثم انتهى إلى بستان آخر فقال لى فيه مثل ذلك ثم انتهينا إلى مزارع حسان وقرى سرية فأقبل يقول هذا لى ويصف كل شىء فيه من ذلك فاشتد غيظى منه فقلت له علمت انى شديد التعجب منك قال فلم قلت أليست تعلم أن أمير المؤمنين قد أهمه أمرك حتى أتقذ إليك من انتزاعك من بين أهلك وولدك ومالك وأخرجك من جميع حالك وحيدا فريدا مقيدا لا تدرى ما تصير إليه ولا كيف تكون وأنت فارغ القلب من هذا تصف بساتينك وضياحك هذه وأنت ساكن القلب قليل الفكر فقال لى محييا إن الله وإنا إليه راجعون أخطأت فراستى فيك قد رتك رجلا كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء هذا المحل إلا بعد أن عرفوك بذلك فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقولهم والله المستعان أما قولك فى أمير المؤمنين وإزاجه وإخراجه إياي إلى بابه على صورتى هذه فانى على ثقة بالله عز وجل الذى بيده ملكوت السموات والأرض شاهد كل نجوى وكاشف كل بلوى حاضر كل سريرة وبيده ناصية أمير المؤمنين ولا يملك معه لنفسه نفعا ولا ضرا إلا باذن الله ومشيتته ولا ذنب لى عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف أمرى وعلم سلامتى وصلاح حالى وإن الحسدة والأعداء رموني عنده بما لست فى طريقه وتقولوا على الأقاويل السكاذبة لم يستحل دمي ويخرج من ذمتى وإزاجى وردى مكرما أو إقامتى ببابه معظما وإن كان قد سبق فى علم الله تعالى أنه يبدو منه إلى بادرة سوء وقد حضر أجلى وحان سفك دمي على يده ذلوا اجتهدت الملائكة والأنبياء وأهل السماء والأرض على صرف ذلك عنى ما استطاعوا فلم أتعجل الغم وأسلف الفكر فيما قد فرغ منه وأين حسن الظن بالله عز وجل الذى خلق ورزق وأحيا وأمات وفطر وجبل وأحسن وأجمل وأبصر والرضا والتفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة وقد كنت أحسب أنك تعرف هذا فاذا قد عرفت مبلغ

فهمك لا اكلمك أبدا بكلمة واحدة حتى تعرف حضرة أمير المؤمنين بيننا ان شاء الله تعالى ثم أعرض عني فما سمعت له لفظة بغير القرآن والتسبيح الا بطلب ماء أو حاجة تجرى مجراه حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر فاذا النجب قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني رجعوا متقدمين لي بالخبر الى أمير المؤمنين فانهتيت الى الباب في آخر النهار فخطت ودخلت على الرشيد فقبلت الأرض بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك وإياك ان تغفل منه عن لفظة واحدة فسقت الحديث الى آخره حتى انتهيت الى الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجهه ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الأموى من الصلاة واقباله إلى ومسالته عن سبب قدومي ودفعى الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وأنسابه وأهله وأصحابه وحلفه لهم ان لا يتبعه أحد منهم وصرفه اياهم ومدرجه حتى قيده فزال وجه الرشيد يسمر فلما انتهيت الى ما خاطبني به عند تو بيخى اياه لما ركب المحمل قال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري قد أزعجناه وروعناه وأرعنا أهله فبادر بنزع قيوده عنه واثنتى به فخرجت ونزعت قيوده وأدخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رأيت ماء الحياة يحول في وجهه فدنا الأموى وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد ردا جميلا وأمره بالجلوس فجلس فأقبل عليه الرشيد يسأله عن حاله ثم قال له انه بلغنا عنك فضل هيئة وأمور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذا ذكر حاجاتك فأجاب الأموى جوابا جميلا وشكر ودعاء وقال أما حاجاتى فمالى الا حاجة واحدة قال مقضية فهاهى قال يا أمير المؤمنين تردنى الى بلدى واهلى وولدى قال نحن نفعل ذلك ولكن سل ما تحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخلوان يحتاج الى شئ من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعد له عن مسألته من ماله واموري منتظمة وأحوالى مستقيمة وكذلك أمور أهل البلد بالعدل الشامل في ظل دولة أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب لنا بأمر ان عرض لك فودعه الاموي فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة اجمله من وقتك وسر راجعا كما سيرته حتى إذا أوصلته الى المجلس الذى أخذته منه فدعه وانصرف

ففعلت ذلك * حدثني علي بن هشام قال سمعت أبا الحسن علي بن عيسى يتحدث قال سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب يقول حدثني أبي قال كنت أنا والعباس ابن الخصيب مع خلق من العمال والكتاب معتقلين في يدي محمد بن عبد الملك في آخر وزارته للوائح نطالب ببقيا مصادرات ونحن في إياس من الفرج إذا شدت علة الوائح وحجب ستة أيام عن الناس فدخل إليه أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد القاضي فقال له الوائح يا أبا عبد الله وكان يكنيه ذهب من الدنيا والآخرة قال كلا يا أمير المؤمنين قال بلى والله قد ذهب من الدنيا بما ترى من حضور الموت وذهبت الآخرة بما أسلفت من العمل القبيح فهل عندك شيء من دواء قال نعم يا أمير المؤمنين قد عزل محمد بن عبد الملك كثيرا من الكتاب والعمال وملأ بهم الحبوس ولم يتحصل من جهتهم على شيء كثير وهم عدد كثير ووراءهم ألف يد ترفع إلى الله عز وجل بالدعاء عليك فتأمر باطلاقهم لترتفع تلك الأيدي بالدعاء لك فلعل الله يهبك العافية وعلى كل حال أنت محتاج إلى أن تقل خصومك فقال نعم ما أشرت به وقع إليه غنى باطلاقهم فقلت أن رأى خطي طاند ولج ولكن يغتم أمير المؤمنين الثواب ويتساند ويحمل على نفسه ويوقع بخطه فوق الوائح بخط مضطرب إلى ابن الزيات باطلاقهم واطلاق كل من في الحبس من غير استئذان ولا مراجعة وتقدم إلى ايناخ أن يمضى بالتوقيع ولا يدعه يعمل شيئا أو يطلقهم وإن يحول بينه وبين الوصول إليه أو كتب رقعة أو اشتغل بشيء ألبته إلا بعد إطلاقهم وأنه إن لقيه في الطريق أن ينزله عن دابته ويجلسه في الطريق حتى يفرغ من ذلك فتوجه ايناخ فلقى ابن الزيات راكباً يريد الخليفة فقال له تنزل عن دابتك وتجلس على غاشيتك فارتاع وظن الحال به قد وقعت فنزل وجلس على غاشيته فأوصل إليه التوقيع فامتنع وقال إذا أطلقت هؤلاء فمن أين أتفق الأموال وأقيم الأتراك فقال لا بد من ذلك فقال اركب واستأذنه فقال لا سبيل إلى ذلك قال فدعني أكتبه قال ولا هذا فما برح من موضعه حتى وقع باطلاق الناس فصار ايناخ إلينا ونحن في الحبس إياس من الفرج وقد بلغنا التلف وبلغنا اشتداد علة الوائح وأرجف لابنه بالخلافة وكان صبيا نحفنا أن يتم ذلك فيجعل ابن الزيات الصبي شيخا ويتولى التدبير فيتلفنا وقد امتنعنا لفرط الغم من الأكل

فلما دخل ايناخ الحبس لم نشك أنه قد حضر لبليّة فأطلقنا وعرفنا الصورة فدعونا الله عز وجل لابن أبي دؤاد وللخليفة وانصرفنا إلى منازلنا لحظة ثم خرجنا فوقفنا لأبي عبد الله بن أبي دؤاد على الطريق فننظر عوده من دار الخلافة إلى داره فحين رأيناه ترجلنا له ودعونا له وشكرناه فأكبر ذلك عليه ومنعنا من الترجل فلم نمتنع فوقف حتى ركبنا وسائرنا إلى منازلنا وأخذ يخبرنا بالخبر ونحن نشكره وهو يقتصر ما فعل ويقول هذا أقل حقوقكم وكان الذي لقيه أنا وأحمد بن الحبيب وقال ستمعلمان ما أعمله مستأنفا ورجع ابن أبي دؤاد إلى دار الخلافة عشيا فقال له الواصل قد تبركت برأيك يا أبا عبد الله ووجدت خفا من العلة ونشطت للأكل فأكلت وزن خمسة دراهم من الخبز بصدر دراج فقال له أبو عبد الله يا أمير المؤمنين تلك الأيدي التي كانت تدعو عليك غدوة صارت تدعو لك عشية ويدعو لك بسببهم خلق كثير من رعيتك إلا أنهم قد صاروا إلى دور خراب وأحوال قبيحة بلا فرش ولا كسوة ولا دواب ولا ضياع موتى جوعا وهزالا قال فما ترى قال يا أمير المؤمنين في الخزائن والاصطبلات بقايا ما أخذ منهم فلو أمرت أن ينظر في ذلك فكل من وجد له شيء باق من هذا رد عليه وأطلقت عن ضياعهم لعاشوا وخف الأثم وتضاعف الدعاء وقويت العافية قال فوقع بذلك عني فوقع عنه ابن أبي دؤاد فما شعرنا من الغد إلا وقد رجعت نعمنا علينا ومات الواصل بعد ثلاثة أيام وفرج الله عز وجل عنا بابن أبي دؤاد وبقيت له المكرمة العظيمة في أعناقنا حدثني أبو الحسن علي بن هشام قل سمعت أبا الحسن علي بن عيسى وأبا الحسن الأيادي الكاتب يقولان كان عبيد الله بن سليمان يقول كنت بحضرة أبي في ديوان الخراج بسر من رأى وهو يتولاه إذ دخل عليه أحمد بن خالد الصرفي الكاتب فقام إليه أبي قائما من مجلسه وأقعده في صدره وتشاغل به ولم ينظر في عمل حتى نهض ثم قام معه وأمر غلمانا بالخروج بين يديه فاستعظمت أنا وكل من في المجلس هذا لأن رسم أصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لأحد ممن خلق الله تعالى ممن يدخل إليهم فتبين أبي ذلك في وجهي فقال لي يا بني إذا خلونا فسالني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل قال وكان أبي يأكل في الديوان وينام فيه ويعمل عشيا فلما جلسنا نأكل لم أذكره إلى أن

رأيت الطعام كاد ينتفضي فتعال لي هو يا بني شغللك الطعام عما قلت لك أن تذكري
 به فقلت لا ولكن أردت أن يكون ذلك على خلوة فقال يا بني هذه خلوة أأست
 أنكرت أنت والحاضرون قيامي لأحمد بن خالد عند دخوله وخروجه وما عاملته
 به قلت نعم فقال كان هذا يتقلد مصر فصرف عنها وقد كانت مدته فيها طالت
 فوطئت آثار رجل لم أر أجمل آثارا منه ولا أعف عن أموال السلطان والرعية ولا
 رأيت رعية لعامل أشكر من رعيته له وكان الحسين المعروف بعرق الموت الخادم
 صاحب البريد بمصر أصدق الناس لنفع هذا وهو من أبغض الناس إليّ وأشدّهم
 اضطراب أخلاق فلم أتعلق عليه بحجة ووجدته قد أفرغ الحساب لسنة متقدمة
 لسنته التي هو فيها ولم ينفذه إلي الديوان فسألته أن يحط من الدخل ويزيد في
 النفقات والأرزاق ويكثر من البقايا في كل سنة مائة ألف دينار لآخذها لنفسه
 فامتنع من ذلك فأغلظته له وتوعده ونزلت معه إلى مائة ألف واحدة في السنتين
 وحلفت بأيمان مؤكدة اني لا أقنع منه بأقل من هذا فأقام على امتناعه وقال أنا
 لا أخون لنفسه فكيف أخون لغيري وأزيل ما قام به جاهي من العفاف خبسته
 وقيدته فلم يحب وأقام مقيدا في الحبس شهورا وكتب عرق الموت يضرب على
 عند المتوكل ويحلف ان أموال مصر لا تأتي بنفقتي ومؤنتي ويصف أحمد بن خالد
 ويذكر ميل الرعية اليه وعفته فأناذات يوم على المائدة آكل إذ وردت إلي رقعة
 أحمد بن خالد يسألني استدعائه لمهم يلقيه إلى فلم أشك انه قد ضاق بالحبس والقيود
 وقد عزم على الاستجابة لمرادى فلما غسلت يدي دعوته فاستخلاني فأخلىته فقال
 اما أن لك ياسيدي ان ترق لي مما أنا فيه من غير ذنب اليك ولا جرم ولا قديم
 دخل ولا عداوة فقلت انت اخترت لنفسك هذا وقد سمعت يميني وليس منها
 مخرج فاستجب لما أمرت به واخرج فأخذ يستعطفني ويخدمني ويخضعني فقال
 لي ياسيدي فليس الآن عندك غير هذا فقلت لا فقال إذا كان ليس غير هذا
 فأقرأ ياسيدي وأخرج إلى كتابا لطيفا مختوما في ربع قرطاس ففضضته فاذا هو
 بخط المتوكل الذي أعرفه وهو الى يأمرني فيه بالانصراف وتسليم ما أتولاه إلي
 أحمد ابن خالد والخروج اليه مما يلزمني ورفع الحساب فورد على أقبح مورد لقرب
 عهد الرجل بشتمى له واساءتي إليه فأمسكت مبهوتا ولم ألبث ان دخل أمير البلد

في أصحابه وغلما نه فوكل بداري وبجميع ما أملاكه وبأصحابي وغلما ني وجها بذي
 وكتابي وجعلت ازحف من صدر المحل حتى صرت بين يدي أحمد بن خالد ودعا
 أمير البلد بمحمد بن فوكل قايما وقال لي يا أبا أيوب أنت قريب عهد بعالة
 هذا البلد ولا منزل لك فيه ولا صديق ومعك حرم وحاشية كثيرة وليست
 تسعك الا هذه الدار وكانت دار العالة وأنا أجد عدة مواضع غيرها وليس لي
 كثير حاشية ومن نكبة خرجت فأقم بمكانك وخرج وصرف المتوكل بالدار
 وأخذ كاتي وأسبابي اليه فلما انصرف قلت لغلما ني هذا الذي نراه في النوم
 انظروا من وكل بنا فقالوا ما وكل بنا أحد فعجبت من ذلك عجباً عظيماً وما صليت
 العصر حتى عاد إلى من كان حمله معه من المتصرفين والكتاب والجها بذة مطلقين
 وقالوا أخذ خطوطنا برفع الحساب وأمرنا بالملازمة وأطلقنا قال فازداد عجبني فلما
 كان من غد با كرني مسلماً ورحلت اليه في عشية ذلك اليوم وأقمت ثلاثين يوماً
 إن سبقتني إلى الحجى وإلا رحت اليه وإن راح إلى وإلا با كرتة وفي كل يوم تجهيئني
 هداياه والطافه من الثلج والفاكهة والحيوان والحلوى فلما كان بعد الثلاثين يوماً
 جاءني وقال قد عشقت مصر يا أبا أيوب والله ما هي طيبة الهواء ولا عذبة الماء
 وإنما تطيب بالولاية والا كساب ولو قد دخلت إلى سر من رأى لما أقمت بها إلا
 شهراً واحداً حتى تتقلد أحد الأعمال فقلت والله ما أنا إلا متوقع لأمر
 في الخروج فقال أعطني خط كاتبك بأن عليه القيام بالحساب واخرج في حفظ
 الله فأحضرت كاتي وأخذت خطه كما أراد وسلمته اليه وقال لي اخرج أي يوم
 شئت فخرجت من غد فخرج هو وأمير البلد وقاضيه وأهله فشيعوني إلى ظاهر
 البلد وقالوا لي تقيم في أول منزل على خمسة فراسخ إلى أن أزيح علة قائد ويصحبك
 برجاله إلى الرملة فإن الطريق فاسد فاستوحشت لذلك وقلت هذا إنما غرني حتى
 أخرج كل ما أملاكه فيتمكن منه في ظاهر البلد فيغتصبه ثم يرذني إلى الحبس والتوكيل
 والمطالبة ويحتج على بكتاب ثان يذكر أنه ورد من المتوكل فخرجت فأقمت
 بالمرحلة التي أمر بها مستسلماً متوقفاً للشر إلى أن رأيت أوائل عسكر مقبل من مصر
 فقلت لعلة القائد الذي يريد أن يصحبني إياه أو لعلة الذي يريد أن يقبض على
 به فأمرت غلما ني بمعرفة الخبر فقالوا العامل أحمد بن خالد قد جاء فلم أشك في أنه

قد ورد البلاء بوروده فخرجت من مضربي فلقيته وسلمت عليه فلما جلس وسلم قال أخلونا فلم أشك أنه للقبض على وطار عقلي فقام من كان عندي فلما لم يبق أحد قال أنا أعلم أن أيامك لم تطل بمصر ولا حظيت بكثير فائدة وذلك الباب الذي سألتني في ولايتك فلم أجب إليه إنما أخرت الاذن لك في الانصراف منذ أول الأمر إلى الآن لأنني تشاغلته بالفراغ لك منه وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات كل سنة خمسة عشر ألف دينار تكون في السنتين ثلاثين ألف دينار وهو يقرب ولا يظهر ويكون أيسر مما أردته مني في ذلك الوقت وقد تشاغلته به حتى جمعته لك وهذا المال على البغال فقدم إلي من يستلمه فتقدمت لقبضه وقبلت يده وقلت قد والله ياسيدي فعلت ما لم تفعل البرامكة فأذكر ذلك مني وتقبض منه وقبل يدي ورجلي وقال هاهنا شيء آخر أريد أن تقبله مني فقلت ماهو قال خمسة آلاف دينار قد استحققتها من رزقي فامتنعت وقلت فيما قد تفضلت به كفاية خلف أني أقبلها منه فقبلتها فقال وهذه الطاف من هدايا مصر أحببت أن أصبحك إياها فانك ستصير إلى كتاب الدواوين ورؤساء الحضرة ويقولون لك وليت مصر فإين نصيبنا من هداياها ولم تطل أيامك فتعد ذلك لهم وقد جمعت لك منه ما يشتمل عليه هذا الثبت وأخرج درجاً فيه ثبت جامع لكل شيء في الدنيا حسن ظريف جليل القدر من ثياب ديبقي وقصب وخدم وبغال ودواب وحمير وفرش وطيب كثير وما يكون فيه الجميع مال كثير فأمرت بتسليمه وزدت في شكره فقال لي ياسيدي أنا مغري بحب الفرش وقد عمل لي بيت أرمني بأرمينية وهو عشر مصليات بمخادها ومساندها ومطارجها وبساطها وهو مذهب بطرز مذهب قد قام على بخمسة آلاف دينار على شدة احتياطي فان أهديته إلي الوزير عبدك وان أهديته إلي الخليفة ملكته به وان أبقيته لنفسك وتجملت به كان أحب إلي وحمله إلي فما رأيت مثله قط ولم تسمح نفسي بأهدائه إلى أحد ولا استعماله فما ابتذلت منه شيئاً إلا يوم اعذارك فهل تلومني يا بني بعد ذلك على ان أقوم لهذا الرجل قال فقلت لا والله يا أباي ولا على ماهو اكثر من القيام لو كان مستظاعاً قال فكان أبي بعد ذلك إذا صرف رجلاً عامله بكل جميل يقدر عليه ويقول عامنا أحمد بن خالد حسن التصرف * حدثنا أبو علي الحسين بن محمد بن موسى الانباري

الكاتب الذي كان زوج ابنة المهلب بن عبد ربه بن عبيد الله بن القاسم بن عبيد الله لما تقرد بالوزارة بعد موت أبيه كان يحب الشرب واللعب ويخاف ان يتصل بالمعتضد خبره فيستنقصه وينسبه الى الصبوة والتهتك والتشاغل واللذات عن الأعمال وكان لا يشرب الا في حالين على اخفاء وأستر ما يكون وانه خلا يوما مع جوار مغنيات ولبس من ثيابهن المصبغات وأحضر فواكه كثيرة وشرب ولعب من نصف نهار يوم الى نصف الليلة الأخرى ونام بقية الليلة وبكر الى المعتضد للخدمة على رسمه فما أنكر شيئا وبكر في اليوم الثاني فحين وقعت عين المعتضد عليه قال له يا قاسم ما كان عليك لو دعوتنا الى خلوتك وألبستنا معك من ثيابك المصبغات قال فقبل الأرض وروى عن الصدوق وأظهر الشكر على هذا البسط وخرج وقد كاد يتلف غما للوقوف المعتضد على هذا القدر من أمره وكيف لا تخفى عليه موافقه فجاء الى داره كئيبا وكان له في داره صاحب خبر يقال له خالد يرفع إليه أمورهما فأحضره وعرفه بما جرى بينه وبين المعتضد وقال له ان بحثت لي عن أخرج هذا الخبر اليه زدت في رزقك واجزت لك كذا وان لم تعرفه نفيتك الى عمان وحلف له على الأمرين فخرج صاحب خبره من حضرته متحيرا كئيبا لا يدري ما يعمل يومه ويفكر ويحتال ويجتهد فما وقع له رأى يعمل عليه قال صاحب الخبر فلما كان من الغد بكرت الى دار القاسم زيادة تكبير على ما جرى به رسمي لفطر سهري وقلقي تلك الليلة ومحبي للبحث فجت ولم يفتح باب دار القاسم بعد فجلست فاذا برجل يزحف في ثياب المسكين ومعه مخلاة كما يكون مع المسكين فلما جاء الى الباب جلس حتى فتح فسايقني الى الدخول فأولع به البوابون وقالوا أي شيء خبرك يا فلان وصفعوه فزحهم وطايهم وشتهم وشتموه وجلس في الدهليز فقال الوزير يركب اليوم قلوا نعم الساعة يركب قال وأي وقت نام البارحة قالوا وقت كذا وكذا فلما رأته يسأل عن هذا خمنت انه صاحب خبر فاصغيت إليه ولم أرهم يحفلون بأمره وهو لم يدع بوابا ممن وصل الى الوزير وممن لم يصل الا سأله عنه وحدثه به ويبدو به باحاديث آخر على سبيل الفضول ثم زحف فدخل الى جنب أصحاب الستور فأخذ معهم في مثل ذلك وأخذوا معه في مثله ثم زحف فدخل الى دار العامة فقلت لأصحاب الستور من هذا فقالوا رجل زمن فقير أبله طيب النفس يدخل الدار ويتطايب

ويتصدق فيه له الغلمان والمتصرفون فتبعته الى ان دخل المطبخ فسأل عما اكل
الوزير ومن كان معه على المائدة وفي أى شىء أفاضوا والطباخ وغلمان وغلمان
صاحب المائدة كل واحد يخبره بشىء ثم خرج يزحف حتى دخل حجرة الشراب
فلم يزل يبحث عن كل شىء ويحدث ثم خرج الى خزانة الكسوة فكانت حالته
وصورته هذه ثم جاء الى مجلس الكتاب فى الديوان فقص وأقبل يسمع ما يجرى
ويسأل الصبي بعد الصبي والحدث بعد الحدث عن الشىء بعد الشىء ويستخير الخبير
فى كل موضع من تلك المواضع ويتبعه ويخلط الجدل بالمزاح والتطايب بكلامه
والأخبار تنجر إليه وتتساقط عليه والقطع تجميعه وهو يملا تلك الخلات فلما فرغ
من هذا أقبل راجعا يريد الباب فلما بلغه قبضت عليه فأدخلته بيتا وأغلقت عليه
وجلست على بابه فلما خلا الوزير أعلمته فقال أحضرلى الرجل وفى رواية أخرى
انه لما بلغ الباب تبعته فرجع حتى جاء الى موضع من الخلد فدخل إليه ووقفت
انتظره فاذا هو بعد ساعة قد خرج بشباب حسان ماشيا بغير قلبه فتبعته حتى جاء
الى دار قرب دار الخادم الموكل بحفظ دار ابن طاهر فدخلها فسألت عنها فقالوا
هذه دار فلان الهاشمى رجل متجمل فرصدته الى وقت المغرب فجاء خادم من دار
ابن طاهر ففتح الباب فكلمه من خوخة له فصاح اليه ورمى إليه برقعة لطيفة
فأخذها الخادم وانصرف فجئت فطلبت من الوزير غلما فسلم الى ما طلبت فبكرت
من سحر الى الدار التى فى الخلد فاذا أنا بالرجل قد جاء بزيه الذى دخل به داره بقرب
دار ابن طاهر فكسبسته فى الموضع فاذا هو قد نزع تلك الثياب ولبس ثياب المسكين
التي رأيتها عليه أولا فحملته وغطيت وجهه وكتمت أمره حتى أدخلته دار القاسم
ودخلت اليه وقصصت عليه الخبر قال فقوض القاسم شغله وخلا واستدعاه فقال
لتصدقنى عن أمرك أولا ترى ضوء الدنيا ولا تخرج من هذه الحجرة والله أبدا
قال تؤمننى قال أنت آمن فمنهض لاقبلته به فتحير القاسم وقال الرجل أنا أخبرك
أنا فلان بن فلان الهاشمى رجل متجمل وأنا أخبر عليك للمعتضد منذ
كذا وكذا فأنزل بدرب يعقوب بقرب دار ابن طاهر يجرى على المعتضد خمسين
دينارا فى الشهر وأخرج كل يوم بالزى الذى لا ينكره جيرانى فأدخل دارا فى
الخلد بيدي منها بيت بأجرة فيظن أهلها انى منهم ولا ينكرونه للزى فأخرج من

هناك بهذه الثياب وأتزامن من الموضع وألبس لحية فوق لحيتي مخالفة للونى حتى
ان لقيني فى الطريق بالاتفاق بعض من يعرفنى انكرنى وامشى زحفاً من الخلد
الى دارك فاعمل جميع ما عرفت وأقتنى أخبارك من غلمانك وهم لا يعرفون غرضى
ويخرجون الى بالاسترسال مالو بذل لهم فيه من الأموال لم يظهره ثم أخرج
فأجىء الى موضع من الخلد فأغير ثيابى وأعطى ذلك الذى قد اجتمع معى فى
المخلات للمكدين وألبس اثيابى التى يعرفونى بها جيرانى وأعود الى منزلى وآكل
وأشرب وألعب بقية يومى فاذا جاء المغرب جاءني خادم من خدم دار ابن طاهر
مندوب لهذا فأرمدى اليه من روزنة لى برقة فيها خبر ذلك اليوم ولا أفتح له بابا
فاذا كان بعد تسعة وعشرين يوما جاءني الخادم فأنزل إليه فأعطيه رقعة ذلك اليوم
ويعطينى جائزة ذلك الشهر ولولا انى لم أرى صاحب خبرك ولا فطنت له لما تم على
هذا ولو كنت لحظته لحظة واحدة لما خفى على انه صاحب خبر ولست رجعت
من الموضع الذى أراه فيه فلا يعرف خبرى وبعد ذلك فانما تم على هذا لأن
أجلى قد حضر فالله الله فى دمي قال فأصدقني عما رفعتة عنى الى المعتضد قال
فخذته بأشياء رفعها منها خبر الثياب المصبغات قال فخبسه القاسم أياماً وأخفى أمره
وأنفذني الى منزله وقال راع أمرهم وانظر ما يجري فضيت الى داره التى وصفها
بدرب يعقوب فجلست الى المغرب فجاء الخادم فصاح به فقالت له الجارية ما رجعت
اليوم ولم يكن له بهذا عادة قط وقد قامت قيامتنا والله فأنصرف الخادم وأنصرفت
وعدت من غد وقت المغرب وجاء الخادم فقالت الجارية ما جاء اليوم أبداً وقد
والله اشتد همتنا وأشفقنا أن يكون قد حدثت عليه حادثة لا نعرفها فأنصرف
الخادم وأنصرفت وعدت من غد وعاد الغلام فقالوا له يا هذا قد والله يتسنا منه
ولا شك فى أنه هلك والمآتم قد أقيمت عليه فى منزل أمه وعمومته فأنصرف
الخادم وجئت الى القاسم بالخبر فلما كان من الغد ركب القاسم الى المعتضد فحين
رآه استدعاه وساره وقال إبراهيم الهاشمي المتزامن بحياتى أطلقه وأحسن إليه وأنت
آمن بعدها من أن أنصب عليك صاحب خبر ووالله لئن أحدثت به حادثة
لا عرفت فى دمه أحدا غيرك فقبل الأرض وأنصرف فعاد الى داره وحمد الله
تعالى إذ لم يعجل بقتله وأخبرنا الخبر وأحضر الهاشمي وخلع عليه ووصله بماله

قدر وصرفه وانقطعت أخباره عن المعتضد * حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف
 ابن يعقوب بن إسحق بن البهلول التنوخي بالاسناد عن أبي القاسم عبيد الله
 ابن سليمان وهو وزير في يوم من أيام جلوسه للمظالم إذ وقعت في يده رقعة
 فقرأها وتوقف ساعة كالمفكر ثم قال أين عمر بن محمد بن عبد الملك فأدخل عليه
 فقال أنت عمر قال نعم أعز الله الوزير أنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال
 فتوقف أيضاً ساعة ثم قام إلي خلوة له ولم يطل وعاد إلى موضعه فوقع لعمر بن
 محمد بجائزة ولم يزل كالمفكر إلى أن تفرق الناس وخلا المجلس ممن يحتمش فقال لنا
 وقفتم على خبر هذا الرجل قلنا قد وقفنا على ما كان من الوزير أعزه الله في أمره
 ولم نقف على السبب فقال أحدثكم بحديثه فانه ظريف حدثني أبي أبو أيوب
 رحمه الله تعالى قال كنت في يدي عهد بن عبد الملك الزيات يطالبني وأنا منكوب
 وكان يحضرنى كل يوم بغير سبب ولا مطالبة وأنا في قيودي وعلى جبة صوف
 وكان أخى الحسن يكتب بين يديه ولم يكن يتهمأ له في أمرى شيء إلا أنه كان إذا
 رآنى مقبلاً استقبلنى فاذا رجعت إلى موضعى شيعنى إذ أقبل في يوم خادم لمحمد
 ومعه ولد صغير فوثب كل من في المجلس إلى الصبي يقبلونه ويدعون له سواي
 فكنت مشغولاً بنفسى فلم أتحرك فأخذه عهد وضمه إليه وقال يا سليمان لم لا
 تفعل بهذا الصبي كما فعله أهل المجلس قلت أشغلنى عن ذلك ما أنا فيه قال لا
 ولكنك لم تطق ذلك عداوة لأبيه وله وكأني بك وقد ذكرت عبيد الله فأملت
 فيه الآمال والله لا رأيت فيه شيئاً تؤمله وأشرف بعد ذلك في الاستماع فعلمت
 أنه قد بغى ووثقت من الله عز وجل بحميل عادته وانه سيبلغنى ما آمله فيه
 عنادا لبغيه قال ولم يمض إلا مدة يسيرة حتى سخط المتوكل على عهد بن عبد الملك
 وقلدني مناظرته وإحصاء متاعه فوافيت داره فرأيت ذلك الخادم بعينه ومعه
 الصبي يبكي فقلت ما خبر هذا الصبي فقال قد منع من كل ماله وأدخل في الإحصاء
 فقلت لا بأس عليه فدخلت فسلمت إليه كل ما كان له ثم قال لى فينبغى يا بنى
 إن تهيات لك حال ورأيت الصبي وهو عمر بن محمد ان تحسن إليه وتقابل نعمة
 الله تعالى فيه بما يجب لها فلما رأيت في هذا الوقت تذكرت ما قاله أبو أيوب
 رحمه الله تعالى فامتثلت فيه ما أشار به وأنا أتقدم بعد الذى فعلته به إلى أبي

الحسين بتصرفه وكانت لعمر خرجة قويت بها حاله عند أبي الحسين إلى أن استخلفه في دار أبي النجم مدبرا بين يديه وقد ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء أنه وجد بخط ميمون بن هرون عن أبي محمد داود بن الجراح وقد وقع إلي من وجه آخر على خلاف ذلك بأسناده عن جماعة قالوا كلهم حضرا مجلس عبيد الله بن سليمان في أول وزارته للمعتضد وقد حضر رجل رث الهيئة بشياب غلاظ فعرض عليه رقعة وكان جالسا للمظالم فقرأها قراءة متناقل لها متفكر متعجب ثم قال نعم وكرامة ثلاث مرات افعل ما قال أبي لما قال أبوك وكرر هذا القول أيضا ثلاث مرات ثم قال له عدالي وقت العصر لانظر في أمرك ثم قال لنا اذا خلوت فذكروني بحديث هذا لاخبركم منه بعجب عجيب وعمل بقية المجلس ثم قام واستراح ودعا بالطعام فلما أكلنا أكثر الأكل قال لنا ماأرأكم ذكرتموني بحديث صاحب الرقعة فقلنا أنسينا فقال حدثني أبي قال كنت في زمن محمد بن عبد الملك في أيام الوائق لما صادرتني عن كتابة ايناخ على أربع مائة الف دينار وقد أدت منها مائتي الف ونيفا وأربعين الف دينار فاستحضرني يوما وطالبني بالباقي وحدني فيه وارهبني ولم يرض مني الا إن اجبت أن أؤدى خمسين الف دينار قاطعة للمصادرة على ان يطلق ضياعي قال ونحن في ذلك ولم يأخذ خطي به بعد إذ خرج إليه خادم من دار حرمه برقعة فقرأها ونهض فكان بحضرته أخي أبو علي الحسين بن وهب وهو غالب عليه الا انه يخافه ان يتكلم في أمري وهو يرى مايجري ولا يقدر أن يكلمني ولا يكلمه فلما قام الوزير رمى إلى أخي برقعة لطيفة فوقعت في حجرى فاذا فيها جاءني الخبر الساعة من دارك ان قد رزقت ابنا خلقا سويا وهو جسم بغير اسم فما تحب ان يسمى ويكنى فقلت له عبيد الله أبو القاسم فكتب بذلك في الحال الي منزلي قال وتداخلني سرور بذلك وقوة نفس وحدثت نفسي بانك تعيش وتبلغ وانتفع بك قال وعاد محمد الى مجلسه فأعاد خطابي فلم استجب له وأخذت ادافع فقال لي يا أبا أيوب ماورد عليك بعدي أرى عينيك ونفسك ووجهك بخلاف ما خلفتك منذ ساعة فقامت ماورد على شيء فقال والله لأن لم تصدقني لافعلن وأصنعن فقلت ما عندى ماأصدق عنه فأقبل على أخي فقال لتخبرني بشأنه نخافه أخي فصدقه عن الصورة فسكن وقال له أتعرف لأى شيء

قت أنا فقال لا قال كوتبت بان ولدا ذكرا سويا قد ولد لي فدخلت فرأيتة وأسميته
 باسم أبي وكنيته بأبي مروان قال سليمان فقامت اليه وقبلت يديه ورجليه وهنأته
 وقلت أيها الوزير هذا يوم مبارك وقد رزقت ابنا فارحني وارح سالف خدمتي لك
 واجعل ابني موسوما بخدمة ابنك يسلم معه في المكتب ويتعلمان وينشوان في
 دولتك فيكون كاتباً له فحملته اللدادة والقسوة التي فيه الى ان قال يا أبا أيوب أعل
 تجوز بي وتستفز وتختال قد حدثتك نفسك بأن ابنك هذا يبلغ المبالغ وتؤمل
 له الوزارة ورجوت في نوائب الزمان وقلت ارجو ان يحتاج ابنه الي ابني حتى يطلب
 منه الاحسان والفضل فاذا استخلفك بالله وأخرج عليك ان بلغ ابنك هذا المبلغ
 الاوصيته ان جاءه ابني لشيء من هذا أن لا يحسن اليه قال فأعظمت الخطاب
 وتنصت واعتذرت ووقع في قلبي في الحال ان هذا غاية البغي فان الله عز وجل
 سيخرج ابنه الي ابني فيحقق فيهما ما قاله وظننته وماضت الامدة مديدة حتى
 فرج الله عني ثم قال لي أبي يا بني بالله ان رفعك الله والزمان ووضع ابنه حتى يحتاج
 اليك الا أحسنت إليه قال وضرب الدهر مضربه فمأرفت لأبي مروان خبراً حتى
 رأيتة اليوم فكان ماشاهدم ثم أمر بطلب أبي مروان فأحضر فوهب له مالا وخلع
 عليه وجعله وقلده ديوان البريد والخرائط قال أبو الحسين فما زال يتقلده منذ ذلك
 الوقت الى آخر وزارة ابن الفرات الثالثة فانه مات فيها وقد تقلده ثلاثين سنة
 أو أكثر وكان كتب الي عبيد الله أول ما كاتبه بعد تقلده هذا الديوان عبد الوزير
 وخادمه عبد الملك بن محمد فأراد عبيد الله ان يتكرم عليه فقال له أنت على كل حال
 ابن الوزير وما أحب ان تتعبد لي فاكتب اسمك فقط على الكتب فقال لا تسمح
 نفسي بهذا ولكني اكتب عبد الملك بن محمد عبد الوزير وخادمه فقال اكتب
 فكتب بذلك فصارت عادة فكتب بها الي جميع الوزراء الي ان مات في وزارة
 ابن الفرات الثالثة فصارت كالمترتب عليهم بما عامله من ذلك عبيد الله وغلب عليه ان
 عرف بأبي مروان الخرايط ونسى نسبه الي ابن الزيات الا من كان يعرفه من
 الكتاب وغيرهم أخبرني بذلك جماعة من الشيوخ * ووجدت في بعض الكتب
 بغير اسناد ان عبيد الله بن زياد لما بنى داره البيضاء بالبصرة بعد قتل الحسين رضي الله

عنه صور في بابها رؤسا مقطعة وصور في دهليزها اسدا وكلبا وكبشا وقال أسد
 كالح وكبش ناطح وكلب نائم فر بالباب اعرابي فقال أما ان صاحبها لا يسكنها الاليلة
 لا يتم فرفع الخبر الى ابن زياد فأمر بالاعرابي فضرب وحبس فما أمسى حتى قدم
 رسول ابن الزبير الى قيس بن السكن ووجوه أهل البصرة في أخذ البيعة له ودعا الناس
 الى طاعته فأجابوه وراسل بعضهم بعضا بالوثوب عليه من ليلتهم وأنذره قوم منهم
 كانت له عندهم صنائع فهرب من داره في ليلته تلك فأجاروه ووقعت الحروب
 المشهورة بينهم وبين تميم بسببه حتى اخرجوه فألحقوه بالشام وكسر الحبس فخرج
 الاعرابي ولم يعد ابن زياد الى داره وقتل في وقعة الجازر * حدثني القاضي عبد
 ابن عبد الواحد الهاشمي قال سمعت ابن عمرو الغنوي يقول لما أسرنى أبو سعيد
 الجنائي القرمطي وكسر العسكري الذي كان أتقذه معي المعتضد بالله لقتاله
 وحصلت في يده أسيرا آيست من الحياة فأنا يوم على تلك الصورة اذ جاءني
 رسوله فأخذ قيودي وغير ثيابي وأدخلني اليه فسلمت وجلست فقال لي أندري
 لم استدعيتك قلت لا قال أنت رجل عربي ومن المحال ان استودعتك امانة ان
 تحقرها ولا سيما مع منى عليك بنفسك فقلت هو كذلك دل اني فكرت فاذا
 لا طائل في قتاك وإذا في نفسي رسالة الى المعتضد لا يجوز أن يؤديها غيرك فرأيت
 اطلاقك وتحميلك اياها فان حلفت لي ان تؤديها سيرتك اليه خلفت فقال تقول
 للمعتضد يا هذا لم تحرق هيبتك وتقتل رجالك وتطمع أعداءك في نفسك وتتعبد
 في طلبي واقم اذا لجيش الى وأنا رجل مقيم في فلاة لا زرع عندي ولا ضرع ولا غلة ولا بلد
 وانما أنا قد رضيت لنفسى بخشونة العيش والامن على المهجة والعز باطراف هذه الرماح
 وما اغتصبتك بلدا كان في يدك ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل ومع هذا فوالله
 لو أنفذت إلي جيشاً من الجيوش مع الثلج والريح والندى فيجيئون من المسافة البعيدة
 والطريق الشاق وقد قتلهم السفر قبل قتالنا فانما غرضهم أن يبدوا عذرا في موافقتنا
 ساعة ثم يهربون فان ثبتوا مع ما لحقهم من وعناء السفر وشدة الجهد التي هي أكثر
 أعواني عليهم فما هو إلا أن أخفق عليهم حتى انهزموا وأكثر ما تقدر عليه
 أن ينجيئوا فيستريحوا ويقيموا ويكونوا عدة لا قبل لي بهم فيهمزوني إذا قاتلوني
 لا يقدر جيشك على أكثر من ذلك فما هو إلا أن انهزم حتى قد بعدت عن

هذا الموضع عشرين فرسخاً أو ثلاثين وحولت من الصحراء شهراً أو اثنين ثم اكبسهم على غرة فقتلت جميعهم ولولم يستولى هذا وكانوا متحززين فما يمكنهم الطواف خلفي في البراري فلا ينبغي طلبي في الصحاري ثم لا يحملهم البلد في المقام ولا الزاد إن كانوا كثيرين فإن انصرف الجمهور وبقي الأقل فهم قتلى سيوف أول يوم ينصرف الجيش ويبقى من يتخلف هذا إن سلموا من وباء هذا البلد ورداءة مائه وهوائه للذين نشؤا في ضده وربوا في غيره ولا عادة لأجسامهم بالصبر عليه ففكر في هذا وانظر هل يفي تعبك وتغريرك بحيشك وعسكرك وإنفاقك الأموال وتجهيزك الرجال وتكلفتك هذه الأخطار وتحملك هذه المشاق لطلبي وأنا مع ذلك خالي الدرع منها سليم النفس والأصحاب من جميعها وهيبتك تنقص في الأطراف وعند ملوكها كلما جرى عليك شيء من هذا ثم لا تظفر من بلدي بطائل ولا تصل منه إلي مال أو حال فإن اخترت بعد هذا محاربتى فاستخر الله تعالى وأتخذ من شئت وإن أمسكت فذاك إليك * قال فأتخذني ثم جهزني وأتخذ معي عشرة من أصحابه إلى الكوفة فسرت منها إلى الحضرة فدخلت على المعتضد فتعجب من سلامتي وسألني عنها فقلت سبب أذكره سرا لأمر المؤمنين فتشوف إليه وخلا بي وسألني فقصصت عليه القصة فرأيته يتمتع في خلده غيظاً حتى ظننت أنه سيسير بنفسه إليه وخرجت من بين يديه فما رأيته بعد ذلك ذكره بحرف * حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الأزدي الموصلی رحمه الله تعالى * قال حدثني جماعة من ثقة أهل الموصل أن فاطمة بنت أحمد ابن علي الكردي زوجة ناصر الدولة أم أبي تغلب اتهمت عاملاً كان لها يقال له ابن أبي قبيصة من أهل الموصل بخيانة في مالها فقبضت عليه وحبسته في قلعتها ثم رأت أن تقتله فكتبت إلى المتوكل بالقلعة بقتله فورد عليه الكتاب وكان لا يحسن أن يقرأ ولا يكتب وليس عنده من يقرأ ويكتب إلا ابن أبي قبيصة فدفع المتوكل بالقلعة الكتاب إليه وقال له اقرأ فلما رأى فيه الأمر بقتله قرأ الكتاب بأسره إلا حديث القتل ورد الكتاب عليه * وقال ابن أبي قبيصة ففكرت وقلت أنا مقتول ولا آمن أن يرد كتاب آخر في هذا المعنى ويتفق حضور من يقرأه غيري فينفذ الأمر في * وسبيلي أن أحتال عليه بحيلة فإن تمت

سلمت وإن لم تتم فليس يلحقني أكثر من القتل الذي أنا حاصل فيه فتأملت القلعة
 فاذا فيها موضع يمكن أن أطرح نفسي منه إلى أسفل إلا أن بينه وبين الأرض
 أكثر من ثلاثة آلاف ذراع وفيه صخر لا يجوز أن يسلم معه من يقع عليه
 قال فلم أجسر ثم ولد لي الفكر اني تأملت الثلج قد سقط عدة ليال قطعاً فغطى
 تلك الصخور فصار فوقها أمر عظيم يجوز إن سقطت عليه وفي أجلى تأخير أن
 ينكسر بعض بدني وأسلم قال وكنت مقيداً ففقت لما نام الناس فطرحت نفسي
 من الموضع قائماً على رجلي فحينما حصلت في الهواء ندمت وأقبلت أستغفر الله
 وأتشهد وغمضت عيني حتى لا أرى كيف أموت وجمعت رجلي بعض الجمع لأنني
 كنت سمعت قديماً أن من اتفق عليه أن يسقط قائماً من مكان عال إذا جمع
 رجله ثم أرسلها إذا بقي بينه وبين الأرض قدر ذراع أو أكثر قليلاً أن يسلم
 وينكسر حد السقطة ويصير كأنه بمنزلة من سقط من ذراعين قال ففعلت ذلك
 فلما سقطت إلى الأرض ذهب عني أمرى وزال عقلي ثم آب إلي فلم أجد ما كان
 ينبغي أن يلحقني من ألم السقوط من ذلك الموضع فأقبلت أجس أعضائي شيئاً
 فشيئاً فأجدها سالمة وقت وقعت وحركت يدي ورجلي فوجدت ذلك كله سالماً
 حمدت الله تعالى على تلك الحال وأخذت صخرة وكان الحديد الذي قد صار في
 رجلي كالزجاج لشدة البرد قال فضر بته ضرباً شديداً فانكسر فطن حتى ظننت
 انه سيسمعه من في القلعة لعظمه فينتبهون الي فسلم الله عز وجل من هذا أيضاً
 وقطعت تكتي وشدت ببعضها القيد على ساقى وقت أمشي في الثلج فشيت طويلاً
 ثم خفت أن يروا آثارى من غد في التاج على المحجة فيتبعوني فلا أفوتهم فعدلت
 عن المحجة إلى نهر يقال له الخابور فلما وصلت اليه وصرت على شاطئه نزلت في الماء إلى
 ركبتى وأقبلت أمشى كذلك فرسخاً حتى انقطع أثرى ثم خرجت لما كادت اطرأ في
 تسقط من البرد فمضيت على شاطئه ثم عدلت أمشى فيه وربما حصلت في موضع
 لا أقدر على المشى فيه لأنه يكون جرفاً فأسبح واستمررت على ذلك أربعة فراسخ
 حتى حصلت في خيم فيها أقوام فأنكروني وهموا بي فاذا هم أكراد فقصصت عليهم
 قصتي واستجرت بهم فرحموني وأوقدوا بين يدي وأطعموني وستروني وانتهى
 الطلب من غد إليهم فما أعطوا خبرى أحداً فلما انقطع الطلب سيروني حتى دخلت

الموصل مستترا وكان ناصر الدولة ببغداد إذ ذاك فأنحدرت إليه وأخبرته بخبري
كله فعصمني من زوجته وأحسن إلى وصر فني * حدثني أبو علي بن عبيد الله الحسين
ابن عبيد الله الجصاص الجوهري قال سمعت أبي يحدث قال لما نكبتني المقتدر وأخذ
مني تلك الأموال العظيمة أصبحت يوماً في الحبس آيساً من الفرج فجاءني خادم
فقال البشري فقلت ما الخبر قال قم قد أطلقت فقممت معه فاجتازني في بعض طرق
دور الخليفة يريد اخراجي إلى دار السيدة لتكون هي التي تطلقني لأنها هي التي
شفعت في فوقعت عيني في اجتيازي على أعدل خيش لي أعرفها كان مبلغها مائة
عدل فقلت للخادم أليس هذا من الخيش الذي حمل من داري فقال بلى فتأملته
فاذا هو بشده وعلاماته وكانت هذه أعدالا قد حملت الي من مصر كل عدل منها
فيه الف دينار من مال كان لي هناك كتبت بحمله فخافوا عليه من الطريق فجعلوه
في أعدل الخيش لأنها مما لا تكاد أن ينهبه اللصوص وان وقعوا به لا يفتنون لما
فيه فوصلت سالمة ولا استغنائي عنها وعن المال لم أخرجه من الأعدل وتركته بحاله
في بيت في داري وأقفلت عليه وتوخيت بذلك أيضاً سر حديثه فتركته شهوراً
على حاله لا نقله كما أريد في أي وقت أرى ولما حبست أخذ الخيش في جملة ما أخذ من
داري ونخسته عندهم تهاونوا به ولم يعرف أحداً ما فيه فطرح في تلك الدار فلما رأيته
عندهم بشده طمعت في خلاصه والحيلة في ارتجاعه فسكت فلما كان بعد أيام من
خروجي راسلت السيدة وشكوت حالي إليها وسألتها أن تدفع إلى ذلك الخيش لأنه
لا قدر له عندهم وأنا انتفع بشفته قال فاستحمتني وقالت وأي قدر لهذا الخيش
ردوه عليه فسلم إلى بأسره ففتحته وأخذت منه المائة الف دينار وماضاع منها
دينار واحد وأخذت من الخيش ما احتجت إليه وبعث باقيه بجملة وافرة وقلت
في نفسي انه قد بقيت لي بقية اقبال جيدة * حدثني علي بن هشام قال سمعت حامد
ابن العباس يقول ربما انتفع الانسان في نكبته بالرجل الصغير أكثر من منفعته
بالكبير فمن ذلك ان اسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه قديماً
قال وكان رجلاً حراً فأحسن إلي وبهرته فكنت اعتمد على عناية أبي العباس
ابن الفرات وكان ذلك البواب لقدم خدمته لاسماعيل يدخل إلى مجالسه الخاصة
ويقف بين يديه لا ينكر ذلك عليه لسالف الصحبة فصار إلى في بعض الليالي وقال

قد حرد الوزير على ابن الفرات بسببك وقال له ما يكسر المال على حامد غيرك ولا بد من الجد في مطالبته بباقي مصادره وسيدعوك الوزير في غد الى حضرة ويتهددك فشغل ذلك قلبي فقلت له فهل عندك من رأى فقال تكتب رقعة الى رجل من معامليك تعرف شحه وضيق نفسه فتلتمس منه لعيالك الف درهم يقرضك اياها وتسأله ان يجيبك على رقعته فان الشحة توجب ان يردك بعذر وتحتفظ على الرقعة فاذا طالبك الوزير تخرجها على غير موافاة وتقول قد افضت حالي الى هذا فلعل ذلك ينفعك ففعلت مقال وجاءني الجواب بالرد كماخنا وشددت الرقعة معي فلما كان من الغد أخرجني الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة إليه وأقرأته اياها ورقفته وكلمته فلان واستحي وكان ذلك سبب خفة أمرى وزوال محنتي فلما اتقلت في أيام عبيد الله بن سليمان سألت عن البواب وجذبه الى خدمتي فكنت أجرى عليه خمسين دينارا في كل سنة وهو باق الى الآن * أخبرني أبو الفرج على بن الحسين المعروف بالأصفهاني بالاسناد عن محمد بن أبي العتاهية قال حدثني أبي قال لما امتنعت من قول الشعر وتركته أمر المهدي بحبسي في السجن سجن الجرائم فأخرجت من بين يديه إلى الحبس فلما دخلته استوحشت ودهشت وذهل عقلي ورأيت منظرا هائلا ورميت بطرفي أطلب موضعاً آوى فيه أو رجلاً آنس بمجالسته فاذا أنا بكامل حسن السميت نظيف الثياب يبهر عليه سيما الخير فقصدته وجلست إليه من غير أن أسلم عليه وأسأله عن شيء من أمره لما أنا فيه من الجزع والحيرة فكث كذلك ملياً وأنا مطرق مفكر في حالي فأنشد الرجل

تعودت مس الضر حتى لقيته وأسأمني حسن العزاء إلى الصبر

وصيرني يأسى من الناس واثقاً بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

قال فاستحسنيت البيتين وتبركت بهما وثاب إلى عقلي فأقبلت على الرجل وقلت له تفضل أعزك الله باعادة هذين البيتين فقال لي ويحك يا إسماعيل ولم لم تكني ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ومروءتك دخلت ولم تسلم تسليم المسلم على المسلم ولا توجهت لي توجه المبتلى للمبتلى ولا سألتني سؤال الوارد على المقيم حتى إذا سمعت بيتين من الشعر لم يجعل الله عز وجل فيك خيراً ولا أدباً ولا جعل لك معاشاً غيره لم تتذكر ما سلف منك فتتلافاه ولا اعتذرت مما قدمت وأفرطت

فيه من الحق حتى استنشدتني مبتدئاً كأن بيننا أنساً قديماً أو صحبة تبسط
المنقبض فقلت له فاعذرني متفضلاً فان دون ما أنا فيه يدهش قال وفي أي شيء
أنت إنما تركت قول الشعر الذي كان جاهك عندهم وسببك إليهم فحبسوك حتى
تقوله وأنت لا بد أن تقوله فتطلق وأنا يدعى بي الساعة فأطالب باحضار عيسى
ابن زيد بن رسول الله ﷺ فان دلت عليه فقتل لقيت الله عز وجل بدمه
وكان رسول الله ﷺ خصمي فيه وإلا قتلت فأنا أولى بالحيرة منك وأنت ترى
احتسابي وصبري فقلت يكفيك الله عز وجل وأطرقت وجهي خجلاً منه فقال
لي لا أجمع عليك التوبيخ والمنع اسمع البيتين واحفظهما فأعادهما على مرارا حتى
حفظتهما ثم دعى به وبني فلما وقف بين يدي المهدي قال له أين عيسى بن زيد
قال ما يدريني أين عيسى بن زيد طلبته وأخفته فهرب منك في البلاد فأخذتني
وحبستني فمن أين أقف على موضع هارب منك وأنا محبوس قال له فأين كان
متواريا ومتى آخر عهدك به وعند من لقيته فقال ما لقيته منذ تواري ولا أعرف
له خبرا قال والله لتدلي علي به أو لأضربن عنقك الساعة قال اصنع ما بدا لك
أنا أدلك على ابن رسول الله ﷺ لتقتله فألقى الله عز وجل ورسوله ﷺ
يطالباني بدمه والله لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت لك عنه فقال اضربوا
عنقه ثم دعاني فقال أتقول الشعر أو ألحقك به قلت بل أقوله قال فاطلقوه قال عهد
ابن القاسم بن مهرويه والبيتان اللذان سمعتهما لا يحضرني الآن من هما من شعره
قال القاضي أبو علي وأنشدني بعض أصحابنا معهما بيتاً آخر زيادة

إذا أنا لم أقتنع من الدهر بالذي تكرهت منه طال عتبي على الدهر

وجدت في كتاب أعطانيه أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم صاحب النعمان
وهو يومئذ كاتب الوزير أبو محمد المهلب على ديوان السواد وذكر لي أنه نسخه
من كتاب أعطاه إياه أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصيني وكان فيه إصلاحات
بخط أبي الحسين بن مايبدا قال أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد الأعلى الاسكافي
كان داود كاتب أم جعفر قد حبس وكيلا لها وجب عليه في حسابه مائة ألف
درهم فكتب الوكيل إلي عيسى بن فلان وسهل بن الصباح وكانا صديقين له بخبره
فسارا ليتكلماه فلقيهما الفيض بن صالح فسألهما عن خبرها فأخبراه فقال اتحبان

أن أكون معكما قالا نعم فصاروا إلى داود فكلّموه في إطلاق الرجل فقال
اكتب إلى أم جعفر فكتب إليها يعلمها خبر القوم وحضورهم ومسألتهم في
الوكيل فوقعت في الرقعة أن يعرفهم ما وجب عليه من المال ويعلمهم أن لا
سبيل إلي إطلاقه دون أداء المال فأقرأهم داود التوقيع واعتذر إليهم فقال عيسى
وسهل بن الصباح قد قضينا حق الرجل فقد أبت أم جعفر أن تطلقه إلا بالمال
فقوموا تنصرف فقال لها الفيض بن صالح كأننا جئنا لنؤكد حبس الرجل
قالا له فماذا تصنع قال تؤدي عنه المال قال ثم أخذ الدواة فكتب إلى وكيله
في حمل ما على الرجل كتابا دفعه إلى داود كاتب أم جعفر وقال قد أجزنا في المال
فادفع إلينا صاحبنا قال لا سبيل إلي ذلك حتى أعرفها الخبر قال فكتب إليها
بالخبر فوقعت في رقعة أنا أولى بالمكرمة من الفيض بن صالح فأررد عليه كتابه
بالمال وادفع إليه الرجل وقل له لا يعاود مثل ما كان منه قال ولم يكن الفيض
يعرف الرجل وإنما ساعد عيسى وسهلا على الكلام في أمره * أخبرني أبو الفرج
على بن الحسين المعروف بالأصفهاني بالاسناد أنه لما كان أعشى همدان أبو المصباح
ممن أغزاه الحجاج بلد الديلم ونواحي دسّتي فأسر فلم يزل أسيرا في أيدي الديلم
ثم إن بنت العليج الذي كان أسره هويته وصارت إليه ليلا ومكنته من نفسها
فأصبح وقد واقعها ثمانى مرات فقالت له الديلمية يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون
بنسائكم فقال لها هكذا نفعل كلنا فقالت له بهذا العمل نصرتكم أرأيت إن خلصتك
تصطفيني لنفسك قال لها نعم وطاهدها فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت به
طريقاً تعرفها حتى خلصته فقال شاعر من أسراء المسلمين

فمن كان يفديه من الأسر ماله فهمدان يفديها الغداة أيورها
وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم

لمن الظعائن سيرهن ترجف عزم السفين إذا تقاعس يحذف
وذكر أبو الفرج القصيدة وهي طويلة اخترت منها ما يتعلّق بالفرج بعد
الشدة وهي قوله

أصبحت رهناً للعداة مكبلاً أمسى وأصبح في الأدام أرسف
ولقد أراني قبل ذلك ناعماً جذلان آبي أن أضام وآنف

واستنكرت ساقى الوثاق وساعدى وأنا امرؤ بادی الأشاجع أعجف
وأضامنى قوم وكنت أضيهم فالآن أصبر للزمان وأعرف
وإذا تصيبك من الحوادث نكبة فأصبر لها فلعلها تتكشف

ذكر أبو عبد الله بن عبدوس فى كتاب الوزراء ان نبحاح بن سلمة حبس إبراهيم بن المدبر مكيدة لأخيه وذلك فى أيام المتوكل فلما طال حبس إبراهيم ولم يجد حيلة فى الخلاص عمل أبياتاً أنبذها إلى المشدود الطنبورى وسأله أن يعمل فيها لحنا ويغنى بها المتوكل فاذا سأل عن قائلها عرفه أنها له ففعل المشدود ذلك وسأله المتوكل فقال لعبدك إبراهيم بن المدبر فذكره فأمر بإطلاقه والأبيات هى

بأبى من بات عندى طارقاً من غير وعدى
بات يشكو شدة الشوق وأشكو فرط وجدى
وتجنى فبكى فانهل دري فوق وردى
فيد تحت يد طو را وخذ فوق خدى

وذكر أيضاً أن إسحق بن سعيد قال حدثنى أبو عبد الله محمد بن عيسى المروذى صاحب يحيى بن خاقان عنه قال كان المأمون ألزمنى خمسة آلاف ألف درهم فأعلمته أنى لا أملك إلا سبعمائة ألف درهم وحلفت على ذلك أيماناً مغلفة اجتهدت فيها فلم يقبل منى وحبسنى عند أحمد بن هشام وكان بينى وبينه شر قد شمر وعرف وكان يتقدم الحرس فقال أحمد للموكلين بي احفظوا واحذروا أن يسم نفسه ففطن المأمون لأمره فقال له يا أحمد لا يأكل يحيى بن خاقان إلا ما يؤتى به من منزله قال فأقت على ذلك ووجه إلى فرج الرجعى بألف ألف درهم ووجه إلى الحسن بن سهل بألف ألف درهم فأضفت ذلك إلى ما كان عندى حتى جمعت خمسة آلاف ألف درهم فلما اجتمعت كتبت إلى المأمون بحضور المال الذى ألزمنىه فأمر بالحضارى فدخلت عليه وبين يديه أحمد بن خالد وعمرو بن مسعدة وعلى بن هشام فلما رأنى قال لى أو لم تخبرنى وتحلف لى أنك لا تملك إلا سبعمائة ألف درهم فمن أين لك هذا المال فصدقته عن أمره وقصصت عليه قصته فأطرق طويلاً ثم قال قد وهبته لك فقال الحضور أذهب له خمسة آلاف ألف درهم وليس فى بيت المال درهم وأنت محتاج إلى ما دون ذلك بكثير

فلو أخذته منه قرضا وإذا جاءك مال رددته إليه فقال لهم أنا على المال أقدر
من يحيى وقد وهبته له فرددت على القوم ما كانوا حملوه إلى وتخلصت
وقال محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء ان محمد بن يزيد سعى إلى المأمون
بعمر بن بهنو ففقال المأمون يا فضل خذ عمرا اليك وقيده وضيق عليه ليصدق
عما صار اليه من مالى فقد احتاز مالا جليلا وطالبه به فقلت نعم وأمرت باحضار
عمر فاحضر فاخليت له حجرة فى دارى واقت له ما يصلحه وتشاغلته عنه بأمور
السلطان فى يومى وغده فلما كان اليوم الثالث أرسل الى عمرو يسألنى الدخول اليه
فدخلت وأخرج الى رقعة قد اثبت فيها كل ما يملكه من الدور والضيايع والعقار
والأموال والكسوة والفرش والجوهر والكرام والقماش وما يجوز بيعه من
الرفيق فكان قيمة ذلك عشرين الف الف درهم وسألنى أن أوصل رقعته الى المأمون
واعلمه ان عمرا قد جعله من دون ذلك فى حل وسعة فقلت له مهلا فان أمير المؤمنين
أكبر قدرا من ان يسلبك نعمتك عن آخرها فقال عمرو انه كما وصفت فى كرمه
ولكن الساعى لا ينام عنى ولا عنك وقد بلغنى ما أمرت به فى أمرى من الغلظة
وقد عاملتنى بضد ذلك وقد طبقت نفسا بان اشتري عدل أمير المؤمنين لك فى أمرى
ورضاه عنى بجميع مالى فلم أزل أنزله حتى وافقته على عشرة آلاف الف درهم فقلت
هذا شطر مالك وهو صالح للفر يقين وأخذت خطه بالتزام ذلك صلحا عن جميع
ما جرى على يديه وصرت الى المأمون فوجدت محمد بن يزيد قد سبقنى اليه واذا
هو يكلمه فلما رآنى قطع الكلام وخرج فقال المأمون يا فضل قلت لبيك
يا أمير المؤمنين قال ما هذه الجرأة منك وعلينا فقلت يا أمير المؤمنين انا عبد طاعتك
وغرسك فقال أمرتك بالتضييق على النبطى عمرو بن بهنو فقابلت أمرى بالضد
ووسعت عليه وأقت له الانزال فقلت يا أمير المؤمنين ان عمرا يطالب بأموال كثيرة
عظيمة فلم آمن ان أجعل محبسه فى بعض الدواوين فيبذل مالا يرغب فى مثله
فيتخلص فجعلت محبسه فى دارى وأشرفت على طعامه وشرابه لا حرس نفسه فان
كثيرا من الناس اختانوا السلطان وتمتعوا بالأموال ثم طولبوا بها فاحتيل عليهم
ليبتنوا ويفوز بالأموال غيرهم قال الفضل وانما أردت بذلك تسكين غضب
المأمون على ولم أعرض الرقعة عليه ولا اعلمته بما جرى بينى وبين عمرو لأنى

لا من سورته من ذلك الوقت لاشتداد غضبه فقال لي سلم عمرا الى محمد بن يزيد
 ففعلت فلم يزل يعذبه بانواع العذاب حتى يبذل له شيئا فلم يفعل فلما رأي أصحابه
 وعمله ما قد ناله جمعوا له من بينهم ثلاثة آلاف ألف درهم وسألوا عمرا ان يبذلها
 لمحمد بن يزيد فبذلها فصار محمد الى المأمون متجها بها واصل الخط بها الى المأمون
 وأنا واقف فقال المأمون يا فضل ألم نعلمك ان غيرك أقوم بأمورنا منك وأطوع
 لما نأمر فقلت يا أمير المؤمنين ارجو أن اكون في حال استبطاء أمير المؤمنين ابلغ
 في طاعته من غيري فقال المأمون هذه رقعة عمرو بن بهنوني بثلاث آلاف ألف
 درهم فقلت وما اجترأت عليه قط اجترأت عليه ذلك اليوم فاني اخرجت ضيافة
 كانت مع غلامي فاخذت الرقعة منها مسرعا وقلت والله لاعلمن أمير المؤمنين
 اني مع رفيق ابلغ في حياطة أمواله من غيري مع غلظته وأريته رقعة عمرو التي
 كتبها لي وحدثته بخديشي عن آخره فلما تبين المأمون الخطين وعلم انهما من خط
 عمرو قال ما أدري ايكما أعجب عمرو حيث تنكر برك وطاب نفسا بالخروج من
 ملكه بهذا السبب أم أنت ومحافظتك على أهل النعم وترتك عليه ذلك في ذلك
 الوقت والله لا كنتما يانبطيان باكرم مني ودفع الرقعة التي أخذها محمد بن يزيد
 من عمرو الى وأمرني بتمزيقها وتمزيق الأولى وأمر من يسلم عمرا من مجلسه
 الى وأمرني باطلاقه فخرجت من بين يديه وفعلت ذلك * حدثني أبو الحسين
 عبيد الله بن أحمد بن الحسن بن عياش الخزري البغدادي وكان خليفة أبي رحمه الله
 على الفتيا بسوق الاهواز باسناده عن القاضي أبي عمرو رحمه الله قال لما جرى من
 أمر عبد الله بن المعتز ما جرى حبست وما في لحيتي طاقة ببضاء وحبس معي
 أبو المثنى القاضي ومحمد بن داود بن الجراح في دار واحدة في ثلاثة أبيات
 متلاصقة وكان بيتي في الوسط وكنا آيسين من الحياة وكنت إذا جن
 الليل حدثت أبا المثنى تارة ومحمد بن داود تارة وحدثاني من وراء الأبواب
 ويوصي كل واحد منا الى صاحبه وتتوقع القتل ساعة بساعة فلما كان ذات
 ليلة قد أغلقت الأبواب ونام الموكلون ونحن نتحدث من بيوتنا
 إذ حسنا بصوت الأقفال تفتح فارتعنا ورجع كل منا إلى صدر بيته فما شعرت
 إلا وقد فتح البواب على محمد بن داود فأخرج وأضجع على المذبح فقال يا قوم

ذبحا كما تذبح الشاة أين المصادرات أين أنتم عن أموالى أفتدى بها نفسى على كذا
 وكذا قال فما التفتوا إلى كلامه وذبحوه وأنا أراه من شق الباب وقد أضاء السجج
 من كثرة الشموع وصار كأنه نهار واحتزوا رأسه فأخرجوه معهم وجردوا
 جثته وطرحته في بئر الدار وغلقت الأبواب قال فأيقنت بالقتل وأقبلت على
 الصلاة والدعاء والبكاء فما مضت إلا ساعة واحدة حتى أحسست بالأقفال تفتح
 فعاودنى الجزع فاذا هم جاؤا إلى بيت أبي المثنى ففتحوه وأخرجوه وقالوا له يقول
 لك أمير المؤمنين يا عدو الله يا فاسق بما استحلت نكث بيعتى وخلع طاعتي
 فقال لأنى علمت أنه لا يصلح للامامة فقالوا له ان أمير المؤمنين قد أمرنا
 باستتابتك من هذا الكفر فان تبت رددناك إلى محبسك وإلا قتلناك فقال أعوذ
 بالله من الكفر ما أتيت ما يوجب الكفر قال هو يتهوس معهم بهذا الكلام
 وشبهه فلا يرجع عنه فلما أيسوا منه مضى بعضهم وعاد فظننت أنه يستتيب في
 الاستئذان قال فأضجعوه ثم ذبحوه وأنا أراه وحملوا رأسه وطرحوا جثته في
 البئر * قال فذهب على أمرى وأقبلت على الدعاء والبكاء والتضرع إلى الله جل وعز
 فلما كان في وجه السحر وقد سمعت صوت الدياب فاذا بصوت الأقفال فقلت
 لم يبق غيرى وأنا مقتول فاستسلمت وفتحوا الباب عنى فأقاموني إلى الصحن
 وقالوا يقول لك أمير المؤمنين يا فاعل يا صانع ما حملك على خلع بيعتى فقلت انطأ
 وشقوة الجد وأنا تائب إلى الله عز وجل من هذا الذنب قال فأقبلت أتكم بهذا
 وشبهه فمضى بعضهم وعاد فقال أجب ثم أسرَّ إلى وقال لا بأس عليك فقد
 تكلم فيك الوزير يعنون بن الفرات وأنت مسلم إليه قال فسكت وجاؤا إلى بخفى
 وطيلسانى وعمامتى فلبست ذلك وأخرجت خيَّ بى إلى الدار اتى كانت برسم ابن
 الفرات فى دار الخليفة فلما رأى أبى مخاطبى بعظم جنايتى وخطئى وأنا أقر
 بذلك وأستقيل وأتصل ثم قال قد وهب لى أمير المؤمنين دمك وابتعت منه
 جرمك بمائة ألف دينار ألزمتك إياها فقلت أيها الوزير والله ما رأيت بعضها قط
 مجتمعاً فغمزني بأن اسكت وجذبني قوم من وجوه الكتاب كانوا بحضرته ورأى
 فسكتونى فعلمت أن ابن الفرات قد أراد تخليص دمي فقلت كلما يأمر الوزير أعزه
 الله فقال أحملوه إلى دارى قال فأخذت وحملت إلى داره فقرر أمرى على مائة ألف

دينار يؤدي منها النصف عاجلاً ويصير النصف في حكم الباطل على رسم المصادرات فلما صرت في دار ابن الفرات وسع علي في الطعام والمشرب والمجلس وأدخلت الحمام ورفهت وأكرمت فرأيت لما خرجت من الحمام وجهي في المرأة فاذا طاقات شعري قد ابيضت في مقدم لحيتي فاذا أنا قد شبت في تلك الليلة الواحدة قال وأديت من المال نيفاً وثلاثين ألف دينار ثم نظر إلى ابن الفرات بالباقي وصرفني إلى منزلي وتخلص من دمي فكشيت في بيتي سنتين وباني مسدود علي لا أرى أحداً ولا يراني إلا في الشاذ وتوفرت على دروس الفقه والنظر في العلم إلى أن أذن الله جل وعز بالفرج وكشف عني وأخرجت من بيتي إلى ولاية الأعمال وشبهه هذا الحديث ويقاربه وإن لم يكن بالحقيقة من باب من خرج من حبس إلا أنه من أخبار الفرّج بعد الشدة من جملة ما حدثني به أبو الحسين بن محمد بن علي بن موسى الأنباري الكاتب قال سمعت كلوي كاتب الحرم يتحدث قال كان في دار المقتدر عريف على الفراشير يخدمني وكان يضيفنا إذا أقننا في دار الخليفة ففقدته مرة في الدار فظننت أنه غلب فلما كان بعد شهور رأيت في بعض الطرق بزي التجار وقد شاب فقلت فلان قال نعم عبدك ياسيدي فقات ما هذا الشيب في هذه الشهور اليسيرة وما هذا الذي أراه وأين كنت فتلجلج فقلت لغلمانني احموه إلي داري وقلت حدثني حديثك قال علي أن لي الأمان والكتمان فقلت نعم فقال كان الرسم على كل عريف من الفراشين في دار الخليفة أن يدخل يوماً من الأيام هو ومن في عرافته إلى دور الخدمة والحرم لرش الخيوش التي فيها فبلغت النوبة إلى يوم ما كنت فيه مخموراً فدخلت ومعى رجالي إلى دار فلانة وذكر حظية جليّة من حظايا المقتدر فلعظم ما كنت فيه من الحر ما رشيت قربتي ولم أخرج بخروج الرجال وقلت لهم انصرفوا فهاؤوا قربكم لاتمام الرش فاذا رشتم فنبهوني فاني نائم هنا ودخلت خلف الخيش إلى باب الباذاهنج يخرج منه ريح طيبة ونمت وغلب على النوم إلى أن جاء الفراشون ففرغوا من رش الخيش فعلمت اني مقتول ان احس بي فتحيرت فلم أدر ما عمل فدخلت الباذاهنج وكان ضيقاً فجعلت رجلي على حائط الباذاهنج وتعلقت فيه ووقفت متعلقاً أتقرب ان يفطن بي اذا بنسوة فراشات يكنسن الخيش فلما فرغوا من ذلك فرشناه وهيء فيه مجلس للشرب ولم يكن بأسرع

من ان جاء المقتدر وعدة جوار فجلس وأخذت الجوارى فى الغناء وأنا أسمع ذلك كله وروحى تكاد تخرج فاذا أعيتت نزلت فجلست فى أرض الباذاهنج فاذا استرحت وخفت ان يفطن بى القوم عدت وتعلقت الى ان مضت قطعة من الليل ثم عن للمقتدر جذب حظيته اليه التي هي صاحبة تلك الدار فانصرف باقى الجوارى وخلى الموضع فواقع المقتدر الجارية وأنا أسمع حركتهما وكلامهما ثم ناما فى مكانهما وأنا لا سبيل لى للنوم لحظة واحدة لما نابنى من الخوف ففكرت فى أن أخرج واصعد الى بعض السطوح ثم علمت انى ان فعلت ذلك تعجبت القتل ولم تزل تلك حالى الى ان انتبه المقتدر فى السحر وخرج من الموضع فلما كان فى غد نصف النهار جاء عريف آخر من الفراشين ومعه فراشيه فخرجت فاختلطت بهم فقالوا أى شىء تعمل هنا فأومأت اليهم بالسكوت وقلت الله الله فى دمي فان حديثي يطول فتذموا على ان لا يفضحونى وقال بعضهم ما بال حيتك قد ابيضت فقلت لا أعلم وأخذت من قربة بعضهم فطريت قربتي وخرجت فلما صرت فى موضع من دار الخليفة وقعت مغشياً على وركبتنى حمى عظيمة وذهب عقلى فمر بى الفراشون وحملونى إلى منزلى وأنا لا أعقل فأقمت مبرسماً مدة طويلة وقد كنت طاهدت الله وأنا فى الباذاهنج ان هو خلصنى منه لا أخدم أحدا أبدا ولا أشرب النبيذ واقلع عن أشياء تبت منها فلما تفضل الله عز وجل على بالعافية وفيت بالنذر وبعث أشياء كانت لي وضممتها الى دراهم كانت عندي ولزمت دكانا لعمتي اتعلم فيه التجارة واتجر وتركت الدار فما عدت اليها الى الآن ولا أعود أبدا الى خدمة الناس ولا انقض ما تبت منه ورأيت لحيته قد كثر فيها الشيب * حدثنا على بن هشام قال كان أبو الحسن بن الفرات لما ولى الوزارة الأولى وجد سلمان ابن الحسن يتقلد مجلس المقابلة فى ديوان الخلافة من قبل على بن عيسى والديوان اذ ذاك كله الى على بن عيسى فقلد أبا الحسن بن الفرات سلمان الديوان بأسره وأقام يتقلده نحو سنتين فأقام ليلة فى دار ابن الفرات يصلى المغرب فسقط من كفه رقعة رآها بعض من حضر فأخذها ولم يفطن لها سلمان فقرأها فوجدها سعاية فى حق ابن الفرات وأشيابه الى المقتدر وسعيا لابن عبد الحميد كاتب السيدة فى الوزارة فتقرب بها الى ابن الفرات فتبض على سلمان للوقت وانقذه فى زورق مطبق الى واسط

خفيته بها وصادته وعذبه وكان في العذاب دهرًا وآيس من الخلاص فبلغ ابن الفرات ان أم سلمان بن الحسن ماتت ببغداد وانها كانت تتمنى رؤيته قبل موتها فاغتم لذلك وتذكر المودة بينه وبين أبيه الحسن بن محمد فكتب اليه بخطه كتابا أقرأه سلمان بعد سنين كثيرة من ذلك الحال وحفظته ونسخته وهو بسم الله الرحمن الرحيم ميزت أكرمك الله بين حقك وجرمك فوجدت الحق يوفي عن الجرم وتذكرت من سالف خدمتك في المنازل التي فيها ربيت وبين أهلها غذيت فأتاني عليك وعطفني اليك وأعادني لك الى أفضل ما عهدت وأجل ما ألفت فتق أكرمك الله بذلك وأسكن اليه وعول في صلاح ما اختل من أمرك عليه واعلم انني أرى فيك حقوق أبيك التي تقوم بتوكيد النسب مقام اللحمة والنسب وتسهل ما عظم من جنائتك وتقلل ما كثر من اساءتك ولم أدع مراعاتها والمحافظة عليها بمشيئة الله وقد قلدتك أعمال دستميسان سنة ثمان وتسعين ومائتين وبقايا ما قبلها وكتبت الى أحمد بن محمد بن جيش بحمل عشرة آلاف درهم اليك فتقلد هذه الأعمال وأثر فيها أثرا جليلا يبين عن كفاءتك ويؤدي الى ما أحبه من زيادتك ان شاء الله قال أبو الحسين وابن جيش هذا كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسط * حدثني البهلول بن محمد بن أحمد بن إسحق بن البهلول التنوخي رحمه الله قال حدثني أبو علي الوكيل على أبواب القضاة ببغداد ويعرف بالناقد قال كنت أقيم خبر المحبوسين في المطبق بمدينة السلام في أيام المقتدر بالله فرأيت في المطبق رجلا مغلولاً على ظهره لبنة حديد فيها ستون رطلا فسألته عن قصته فقال أنا والله مظلوم فقلت وكيف كان أمرك فقال كنت لبلة من الليالي في دعوة صديق لي بسوق يحيى فخرجت من عنده مغلساً وفي الوقت فضل وأنا لا أعلم فلما صرت في قطعة من الشارع رأيت مشاعل الطائف فرهبت ولم أدر ما أعمل فرأيت شريحة مشوشة ففتحتها ودخلت ودورها كما كانت وقمت في الدكان ليجوز الطائف وأخرج وبلغ الطائف الموضع فرأى الشريحة مشوشة فقال فتشوا هذا الدكان فدخلت الرجالة بمشعل فرأيت في ضوءه رجلاً في الدكان مذبوحاً وعلى صدره سكين فجذعت ورأى الرجال ذلك ورأوني قهراً فلم يفتكروا في إلا أني أنا قاتله وأخذني صاحب الشرطة ثم عرضت فضربت ضرباً شديداً وعوقبت

أصناف العقوبات وأنا أنكر وعندهم اني أتجملد وهم يزيدوني فاجتمعت أهلى وكان لهم شغب بأسباب السلطان فتكلموا فيَّ واستشهدوا خلقا كثيرا على سيرى فبعد شدائد ألوان أعفيت من القتل ونقلت إلى المطبق وفي هذا الحديد من منذ ست عشرة سنة قال فاستعظمت محنته وبهت من خديته فقال مالك والله ما آيس مع ذلك من فضل الله عز وجل فان من ساعة إلى ساعة فرجا قال فوالله ما خلاص كلامه من فيه حتى ارتفعت ضجة عظيمة وكسر الحبس ووصلت العامة إلى المطبق ومكائده فأخرجوا كل من كان في الحبس وخرج الرجل من جملتهم فأنصرفت وأنا أريد بيتى فاذا نازوك قد أقبل والفتنة قد ثارت وفرج الله جل وعز عن الرجل بلغنى رجل من أهل كوثي قال كان يتقلد بلدنا حامل من قبل أبي الحسين بن الفرات في بعض وزاراته فافتح الخراج واشتد في المطالبة وكان في أطراف البلد قوم من العرب قد زرعوا من الأرض ما لا يتجاسر الأكره على زراعته وكان العمال يسامحونهم ببعض ما يجب عليهم من الخراج فظالمهم هذا العامل بالخراج على التمام أسوة الأكره وأحضر أحدهم فحقق عليه المطالبة وهو يمتنع فأمر بصفعه حتى أدى الخراج وأنصرف فشكى إلى بنى عمه فتوافقوا على كبس العامل ليلا وقتله وراسلوا غيرهم من العرب وتواعدوا على ليلة معلومة فلما كان اليوم الذي يليه تلك الليلة ورد إلى الناحية حامل آخر صارفاً للأول فقبض عليه وصرفه وضربه بالمقارع وأخذ خطه بمال وقيده وأمر أن يحمل إلى قرية أخرى على فراسخ من البلد فيحبس فيها ووكل به عشرة من الرجال فسيروه مرة ماشياً ومرة على حمار فكاد مما لحقه أن يتلف وحصل تلك القرية وكان له غلام قد رباه وهو خصيص به طارف بجميع أموره فهرب عند ورود الصارف فلما كان من الغد لم يشعر المصروف المحبوس الا وغلامه الذى رباه قد دخل عليه فكانت محنته اليه أشد عليه من جميع ما لحقه اشفاقاً على الغلام وعلى نفسه مما يعرفه الغلام أن يكون قد دخل عليه فقال الغلام هات رجلك حتى اكسر قيودك وتقوم تدخل بغداد فقال له وأين الرجالة الموكلون بي فقال يا مولاي قد فرج الله تعالى وهرب الرجالة فقال ما سبب هذا قال ان الاعراب الذين كنت صفعت منهم واحدا وطالبته بالخراج كبسوا البارحة دار العمالة وعندهم انك أنت العامل وقد عملوا على قتلك

ولم يكن عندهم خبر صرفك ولا خبر ورود هذا العامل فقتلوه على انه أنت وقد
 هرب أصحابه وأهل البلد يخافونك فقم حتى تمشي الى بغداد لئلا يبلغهم كونك
 هنا فيقتصدونك ويقتلونك وكسر القيد وقام هو وغلामه يمشيان على غير جادة
 الى ان بعدا ودخلا قرية واستأجرا منها ماركباه الى بغداد ولقي المصروف الوزير
 ودب على المقتول وانه افسد الناحية وأثار فتنة مع العرب فأمره الوزير على الناحية
 وضم اليه جيشا فعاد الى كوثي وتحصن بالجيش وأرهب العرب وارضهم الى ان
 صالحهم وأثبتهم وسكن اليهم وسكنوا اليه وزال خوفه واستقام له أمر عمله *
 أخبرني أبو الفرج الأموي المعروف بالاصفهانى باسناده عن ابراهيم بن المهدي قال
 غضب على محمد الأمين في بعض هناته فسلمني الى كوثر فحبسني في سرداب وأغلقه
 على فمكت فيه ليلتي فلما أصبحت فإذا أنا بشيخ قد خرج على من زاوية
 السرداب ودفع الي وسطا وقال كل فأكلت ثم اخرج قنينة من شراب فشربت
 ثم قال غن لي فقلت

لي مدة لا بد أبلغها معلومة فاذا انتقضت مت

لوساوردتني الاسد ضارية لغلبتها ان لم يحجى الوقت

فغنيتها فسمعني كوثر فصار الى محمد وقال له قد جن عمك هو جالس يغني بكيت
 وكيت فأمر باحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة فرضى عني وأمر لي بسبعمائة
 الف درهم * حبس عبدالله بن طاهر محمد بن أسلم الطوسي فكتب اليه بعض اخوانه
 يعزيه على مكانه فأجابه ابن أسلم كتب لي تعزيني وانما كان يجب ان تهينني أريت
 العجائب وعرضت لي المصائب اني رأيت الله عز وجل يتحجب الي من يؤذيه فكيف
 الى من يؤذى فيه اني نزلت بيتا سقطت عني فيه فروض وحقوق منها الجمعة
 والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعيادة المريض وقضاء حقوق الاخوان
 وما نزلت بيتا خيرا في ديني منه فأخبر بذلك عبدالله بن طاهر فقال نحن في حاجة
 الى ابن أسلم أطلقوه * وكان المأمون قد غضب على فرج الزحمي فكلمه عبدالله
 ابن طاهر ومسرور الخادم في اطلاقه قال فرج فبت ليلتي وأنا مفكر اذ أتاني آت
 فقال لي

لما أتى فرج من ربه فرجا جئنا الى فرج نبغى به الفرجا
فلما أصبحت لم أشعر الا واللواء قد عقد لي على ولاية فارس والاهواز وأطلق
لي معونة خمسمائة الف درهم واذا أبو البغا الشاعر قائم على باب دارى وقد كتب
هذا البيت في رقعة فقلت له متى قلت هذا فقال في الوقت الذي رضى عنك فيه
فأمرت له بعشرين الف درهم * وقال عمار بن عقبة بن عمار من آل سلمى ابن المطهر
حدثني ملازم بن عدام الحنفي عن عمه ملازم بن حريث الحنفي قال كنت في حبس
الحجاج بسبب الحرورية فحبس معنا رجل فأقام حيناً لا نسمعه يتكلم بكلمة حتى
كان في اليوم الذي مات الحجاج في الليلة التي تليه فأقبل غراب في عشية ذلك اليوم
فوقع على حائط السجن فنعمق فقال الرجل ومن يقدر على ما تقدر عليه يا غراب ثم
نعمق الثانية فقال مثلك من بشر بخير يا غراب ثم نعمق الثالثة فقال من فيك الي
السماء يا غراب فقلت له ما سمعناك تكلمت مذحبت الى الساعة فادعاك الى ما قلت
قال انه نعمق فقال انى وقعت على ستر الحجاج فقلت ومن يقدر على ما تقدر عليه
ثم نعمق الثانية فقال ان الحجاج أصابه وجع فقلت مثلك من بشر بخير ثم قال
في الثالثة الليلة يموت فقلت من فيك الى السماء ثم قال الرجل ان انسلخ الصبح قبل
ان أخرج فليس على بأس وان دعيت قبل الصبح فستضرب عنقي ثم تلبثون ثلاثا
لا يدخل عليكم أحد ثم يدعى بكم في اليوم الرابع فيهتف على رؤسكم بالكفالة فمن
وجد له كفيلة خلى سبيله ومن لم يجد له كفيلة فويل له طويلاً فلما دخل الليل
سمعنا الصراخ على الحجاج ثم أخرج الرجل قبل الصبح فضرب عنقه ثم لم يدخل
علينا أحد ثلاثا ثم دعى بنا وطلب منا الكفالة ثم صار الأمر الى فكنت طويلاً
حتى خفت ان ارد إلى الحبس ثم تقدم رجل فضمنني فقلت له يا عبد الله من أنت حتى
أشكرك فقال لي اذهب ولست بمسؤول عنك أبدا فانطلقت * قال أبو الحسن على
ابن عبد الأعلى الاسكافي كنت أكتب لبغاء الكبير فصرفني ونكبتني وأخذ
ضياعى ومالي وحبسنى بعد ذلك وتهددني ونالني منه كل مكروه وانى لى حبسه
اذ سمعت حركة فسألت عنها فقبل لى قد وافى إسحق بن إبراهيم الطاهري
وكان صاحب الشرطة فقلت انما هذا حضر لعقوبتي فطارت نفسي جزوا فلم ألبث
ان دعيت فحملت في قيودي وعلى ثياب في نهاية للوسخ فأدخلت وأنا كالميت لما بي

ولعظم الخوف فلما وقعت عين إسحق على تبسم فسكنت نفسي فقال لي بغاء
 ان أخي أبا العباس يعني عبدالله بن طالب بن طاهر كتب الي يشفع في أمرك
 وقد شفعتك وأزلت عنك المطالبة ورضيت عنك ورددت عليك ضياعك فانصرف
 الى منزلك فبكيت بكاء شديدا لعظم ما قد ورد علي قاي من السرور وفكنت قيودي
 وغيرت حالي وانصرفت فبت في بيتي وبكرت في المسير الي إسحق لاشكره واسأله عما
 أوجب ماجري لأنه شيء ما طمعت فيه ولا كانت لي وسيلة الي أبي العباس ولا إسحق
 فلقيته وشكرته ودعوت له ولأبي العباس وسألته فقال ورد علي كتاب الأمير
 أبي العباس يقول فيه قد كانت كتب أبي موسى بغاء ترد علي بمخاطبات توجب الانس
 والخلطة وتلزم الشكر والمنة ثم تغيرت فبحشت عن السبب فعلمت ان ذلك الكاتب
 صرف وانه منكوب وحق لمن أحسن عشرتنا ووكد المحبة بيننا وبين إخواننا
 حتى بان لنا موقعه وعرفنا موضعه لما صرف أن زعى حقه فسر أبقاك الله إلي
 أخي أبي موسى واسأله في أمر كاتبه المصروف عني واستصنجه ما في نفسه منه
 واستطلقه واسأله رده إلي كتابته وإن كان ما يطالبه به مما لا ينزل عنه فأده من
 مالنا كائنا ما كان فلقيته ففعل ما رأيت وأنا أعاود الخطاب في استكتابك وقد
 أمر لك الأمير بكذا من المال فخذ قال فأخذته وشكرت ودعوت للأميرين
 وانصرفت فأمضيت الأيام حتي ردني إسحق إلي كتابة بغاء بشفاعة أبي العباس
 وتأملت حالي معه ونعمتي * حدثني علي بن أبي الطيب باسناده إلى سليمان بن
 أبي زياد قال كان عمرو بن هبيرة والياً على العراق من ولادة يزيد بن عبد الملك
 فلما مات يزيد واستخلف هشام قال عمرو بن هبيرة سيولى هشام العراق أحد
 الرجلين سعيدا الخرشى أو خالد بن عبدالله القسرى فان ولي ابن النصرانية خالدا
 فهو البلاء فولى هشام خالدا فدخل واسطا وقد أودن عمرو بن هبيرة بالصلاة
 فهو يتهياً والمرأة في يده يسوى عمتة إذ قيل له هذا خالد قد دخل فقال عمرو بن
 هبيرة هكذا تقوم الساعة تأتي بغمة قدم خالد فأخذ عمرو بن هبيرة فقيده وألبسه
 مدرعة صوف فقال يا خالد بئس ما سئنت على أهل العراق ما تخاف أن يوجد فيك
 بمثل هذا فلما طال حبسه جاءه موال له فاكثروا دارا إلي جانب الحبس ثم نقبوا
 مردابا إلي الحبس واكثروا دارا أخرى إلي جانب حائط سور مدينة واسط

فلما كانت الليلة التي أرادوا أن يخرجوه فيها من الحبس أفضى النقب إلى الحبس
فخرج منه في السرداب ثم خرج من الدار يمشى حتى بلغ الدار التي بجانب سور
المدينة وقد نقب فيها فخرج في السرداب منها وقد هيئت له خيل خلف حائط
المدينة فركب وعلم به بعد ما أصبحوا وقد كان أظهر علة قبل ذلك لكي يتمسكوا
عن تفقده في كل وقت فأتبعه خالد سعيد الخرشى فلحقه وبينه وبين الفرات
شيء يسير فتعصب له وتركه وقال الفرزدق شعرا

ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها ولم تر إلا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعدما ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا
خرجت ولم يمن عليك طلاقة سوى زائد التقريب من آل أعوجا
فأصبحت تحت الأرض قد سرت ليلة وما سار سار مثلها حين أدلجا

قال سليمان بن أبي شيخ حدثني أن أبي خبره عن أبي الجنيحات قال حدثني
حازم مولي عمرو بن هبيرة حين هرب من السجن فبلغنا دمشق بعد العتمة فأتى
مسلمة بن عبد الملك خلف الصبيح فاستأذن مسلمة على هشام بن عبد الملك
فدخل عليه فلما رآه قال يا أبا سعيد أظن ابن هبيرة قد طرقت في هذه الليلة
قال أجل يا أمير المؤمنين فقد أجرته فهبه لي قال قد وهبته لك * أخبرني أبو
الفرج انقرشى المعروف بالأصفهاني قال قد ذكر ابن الكاكي عن أبيه قال خرج
قيس بن قيسبة بن كلثوم السكوني وكان ملكا يريد الحج وكانت العرب تخرج في
الجاهلية ولا يتعرض بعضها لبعض فر بنى عامر بن عقيل فوثبوا عليه وأسروه
وأخذوا ماله وما كان معه وألقوه في الغل فمكث فيه ثلاث سنين وشاع في اليمن
أن الجن استطارته فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم وقد يؤس
من الفرج إذ قال لها أتأذنين لي أن آتي الأكمة فأتشرق عليها فقد أضرتني
القر فقالت له نعم وكانت عليه جبة صوف لم يترك عليه غيرها فتمشى في أغلاله
وقيوده حتى صعد الأكمة ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن وتغشاها عبرة فبكى
ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم فاطر السماء فرج لي مما أصبحت فيه فبينما هو
كذلك إذ عرض له ركب يسير فأشار إليه أن أقبل فأقبل الركب فلما وقف
عليه قال له ما حاجتك يا هذا قال أين تريد قال أريد اليمن قال ومن أنت قال

أبو الطمحان العيني فاستعبر ابن قيسبة فقال له أبو الطمحان من أنت فاني أرى عليك
 سيما الخير ولباس الملوك ولست بدار فيها ملك فقال أنا ابن قيسبة بن كاثوم
 السكوني خرجت عام كذا وكذا أريد الحج فوثب على هذا الحى وصنعوا بي
 ما ترى وكشف عن أغلاله وقيوده فاستعبر له أبو الطمحان فقال له قيسبة هل لك
 من مائة ناقة حمراء قال ما أحوجني إلى ذلك قال أنخ فأناخ ثم قال له أمعك
 سكين قال نعم قال ارفع عن رجلك فرفع له عن رجله حتى بدت خشبة مؤخره
 فكتب عليها قيسبة بالمسند ولم يكتب به غير أهل اليمن

بلغن كندة الملوك جميعا حيث سارت بالاكرمين الجمال
 ان ردوا الخيل بالخميس عجالا واصدروا عنه والروايا ثقال
 هربت جارتى وقالت عجيبا ان رأيتني في جيدي الاغلال
 ان برى عارى العظام أسيرا قد براني تضعضع واختبال
 فلقد أقدم الكتيبة بالسيف على السلاح والسربال
 وكتب تحت الشعر الى أخيه ان يدفع الى أبي الطمحان مائة ناقة حمراء ثم قال
 أقرىء هذا قومي فانهم سيعطونك مائة ناقة حمراء فخرج تسير به راحلته حتى
 أتى حضرموت فتشاغل بما ورد له ونسى أمر ابن قيسبة حتى فرغ من حوائجه
 ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن أمر ابن قيسبة ويبكين فذكر أمره فأتى
 أخاه الجون بن مالك فقال له يا هذا انى أدلك على أخيك وقد جعل لى مائة ناقة
 حمراء فقال له فهى لك فكشف عن رجله فلما قرأه الجون بن مالك أمره بمائة
 ناقة ثم أتى قيس بن معدى كرب الكندى أبا الأشعث بن قيس فقال له يا هذا ان
 أخى فى بنى عقيل أسير فسر معى بقومك نخلصه قال أتسير معى تحت لوائى حتى
 أطلب ثارك وأنجذك والافامض راشدا فقال له الجون مس السماء أهون من
 ذلك وأيسر على مما جئت به فصحب السكون ثم ذؤا فرجعوا فقال ماعليك من هذا
 هو ابن عمك ويطلب لك بشارك فأنعم له بذلك فسار قيس وسار الجون معه تحت
 لوائه كندة والسكون معه فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس
 وبه أدرك الشرف وسار حتى أوقع بينى طامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة واستنقذ
 ابن قيسبة وقال فى ذلك سلامة بن صبيح الكندى

لا تشتمونا اذ جلبنا لكم الى كنية كلها سلهبة
نحن أنلنا الخير في أرضكم حتى نأردنا منكم ابن قيسبة
واعترضت من دونهم مذحج فصادفوا من خيلنا مسغبة

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق الكاتب بن يعقوب بن إسحق
البهلول التنوخي قال كنت وأنا حدث أتعلم في ديوان الزمام بالسواد بين يدي
كاتب فيه يقال له أبو الحسن علي بن الفتح ويعرف بالمطوق عاش إلى بعد سنة عشرين
وثلاثمائة وأخرج إلينا كتابا قد عمله في أخبار الوزراء منذ وفاة عبيد الله بن يحيى
ابن خاقان إلى آخر أيام القاهرة بالله وبعدها وسماه كتاب مناقب الوزراء ومحاسن
أخبارهم فقرأنا عليه بعضه وأخبرنا بالباقي مناولة قال مؤلف هذا الكتاب فأعطاني
أبو الحسن أحمد بن يوسف الكتاب مناولة فوجدت فيه أن القاسم بن عبيد الله
اعتقل أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام في داره أياما لأشياء كانت في نفسه
عليه وأراد أن يوقع به فلم يزل ابن بسطام يداريه ويتلطف إلى أن أطلقه وقلده
آمد وما يتعلق بها وأخرجه إليها وفي نفسه ما فيها ثم ندم على ذلك فوجه إليه
في آخر أيام وزارته بقائد يقال له علي بن جيش أخو قوصرة ووكله به فكان
يأمر وينهى في عمله وهو موكل به في داره خائف على نفسه لما قد ظهر من اقدام
القاسم على القتل قال ابن بسطام فأنا أخوف ما كنت على نفسي وحالي وليس عندي
خبر حتى ورد على كتاب عنوانه لأبي العباس أطل الله بقاءه من العباس بن الحسين
فلما رأيت العنوان ناقص الداء علمت أن القاسم بن عبيد الله قد مات وإن
العباس بن الحسين قد تقلد الوزارة فلم أملك نفسي فرحا وسرورا بالسلامة في
نفسى وزال الخوف عني وقرأت الكتاب فإذا هو بصحة الخبر وأمرني بالخروج
إلى مصر وقلدني الأمانة على الحسين بن أحمد المادرائي فلخرج ابن بسطام إلى
مصر ولم يزل يتقلد الأمانة على الحسين بن أحمد إلى أن تقلد علي بن محمد بن الفرات
الوزارة فقلده مصر وأعمالها فلم يزل فيها إلى أن توفي * حدثنا أبو محمد
عبد الرحيم الوراق المعروف بالصيرفي ابن العباس بن محمد بن أحمد البرم
المعروف بالمقرى البغدادي بالبصرة في الحرم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة
بكتاب المنتصر لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن عمار في خبر العلوي الصوفي

الخارج بالجوزجان على المعتصم وهو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان عبد الله بن طاهر حاربه وأمره وبعث به إلى المعتصم وهو ببغداد قال حدثت أن المعتصم أمر أن يبنى حبس في بستان موسى كان القيم به مسرورا مولى الرشيد قال وكنت أرى هذا البناء من دجلة إذا ركبتهما تخبرني من دخله أنه كان كالبرء العظيمة قد حفرت إلى الماء أو قريب منه ثم فيها بناء على هيئة المنارة مجوف من باطنه وله من داخله مدرج قد جعل في مواضع من التدرج مستراحات وفي كل مستراح شبيه بالبيت يجلس فيه رجل واحد كأنه على مقداره يكون فيه مكبوبا على وجهه ليس يمكنه أن يجلس ولا يمد رجله فلما قدم بمحمد حبس في أسفل بيت منه فلما استقر به أصابه من الجهد لضيقته وظلمته ومن البرد لندى الموضع ورطوبته ما كاد يتلفه من ساعته فتكلم بكلام دقيق سمعه من كان في أعلى البرم من وكل بالموضع فقال إن كان أمير المؤمنين يريد قتلي فالساعة أموت وإن لم يكن يريد ذلك فقد أشفيت عليه فأخبر المعتصم بذلك فقال ما أريد قتله وأمر بإخراجه فأخرج وقد زال عقله وأغمى عليه فطرح في الشمس وطرح عليه لحف وأمر بحبسه في بيت كان بني في البستان فوقه غرفة وكان في البيت خلاء إلى الغرفة التي تليها وفي الغرفة أيضاً خلاء آخر إلى سطحها فلم يزل محبوساً فيه إلى أن نهيأ له الخروج ليلة الفطر سنة تسع عشرة ومائتين قال فحدثني علي بن الحسين بن عمر بن علي بن الحسين وهو ابن عم أبيه قال أصبحت يوم الفطر أتياً للركوب فانا أشد منطقة في وسطى وقد لبست ثيابي أبادر الركوب إلى المصلى ما داعني إلا محمد بن القاسم قد دخل إلى منزلي فملئت رعباً وذعراً وقلت له كيف تخلصت قال أنا أدبر أمرى في التخلص منذ حبست ثم وصف لي الخلاء الذي كان في البيت الذي حبس فيه إلى الغرفة التي فوقه والخلاء الذي كان في الغرفة إلى سطحها وأنه أدخل معي يوم حبست لبد فكان وطائي وفراشي قال وكنت أرى بغرش وهي قرية من قرى خراسان حبلاً لا تعمل فيها من لبود مرصع كما يفعل بالسيور فتجنيء أحكم شيء فسولت لي نفسي أن أعمل من اللبد التي تحتى حبلاً وكان على باب البيت قوم وكلوا بي يحفظوني لا يدخل على منهم أحد إنما يكلموني من خلف الباب

ويناولوني من تحته ما اتقوته فقلت لهم إن أظفاري قد طالت جدا وقد احتجت إلى مقراض خيء نى رجل منهم كان يميل إلى مذهب الزيدية بمقراض أحد جانبيه منقوش نقش المسجل وقلت لهم إن فى هذا البيت فيراناً يؤذوننى ويقذروننى إذا قربوا منى فاقطعوا لى جريدة من النخل تكون عندى أطردهم بها فقطعوا لى من بعض نخل البستان جريدة فرموا بها إلى وكنت لا أزال أضرب بها فى البيت وأسمعهم صوتها أياماً ثم قشرت الخوص عنها وقطعتها على مقدار ما علمت أنها تعرض فى ذلك الخلاء إذا رميت بها فضممت كل ما قطعت منها بعضه إلى بعض وقطعت اللبد وضغرت منه حبلاً على ما كنت أرى يعمل بغرش ثم شددت ما قطعت من الجريدة فى رأس الحبل ثم رميت به فى الكوة وطأجته مراراً حتى اعترض فيها ثم اعتمدت عليها وصعدت إلى الغرفة ومن الغرفة إلى سطحها قال ففعلت ذلك مراراً فى أيام كثيرة وتمكنت من الحركة بأن سحلت بجانب المقراض إحدى حلقتى القيد ولم يمكننى أن أسحل الأخرى فكنت إذا أردت الحركة شددت القيد مع ساقى فأتحرك وقد صرت مطلقاً فلما كان فى هذه الليلة وشغل الناس بالعيد وانصرف من كان على الباب فلم أحس منهم أحداً إلا شيخاً واحداً كنت أسمع حركته واطلع فأراه فصعدت بئر المغرب والعشاء إلى الزرفة ومن الغرفة إلى سطحها وأشرفت فاذا المعتصم يفتط والناس بين يديه والشموع فرجعت حتى إذا كان فى جوف الليل صعدت ولم يتحرك الناس ونزلت إلى البستان فاذا فيه قائد معه جماعة فصاح بى بعضهم فقال من هذا فقامت مدينى من أصحاب الحمام فقال أين تخرج اطرَح نفسك حتى تصبح وتفتح الأبواب فطرحت نفسى بينهم حتى فتح باب البستان فى الغلس وتحرك الناس فصرت إلى دجلة لا عبره فاذا الشيخ الذى كان أحد من يحفظنى قد جاء ليعبر فطلب منى الملاح أجرته كما أخذ من الناس فقلت ما معى شئ أنا رجل غريب ضعيف الحال فقال لى الشيخ أعبر أنا أعطيه عنك فأعطاه عنى وعبرت حتى جئتكم قال على بن الحسين فقلت والله ما منزلى بموضع لك فاخرج عنه ولا تقر فيه لحظة واحدة قال وركبت إلى المصلى فصار إلى منزل رجل من الشيعة فأخفاه * قال وروى عن الفضل بن حماد الكوفى من أصحاب الحسين بن صالح يحدث بوفاة عيسى بن زيد بن على

رضي الله عنهم بالكوفة وكيف ستر ذلك عن المهدي فذكر حديثا طويلا قال فيه فتواردت الاخبار عند الرشيد بحسن طريقة أحمد بن عيسى بن زيد وميل الناس اليه فأمر بحمله فحمل إلى بغداد ومعه القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو والد محمد بن القاسم الصوفي الخارج بخراسان في أيام المعتصم فحبسوا عند الفضل بن الربيع وكان في حبسه في داره في الشارعة على دجلة قريب رأس الجر بمشرعة الصحن وكان حسن الصنيع اليهما يؤتيان بمائدة كئيدة التي توضع بين يديه ويواصلان من الخلو والفاكهة والتلج في الصيف بمثل ما يكون على مائدته إلى أن أتيا بالمائدة ذات يوم فتغديا ثم رفعت من بين أيديهما فوضعت بين أيدي الغلمان فأكلوا وأكثروا ودخل وقت القائلة فناموا فخرج أحمد بن عيسى بن زيد إلى حب في ناحية الدهليز فرأى النوم نياما فغرف من الحب بالكوز الذي معه فلما رجع قال للقاسم يا هذا اعلم أنني قد رأيت فرصة بينة هؤلاء نيام والباب غير مقفل لم يحكموه كما كانوا يفعلون وقد اغفلوه فاخرج بنا فقال له القاسم أنشدك الله فأنك تعلم أنك في عافية مما فيه كثير من أهل الحبوس وهذا الرجل يعني الفضل بنابر ولنا متعهد فقال له أحمد دعني منك واعلم أن العلامة بيني وبينك ما أصف لك فإن تحرك القوم رجعت إليك وكانت علي بسبب الكوز وإن لم يتحركوا فأنا والله خارج وتاركك بموضعك واعلم أنك لا تسلم بعدى ثم خرج فغرف بذلك الكوز من الحب ثم طرحه من قامته وكان أطول منك ومنى فأتحرك منهم أحد ثم انثنى عليه فقال له قد رأيت ما قد استظهرت به لك ولنفسى وأنا والله خارج ثم مضى واتبعه القاسم ففتح الباب وخرجا فقالا لا نجتمع في طريق ولكن موعدنا كذا وكذا قال فما جاز أحمد عتبة الباب إلا خمسين ذراعاً حتى لقيه غلام للفضل بن الربيع مدني أعرف به من نفسه فبهت الغلام لما رآه وأومأ إليه أحمد بكمه كالأمر له بغضب أن تنح فإملاك الغلام نفسه إن فعل ثم كان عزمه أن يستقيم في تلك الطريق فلما بلى من الغلام بما بلى عدل عن تلك الطريق في طريق آخر للاستظهار على الغلام وأسرع حتى نجا وذكر بقية الحديث * ومن ظرائف ما شاهدناه من هذا الباب أن أبا تغلب فضل الله عدة الدولة ابن ناصر الدولة أبي محمد استوحش من أخيه محمد بعد موت أبيهما

فقبض عليه واستصفي ماله ونعمته وقبض عقاره وضياعه وثقله بالحديد وانفذه الي
القلعة المعروفة بأرد مشت وهي مشهورة من أعمال الموصل حصينة فحبسه في
مطمورة ووكل به عجوزة يثق بها جلدة يقال لها بازبانا وأمرها أن لا توصل اليه
أحدا ولا تعرفه خبره وأن تخفي موضعه عن جميع سجنه القلعة وحفظتها ففعلت
ذلك فأقام على حاله تلك ثمانى سنين ثم اتفق أن انحدرا أبو تغلب معاونا بختيار بن
معز الدولة أبي الحسين ومعهما العسكر يقصدان بغداد لمحاربة عضد الدولة وتاج
الملّة أبي شجاع وخرج للقائهما فكانت بينهما الواقعة المشهورة بقرب قصر الحصن
فقتل فيها بختيار وانهزم أبو تغلب فدخل الموصل وخاف من تخلف محمد فكتب
إلى غلام له كانت القلعة مسلمة اليه يقال له طاشتم في أن يمكن رئيسا من رؤساء
الاکراد يقال له صالح بن يابويه كان كالشريك لطاشتم في حفظ القلعة من محمد بن
ناصر الدولة ليمضي فيه ما أمره به وكتب الى صالح يأمره بقتل محمد فمكن طاشتم صالحا
فلما أراد الدخول على محمد لقتله منعه بازبانا من ذلك وقالت له لا أمكن من هذا
الا بكتاب يرد علىّ ودخل عضد الدولة الي الموصل وأجفل عنها أبو تغلب
وكدته العساكر واشتد عليه الطلب وورد عليه كتاب من القلعة بما قالت بازبانا فالي
أن يحجب عليه أحاطت بعض عساكر عضد الدولة بقلعة ارد مشت ونازلوها
فانقطع ما بين أبو تغلب وبينها ولم يصل إليها كتاب ثم فتحها عضد الدولة بعد
شهور بأن واطاه صالح على القبض على طاشتم وكتب اليه يعرفه بما عمله ويستأذنه
فيما يعمله وكان لمحمد خادم اسود يسمى ناصحا وكان بعد القبض على محمد قد رفع إلى
عضد الدولة وهو بفارس وصار من وجوه خدمه وحضر معه وقعة حصن الجص فلما
ورد خبر فتح القلعة أذكره ناصح بوعد كان عليه في إطلاق مولاه فكتب اليه
أن يطلبه في القلعة فإن وجد حيا يطلق وينفذ اليه مكرما حين دخل صالح ومعه
بعض من قد صعد إلى القلعة من حاشية عضد الدولة إلى محمد في محبسه جزع
جزعا شديدا ولم يشك في أنهم دخلوا بأمر أبي تغلب لقتله فأخذ يتضرع ويقول
ما يدعو أخى إلى قتلى فقال له صالح لا خوف عليك وإنما أمر الملك أن نطلقك
ونمضى اليه مكرما فانه قد ملك هذه البلاد فقال أغلب ملك الروم على هذه
النواحي وفتحت له القلعة قال لا ولكن الملك عضد الدولة قال الذي كان بشيراز

قال نعم وقد جاء الى بغداد فقال عهد وأين يختار فقالوا قتل قال وأين أبو تغلب
قالوا انهزم ودخل الى بلاد الروم قال وأين الملك عضد الدولة قالوا بالموصل
وهو ذا تحمل اليه مطلقا مكرما فسجد حينئذ وبكى بكاء شديدا وحمد الله عز وجل
وجاءوا ليفكوا حديدته وأغلاله فقال لا أمكن من ذلك إلا بعد أن يشاهد حالي
الملك فحمل إلى الموصل فرأيت أنه وقد أضعده مقيدا من المعبر الذي عبر فيه في
دجلة إلى دار أبي تغلب التي نزلها عضد الدولة بالموصل وأنا إذ ذاك أتقلدها له
وجميع ما فتحه مما كان في يد أبي تغلب مضافا إلى حلوان وقطعة من طريق خراسان
فرايت محمدا يمشي في قيوده حتى دخل اليه فقبل الأرض بين يديه ودعا له وشكره
وأخرج إلى حجرة من الدار فأخذ حديدته وحمل على فرس فاره بمركب من ذهب
وقيد بين يديه خمس دواب بمراكب فضة مذهبة وخمس بحلالها وثلاثون بغلا
بأفكها محملة مالا صامتا ومن صنوف الثياب الفاخرة والفرش السرى والطيب
والآلات المرتفعة القدر والعلوفات والحيوان والحلو والطعام ونقل وفاكهة وأنبذة
وغير ذلك ثم أقطعه بعد أيام أقطاعا بثلاثمائة ألف درهم وولاه أماره بلده وأعماله
وهو الذي كان يتولاه لأبي تغلب * وذكر الحسين القاضي في كتابه كتاب
الفرج بعد الشدة * قال بلغني أن عمرو بن معدى كرب الزبيدي قال خرجت
في خيل من بني زبيد أريد غطفان فبينما أنا أسير وقد انفردت من أصحابي إذ
سمعت صوت رجل ينشد شعرا فتفهيمته حفظته وهو هذا

أما من فتى يخاف العطف يبلغ صمرو بن معد يكرب
بانا ننوط في زمان بارجلنا اليوم نوط القرب
فان هو لم يأتنا عاجلا فيكشف عنا ظلام الكرب
وإلا استغننا بعبد المدان وعبد المدان لها إن طلب

قال فعلمت أنه قول أسير في بني مازان بن صعصعة فقلت لخلي قفوا حتى
أتيكم واقتحمت على القوم وحدي وإذا هم يصطلون فقلت أنا أبو ثور أين أسرى
بني مذحج فبادرت الأسرى من الرجال وبادر القوم إلى يقاتلونني فلم أزل أقاتلهم
وأقتل منهم حتى استعفوني وقالوا إنا والله لنعلم أنك لم تأتنا وحدك فكفف
عنا ولك الأسرى واكفف عنا خيلك فنزلت وأطلقت بعضهم وقلت ليحل

مطلقكم موثقكم وليركب كل واحد منكم ما وجد قال وأقبلت خيلي وجاءت الأسرى
فقلت لهم هل علمتم موضعي حتى أنشد منشدكم قالوا لا والله ما سمعنا وما
أصبحنا منذ سرنا أشد بأساً ولا أتم إيقانا بالهلاك منا اليوم فلذلك حين أقول

ألم ترني إذ ضمنى البلد القفر	سمعت ندا يصدع القلب يا عمرو
أغننا فانا عصابة مذحجية	نناط على وفر وليس لنا وفر
تكلفنا يا عمرو ما ليس عندنا	هو ازن فانظر ما الذي فعل الدهر
فقلت لخيلي انظروني فاني	سريع اليكم حين ينصدع الفجر
وأقحمت مهري حين صادفت غرة	على الطف حتي قيل قد عقر المهر
فأنجيت أسرى مذحج من هو ازن	ولم ينجمهم إلا السكينة والصبر
ونادوا جميعاً حل عنا وثاقنا	أخا البطش أن الأمر يحده الأمر
وأبت بأسرى لم يكن بين قتلهم	وبين طعاني اليوم ما دونه فتر
يزيد وعمرو والحصين ومالك	ووهب وسفيان وسابعهم وبر

روى نجيذ كاتب ابراهيم بن المهدي أن ابراهيم حدثه أن مخرجا الطبري
الكاتب للمهدي على ديوان الرسائل أخبره أنه كان في ديوان عبد الملك يتعلم كما
يتعلم الاحداث في الدواوين اذ ورد كتاب صاحب يريد الثغور الشامية على
عبد الملك يخبره فيه ان خيلا من الروم تراءت للمسلمين فتفرقوا اليها ثم رجعوا
ومعهم رجل قد كان أسرى في أيام معاوية بن أبي سفيان فذكروا ان الروم لما
توافقوا أعلموهم أنهم لم يأتوا الحرب وانما جاؤا بهذا المسلم ليسلموه الى المسلمين
لأن عظيم الروم أمرهم بذلك وذكر صاحب البريد ان النافرين ذكروا انهم سألوا
المسلم عما قالت الروم فوافق قوله قولهم وذكر ان الروم قد أحسنوا اليه فانصرفوا
عنهم وأخذوه واني سألته عن سبب مخرجه فذكر انه لا يخبر بذلك أحدا دون
أمير المؤمنين فأمر عبد الملك باحضاره له ولما حضر قال له من أنت قال أنا قبات بن
رزين اللخمي أسكن فسطاط مصر في الموضع المعروف بالجرعاء أسرت في خلافة
معاوية وطاقية الروم إذ ذاك ورقاء بن مورة فقال عبد الملك بن مروان فكيف
كان فعله بكم قال لا أحد أشد عداوة للإسلام وأهله منه إلا انه كان حليما وكان
المسلمون في أيامه أحسن حالا منهم في أيام غيره الى ان أفضى الأمر إلى ابنه فقال

في أول ماملك ان الاسراء إذا طال مكثهم ببلد آنسوا به ولو كان على غاية الرداءة
وليس شيء أنكر لقلوبهم من نقلهم من بلد الى بلد وأمر باثني عشر قدحاً وكتب
في رأس كل واحد منها اسم واحد من بطارقه الاثني عشر يضرب بالقدح في
كل سنة أربع مرات فمن خرج إليه القدح الأول حول اليه المسلمون فاحتبسهم
عنده شهراً ومن صار اليه القدح الثاني صاروا اليه بعد البطريق الذي كانوا عنده
في الشهر الأول ومن خرج اليه القدح الثالث حولهم اليه بعد الشهر الثاني ثم
أعيدت القدح بعد ذلك قال قبات فكنا لانصير إلى واحد من البطارقة إلا قال
احمد الله عز وجل حيث لم يبتلكم ببطريق الرخان قال فكنا نرتاع لذكره ونحمد
ربنا عز وجل على ان لم يكن يبتلينا برؤيته قال فكنا عدة سنين ثم ضرب بالقدح
نخرج القدح الأول والثاني لبطريقتين من البطارقة وخرج الثالث لبطريق الرخان
فمر بنا في الشهرين غم طويل نترقب المكروه ثم انقضى الشهران فحملنا اليه فرأينا
على بابه من الجمع على خلاف ما كنا نعاين ورأينا من رثاجته والغلظة خلاف
ما كنا نرى ثم وصلنا اليه فتبين لنا من فظاظته وغلظته ما أيقنا معه بالهلكة ثم
دعا بالحدادين وأمر بتقييد المسلمين بأمثال ما كان يقيدهم غيره قال فلم يزل الحديد
يجعل في رجل واحد واحد حتى صار الحداد إلى قال فنظرت في وجه البطريق
فوجدته قد نظر إلى بخلاف العين التي كان ينظر بها إلى غيري ثم كلمني بلسان عربي
فسألني عن اسمي وعن نسبي ومسكني مثل ما سألتني عنه أمير المؤمنين فصدقته عما
سألني عنه ثم قال لي كيف حفظك لكتابكم قال فأعلمته اني حافظ له فقال اقرأ
آل عمران فقرأت عليه منها نحو خمسين آية فقال إنك لقارئ فصيح ثم سألني
عن روايتي للشعر فأعلمته اني راوية فاستنشدني جماعة من الشعراء فألشدته فقال
انك لحسن الرواية ثم قال خليفته قد ومقت بهذا الرجل فلا تحمده ثم قال وليس
من الانصاف أن أسوءه في أصحابه ففك عن جماعته وأحسن مثواهم ولا تقصر في
قراهم ثم دعا صاحب مطبخه فقال لست أطعم طعاما مادام هذا العربي عندي
الا معه فاحذر ان يدخل المطبخ مالا يحل للمسلمين أكله واحذر أن تجعل الخمر
في شيء من طبيخك ثم دعا بمائدته واستدنانني حتى قعدت إلى جانبه فقالت له
فدتك نفسي وبأبي أنت أحب أن تخبرني من أي العرب أنت فضحك ثم قال لست

أعرف لمسألتك جواباً لأنني لست عربياً فأجيبك عن سؤالك فقلت له مع هذه الفصاحة بالعربية فقال إن كان باللسان تنقل الانساب من جنس إلى جنس فأنت إذا رومياً فإن فصاحتك بلسان الروم ليست بدون فصاحتى بلسان العرب فعلى قياس قولك يجب أن تكون رومياً وأكون عربياً قال فصدقت قوله وأثمت عنده خمسة عشر يوماً لم أكن منذ خلقت في نعمة أكثر منها فلما كانت ليلة ستة عشر فكرت في أنه قد مضى نصف الشهر وإن الأيام تقربني من الانتقال إلى غيره فبت مغموماً وصار إلى رسوله يدعوني لحضور طعامه فلما جعل الطعام بين أيدينا رأى أكلى مقصراً عما كان يمهده فضحك ثم قال أحسبك يا عربى لما مضى النصف من شهرك فكرت في أن الأيام تقربك من الانتقال عنى إلى غيرى فلا يعاملك مثل معاملتى ولا يكون عيشك معه مثل عيشك معى فسهرت واعتراك لذلك غم ثم غير طبعك فأعلمته أنه قد صدق فقال ما أنا إن لم أحسن الاختيار لصديقى بحر كل فقد آمنك الله مما حذرت ولم أبت في اليوم الذى رمقتك فيه حتى سألت الملك أن يصيرك عندي ما دمت في أرض الروم فلست تنتقل عن يدي ولا تخرج منها إلا إلي بلدك فاني أرجو أن يسبب الله عز وجل ذلك على يدي قال فطابت نفسى ولم أزل مقيماً عنده إلي أن انقضى الشهر وضرب بالقдах وخرج لبطارقة غير البطريق الذي نحن عنده وتحول إليه أصحابى وبقيت وحدى وتغذيت في ذلك اليوم مع البطريق وكان من عادتي أن أنصرف من عنده بعد غدائي إلى اخواني المسلمين فننتحدث ونأنس ونقرأ القرآن ونجمع الصلوات ونتذاكر الفرائض ويسمع بعضنا بعضاً ما حفظ من العلم وغيره قال فأنصرفت ذلك اليوم إلى الموضع الذى كنت أجتمع فيه مع المسلمين فلم أر أحداً منهم فضاق صدرى ضيقاً تمنيت أن أكون مع أصحابى وبت ليلة صعبة لم أطبق فيها بين أجفاني فأصبحت أكنف خلق الله عز وجل بالاً وأسوأهم حالاً وصار إلى رسول البطريق في وقت الغذاء فلما صرت إليه تبين النعم في وجهى ومددت يدي إلى الطعام فرأى مديدي إليه خلاف عادتي فضحك ثم قال أحسبك اغتممت لفراق أصحابك فأعلمته أن قد صدق وسألته هل عنده حيلة في ردهم إلى يده فقال إن الملك لم يردبنتقل أصحابك من يد إلى يد غيرى إلا ليغفهم بما يفعل ومن المحال أن يدع تدييرهم في الأضرار

بهم لميلى إليك ومحبتى لك وما عندى فى هذا الباب حيلة فسألته أن يسأل الملك
 إخراجى عن يده وضى الى أصحابى لا كون معهم حيث كانوا فقال ولا فى هذه
 أيضا حيلة لأنى لا أستجيز أن أثقلك من سعة إلى ضيق ومن كرامة إلى هوان
 ومن نعمة إلى شقاء قال فلما قال لى ذلك تبين فى الانكسار وغلبة الغم فقال لى
 ما بلغ بك من الغم فأعلمته أن بلغ بى ما نغص إلى الحياه وحبب لى الموت
 لعلمى أنه لا راحة لى بغيره فقال لى ان كنت صادقا فقد دنا فرجك فسألته عما
 دله على قوله فقال لى انى وقعت فى نكبات أشد هولا مما أنت فيه وكان عاقبتها
 الفرج فاسمع بحكايتى واتعظ اعلم أن بطرقة ذلك لم تزل منذ مئتين سنين
 يتوارثونها وإن عددهم كان كثيرا فتفانوا ولم يبق منهم غير أبيه وعمه وكانت
 البطرقة إلى عمه دون أبيه أبطأ على أبيه وعمه الولد فبذلا للمتطبين الكثير من
 الأموال لعلاجهما بما يعالج به المتطبين الرجال والنساء الى أن بطل العم ويئس
 من الانتشار فصرف عنايته إلى معالجة أبي البطريق فعلمت أمى بى فلما علم العم
 أنها قد علقت وجهه فجمع عدة من الحبالى من السنة مختلفة فيها اللسان العربى
 والرومى والافرنجى والكردى والصقلبى والخزرى فوضعن فى داره فلما ولدتنى
 أمى أمر بتصيير أولئك النساء كلهن معى يرضعننى ثم أمر بتصيير ملاعبيه ومؤديه
 من أجناس النساء اللواتى ربيته قال البطريق فكانوا يعلموننى الكتابة وقراءة
 كتب دينهم فلم ينقض عليه تسع سنين حتى علم أمر دينهم وقرأ كتبهم وأجابهم
 عنها ثم أمر عمه بأن يضم اليه جماعة من الفرسان يعلمونه الثقافة والمساواة وجميع
 ما تعلمه الفرسان ومنعه من سكنى المنازل وأمره أن ينزل فى المضارب وأن يمنع
 من أكل اللحم إلا ما ناله بصيد طائر يحمله على يده أو صيد كلب يسعى بين يديه
 أو صيد بسمه فكانت تلك حاله حتى استوفى عشر سنين ثم رمى الله عز وجل
 فى عصب عمه فمات وولى البطرقة بعد عمه أبوه فأمره بالقدوم عليه فقدم ورأى
 شمائله وفهم أدبه فاشتد عجب به فتسمح له بما لم تكن ملوك الروم تتسمح به
 لولاة أمورها واعتمد له مضارب وفساطيط الديباج وضم اليه من الفرسان جماعة
 كثيفة ووسع على الجميع فى كل ما تحتاج اليه ورده إلى سكنى المضارب وأمره
 بالاستبعاد من منازل أبيه قال البطريق فلما استتمت لى خمس عشرة سنة ركبت

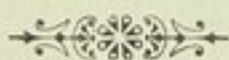
يوما لارتياح مكان أكون فيه فبصرت بغدير من ماء طوله ألف ذراع وعرضه ما بين ثلثمائة ذراع فأمرت بضرب مضاربي على ذلك الغدير وتوجهت لطلب الصيد فرزقت ذلك اليوم منه ما لم أطمع في مثله كثرة ثم نزلت وقد ضربت المضارب فأمرت الطباخين فطبخوا لي ما اشتبهت من الطعام ثم نصبت المائدة بين يدي وإني لانتظر الطبخ يغرف إذ سمعت ضجة ما فهمت خبرها حتى رأيت رؤس أصحابي تتساقط عن أبدانهم فتنحيت عن مكاني وخلعت ثيابي ولبست ثياب بعض عبيدي ثم نظرت يمنة وشمالا فلم أرحولي الا مقتولا وأرى فاعل ذلك كله بأصحابي منسر من مناسر الرخان ثم أسرت كما يؤسر العبيد واحتملوا كل ما كان معنا من مضرب وغيره وصاروا بي الى ملك الرخان فلما رأني لم يكن له ولد ذكر أمر بالتوسعة علي وأن أكون واقفا على رأسه وسماني ابنه قال وكان له ابنة كانت مغرما بها وقد علمها الفروسية ومساواة الاقران ومقاتلتهم ومراكبتهم قال فقال لجماعة من بطارفته من منكم يتوجه الى ملك الروم فيجئني بكتاب من بلده ليعلم ابنتي الكتابة فأعلمته ان رسوله لا يأتيه بأكتب مني فأمرني ان اكتب بين يديه فكتبت فاستحسن خطي وقرنه بكتب كانت ترد عليه من والدي فرأى خطي أجود فدفع ابنته الي وأمرني ان اعلمها الكتابة فهويتها وهو يتني فكننت معي حتى استوفت ثلاثة عشر سنة ثم عادت الى يوما وهي باكية فقلت لها ما يبكيك ياسيدي فقالت اني كنت جالسة بين يدي امي وأبي في هذه الليلة وغلبتني عيناي فتمت فسمعت أبي يقول لامي أرى ندى ابتك قد تقل وأرى خلق هذا الرومي قد غلظ وليس ينبغي ان يجتمعا بعد هذا الوقت فاذا جلست غدا معه فابعثي اليها من يفرق بينها وبينه حتى لا يراها ولا تراه قال البطريق ومن سنة الرخان ان يكون الرجل يخطب لابنته حتى يزوجها ولا يخطب الرجل لابنته زواجا دون ان تختاره البنت قال البطريق فقلت لابنة الملك اذا سألك أبوك عن تحبين أن يخطب لك من الرجال فقولى لست أريد الا هذا الرومي فغضبت وقالت كيف يجوز لي أن أسأل أن يخطب لي وأنت عبيد قال فقلت لها ما جعلني الله عز وجل عبدا وإني ابن الملوك وأبى ملك الروم قال البطريق وأهل الرخان يسمون البطريق الرومي الذي يتولى جندخان ملك

الروم فسألتنى هل ما أعلمتها حق فقلت لها انه حق فما مضى على كلامنا حين حتى جاء رسول الملك ففرق بينى وبينها ولم يعض لي بعد ذلك الاثلاثة أيام حتى دطانى الملك فدخلت عليه فرأيت امارات للبشر مستحكمة في وجهه ثم قال لي يا شقى ما حملك على الكذب في نسبك فأنا أحكم على من انتسب الي غير أبيه بالقتل فقلت ما انتسبت الى غير أبي فقال لي ابنتى تقول انك ابن ملك الروم فأعلمته انى أقول ذلك ودعوته ليكشف الأمر وينظر فيه فقال انى لست احتاج الى ان اكشف أمرك برسول أرسله ليعرف خبرك ولى أشياء امتحنك بها فأعرف صدقك من كذبك فدعوته الى كشفها بما شاء فدعا بدابة ولبد وسرج ولجام وأمرنى بتناول الدابة فأخذتها من يد السائس ثم أمرنى بأخذ اللبد فأخذته وأمرنى بالقائه على الدابة ففعلت ثم أمرنى بشد الحزام والثفر واللبب وأخذ اللجام والجسام الدابة ففعلت ذلك كله ثم أمرنى بركوب الدابة فركبته وأمرنى بالسير فسرت ثم أمرنى بالاقبال فأقبلت ثم أمرنى بالنزول فنزلت فقال عند آخر ذلك كله أشهد انه ابن ملك الروم لأنه أخذ الدابة أخذ ملك وعمل سائر الأشياء مثل ما عمله الملوك فاشهدوا أنى قد زوجته ابنتى فلما قالوا انا قد شهدنا قال لا تشهدوا قال البطريق فلما سمعت قوله لا تشهدوا نزلت على الكلمة نزول الصاعقة وخفت ان تأتى على نفسي ثم قال لي لم أنهم عن الشهادة رغبة عنك ولكن لنا شرط لا يمكن أن نخالفه ولم آمن أن نضطر فنحملك على شرطنا وهو ما لم نخبرك به ونقفك عليه فنكون قد ظلمناك أو ندع سنة بلدنا فنكون قد فارقنا ملتنا ان سنتنا يارومى ان لا نفرق بين الزوجين اذا مات أحدهما فان مات الرجل قبل المرأة جعلناها في سريرها وجعلنا زوجها معها وصيرناها جميعا في البئر فان رضى بهذا الشرط فبارك الله لك في زواجها وان لم ترض بها فليست راضية بك ولا يستقيم لك ان تتزوجها على خلاف سنتنا فأحوجتنى الصبابة بها الى ان قلت قد رضيت بهذه السنة فأمر بتجهيزها وتجهيزى وجمع ما بيننا فأقمت معها أربعين يوما لا يرى كل واحد منها ومنى الا انه قد فاز بملك الدنيا ثم اعتلت علة كان معها غشية لم نشكك وجميع من رآها أنها قد قضت نحبها قال فجهزت بفاخر ثيابها وجهزت مثل

ذلك وحملنا في نعش واحد وركب الملك وأهل مملكته فشيّعونا حتى وافوا بنا شفير
البئر ثم شدوا أسافل السرير بالحبال وجعلوا معنا في النعش طعاما وشرابا لثلاثة
أيام ثم دلونا حتى صرنا إلى قرار البئر ثم أدرخت علينا الحبال فسقط حبل منها على
وجه الجارية فأزال ما أصابها من الغشى فانتبهت فلما أفقت رأيت أن الدنيا قد
جمعت لي واستمرت عيني على الظلمة فرأيت في الموضع الذي أنا فيه من الخبز
اليابس ماله دهر كثير فأخذت أغتذى وأغذيها في تلك البئر وكنا لا نعدم في كل
يوم أن يدلى سرير فيه زوجان أحدهما حي والآخر ميت فكان النازل إذا كان
رجلا حيا توليت قتله لئلا يكون معي ومع امرأتي رجل وإن كانت امرأة تولت
بنت الملك قتلها غيرة على من أن يكون معي امرأة سواها قال فكننا في البئر
وهذه حالنا أكثر من سنة إذ دلى إلى البئر دلو فعلمت أن مدليه غير راخاني
ولا بد أن يكون فاعل ذلك رومي ووقع لي أن أقدم الجارية فتمتخلص ثم تعرفه
حالي فيرد الدلو فأخرج قال خملت ابنة الملك فجعلتها في الدلو بكسوتها وحليها
وجوهرها واجتذب القوم الدلو فخرجت اليهم الجارية وإذا القوم مهاليك لأبي ولم
ينتهبوا على السؤال عني وهابتهم الجارية وقد كانوا رأوا ما كان فيه أبي وأمي من
غلبة الحزن عليهما من فقدى فدبروا بالمصير بالجارية إلى أبوي ليتخذوا عندهم يدا
وليتخذاهما الجارية ولدا يسكنان إليها ويتعزيان بها فصاروا بها اليهما فسر بها
وسكننا إليها واستمرت الفتى بالجارية فحصلت شر محصل وقد كان صديق لأبي له
أدب وحكمة وعلم بالتصاوير صور له صورتني في خشبة وزوقها وجعلها لأبوي في
بيت وقال لهما متى ما ذكرتما ابنكما واشتد جزعكما فادخلا وانظرا إلى هذه الصورة
فانكما ستبكيان بكاء شديدا يعقبكما سلوة قال البطريق ولما صارت الجارية إلى
والدي ورأتها يدخلان ذلك البيت ويخرجان وقد بكيا سبقتهما مرة وهما دخلا
فبصرت بالصورة فلما رأتها لطمت وجهها ومزقت شعرها وثيابها فسألاها عن
السبب فيما أحلت بنفسها فقالت هذه الصورة صورة زوجي فسألاها عن اسمه واسم
أبيه وأمه فأسمتهم جميعا فقال لها وأين زوجك هذا قالت في البئر التي أخرجت
منها فركب أبي وأمي في أكثر أهل البلد ومعهم الغلمان الذين أخرجوا الجارية
من البئر حتى وافوا البئر فدلو الدلو قال البطريق فلما رأيت الدلو وكنت قد

سالت سيفي الذي أنزل معي من غمده وجعلت ذؤابته بين يدي لا تسكيء عليه فأخرجه من ظهري فاستريح من الدنيا لغلبة الغم على فؤادك وقعدت في الدلو واجتذبتني من كان فوق البئر حتى خرجت منها فوجدت أبي وأمي وامراتي على سفيرها وقد أحضروا لي الدواب لأنصرف إلى بيت أبي وأمي وكان أبي قد صار ملك تلك البلاد فلم أطعهما وأعلمتهما أن الأصوب البعثة إلي أبي الجارية وأمها حتى يرى ابنتهما مثل ما رأي أبوأي ففعلا ذلك ووجها إلى أبي الجارية وهو صاحب الرخان فخرج في أهل مملكته حتى عايناهما وأقام لهما عرسا وحدثت مهادنة بين الروم والرخان جرت فيها إيمان أنه لا يغزو أحد منهما صاحبه ثلاثين سنة وصار القوم إلى بلادهم وصرنا إلى منازلنا ومات أبي فورثت البطارقة منه ورزقت من ابنة الملك الولد وأنت يا عربي أن كان الغم قد بلغ منك ما ذكرت فقد جاءك الفرج قال فما انقضى كلام البطريق حتى دخل عليه رسول ملك الروم فقال له يقول لك الملك صر إلى نخرج إليه ثم عاد فقال يا عربي قد جاءك الفرج ثم قال لي اني كنت عند الملك وجرى ذكر العرب فرمتهم البطارقة عن قوس واحد وذكروا أنهم لا عقول لهم ولا أدب وان قهرهم الروم هو بالغلبة لا بحسن التدبير فأعلمت الملك أن الأمر على خلاف ماذكروا وان للعرب آدابا وأذهانا فقال لي الملك أنت لمحبتك لضيفك العربي مفرط في اعطاء العرب ما ليس لها فقلت ان رأيي الملك أن يأذن لي في احضار العربي لنجمع بينه وبين هؤلاء المتكلمين ليعرف فضيلته فأمرني بحملك اليه فقال قبات فقلت له بئسما صنعت بي لأنني أخاف إن غلبتني أصحابه أن يستخف بي وان غلبتهم أن يضطهدني فقال صفتك هذه صفة العامة والملوك على خلافها واني أخبرك انك ان غلبتهم جللت في عين الملك وكنت عنده بمكان يقضى لك فيه حاجة وان غلبوك سره غلبة أهل دينه لك فأوجب لك بذلك ذماما وان أقل ما نرى ان يقضى لك به حاجة وان غلبت أو غلبت فاسأله إخراجك عن بلده وردك إلى بلدك فانه سيفعل ذلك قال قبات فلما دخلت على الملك استدنانني وقربني واكرمني وقال لي ناظر هؤلاء البطارقة فأعلمته أني لا أرضى لنفسى بمناظرتهم واني لا أناظر إلا البطريق الكبير فأمر باحضاره فلما دخل سلمت عليه وقلت له مرحبا بهذا الشيخ الكبير القدير ثم قلت له

يا شيخ كيف أنت قال في عافية فقلت له فكيف حالك كلها فقال كما تحب فقلت وكيف ابنك قال فتضاحك البطارقة كلهم وقالوا زعم البطريق يعنون الذي هو صديقي ان هذا أديب وان له عقلا وهو لا يعلم بحجله ان الله عز وجل قد صان هذا البطريق أن يكون له ابن فقلت كأنكم ترفعونه عن أن يكون له ابن فقالوا أي والله إنا لنرفعه ان كان الله عز وجل قد رفعه عنه فقلت واعجبا أن لا يحل لعبد من عبيد الله أن يكون له ابن ويحل الله تعالى ذكره وهو خالق الخلائق كلها أن يكون له ابن قال فنخر البطريق نخرة أفزعني ثم قال أيها الملك أخرج الساعة هذا من بلدك لئلا يفسد عليك أهله فدعا الملك بالفرسان وضمني إليهم وأحضر لي دواب البريد وأمر بحملتي عليها وبيدرقتي وتسليمي إلى من يلقانا في أرض الاسلام من المسلمين فساموني إلى من تسامني من أهل الثغور ثم ذكر حديثا لعبد الملك مع الرجل لا يتعلق بهذا الباب



الباب السادس

﴿ من فارق شدة إلى رخاء بعد بشري منام ﴾

﴿ ولم يشب صدق تأويله كذب الأحلام ﴾

قال أبو علي أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عباد الجيشى قال رأى المعتضد وهو في حبس أبيه كأن شيخاً جالساً على دجلة يمد يده إلى ماء دجلة فيصير في يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت فسألت عنه ف قيل لي هذا علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقمت إليه فسلمت عليه فقال لي يا أحمد إن هذا الأمر صائر إليك فلا تتعرض لولدي وبنهم ولا تؤذهم فقلت السمع والطاعة لك يا أمير المؤمنين * وحدثني أبي رحمه الله تعالى بهذا الحديث على آتم من هذا باسناد ذكره عن ابن حمدون النديم

قال قال لي المعتضد وهو خليفة لما قدم أبي وهو عليل العلة التي مات فيها وأنا
 في حبسه ازداد خوفي على نفسي ولم أشكك في أن إسماعيل بن بلبل سيحمله على
 قتلي أو يحتال بحيلة يسفك دمي بها إذا وجد أبي قد ثقل في علقته وآيس منه
 فقممت ليلة من تلك الليالي وأنا من الخوف على أمر عظيم وقد صليت صلاة كثيرة
 ودعوت الله عز وجل فرأيت في منامي كاني على شاطئ دجلة فرأيت رجلا جالسا على
 الشط وهو يدخل يده في الماء فيقبض عليه فتقف دجلة ولا يخرج من تحت
 يده جرعة من ماء حتى يجف ما تحت يده ويتزايد الماء الى فوق يده ويقف
 كالطود العظيم ثم يخرج يده من الماء فيجري ففعل ذلك دائما فها لني ما رأيت
 فدنوت منه فسلمت عليه وقلت له من أنت يا عبد الله الصالح قال أنا علي بن أبي طالب
 قلت يا أمير المؤمنين ادع لي قال ان هذا الأمر صائر إليك فاعتضد بالله تبارك
 وتعالى واحفظني في ولدي قال فانتبهت وكأني أسمع كلامه لسرعة المنام فوثقت
 بأني أتقلد الخلافة وقويت نفسي وزال خوفي فقلت لغلام كان معي في الحبس
 لم يكن معي غيره من غلماني إذا أصبحت فامض وابتع لي فصا واكتب عليه أحمد
 المعتضد بالله واصنعه خاتما واثنتي به ففعل ولبسته وقلت إذا وليت الخلافة جعلت
 لقبني المعتضد بالله قال ثم أخذت أقطع ضيق صدرى في الحبس بتصفح أحوال الدنيا
 وأعمال فكري في تدبير عمارة الخراب منها ووجه فتح المنغلق منها وتعيين العمال
 للنواحي والأمراء للبلدان ثم أخذت رقعة وكتبت فيها بدرا الحاجب وعبيد الله
 ابن سليمان الوزير وفلان أمير البلد الفلاني وفلان عامل البلد الفلاني وفلان للديوان
 الفلاني إلى أن أتيت على ما في نفسي من ذلك ودفعتها إلى الغلام وقلت احتفظ
 بها فان دمي ودمك مرتبهنان بما فيها خفظها وما مضى على الأمر إلا أيام يسيرة حتى
 لحقت الموفق غشية لم يشك الغلمان في أنه قد مات فجاءوا إلى فأخرجوني فصرت إلى
 بيت فيه الموفق فلما رأيته علمت أنه غير ميت فجلست عنده وأخذت يده أقبلها
 وأترشفها فأفاق فلما رأيته أفعل ذلك أظهر التقبل وأومأ إلى الغلمان أن أحسنتم
 فيما فعلتم ثم مات الموفق في ليلته تلك ووليت مكانه فأمضيت بقايا تلك التدبيرات
 كلها قال لي أبي قال ابن حمدون فما تعرض المعتضد في أيامه للعلويين ولا آذاهم
 ولا قتل منهم أحدا لهذا المعنى * قال علي بن هشام بن عبد الله الكاتب بإسناده

إن أبا الحسين بن ميمون الافطس كاتب المتقي في أيام أبيه ووزيره لما استخلف
قال كان بيني وبين أبي أيوب بن سليمان بن وهب مودة وكيدة فلما تسلمت محنته
بعد قتل ايناخ صرت اليه وهو محبوس مقيد إلا أنه مرفه في الكسوة وكبر
الدار والفرش وحسن الخدمة وقد صلحت حاله بالاضافة الى ما كان عليه في
أول نكبته من الضرب والتضييق فحدثني انه رأى في ليلته تلك في منامه كأن
قائلاً يقول هذا البيت

اصبر ورب البيت لا يقتادها أحد سواك وحظك الموفور

قال فصرت إلى أخيه أبي علي بن الحسن بن وهب فحدثته بذلك فسر به وكان
كالمستر الممتنع من ملاقة السلطان فعمل شعراً ضمه إلى البيت وسألني إيصاله
إلى أبي أيوب فأخذته فأوصلته وهو

الدمع من عين أخيك غزير في ليله ونهاره محدود
بأبي وأمي حظوك المقصور ومتيد ومصنف وأسير
وزاد فيه غيره في هذه الرواية

فكر يحول بها الضمير كأنما يذكو بهادون الشغاف سعير
وجودي دخيل ليس يعرف كنهه ممن يلاهيه أخ وعشير
فيظنه خدانه متسلية والبث في احشائه مستور

رجع إلى الرواية الأولى

ما كنت أحسبني أعيش ومهجتي تحت الخطوب تدور كيف تدور
قلقاً فانك بالعزاء جدير وعلى النوائب منذ كنت صبور
عثرات مثلك في الزمان كثيرة ولهن بعد مشابة وجبور
ان تمش في حلق الحديد فخشوها منك السماحة والندى والخير
والفصل للشبهات رأيك ثاقب فيها يضيء سداده وينير
وتحمل العبء الثقيل بثقله منك المجرب عزمه الخبور
فاصبر ورب البيت لا يقتادها أحد سواك وحظك الموفور
ماذا بقلب أخيك منذ فارقتك ليكاد من شوق اليك يطير
فكأنما هو قرحة مقرونة منها البلايل والهموم تنور

والله مرجو لكربتنا معا وعلى الذى نرجوه منك قدیر
قال فما مضت إلا أيام يسيرة حتى أطلق سليمان بن وهب ثم انتهى بعد ذلك
إلى الوزارة * حدثني علي بن هشام قال حدثني أبو الفرج محمد بن جعفر بن
حفص الكاتب قال حدثني أبو القاسم عبيد الله بن سليمان قال كان أبو محمد الحسن
ابن مخلد أول من رفعني واستخلفني على ديوان الضياع فكنت أخلفه عليه إلى أن
ولى شجاع بن القاسم الوزارة مع كتابة أو تاملش في أيام المستعين واشتد جزع
أبي محمد منه فسألته عن ذلك فقال هذا رجل حمار لا يغار على صناعته وهو مع
هذامن أشد الناس حيلة وشدة وهو يعرف كبر نفسي وصغر نفسه وقد بدأ بأبي
جعفر بن إسرائيل فصرفه عن ديوان الخراج ونكبه وتقاه إلى انطاكية ولست
آمن أن يجعلني في أثره قال فما مضى إلا أسبوع حتى ظهر أن أبا موسى عيسى
ابن فرخان شاه القناني السكاتب وكان من صنائع الحسن وقد أسلم إذ ذاك قد
سعى مع شجاع في تقلده ديوان الضياع ثم تقلده صار فالحسن بن مخلد وخلع عليه
فازداد جزع أبي محمد الحسن وأغلق بابه وقطع الركوب فأنا عنده في بعض العشيات
إذ أتت رقعة شجاع يستدعيه ويؤكد عليه في البدار فارتفع ونهض وتعلق قلبي به فانتظرت
إلى أن عاد وهو مهموم مكروب فقلت ما خبرك قال قد فرغ شجاع من التدبير على
وذاك أنه قد صبح عندي بعد افتراقنا أن أوتامش قال البارحة لبعض خواصه
قد ثقلنا على شجاع وحملناه مالا يطيق من كتابتي والوزارة وتركنا هذا الشيخ
يعني الحسن بن مخلد متعطلا لا بد من أن يفرج له شجاع أمان كتابتي وإمان
الوزارة لاقلده أحداها فلما بلغ ذلك شجاعا أنفذ إلى في الوقت فلما رأته الساعة
قال يا أبا محمد أنت شيخى ورئيسى وأنت اصطنعتنى وأنا معترف لك بالحق وآخر
مالك عندي من الانعام أنك قلدتني عمالة همدان فانتقلت منها إلى هذه المنزلة
والأمير يحذرك الحذر كله وقد أقام على أنه لا بد من نكبتك وافقارك فلاجل
ماأقت من الامتناع عليه من هذا وسألته في أمرك فجرت خطوب تقررت على أن
لا تجاوزه وتشخص إلي بغداد ورضيته بذلك وصرفت عنك النكبة وقد أمرني
باخراجك من ساعتك فما زلت حتى استنظرت ثلاثة أيام أولها يومنا هذا فاعمل على
هذا فانك تمضى إلى بلد الأمر فيه والناهي أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر وهو

صديقك ويخدمك الناس كلهم ولا تخدم أحدا وتقرب من ضيعتك فأظهرت له
الشكر وضمنت له الخروج وأناخائف منه أن يدعني حتى أخرج آلائي والحرم
وتجملني ثم يقبض على ذلك كله وينسكبني فقلت الوجه ان تفرق جميع مالك من
الحرم والأمتعة والدواب وتودعه ثقاتك واخوانك من وجوه قواد الاتراك
وكتائبهم وتطرح النمل الذي لا قيمة له من خيش وستائر واسرة وآلات مطبخ
في الزواريق وتجلس في الحراقة العجائز اللواتي لا تفكر فيهن ليظن انهن الحرم
وتخرجهن وتجهدهن ان يكون خروجك خروجا ظاهرا ولا تكشف بالاستتار بل
على سبيل توك ومراوغة فاذا حصلت ببغداد أمنت فقال هذا رأي صحيح وأخذ
يصلح أمره على هذا فلما كان في ليلة اليوم الثالث لم أتم أكثر الليل فكرا فيه ثم
نمت لما غلبتني عيني فرأيت في السحر كان قائلا يقول لا تغتم فقد ركب الاتراك
من أصحاب وصيف وبغا الى أوتامش وكاتبه شجاع وقد هجموا عليهما وقتلوهما
واسترحم قال فانتبهت متروعا ووجدت الوقت قد جاوز انفجار الفجر فصليت
وركبت الى الحسن بن مخلد فدخلت عليه من باب له غامض لأنه قد كان اغلق أبوابه
المعروفة فسألته عن خبره فقال هذا آخر الأجل وقد خفت أن يعاجلني شجاع
بالقبض على فأغلت أبوابي واستظهرت بعلماني يراعون رسله فاذا جاؤا ورأوا
أمارة الشر فيهم اندرونى فأخرج من هذا الباب الغامض وان يسألوا خبر شجاع
فان كان في داره قالوا لمن يجيئني فيطلبني من جهته انى في دار أوتامش وان كان
في دار أوتامش قالوا للرسول انى في دار شجاع مدافعة عنى حتى أهرب قال فقصصت
عليه الرؤيا فتضاحك وقال ما ظننتك بهذه الغفلة نحن في اليقظة كما ترى كيف يصح
لنا خبرك في المنام لهذا انما نمت وأنت متمنى خلاصى فرأيت ذلك في منامك قال
فخرجت من عنده أريد دارى فلقينى في الطريق جماعة كثيرة فعرفونى ان
الاتراك قد ركبوا بالسلاح فصرت الى منزلى وأغلت بابي ووصيت عيالى بحفظ
الدار وعدت فدخلت الى الحسن فأخبرته بالخبر فأمر بمراعاة الأمر فإزلنا نتعرف
الاخبار ساعة بساعة الى ان جاء الناس فعرفونا قتل الاتراك لشجاع ثم دخل رجل
فقال انارأيت الساعة رأس أوتامش قال وصح الخبر بقتلهما ونهبت سر من رأى
كلها فما أفلت من النهب أحد أحسن من افلات الحسن بن مخلد لأن ماله كله كان

قد جعل عند القواد وكتابهم ولم يضع منه شيء وكان متعطلا فلم تقصد النجابة داره
وما أمسينا الا على سرور بالفرج الذي لم يكن لنا في الحساب * حدثني أبو الفرج
الخرزومي المعروف بالبيضا الشاعر قال كان يجلب رجل بزاز يعرف بأبي العباس
ابن الموصول فاعتقله سيف الدولة بخراج كان عليه مدة وكان الرجل محمدا في
تفسير الرؤيا فلما كان في بعض الأيام كنت بمحضرة سيف الدولة وقد أوصات له
رقعة اليه يسأله فيها حضور مجلسه فأمر باحضاره وقال له لأي شيء سألت الحضور
قال لعلمي انه لا بد من أن يطلقني الأمير سيف الدولة من الاعتقال في هذا اليوم
فقال له ومن أين لك ذلك قال لاني رأيت البارحة في آخر الليل رجلا قد سلم الي
مشطا وقال مرح لحيتك ففعلت ذلك فتأولت التسريح سراحا من شدة واعتقال
ولكون المنام في آخر الليل حكمت ان تأويله يصح سريعا ووثقت بذلك فجعلت الطريق
إلى الأمير مسألة الحضور ولاستعطفه فقال له أحسنت التأويل والأمر على ما ذكرت
وقد أطلعتك وسوغتك خراجك في هذه السنة فخرج الرجل وهو يدعو له ويشكر * أخبرني
القاضي أبو طالب محمد بن أحمد بن إسحق بن البهلول التنوخي فيما أجاز لي رواية
عنه بعد ما سمعته منه * قال حدثنا محمد بن خلف قال حدثني أبو سهل الداري
القاضي قال حدثنا أبو حسان الزياتي القاضي قال جاءني رجل من أهل خراسان
فأوعدني بدرة دراهم فأخذتها مضمونة وأسرعت فيها وكان قد عزم على الخروج
إلى مكة ثم بدا له فعاود طلبها فاغتممت وقلت له تعود غدا ثم فزعت إلى الله عز
وجل ودعوته ثم ركبت بغلتي في الغلس وأنا لا أدري أين أتوجه وعبرت الجسر
وأخذت نحو الحرم وما في نفسي أحد أقصده فاستقبلني رجل راكب فقال إليك
بعثت فقلت ومن بعثك قال دينار بن عبد الله فأتيته وهو جالس فقال لي ما حالك
فقلت وما ذاك فقال نمت الليلة فأتاني آت فقال لي أثبت أبا حسان فحدثته
بمحدثي فدعا بعشرين ألف درهم فدفعها إلى فرجعت فصليت في مسجد الغداة
فجاء الرجل فقضيته وأنفقت الباقي * ووقع لي هذا الخبر من طريق آخر بأسانيد
قالوا حدثنا أبو حسان الزياتي قال أضقت إضاقة بلغت منها الغاية حتي ألح علي
القصاب والبقال والخباز وسائر المعاملين ولم تبق لي حيلة وإني ليوم من الأيام
على تلك الحال وأنا مفكر فيما أعمل إذ دخل علي غلامي فقال حاجي بالباب

يستأذن فقلت له ائذن له فدخل رجل خراساني فسلم وقال ألت أبا حسان فقلت نعم فما حاجتك قال أنا رجل غريب وأريد الحج ومعى جملة مالى وقد أحضرته فى بدرة معى وهو عشرة آلاف درهم وأنا محتاج أن يكون قبلك حتى أقضى حاجى وأرجع فأخذه إذ كنت غريباً بهذه البلد لا أعرف به أحداً فقلت هات البدرة فأحضرها ووزن ما فيها وختمها فلما خرج فككت الختم على المكان ثم أحضرت المعاملين فقبضت كل من كان له عندى دين واتسعت وأنفقت وقلت أضمن هذا المال للخراساني فالى أن يحىء يأتى الله بفرج من عنده فكنت يومى ذلك فى سعة ولست أشك فى خروج الخراساني إلى الحج فلما أصبحت من غد ذلك اليوم دخل إلى الغلام فقال الخراساني الذى كان عندك أمس بالباب فقلت ائذن له فدخل إلى فقال إني كنت عازماً على ما أعلمتك به ثم ورد على الخبر بوفاة والدى وقد عزمت على الرجوع إلى بلدى فتأمر لى بالمال الذى أعطيتك أمس فورد على أمر لم يرد على مثله قط وتحيرت فلم أدر بماذا أجيبه وتفكرت ماذا أقول للرجل إن جحدته قدمنى واستحلفنى فكانت الفضيحة فى الدنيا والآخرة والهلك وإن دافعت صاح وهتكى فقلت نعم طافك الله منزلى هذا ليس بالحرير ولما أخذت ملك وجهت به إلى من هو قبله فتعود فى غد فتأخذه فانصرف وبقيت متحيرة لا أدري ما أصنع وغلظ على الأمر جداً فأدركنى الليل وفكرت فى بكور الخراساني فلم يأخذنى نوم ولم أقدر على الغمض فقممت إلى الغلام وقلت له اسرج لى البغلة فقال يا مولاي هذه العتمة بعد وما مضى من الليل شئ فالى أين تمضى فرجعت إلى الفراش فاذا النوم ممتنع على فلم أزل أقوم إلى الغلام وهو يردنى حتى فعلت ذلك ثلاث مرات وأنا لا يأخذنى القرار حتى طلع الفجر وأسرج الغلام البغلة وأقبلت أفكر وهى تسير حتى بلغت الجسر فعدلت بى إليه فتركها فعبرت ثم قلت إلى أين أعبى ولكن إن رجعت وجدت الخراساني على بابى فأدعها تمضى حيث شاءت فلما عبرت الجسر أخذت بى يمنة دار المأمون فتركها ومرت فلم أزل كذلك إلى أن قربت من دار المأمون والدنيا بعسد مظلمة وإذا بفارس قد تلقانى ونظر فى وجهى ثم سار وتركنى ثم رجعت إلى وقال ألت أبا حسان الزيادى قلت نعم قال بعثت إليك فقلت وما تريد يرحمك الله

ومن بعثك إلى فقال الأمير الحسن بن مهمل فقلت في نفسي ما يريد مني
ثم قلت فيها أناذا أمضى إليه فمضى حتى استأذن لي عليه فدخلت عليه فقال أبا
حسان ما خبرك وكيف حالك ولم انقطع عنا قلت لأسباب وذهبت أعتذر
من التخلف فقال دع ذا عنك أنت في لومة وأمر ما هو فاني رأيتك البارحة
في النوم في تخليط كثير فابتدأت فشرحت له قصتي من أولها إلى آخرها إلى أن
لقيني صاحبه ودخلت عليه فقال لا أغمك الله يا أبا حسان قد فرج الله عنك هذه
بكرة للخراساني مكان بدرته وبكرة أخرى تتسع بها فإذا نفذت أعلمنا فرجعت
من ساعتي فقضيت دين الخراساني واتسعت بالباقي وفرج الله عز وجل عني
وحدثني بهذا الحديث أبو الفرج محمد بن محمد بن جعفر قال حدثنا أبو القاسم علي
ابن محمد بن أبي حسان الزبدي وكان محدثاً ببغداد ثقة مشهوراً قال حدثني
أبي عن أبيه قال كنت وليت القضاء من قبل أبي يوسف القاضي رحمه الله ثم صرفت
وتعطلت وضقت إضاقاً شديدة وركبني دين فادح خباز وبقال وقصاب وعطار
ويزاز وغيرهم حتى قطعوا معاملتي لكثرة ما لهم علي وثأبتهم من أن أقضيه
فتضاعفت اضائتي واشتدت حيلتي فاني يوماً في مسجدي قد صليت بأهله الغداة ثم
أقبلت أدرس أصحابي الفقه إذ جاءني رجل خراساني وذكر الحديث علي نحو ما
ذكره طلحة إلا أنه قال فلما بلغت بعلمتي أربعة الجسر استقبلني موكب فيه من
الشموع والنفاطات ما أضاء منه الطريق فصار كالنهار فطلبت زقافاً أستخفي فيه
حتى يجوز الموكب فلم أجد فإذا رجل من أهل الموكب يقول أبو حسان فتأملت
فإذا هو دينار بن عبد الله فسلمت عليه فقال إليك جئت أرسل أمير المؤمنين
إلي الساعة وأمرني أن أركب إليك بنفسي وأحضره إليك قال وأدخلني علي
المأمون فقال قصتك فاني رأيتك في منامي البارحة وأمرني رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأفانتك قال فحدثته بحديثي فقال المأمون اعطوا أبا حسان ثلاث بدر
وولاني الري وأمرني بالخروج إليها قال فعدت وما طلع الفجر فلما كان وقت
صلاتي في مسجدي خرجت فإذا الخراساني فلما قضيت الصلاة أدخلته الدار
وأخرجت البدر فلما رآها قال ما هذا فقصصت عليه الحديث وأعطيته بدره فأخذها
وانصرف * وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء في أخبار دينار بن عبد الله

أن رسوله لقي أبا حسان في طريقه فقال له قسمت شيئاً على عيالي فذكرت عيالك
فأنتقدت اليك عشرة آلاف درهم فأخذها ورجع من الطريق وباكره الخراساني
فأعطاه إياها كلها لأنه كان انفق جميع مال الخراساني ثم عاد من غد إلى دينار
فعرفه وشكره وعرفه الحديث فقال فكانما قضينا دين الخراساني ثم أمر له بعشرة
آلاف درهم أخرى ولم يذكر ابن عبدوس في خبره ذكر المنام ولا المأموم * وحدثني
أبي هذا الحديث في المذاكرة قال حدثني شيخ ذكره أبي وأنسيته أنا عن أبي حسان
الزيادي بنحو ما ذكره محمد بن جعفر في حديثه إلا أنه قال فيه إن الخراساني
قال في حديثه لأبي حسان إن رجع الحجاج ولم ترني قد رجعت اليك فاعلم اني
قد هلكت والبدره هبة مني اليك وإن رجعت فهي لي ثم يتقارب لفظ الحديثين
إلى أن لقيه في الجانب الشرقي قوم فلما رأهم تنحى عن طريقهم فلما رأوه بطيلسان
بادروا اليه وقالوا له أتعرف منزل رجل يقال له أبو حسان الزيادي فقال أنا هو
فقلوا له أجب أمير المؤمنين وحمل فدخل على المأمون فقال له من أنت قال
رجل من أصحاب أبو يوسف القاضي من الفقهاء قال بأي شيء تكفي قال بأبي
حسان قال بمن تعرف قال فقلت بالزيادي ولست منهم إنما سكنت بينهم فنسبت
إليهم فقال ما قصتك فشرحت له خبري قال فبكى بكاء شديداً ثم قال ويحك ما
تركني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنام الليلة بسببك إذ أتاني في أول الليل
فقال أغث أبا حسان الزيادي فانتبهت ولم أعرفك وأثبت اسمك ونسبك ونمت
فأتاني فقال كمقالته فانتبهت منزعاً ثم نمت فأتاني وقال ويحك أغث أبا حسان فما
تجاسرت على النوم وأنا ساهر منذ ذلك الوقت وقد بثت الناس في طلبك ثم
أعطاني عشرة آلاف درهم فقال هذه للخراساني ثم أعطاني عشرة آلاف درهم أخرى
فقال اتسع بها وأصلح أمرك وأعمر دارك واشترى مركباً سرياً وثياباً حسنة وعبيداً
يمشي بين يدي دابتك ثم أعطاني ثلاثين ألف درهم فقال جهز بناتك بهذه
وزوجهن فإذا كان يوم الموكب فصر إلى لأقلدك عملاً وأحسن اليك قال فخرجت
والمال محمول معي فجيئت إلى مسجد ذي فصليت الغداة والتفت فإذا الخراساني
فادخلته إلى البيت وأخرجت بدره فقلت خذ هذه فلما رآها قال ليس هي عين
مالي فقلت نعم فقال ما سبب هذا الأمر فقصصت عليه القصة فبكى وقال والله لو

صدقته في أول الأمر عن خبرك ما طلبتكم بها وأما الآن فوالله لا دخل مالي
 شيء من مال هؤلاء وأنت في حل وقام فأنصرفت فاصلحت أمري وبكرت يوم
 الموكب إلي باب المأمون فادخلت عليه وهو جالس جلوساً عاماً فلما مثلت بين
 يديه استدنانني ثم أخرج عهداً من تحت مصلاه فقال هذا عهدك على قضاء المدينة
 الشرقية من الجانب الغربي من مدينة السلام وقد أجريت عليك في كل شهر
 كذا وكذا فاتق الله تدم لك عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعجب
 الناس من كلامه وسألوني عن معناه فاخبرتهم الخبر فانتشر فما زال أبو حسان
 قاضي المدينة الشرقية إلى أن مات في آخر أيام المأمون * أخبرني محمد بن الحسن
 ابن المظفر عن بعض الهاشميين قال حبس المهدي يعقوب بن داود وزيره فطال
 حبسه قال فاتاني آت في منامي فقال قل يارفيق يا شفيق أنت ربي الحقيقي ادفع
 عني الضيق أنك على كل شيء قدير . فما شعرت إلا والأبواب تفتح فادخلت
 على الرشيد فقال أتاني الذي أتاك فاحمد الله عز وجل وخلي سبيلي * وقد روى
 هذا الخبر على خلاف هذا بروايات مختلفة قالوا حدثنا عبد الله بن يعقوب بن
 داود قال قال لي أبي حبسني المهدي في بئر وبنيت عليها قبة فكنيت فيها خمس
 عشرة سنة حتي مضى صدر من خلافة الرشيد وكان يدلي إلي في كل عام يوم رغيف
 وكوز ماء وأوذن بأوقات الصلاة فلما كان رأس سنة ثلاث عشر حجة أتاني
 آت في منامي فقال

حنا على يوسف رب فاخرجه من قعر جب وبئر حوله غمم
 قال فحمدت الله تعالى وقلت آتي الفرج قال فمكثت حولاً آخر لا أرى شيئاً
 فلما كان في رأس الحول الرابع عشر أتاني ذلك الآتي فقال لي
 عسى فرج يأتي به الله انه له كل يوم في خايته أمر
 ثم أقمت حولاً آخر لا أرى شيئاً ثم أتاني الآتي بعد الحول فقال لي
 عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
 فيأمن خائف ويفك عان ويأتي أهله الرجل الغريب
 قال فلما أصبحت نوديت فظننت اني أوذن بالصلاة فدلي إلى حبل وقيل لي
 شد به وسطك ففعلت وأخرجوني فلما تأملت الضوء غشي على بصري فأنطلقت وإني

إلى الرشيد فقيل لي سلم على أمير المؤمنين فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي قال لست به فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين الهادي قال لست به قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الرشيد فقال الرشيد يا يعقوب بن داود ما شنع فيك أحد غير اني حملت الليلة صببة لي على عنقي فذكرت حملك إياي على عنقك فرثيت لك من المحل الذي كنت فيه وأخرجتك قال وأكرمني وقرب مجلسي ثم ان يحيى بن خالد تنكر لي كانه خاف على أن أغلب على أمير المؤمنين دونه فخفته فاستأذنت في الحج فأذن لي ثم لم يزل مقبلا بمكة حتى مات بها * وجدت في بعض الكتب ان المهدي استحضر صاحب شرطته ليلاً وقد انتبه من منامه فزعا مرعوبا فقال ضع يدك على رأسي واحلف بما استحلفك به فقال هي تقصر عن رأس أمير المؤمنين ولكن على وعلى وحلف بإيمان البيعة انني أمتثل ما تأمرني به فقال سر إلى المطهرة واطلب فلانا العلوي الحسيني فاذا وجدته فاخرجه وخيره بين الإقامة عندنا مكرما محبورا أو الخروج إلى أهله فان أراد الخروج قدت اليه كذا وكذا وإن أراد المقام أعطيته كذا وكذا وهذه توقيعات بذلك قال فأخذتها وصرت إلى من أزاح عتي في الجميع وصرت إلى المطبق فطلبت الفتى فأخرج الي وهو كالشن البالي فعرفته أمر أمير المؤمنين وعرضت عليه الحالين فاختر الرجوع إلى أهله بالمدينة فسامت اليه الصلات والحملان فلما جاء لي مضى قلت له بالذي فرج عنك هل تعلم ما دعا أمير المؤمنين إلى إطلاقك قال أي والله كنت الليلة نائما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي أيقظني وقال أي بني ظلموك قلت نعم يارسول الله قال قم فصل ركعتين وقل بعدهما ياسابق القوت ويا سامع الصوت ويا ناشر العظام بعد الموت صل على محمد وعلى آل محمد واجعل لي فرجا ومخرجا انك لا تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب يا أرحم الراحمين قال فوالله لقد قمت وفعلت ذلك وما زلت أكررها حتي دعوتني قال فحمدت الله عز وجل على توفيقى في مسألته وعدت إلى المهدي وحدثته بالحديث فقال ويحك صدقك والله كنت نائما في فراشي فرأيت في منامي زنجيا بعمود حديد قائما على رأسي يقول لي اطلق فلانا العلوي الحسيني وإلا قتلتك فانتبهت فزعا فوالله ما جسرت على العود إلى النوم

حتى جئتي باطلاقه * أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي عن أحمد بن يزيد
المهلب قال كنا ليلة بين يدي المعتمد فحمل عليه النبيذ فجعل يخفق برأسه نعاساً
فقال لا يبرحن أحد ثم نام مقدار نصف ساعة وانتبه وكأنه ما شرب شيئاً فقال
احضروا لي من الحبس رجلاً يعرف بمنصور الجمال فاحضر فقال له منذ كم أنت
محبوس فقال منذ ثلاث سنين قال فاصدقني عن خبرك قال أنا رجل من أهل الموصل
كان لي جمل أعمل عليه وأعود بكرائه على أهلي فضاقت الكسب على بالموصل فقات
أخرج إلى سر من رأى فأن العمل ثم أكثر فخرجت فلما قربت منها إذا جماعة
من الجند قد ظفروا يقوم يقطعون الطريق وكتب صاحب البريد بعددهم وكانوا
عشرة فأعطاهم واحد من العشرة مالا على أن يطلقوه فاطلقوه وأخذوني مكانه
وأخذوا جملي فسألهم بالله عز وجل وعرفتهم خبري فأبوا ثم حبسوني فمات بعض
القوم وأطلق بعضهم وبقيت وحدي فقال المعتمد احضروني خمسمائة دينار فخاؤا
بها فقال ادفعوها إليه واجري عليه ثلاثين ديناراً في كل شهر وقال اجعلوها أسر
جمالنا إليه ثم أقبل علينا فقال رأيت الساعة النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا أحمد وجه
الساعة إلى الحبس وأخرج منصوراً الجمال فإنه مظلوم وأحسن إليه ففعلت ما رأيتم
قال ثم نام من وقته وانصرفنا ووقع إلى هذا الخبر بطريق آخر بآتم من هذه
الرواية بأسناد غير هذا قال كان المعتمد مع سماحة أخلاقه وكثرة جوده شديد
العريضة على ندمائه إذا سكر لا يكاد يسلم له من العريضة مجلس الاقل قال فاشتبهى
يوماً أن يطبخ الاترج فجمع له شيء كثير مفرط العدة وعبي وحزم بعضه فاطبخ
عليه فما ترك شيئاً من الخلع والحلانات والصلوات الا عمله ذلك اليوم مع جلسائه
وخصني منه بأوفر نصيب وكان كثير الشرب وكانت علامته إذا أراد ينهض
جلساؤه التفت إلى سرير لطيف كان إذا جلس استند إليه ويشيل برجله كأنه يريد
أن يصعد فيقوموا فان كان يريد النوم صعدته وان لم يرد النوم رد رجله إذا قننا
ويتم شربه امام الحرم أو الخدم فلما كان ذلك اليوم جلسنا بحضرته نهاناً أجمع
وقطعة من الليل ثم شال رجله فقمنا وانصرفنا إلى حجرة موسومة كانت لي فلما
انتصف الليل إذا بخدم يدقون باب حجرتي فانتبهت مرعوباً فقالوا أجب
مير المؤمنين فقمنا وقلت إن الله وأنا إليه راجعون قد مضى يومنا وبعض ليلتنا

أحسن مضي وقدرت اني افلت من عربدته وقد عن له أن يعربد على فاستدعاني
لهذا ولم أزل أفكر كيف اشاغله عن العريضة الى ان صرت بحضرته فلما رأي قاتما
لم يستجلسني وقال يا غلام صاحب الشرطة فزدت جزعا وقلت لم تجرعادته في العريضة
باستدعاء صاحب الشرطة وما هو إلا لبلية احتيل بها على عنده فاقبلت أنظر إليه
واجتهد أن يفاتحني بكلمة فأداريه بالجواب وهو لا يرفع رأسه من الأرض إلي أن
جاء صاحب الشرطة فرفع رأسه وقال في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الجمال
احضرني الساعة فمضي ليحضره فسهل على الأمر قليلا ووقفت وهو لا يخاطبني
إلى أن حضر الرجل فقال له المعتمد من انت قال أنا فلان بن فلان الجمال قال وما قصتك
قال أنا محبوس ظلما منذ كذا وكذا سنة وذلك اني رجل من أهل الجبل وكان لي
جمال أعيش من فضل أجرتها وكان يتقلدنا فلان الأمير فاستدعى إلى الحضرة فاخذ
جمالي غصبا يستعين بها في حمل سواده فتظامت اليه وضججت فلم ينصفني وقال
اذا صرت بالحضرة رددت جمالك فخرجت لئلا تذهب جمالي اصلا فكنت مع جمالي
اخدمها في الطريق فلما قربت من حلوان سل الأكراد منها جملا محملا فبلغه الخبر
فاحضرني وقال أنت سرقت الجمل بما عليه فقلت غلمانك يعلمون أن الأكراد سلوه
فقال الأكراد انما جاؤهم بمواطاة منك ثم أمر فضربت ضربا عظيما وقيدت وطرحت
على بعض جمالي فلما وردت الحضرة انفذت الى الحبس وتملك الجمال ولم يكن لي
متظلم ولا مذكر فطالت بي المحنة إلى الآن فقال لبعض الخدام امض الساعة الي فلان
يعني الأمير واقعد على دماغه ولا تبرح أو يرد على هذا جماله أو قيمتها على ما يدعي
الجمال فاذا أقبض ذلك فأجمله الي الخزانة واكسه كسوة حسنة وادفع اليه كذا
وكذا دينارا واصرفه الي شأنه ثم في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الحداد
قال نعم قال هاته الساعة فأحضره فأحضر فقال ما قصتك فقال انا رجل حبست بظلم
منذ كذا وكذا قال ما كان سبب ذلك فقص عليه قصة طويلة فقال لصاحب
الشرطة خل عنه وقال للخادم آخر خذه فغير حاله واكسه وادفع اليه كذا وكذا
دينارا وقال لصاحب الشرطة انصرف ثم رفع رأسه وقال يا ابن حمدون الحمد لله
الذي وفقني لهذا الفعل ففرج عني فقلت وكيف تكلف أمير المؤمنين النظر في
هذا بنفسه في مثل هذا الوقت فقال ويحك اني رأيت الساعة رجلا في منامي يقول

في حبسك رجلان مظلومان يقال لأحدهما فلان بن فلان الجمال والآخر فلان ابن فلان الحداد فاطلقهما الساعة وانصفهما من خصومهما وأحسن اليهما فانتهيت مذعورا ثم نمت فما استيقظت حتى رأيت الشخص بعينه فقال ويلك أمرك أن تطلق رجلين مظلومين في حبسك قد طال مكثهما وتحسن اليهما فلا تفعل وترجع إلى نومك لصممت أن أوجعك وكان يمد يده إلى فقلت يا هذا من أنت قال محمد رسول الله فكأنني قد قبلت يده وقلت يا رسول الله ما عرفتك ولو عرفتك ما تجاسرت على النوم ولا على تأخير أمرك فقال قم فافعل في أمرهما الساعة ما أمرتك به فانتهيت واستدعيتك لتشاهد ما يجري فقلت هذه عناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم واهتمام لأمير المؤمنين بما أصبح دينه وثبت ملكه ومنة عظيمة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فليشكر الله تعالى أمير المؤمنين وليكثر من الصدقة فقال امض فقد أزعجتك فعدت إلى حجرتي فلما كان من غد عشيا دخلت إليه وهو جالس على الرسم للشرب فأحببت أن أعرف الجلساء ما جرى ليس هو بذلك وكنت أعرف من طبعه أنه يحب الاطراء والمدح ونشر ما هذا سبيله إذا عمل جميلا أكثر من ذكره ويتبجح به وإن كان صغيرا فقلت أرى أمير المؤمنين لم يخبر خدمه بما كان من المعجزة البارحة من أمر صاحب الشرطة والجمال والحداد ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم وما أمره به وما تقدم به الي أمير المؤمنين من انصافهما والاحسان اليهما فقال والله ما أذكر من هذا شيئا وما كنت إلا سكرانا نائما طول ليلتي ما انتهيت فقلت يا سيدي فتنكر وقال يا ابن حمدون أتغالطني وتحادعني بالكذب فقلت أعيد أمير المؤمنين بالله هذا أمر مشهور في الدار عند الخدم الخاصة فقال من كان حاضرا قلت فلان الخادم فلان صاحب الشرطة واقتصصت القصة وشرحتها فاستدعى الخدم فحدثوه بمثل ذلك فأظهر عجباً شديدا وحلف بالله عز وجل وبالقراءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأنه نفي من العباس بن عبد المطلب أنه لم يذكر من هذا كله شيئا ولا يعلم إلا أنه كان نائما ولا رأى مناماً ولا انتبه ولا جلس ولا استدعى أحدا ولا أمر بأمر فما رأيت بأعجب من المنام والحال ولا أظرف من نسيانه ذلك * ووجدته في بعض الكتب على قريب من هذه الالفاظ إلا أنه ليس فيه حديث الا ترج وذكر فيه أن الجمال

كان يسمى نصرا وان قصته انه كان من أهل نهاوند وله جمال يكرهها فاكترى حامل المعونة منها عشرين جملا وحمل عليهم عشرين رجلا من الأكراد أسرى ليحملهم إلى الحضرة فسار الجمال فهرب في بعض الطريق واحد من جماله فوقع لصاحب المعونة ان نصر الجمال هربه فقيده وحمله مكانه فلما دخلوا الحضرة أنفذ الجمال مع القوم إلى الحبس وأخذ صاحب المعونة جماله * وان قصة الحداد انه كان رجلا من أهل الشام وكانت له نعمة فزالت عنه فهرب من بلده فاتصلت محنته إلى أن وافى الحضرة طالبا للتصرف فتعذر عليه حتى تلف جوعاً فسأل عن عمل يعمله ليلا بيديه ليتوفر نهاده عن طلب التصرف وينفق من أجرة ما يكسبه ليلا فأرشد إلى حداد يعمل بالليل فتقصده فاستأجره بدرهم في كل ليلة فكان يعمل معه هو وغلام آخر يضربان بالمطرقة فأفسد ذلك الغلام على الحداد نعلان كان يطرقها فاغتاظ عليه فرماه بالنعل الحديد فوقعت على قلبه فتلف في الحال فهرب الحداد وبقيت أنا في الموضع متحيراً لا أدري أين أمضى وأحس الحارس بما أنكره في الدكان فهجم فوجد الغلام ميتاً ووجدني قائماً فلم يشك أني القاتل فقبض على خبيست ثم تتقارب الروايتان * وحدثني أبو محمد الصلحي قال حدثني أبو بكر محمد ابن علي المارداني بمصر وكان شيخاً جليلاً عظيم الحال والنعمة والجاه قديماً الرياسة والولايات الكبار للأعمال وقدوزر لخمارويه بن احمد بن طولون وتقلد مصر مرات وعاش نيفاً وتسعين سنة ومات في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة قال لما كتبت لخمارويه كنت حدثاً فركبته الأشغال وقطعتني ترادف الأعمال عن تصفح احوال المتعطلين وكان يباني شيخ من شيوخ الكتاب قد طالت عطلمته وقد غلملت عن تصريفه فرأيت ليلة في منامي أبي وكأنه يقول ويحك يا بني أما تستحي من الله عز وجل أن تتشاغل بأعمالك والناس يبابك يتلفتون ضرا وهزالا هذا فلان من شيوخ الكتاب وقد أنضى أمره إلى أن تقطع سراويله وما يمكنه أن يشتري بدلها انظر أن لا تغفل أمره أكثر من هذا فانتهيت متعجباً واعتقدت الاحسان إلى الشيخ من غد ونمت وأصبحت وقد أنسيت أمره فركبت إلى دار خمارويه وإذا بالرجل على دويبة له ضعيفة ثم أومى إلى الرجل فانكشف فاذا هو لا بس خفا بلا سراويل فحين وقعت عيني عليه ذكرت المنام وقات قيامتي فوقفت في موضعي واستدعيته وقلت يا هذا ما حالك وما صنعت بنفسك في ترك أذكاري

أمرك ما كان في الدنيا من يوصل إلي رقعة أو يخاطب في أمرك الآن قد قلدتك
 الناحية الفلانية وعينت لك رزقها وهو في كل شهر مائتا دينار وأطلقت لك من
 خزانتي ألف دينار معونة وأمرت لك من الثياب والحملان بكذا وكذا فاقبض ذلك
 واخرج فان حسن أثرك في عملك زدتك وفعلت بك وصنعت قال وضممت إليه
 من ينجزله ذلك * حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي
 قال خرج أخى أبو محمد الحسن بن يوسف يقصد أخاه أبا يعقوب إسحق بن يوسف
 وهو حينئذ بمصر ومعه زوجة كانت لأبي يعقوب ببغداد وصبية منها فلما عاد
 حدثني أنه سلك في قافلة كبيرة من هيت على طريق السماوة يريد دمشق قال
 فلما حصلت في أعماق السماوة أخفرتنا خفراؤنا وجاء قوم من الأعراب ظاهروهم
 علينا وأظهروا أنهم من غيرهم وقطعوا علينا واستاقوا ركابنا وبقيت أنا والناس
 مطروحين على الماء الذي كنا نزلنا عليه بلاجل ولا زاد فأيسبنا من الحياة فقالت
 للناس إن الموت لا بد منه على كل حال أقمنا في مكاننا أو سرنا ولأن نسير في
 طلب الخلاص فلعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا ويخلصنا أولي من أن نموت ههنا
 وإن متنا في سيرنا كان أعذر فساعدوني وسرنا يومنا وليلتنا وأنا أحمل الصبية
 بنت أخى لأن أمها عجزت عن حملها ولما طال الطريق ولم نر محجة ولا إنساناً
 أحسنا بالهلاك ومات منا قوم قال وأنا في خلال ذلك قد بدأت بختمة وأنا
 متشاغل بها وبالدهاء إلى أن وقعنا في اليوم الثالث على حلة أعراب فأنكرونا فلم
 أعمل أنا عملاً حتى ولجت بيت امرأة منهم وأمسكت ذيلها وكنت سمعت أن هذا
 إذا عمله الإنسان فهو آمن من شرهم وقد وجب حقه عليهم قال فتفرقنا في بيوتهم
 واختلف أحوال الناس فأما أنا فان صاحب البيت الذي أنزلت عليه لما رأى
 هيبتي ودرسي للقرآن واني لم أزل أحادثه وأرفق به قال لي ما تشاء قلت تركبني
 وهذه المرأة وهذه الطفلة راحلة لك وتسير معي إلي دمشق حتى أعطيك ثمن
 راحلتك وأهبها لك وأقضى حقك بعدها فتذمم واستحيا وقد رتاني إذا دخلت
 إلى دمشق وجدت بها من أصدقاء أخى من آخذ منه ما أريده فكساني الأعرابي
 وكسا المرأة والصبية ووطأ لي راحلة ولها راحلة وحمل معنا من الزاد والماء ما يكفيني
 وركب معنا راحلة وكان أكثر من وصل معنا إلى ذلك الموضع قد تأتي له مثل
 ما تأتي لي قال فسرنا ونحن رفقة صالحة العدد فلما كان بعد أيام شارفنا دمشق مع

طلوع الشمس فاذا أهلها قد طلوعوا يستقبلون الناس وكل من له صديق أو معرفة
 يسأل عنه وقد بلغهم خبر القلع فما شعرت إلا وإنسان يسأل عن كنييتي ونسبتي
 فقلت ها أناذا فعدل إلى فقال أنت أبو محمد بن الأزرق الانباري قلت نعم فقام
 إلى فأخذ بخطام راحلتي وتبعني الأعرابي برواحله حتى دخلنا مع الرجل إلى
 دمشق فجاء بنا إلى دار حسنة تدل على نعمة حسنة فأزلنا فلم أشك في أنه صديق
 لأخي فنزلت والأعرابي وأخذت جمالنا وأدخلنا الحمام وألبست خلعة نظيفة وفعل
 بالمرأة والصبيّة كذلك وأتمت يومي وغده في خفض عيش لا أسأله عن شيء ولا
 يسألني فلما كان في اليوم الثالث قال لي ما صورة هذا الأعرابي فأخبرته بما أخذنا
 منه فقال خذ ما تريد من الدنانير فقلت كذا وكذا ديناراً فأعطانيها فدفعتمها إلى
 الأعرابي وسلمت إليه الجمل وسألت الرجل أن يزوده زاداً لا يكون مثله في
 البادية فأخرج له شيئاً كثيراً وخرج الأعرابي شاكراً فقال الرجل أين تريد
 الآن من البلاد وكـم يكـنـمـيك من النفقة فلما قال لي ذلك ارتبت به وقلت لو كان
 هذا من أصدقاء أخي الذين كاتبهم بتفقدى لكان قد علم مقصدي فقلت له كم
 كاتبك أخي ان تعطيني قال ومن أخوك فقلت أبو يعقوب بن الأزرق الكاتب
 الانباري المقيم بمصر قال والله ما سمعت باسم هذا الرجل قط ولا أعرفه فورد على
 أعجب مورد فقلت يا هذا اني ظننتك صديقاً له وان ما عاملتني به من الجليل بسببه
 فانبسطت إليك بالطلب ولو لم اذنتك هذا لانقبضت فما السبب فيما عاملتني به قال
 أمر هو أوكد من أمراخيك يجب أن يكون انبساطك به أتم فقلت ما هو قال ان
 خبر الوقعة بالقافلة التي كنت فيها بلغنا في يوم كذا وكذا فما بقي بدمشق أحد
 الاوردت عليه مصيبة عظيمة اما بذهاب مال أو بغم على صديق غيـرى فانه لم يكن
 لي بشيء من ذلك تعلق واستعد الناس للخروج الى تلقى المنقطعين واصلاح
 أحوالهم ولم أعزم أنا فلما كان في الليل رأيت النبي ﷺ في منامي وكأنه يقول لي
 أدرك أبا محمد الأزرق الانباري فأغثه وأصلح شأنه بما يبلغه مقصده فلما أصبحت
 خرجت مع الناس اسأل عنك فكان ما رأيت فهات فاذكر الآن ما تريده قال فبكيت
 بكاء شديداً لم أقدر معه على خطابه مدة ثم نظرت ما يبلغني مصر فطلبته منه
 وأخذته وأصلحت أمري وسألت الرجل عما يعرف به فقال انا فلان بن فلان
 الصابوني ذكره أبو محمد وأنسيه أبو الحسن فلما بلغت الى مصر حدثت أخي بالحديث

فتعجب منه وبكى وقال أبو الحسن وضرب الدهر من ضربه وورد أخى أبو محمد الى بغداد بعد سنين كثيرة فتذاكرنا هذا الحديث فقال لى لما عرفنى أخى أبو محمد ما عامله به ابن الصابونى الدمشقى جعلته صديقا وكنت اكاتبه فلما وردت الى دمشق وجدت حال الرجل قد اختلفت بمجن لحقته فوهبت له ضيعتى بدمشق وكانت جليلة الغلة والقيمة وسلمتها اليه مكافأة على ما فعل وعامل به أخى أبامحمد * قال محمد ابن عبدوس فى كتاب الوزراء حدثنى الحسين بن على الباطقائى قال حدثنى أبى قال قال أحمد بن المدبر لما أمر محمد بن عبد الملك بحبسى ادخلت محبسا فيه أحمد ابن إسرائيل وسليمان بن وهب وهما يطالبان قال فجعلت فى بيت ثالث وكنا نتحدث ونا كل جميعا وربما أدخل الينا النبيذ فنشرب وكان أحمد بن إسرائيل شديد الجبن وكان ينكر علينا ويمنعنا ان نتحدث بشىء أو نرجو لأنفسنا نجاة في يومنا سليمان ابن وهب فقال رأيت البارحة فى نومي كأن قائلا يقول لى يموت الوائق الى ثلاثين ليلة فقم بنا الى أبى جعفر حتى نحدثه فقلت والله لئن سمع أبو جعفر هذا ليشقن ثوبه وليسدن أذنه فقال لى قم على كل حال فقمنا فدخلنا عليه فاخبره سليمان بالخبر فقال يا هذا أنت أحسن الناس وأشد هم تحمنا على نفسك وعلينا وانما تريد أن يشيع هنا فتقتل فقال له فتكتب هذه الرؤيا عندك لئلا تمتحن صدقها فنفر وقال أنا لا أكتب مثل هذا فكتبت انا فى رقعة صغيرة اليوم فلما جاز يوم الثلاثين دخل الى أحمد ابن إسرائيل فقال لى يا أبا الحسن هذا يوم الثلاثين فاخرجت الرقعة فاذا هو قد حفظ اليوم قال ومضى يومنا الى آخره فلما كان فى الليل لم نشعر بالباب الا وقد دق دقا شديدا وصاح بنا صائح البشرى قدمات الوائق واخرجوا فقال أحمد قوموا بنا فقد حقق الله الرؤيا وآتى بالفرج فقال سليمان بن وهب كيف نمشى مع بعد منازلنا ولكن نوجه من يحميئنا بما نركب فاغتاظ أحمد بن إسرائيل وقال نعم نقعد حتى يجلس خليفة آخر ويقال له فى الحبس جماعة من الكتاب عليهم أموال فيأمر بالتوثق بنا الى أن ينظر فى أمرنا قم عافاك الله تعالى حتى نخرج نخرج وخرجنا على أثره فقبل ان نخرج من باب الهادوني رأينا رجلين يقول أحدهما لصاحبه سئل أمير المؤمنين جعفر عمن فى الحبس ف قيل له جماعة من الكتاب فقال يكونون فيه الى ان ينظر فى أمورهم فجدينا فى السير وقصدنا غير منازلنا فاستترنا وبخشنا عن الاخبار فبلغنا اقرار الخليفة محمد بن عبد الملك فكتبت اليه رقعة عن

جماعتنا نعرفه خبرنا واتساع آمالنا ونستأذن فيما تفعل فلما وصلت إليه وقع على
 ظهرها ولم استخفتم وليس منكم إلا من عنايتي تخصه ورأيي فيه جميل أما أبو أيوب
 فقد تكلم في أمره أبو منصور ايناخ واستوهبه فوهبته له وأمرت باحضاره ليخلع
 عليه فليحضر وأما أبو جعفر فانه طولب بماليس يلزمه وقد وضحت حجته في بطلانه
 فليصر الى وأما أبو الحسن فانه قذف بباطل فظهر وا جميعا واثقين بما عندي من
 حياطتكم ورعاية حرمتكم فصرنا إليه جميعا وزال عنا ما كنا فيه وخلع على سليمان
 ابن وهب خاصة قال وفي هذه الحبة كتب سليمان بن وهب إلى أخيه الحسن
 ابن وهب فيما حكاه محمد بن داود

هل رسول وكيف لي برسول	ان ليلى ان نمت حد طويل
هل رسول إلى أخى وشقيقى	ليت انى مكان ذاك الرسول
يا أخى لو ترى مكاني في الحب	س وحالي وزفرتي وعويلى
وعثارى إذا أردت قياماً	وقعودا في منقالات الكبول
لرأيت الذي يغمك في الآء	دء إذ يسلوكوا جميعاً سبيلى
هذه جملة أرانى غنيا	معها عن أداك بالتفصيل
ولعل الاله يأتى بصنع	وخلاص وفرجة عن قليل

وذكر أبياتا أخر تماماً لهذه الأبيات لم أذكرها لأنها ليست من هذا المعنى
 ثم قال وقد ذكر محمد بن داود في كتابه المسمى كتاب الوزراء من أمر خروج
 سليمان بن وهب من حبس الوراق غير هذا وتركت ذكره وإعادته * حدثني على
 ابن محمد الأنصارى الخطمى قال حدثني أبو عبد الله الحسن بن محمد السمرى
 كاتب الديوان بالبصرة قال كان أبو عبد المطلبى في وزارته قد قبض على بالبصرة
 وطالبني فأطال حبسى حتى آيست من الفرج فرأيت ليلة في المنام كأن قائل
 يقول اطلب من ابن الزاهبونى دفتر قديما خلقا عنده على ظهره دعاء
 فادع الله به فانه عز وجل يفرج عنك قال فسكان ابن الزاهبونى صديقالى من
 أهل ثناة واسط وهو بالبصرة فلما كان من غد قلت له عندك دفتر على ظهره
 دعاء فقال نعم فقلت فجئنى به فجاءنى به فرأيت على ظهره مكتوبا اللهم أنت
 أنت انقطع الرجاء إلا منك وخابت الآمال إلا فيك صل على عبد وعلى آل
 عبد ولا تقطع اللهم رجائى ولا رجاء من يرجوك في شرق الأرض وغربها

يا قريبا غير بعيد يا شاهدا لا يغيب ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امرى
فرجا ومخرجا وارزقني رزقا واسعا من حيث لا أحتسب انك على كل شىء قدير قال
فواصلت الدعاء بذلك فما مضت الا مدة يسيرة حتى وجه المهلبى فأخرجنى من
الحبس وقلدنى الاشراف على أحمد بن عبد الطويل في أعماله بأسافل الالهواز
حدثنى أبو الربيع سليمان بن داود وكانت جدته تعرف بشمسة قهرمانة كانت
في دار القاضي أبى عمرو محمد بن يوسف رحمه الله قال كان في جوار القاضي
قديما رجل انتشرت عنه حكاية وظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت
أسمع أن أبا عمرو حماه من السلطان فسألت عن الحكاية فدافعنى طويلا ثم
حدثنى فقال ورثت من أبى مالا جليلا فاسرفت فيه وأتلفته حتى أفضيت إلى
بيع أبواب دارى وسقوفها ولم يبق لى فى الدنيا حيلة وبقيت مدة لا قوت لى
إلا من بيع أمى لما تغزله وتطعمنى ونفسها منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة فى منامى
كأن قائلا يقول لى غناك بمصر فأخرج إليها فبكرت إلى أبى عمرو القاضي
وتوسلت إليه بالجوار والخدمة التى كانت من أبى لأبيه وسألته أن يزودنى كتابا
إلى مصر لأتصرف بها ففعلت وخرجت فلما حصلت مصرا وصلت الكتاب
وسألت التصرف فسد الله على التصرف حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لى شغل
ونفدت نفقتى فبقيت متحيرا وفكرت فى أن أسأل الناس وأمد يدى إلى
الطريق فلم تسمح نفسى بذلك فقلت أخرج ليلا وأسأل الناس بين العشاءين
فما زلت أمشى فى الطريق وتأبى نفسى المسألة ويحملنى الجوع عليها وأنا ممتنع
إلى أن مضى من الليل نصفه فلقينى الطائف فقبض على فوجدنى غريبا فأنكر
حالى فسألنى فقلت رجل غريب ضعيف فلم يصدقنى وبطحنى وضربنى مقارع
فصحت وقلت له أنا أصدق فقال هات فتقصصت عليه قصتى من أولها وحديث المنام
فقال لى أنت رجل ما رأيت أحق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة
فى النوم كأن قائلا يقول لى ببغداد بالشارع الفلانى بالحلة الفلانية قال فذكر
شارعى ومحلتى فسكت وأصغيت وأتم الشرطى الحديث فقال دار يقال لها دار
فلان فذكر دارى واسمى وفيها بستان فيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف
دينار فامض فخذها فما فكرت فى هذا الحديث ولا التفت إليه وأنت أحق
فارقت وطنك وأهلك وجئت إلى مصر بسبب منام قال فتوى قلبى بذلك

وأطلقني الطائف فبت في مسجد وخرجت في غد من مصر وقدمت بغداد فقلعت
 المدرة وأثرت مكانها فوجدت فيها قممًا فيه ثلاثون ألف دينار فأخذتها ودبرت
 أمرى فأنا أعيش من تلك الدنانير وكلما ابتعته منها من ضيعة وعقار إلى الآن
 * وجدت في كتاب أبي الفرج عبد الواحد المخزومي الخطبى عن علي بن العباس
 النحوي نحى قال حدثني أحمد بن عبد الله التغلبي قال كان من بقايا شيوخ خراسان
 ممن يلزم دار العامة بسر من رأى شيخ يكنى أبا عصمة وكان يحدثنا كثيرا باخبار
 الدولة وأهلها فحدثنا أن خزيمة بن حازم كان يجلس في داره للناس في كل يوم
 ثلاثاً فلا يحجب عنه أحد ولا يستأذن لمن يحضره انما يدخلون ارسالا بغير إذن
 فمن كان من أشرف الناس ووجوههم سلم وانصرف ومن كان من طلاب الحوائج
 أو خطاب التصرف دفع رقعة إلى الحاجب وكان قد أفرد لهذا كاتباً حصيفاً يقال
 له الحسن بن سامة يتصفح الرقاع قبل عرضها عليه فما كان يجوز أن يوقع فيه عنه
 وقع وسأله إلى أربابه وما كان لابد من وقوفه عليه وتوقيعه فيه بخطه عرضه عليه وما
 كان من ذائر ومسترفد عرضت عليه رقعته فيكون هو الموقع فيها بما يراه ولا
 يكاد أن ينصرف أحد من هذا الجمع العظيم المفرط إلا وهو مسرور بقضاء حاجته
 قال أبو عصمة وكان ممن يتصرف في الأعمال رجل من العرب له لسان وفصاحة
 يقال له حامد بن عمرو الحاراني وكان فيه إلحاح شديد وملازمة تامة إذا تعطل
 فيؤذى بذلك ويبرم ولا يقنع بذلك حتى يلزم بابه في كل يوم وإذا ركب
 خاطبه على الطريق وربما تعرض له في دار الخليفة فيخاطبه ولم يكن في طبع خزيمة
 الاحتمال لمثل هذا قال أبو عصمة فحدثني الحسن بن سامة كاتب خزيمة قال نظر
 خزيمة يوماً إلى هذا الرجل في داره وكان لقيه وخاطبه قبل ذلك بيوم وأضجره
 ووافق من خزيمة ضجراً بشيء حدث من أمور المملكة مع ما فيه من الجبروتية
 والكبر فحين خاطبه الرجل صاح فيه وأمر بإخراجه من داره إخراجاً عنيفاً ثم دنانى
 فقال والله لئن دخل هذا الرجل دارى لأضرب عنقه فأخبره بذلك وحذره
 وتقدم إلى البوابين والحجاب بذلك وكان خزيمة إذا وعد أو توعد فليس إلا الوفاء
 فخرجت إلى الحجاب والبوابين وأصحاب المقارع فبالغت في تحذيرهم وعرفتهم
 ما قال وانه خاف أن يضرب أعناقهم واكدت القصة والوصية بمجهدى مستظهِرا
 لنفسى ومضيت خارج الدار فاذا الرجل واقفا فاعلمته أن دمه مرتهن بنظرة

ينظرها اليه خزيمة في دار السلطان أو على بابه أو في بعض الطريق وحذرت
 تحذيرا شديدا وخوفته بالله عز وجل في دمه أن لا يجعل على نفسه سبيلا فشكرني
 على تحذيره وانصرف كئيبا فلما أصبحنا من غد غدوت إلى دار خزيمة على رسمي
 في الملازمة فلما دنوت من الباب إذا بالرجل واقفا كما كان يقف منتظرا لركوبه
 فعظم ذلك على فقلت يا هذا أما تخاف الله عز وجل أتحب أن تقتل نفسك اما
 تعرف الرجل فقال والله ما أتيت هذا الرجل جهلا مني ولا اغترارا بل أتيت على
 أصل قوي وسبب وثيق وسترى من لطف الله عز وجل ما يسرك وتعجب منه قال
 الحسن بن سلامة فزاد عجبى منه ودخلت الدار فصادت خزيمة في صحن الدار
 يريد الركوب فحين نظر إلى قال لي ما فعل حامد بن عمرو قلت رأيت الساعة
 بالباب وقد تهددت فلما رأيت اليوم بالباب تعجبت من جهله وعوده مع ما عذرت
 اليه من الوعيد وأمرته بالانصراف فأجابني بجواب لا أدري ماهو فأنا برىء من
 فعله فقال بأي شيء أجابك فأخبرته فسكت خزيمة وخرج فركب فحين رآه
 ترجل له حامد فصاح خزيمة لا تفعل والحقني إلى دار أمير المؤمنين قال وسرنا
 ودخل خزيمة إلى دار أمير المؤمنين الرشيد ودخلنا معه إلى حيث جرت عادتنا
 أن نبلغه معه من الدار فجلسنا فيه ومضى خزيمة يريد دار الخليفة وجاء حامد
 فجلس إلى فقلت أصدقني عن خبرك والسبب في جسارتك على خزيمة ولينه لك
 بعد الغلظة وعرفته ما جرى بيني وبين خزيمة ثانياً فقال طب نفسا فما أبدى لك
 شيئا إلا بعد بلوغ الأمر فبينما نحن كذلك إذ دعى بحامد بن عمرو وأدخل إلى
 حيث كان بأن موسوما يدخل اليه من يخلع عليه فتحيرت فلم يكن بأسرع من أن
 خرج وعليه خلع الخليفة وبين يديه لواء عقده له وقد ولى طريق الفرات بأسره
 فقممت إليه وهنأته وقلت له ولا الساعة تخبرني الخبر فقال ما فات شيء وودعني
 ومضى وأقت بمكاني إلى أن خرج خزيمة فسرت معه إلى داره فلما استقر فيها دعاني
 فسألني عن أمور من خدمته ثم قال أظنك قد أنكرت ما جرى في أمر حامد بن
 عمرو قلت أي والله أيها الأمير قال فاسمع الخبر اعلم اني كنت في نهاية الغيظ عليه
 فأمرت فيه بما أمرت فلما كان البارحة رأيت فيما يرى النائم كأنه قائم يصلي ورفع
 يديه إلى الله عز وجل يدعو على مكانه قد وقع في نفسي انه يريد ان يدعو على قال
 فصحت به لا تفعل وادن مني فانقتل من صلاته فجاء فوقف بين يدي فقلت له

ما يحملك على ان تدعو على فقال لأنك أهنتني واستخففت بي وأخرجتني من
 دارك ذليلاً آيساً وأشمت بي أعدائي ووعدتني بالقتل ظلماً وقطعت أمل في طلب
 رزقي وقوتي فأنا أشكوك الى الله عز وجل واستعينه عليك فكانني أقول له طب نفساً
 ولا تدع على فاني أحسن إليك غداً وأوليك عملاً واستعطفته فعجبت من المنام
 وعلمت اني ظلمت الرجل وقلت في نفسي شيخ من العرب وله سن وشرف أسأت
 إليه بغير جرم وأرعبته وماذا على إذا لحج في طلب الرزق وعلمت أن المنام موعظة
 في أمره وحث على حفظ النعم ولا أنفرها بقله الشكر واستعمال الظلم واعتقدت
 ان أوليه كما وعدته في المنام فكان ما رأيت قال الحسن بن سلامة فصوبت رأيه في هذا
 ودعوت له وانصرفت فجاءني من العشي حامد بن عمرو مسلماً ومودعاً ليخرج
 الى عمله فقلت هات الآن خبرك قال نعم انصرفت من باب خزيمة موجه القلب قلقاً
 مرثعاً فأخبرت عيالي بما جرى فكانه في داري مأتم عظيم ولم أطمع أنا ولا عيالي
 يومئذ وليليتي طعاماً وأمسيت على ذلك فلما هدأت العيون توضأت واستقبلت القبلة
 واصلت ماشاء الله وتضرعت إليه عز وجل ودعوته باخلاص طوية وصدق نية
 وأطلت فحملتني عيني وأنا ساجد في القبلة فرأيت في منامي كاني على حالي في الصلاة
 والدعاء وكأن خزيمة بن حازم قد وقف على وأنا ادعو فصاح بي لا تفعل وعد
 الى فاني أحسن إليك وأوليك فانتبهت مذعوراً وقد قويت نفسي فقلت أبكر
 إليه فلعل الله عز وجل ان يطرح في قلبه الرقة لي فغدوت إليه فكان ما رأيت
 فقال الحسن فكثير تعجبي لاتفاق المنامين وقلت لحامد لقد أخبرني الأمير بمثل
 هذا لم يخرج منه حرفاً وبكرت الى خزيمة وحدثته الحديث وأحضر حامداً حتى سمع
 ذلك منه فعجب منه وأمر له بصلة وكسوة وحملان ولم يزل بعد ذلك متعهداً
 إكرامه ولا يتعطل * ويقارب هذا الحديث حديثان أحدهما حدثني به غير واحد
 من أهل بغداد ان عطارة من أهل الكرخ بها كان مشهوراً بالستر والأمانة فارتكبه
 دين وقام عن دكانه ولزم بيته مستتراً وأقبل على الدعاء والصلاة الى ان صلى ليلة جمعة
 صلاة كثيرة ودعا ونام قال فرأيت النبي ﷺ في منامي وهو يقول أقصد على
 ابن عيسى وكان اذ ذاك وزيراً فقد أمرته لك بأربعمائة دينار فخذها وأصلح بها
 أمرك قال وكان على ستمائة دينار فلما كان من غد قلت قال النبي ﷺ من رأي
 في منامه فقد رأي حقاً فان الشيطان لا يتمثل بي فلم لأقصد الوزير قال فقصدته

فلما صرت ببابه منعت من الوصول إليه فجلست الى أن ضاق صدري وهممت
بالانصراف فخرج الشافعي صاحبه وكان يعرفني معرفة ضعيفة فأخبرته الخبر فقال
يا هذا الوزير والله في طلبك منذ السحر الى الآن وقد سألتني عنك فأنتيتك وما عرفك
أحد والرسول مبعوث في طلبك فكن بمكانك ورجع ودخل فما كان بأسرع من أن
دعاني فدخلت على علي بن عيسى فقال ما اسمك فقلت فلان بن فلان قال من أهل
الكرخ قلت نعم فقال يا هذا أحسن الله جزاءك في قصدك إياي فوالله ما تهنت
بالعيش منذ البارحة فان رسول الله ﷺ جاءني البارحة في منامي فقال لي أعط فلان
ابن فلان العطار بالكرخ أربع مائة دينار يصلح بها شأنه فكنيت اليوم طول نهاري
في طلبك وما عرفك أحد فقلت ان رسول الله ﷺ أتاني البارحة في منامي فقال لي
كيت وكيت قال فبكى علي بن عيسى وقال أرجو أن تكون هذه عناية من رسول الله ﷺ
بي ثم قال هاتوا ألف دينار فجاء بها عينا فقال خذ أربع مائة دينار امثالا لأمر رسول الله
ﷺ وستائة دينار هبة مني لك فقلت ما أحب أن أزداد على عطاء رسول الله
ﷺ فاني أرجو البركة فيه لا فيما عداه فبكى علي بن عيسى وقال هذه ألف
دينار نخذ ما بدالك فأخذت أربع مائة دينار وانصرفت فقصصت قصتي على صديق
لي وأريته الدنانير وسألته أن يقصد غرمائي ويخبرهم ويتوسط بيني وبينهم ففعل
ذلك فقالوا نؤخر بالمال ثلاث سنين فليفتح دكانه فقلت لأوائك تأخذون مني
الثلاث في كل سنة فأعطيتهم مائتي دينار وفتحت دكاني بالمائتي دينار الباقية فما
حال الحال إلا ومعى ألف دينار فقضيت ديني كله وما زال مالي يزيد وحالي يصلح
إلى الآن * والآخر حدثني به أبو الحسن علي بن يوسف الأزرق التنوخي قال
حدثني أبو القاسم بن ماجور المنجم قال حججت فرأيت عند طاهر بن يحيى
العلوي بالمدينة رجلا خراسانيا كان يحج في كل سنة فاذا دخل المدينة جاء إلى
طاهر بن يحيى فأعطاه مائتي دينار من ماله كانت كالجراية له منه فلما كان سنة
قبل ذلك جاء يريد داره ليعطيه المال فاعترضه رجل من أهل المدينة فسب عنده
طاهرا وقال تضيع دنائرك التي تدفعها اليه وهذا يأخذ منك ومن غيرك فيصرفه
فيما يكرهه الله عز وجل فيفعل ويصنع وتكلم فيه بكل قبيح قال الخراساني فلما
سمعت ذلك عرضت نفسي عن دفع شيء اليه وتصدقت بالدنانير وخرجت من
المدينة فلم ألقه فلما كان في العام الثاني دخلت المدينة فتصدقت بما كنت أريد أن

أتصدق به وطويت طاهرا فلم أمض اليه فلما كان في العام الثالث تأهبت للحج فرأيت
النبي ﷺ في منامي وهو يقول ويحك قبلت في ابني طاهر بن يحيى قول
أعدائه وقطعت عنه ما كنت تبره به لا تفعل واقصده بما فاتته ولا تقطعه عنه
ما استطعت قال فانتبهت فزعا ونويت ذلك وأخذت صرة فجعلت فيها ستمائة
دينار وحملتها معي فلما صرت بالمدينة بدأت بدار طاهر فدخلت وجلست ومجلسه
حافل فلما رأيته قال يا أبا فلان لولم يبعث بك إلينا ما جئت فتعافلت عنه وقلت
ما معنى هذا الكلام أصلحك الله قال قبلت في قول عدو الله عز وجل ورسوله
ﷺ وعدوى وقطعت عادتك حتى لامك رسول الله ﷺ في منامك وأمرك
أن تعطيني الستمائة دينار هاتما ومد يده إلى فتداخلى من الدهش ما ذهلت
معه فقلت أصلحك الله هكذا والله كانت القضية فما علمك بذلك قال انه بلغني
خبر دخولك المدينة في السنة الأولى فلما خرج الحاج ولم تجئني أثر ذلك في حالى
وسألت عن القضية فعرفت أن بعض أعدائنا لقيك فسبني عندك فألمني ذلك
فلما كان في الحول الثاني بلغني دخولك وأنت قد عملت على قوله في
فازداد بذلك غمى فلما كان منذ شهور ازدادت اضاقتى وامتنع النوم على غما بما
دفعته اليه ففرغت إلى الصلاة فصليت ما قضى لي ودعوت الله سبحانه وتعالى بالفرج
فما أنا فيه ونمت في المحراب فرأيت النبي ﷺ في منامي وهو يقول لا تغتم فقد لقيت
فلانا الخراساني وعاتبته على قبوله فيك قول أعدائك وأمرته أن يحمل اليك
ما فاتك لستين ولا يقطع عنك بعدها ما استطاع فحمدت الله عز وجل
وشكرته فلما رأيته الآن علمت أن المنام جاء بك فأخرجت الصرة التي
فيها ستمائة دينار فدفعتمها اليك وقبلت رأسه وبين عينيه وسألته أن يجعلني
في حل من قبول قول ذلك الرجل فيه * حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان
ابن فهد الأزدي الموصلى قال كانت في شارع دار الرقيق ببغداد جارية علوية
أقامت مزمنة نحو خمس عشرة سنة وكان أبى أيام نزولنا من هذا الشارع في
دار شفيع المقتدرى التي كان اشترها يتفقدوها ويبرها وكانت مسجاة
لا تنقلب من جنب إلى جنب حتى تقلب ولا تقعد حتى تقعد وكان لها من
يخدمها في ذلك وكانت فقيرة لا قوت لها هي وخادمتها الا مما تبرها الناس فلما
مات أبى اختل أمرها وبلغ تحنى جارية الوزير المهلبى خبرها فكانت تقوم

بامرها وأجرت عليها جارية في كل شهر وكسوة في كل سنة قال فباتت ليلة من الليالي على حالها تلك ثم أصبحت من غد وقد برئت ومشيت وقامت وقعدت وكنت مجاورا لها فكنت أرى الناس يتناوبون باب دارها فانفذت امرأة من دارى ثقة تعرفها حتى شاهدها وسمعتها تقول اني ضجرت من نفسي ضجرا شديدا فدعرت الله عز وجل طويلا بالفرج مما أنا فيه أو بالموت وبكيت بكاء متصلا وببت وأنا قلقة متألمة ضجرة وكان سبب ذلك ان الخادمة تضجرت وخطبتني بما ضاق منه صدرى فلما استثقلت في نومى دخل على رجل فارتعدت منه وقلت يا هذا كيف تستحل ان تراني فقال أنا أبوك فظننته أمير المؤمنين فقلت يا أمير المؤمنين ما ترى ما أنا فيه فقال أنا أبوك محمد رسول الله ﷺ فبكيت وقلت يا رسول الله أدع لى بالعافية قال خرك شفقيه بشيء لم أفهمه ثم قل ها تى يديك فأعطيته يدي فأخذها وجذبني بهما فقممت فقال لى امشى على اسم الله تعالى فقلت كيف امشى فقال يديك فأخذها وما زال يمشى وهما في يديه ساعة ثم اجلسنى حتى فعل بي ذلك ثلاث مرات ثم قال قد وهب الله عز وجل لك العافية فأحمديه واتقيه وتركنى ومضى فانتبهت وأنا لا أشك انه واقف لسرعة المنام فصحت فظننت الجارية أنى أريد البول فتناقلت فقلت ويحك امرجى السراج فانى رأيت النبي ﷺ فانتبهت المرأة فوجدتنى مسجاة فشرحت لها المنام فقالت أرجو أن يكون الله عز وجل قد وهب لك العافية ها تى يديك فأعطيتها يدي فأجلستنى ثم قالت لى قومى فقممت معها ومشيت متوكئة عليها ثم جلست وفعلت ذلك ثلاث مرات الأخيرة منهن مشيت وحدى فصاحت الخادمة سرورا بالحال واعظاما لها فقدر الجيران أنى قدمت فجأؤنى فقممت ومشيت معهم قل أبو محمد وما زالت قوتها تزيد الى ان رأيتها قد جاءت الى والدتى فى خوف وازار بعد أيام ولاقلبة بها فبررتها وهى باقية وهى من أصلح النساء وأورعهن من أهل زماننا وقد زوجت من رجل علوى موسر وصلحت حالها ولا تعرف الآن الا بالعلوية المزمنة ومضى على هذا الحديث مشهور كثيرة فخرى بينى وبين أبي بكر محمد بن عبد الرحمن بن فريرة مذاكرة بالمنامات فحدثنى بمحدث منام هذه العلوية وقصتها وعلتها على ما حدثنى به أبو محمد بن فهد قال قال لى أبو بكر أنا كنت أحمل إليها جرايتها من عند تجنى جارية الوزير أبي محمد المهلبى وكسوتها على طول السنين وسمعت منها هذا المنام ورأيتها تمشى بعد ذلك

صحيحة بلاقلبة وتجيء الى تجني وتجنني زوجتها من العلوى وأعطتني مالا قت منه
بتجيزها وأمرها حتى أعرض بها زوجها وهى الآن من خيار النساء قال مؤلف
هذا الكتاب وحدثني بهذا الحديث جماعة أسكن إليهم من أهل شارع دار الرقيق
بمخبر هذه العلوية على مثل هذا وهى باقية إلى الآن وآخر معرفتى بمخبرها فى
سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة ولا تعرف الآن إلا بالعلوية الزمنى * حدثنى أبو
عبد يحيى بن فهد الأزدي الموصلى قال سمعت أبا القاسم السعدى يحدث أبى رحمه
الله قال كنت وأنا حدث السن مشغوفا بغلام لى شغفا شديدا وكنت منهمكا على
الفساد وكان ربما هجرني فأترضاه بكل ما أقدر عليه حتى يرضى قال وانه غضب على
مرة غضبا شديدا وهرب واستتر عنى حتى لحقنى من الحيرة والوله ما قطعنى عن
النظر فى أمرى واجتهدت فى صرف ذلك عنى فلم ينصرف وحضر وقت خروج
الناس إلى الخائر على ساكنه أفضل الصلاة والسلام فكتبت رقعة أسأل الله الفرج
مما أنا فيه ودفعته إلى بعض من خرج وسألته أن يدفعها فى ناحية من القبر وأنت
ليلة النصف من شعبان ففرغت إلى الله عز وجل فى كشف ما بي وصليت ودعوت ثم
غلبنى النوم فرأيت فى منامى كأننى فى مقابر قريش والناس مجتمعون فيها إذ قيل
جاء الحسين بن على وفاطمة بنت رسول الله ﷺ للزيارة فتشوقت لرؤيتهما
فاذا بالحسين رضى الله عنه فى صورة كهل وعليه دراعة وعمامة ومعه فاطمة عليها
السلام متنقبة بنقاب بياض فاعترضت الحسين رضى الله عنه وقلت له يا ابن
رسول الله كتبت إليك رقعة فى حاجة لى أسألك فان رأيت أن تعمل فيها فلم
يحيينى ودخل القبة بالمدفن ودخلت فاطمة وكأن قوما قد وقفوا يمنعون الناس
من الدخول إليهما فلم أزل أتوصل إلى أن دخلت فأعدت الخطاب عليه فلم
يحيينى فقلت يا سيدة أنى رأيت على أن تعمل فى أمرى فقالت على أن تتوب
قلت نعم فقالت قل الله فقلت الله فكررت على ثلاثا ثم أومأت إلى جماعة ممن
كانوا قياما ودفعت إليهم خاتما كان فى يدها وكلمتهم بما لم أفهمه فحملوني حتى
غبت عنهما ثم حلوا سراويلي وشدوا ذكرى بخيط شدا قويا ثم وضعوا على
الشد طيبا وختموه بالخاتم فورد على من الألم ما أنبهنى فانتهيت وأثر الخيط فى الموضع
وصار أثر الختم كالجدري مستديرا حول الموضع ثم قال إن شئت كشفت لك فأريتك
فقد رأيت لجماعة فقلت انى لا استحل النظر الى ذلك قال السعدى فأصبحت
من غد ولم يبق فى قلبي شىء من الغلام فاشتريت الجوارى وكنت لا أنكر

من جماعى شيئاً ثم طالبتنى نفسى بالعلمان وغلبتنى الشهوة فاستدعيت غلاماً فلم أقدر عليه وبطل العضو فلما فارقت انعطت فعاودته فاسترخى فخرت ذلك مع عدة غلمان فكانت صورتي واحدة فجددت التوبة بعد ذلك وما نقضتها إلى الآن * حدثنا أبي على الحسين بن محمد الأنباري الكاتب قال كان ابن الفرات يتبع أبا جعفر ابن بسطام بالاذية ويقصده بالمسكاره فلقي منه في ذلك شداً كثيرة وكانت أم أبي جعفر محمد قد عودته مذ كان طفلاً أن تجعل في كل ليلة تحت مخدته التي ينام عليها رغيفاً فإذا كان من غد تصدقت به عنه فلما مضت مدة من اذية ابن الفرات له دخل إلى ابن الفرات في شيء احتاج إليه فيه فقال ابن الفرات يا أبا جعفر لك مع أمك خبر في رغيف فقال لا قال لا بد أن تصدقني فذكر أبو جعفر الحديث فحدثه به على سبيل التطاير بأحوال النساء فقال ابن الفرات لا تفعل فاني بت البارحة وأنا أدير عليك أمراً لو تم لاستأصلتك ونمت فرأيت في منامي كان بيدي سيفاً مسلواً وقد قصدتك فاعترضتني أمك بيدها رغيف تنترسك به مني فلما وصلت إليك وانتبهت فعاتبه أبو جعفر على ما كان بينهما وجعل ذلك طريقاً على استصلاحه وبذل له من نفسه ما يريد ولم يبرح حتى أرضاه وصاراً صديقين وقال له ابن الفرات لا رأيت بعدها مني سوا ما عشت أبداً * وروى عن محمد ابن علي بن يونس عن أبيه انه كتب لرجاء بن أبي الضحاك وهو بدمشق وإن علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ كان يتقلد خلافة خمار تكين على المعونة على دمشق فوثب على رجاء فقيده وقبض على جماعة من أسبابه وأمر بحبس خبيست في يدي سجبان كان جاراً لي وكان يأتيني بالخبر ساعة بعد ساعة فدخل إلي وقال أخرج والله رأس صاحبك رجاء على قناة ثم جاءني وقال قد قتل مطببه ثم جاءني فقال قد قتل ابن عمه ثم جاءني فقال قد قتل كاتبه الآخر فلان ثم قال الساعة يدعى بك لتقتل فلما سمعت ذلك نالني جزع شديد وخرج السجبان وقفل الباب ودعى بي فدافع عني وقال مفتاح القفل مع شريكى والساعة يحضر فنالني في تلك الساعة نعاس فرأيت في منامي كأنني ارتمطت في طين كثير وكأني قد خرجت وما بليت قدمي واستيقظت وتأولت الفرج وسمعت حركة شديدة فلم أشك انها لطلبي فعاودني الجزع فدخل السجبان وقال أبشر فقد أخذ الجند علي بن إسحاق فحبسوه فلم البث حتى جاءني الجند فأخرجوني وجاءوا بي إلى مجلس علي بن إسحاق الذي كان فيه جالساً وقدامه دواية وكتاب قد كان كتبه إلى المعتصم في تلك

الساعة يخبره بخبر قتله رجاء وجعل له ذنباً ولنفسه معاذير ويسمى رجاء المجوسى الكافر فخرقت الكتاب وكتبت بالخبر كما يجب الى المعتصم من نفسى وما أجري إليه على بن إسحق وأنفذت الكتاب ولم أزل أدبر العمل حتى تسلم منى وحمل الى المعتصم فحبس حبساً طويلاً وأظهر الوسواس وتكلم فيه أحمد بن أبي دواد فأطلق * وجدت فى بعض الكتب ان المنصور استيقظ من منامه ليلة من بعض الليالى وهو مذعور لرؤيا رآها فصاح بالربيع وقال له صر الساعة الى الباب الذى بلى باب الشام فانك ستصادف هناك رجلاً مجوسياً مستنداً الى الباب الحديد فجئنى به فمضى الربيع مبادراً وعاد والمجوسى معه فلما رآه المنصور قال نعم هو هذا ما ظلامتك فقال ان عاملك بالانبار جاورنى فى ضيعتى فساومنى ان أبيعها اياها فامتنعت لان معيشتى منها وقوت عيالى فغصبني عليها فقال له المنصور فأى شئ دعوت به قبل أن يصل إليك رسولى قال قلت اللهم انك حلیم ذوأناة ولا صبر لي على اناتك فقال المنصور للربيع أشخص هذا العامل واحسن أدبه وانتزع الضيعة من يده وسلمها الى هذا المجوسى وابتع من العامل ضيعة وسلمها إليه أيضاً ففعل الربيع ذلك كله فى بعض نهار وانصرف المجوسى وقد فرج الله عنه وزاده وأحسن إليه * وجدت فى كتاب حدث القاسم بن كرسوع صاحب أبي جعفر يخبره وقال ان ابن أبي عون صاحب الشرطة قد وعد مخبره ان يحميه للإقامة عنده والشرب مصطبجاً على ستارته فى يوم ثلاثاء فأبطأ عنه وتعلق قلب مخبره بتأخره فبعث غلاماً له فى طلبه وتعرف خبره فعاد الى مخبره وقال وجدته فى مجلس الشرطة يضرب رجلاً بالسياط وقد ذكر أنه يجيئ الساعة فلما كان بعد ساعة جاء ابن أبي عون فقال له أبو جعفر قد وعدتني ببيكورك وشغلتني بتأخرك فماسبب ذلك فقال اني رأيت البارحة فى منامى كأنى بكرت بليل لاجيئك وليس معى سوى غلام واحد فسرت فى خراب إسحق بن إبراهيم بن مصعب لأجىء إلى رحبة الجسر فانى لاسير فى القمر إذ رأيت شيخاً بهياً نظيف الثوب وعلى رأسه قلنسوة لاطية وفى يده عكاز فسلم على وقال انى أرشدك على ما فيه مثوبة لك فى حبسك شيخ مظلوم وفى البارحة من المدائن فى وقت ضيق فاتهم انه قتل رجلاً وهو برىء من دمه وقد ضرب وحبس وقاتل الرجل غيره وهو فى غرفة وسطى من ثلاث غرف مبنية على طاق التلك بالسكرخ واسمه فلان بن فلان ابعت من يأخذه

فانك ستجده عريان سكران وفي يده سكين مخضبة بدم فاصنع ماترى به وأطلق
الشيخ البأس فقممت فانتبهت فركبت ومرت حتي وافيت رحبة الجسر فقلت
ما حدث في هذه الليلة فقلوا وجدنا هذا القتيل وهذا الشيخ معه فضر بناه فلم يقر فرأيت
به أثر ضرب عظيم فسألته عن خبره فقال أنا معروف بالمداين بسلامة الطريقة ومعاشي
التغنيح أتقذني فلان بن فلان إلى فلان بن فلان من أهل بغداد بهذه الكتب فأخرج
اضبارة فدخلت وقت العتمة أوائل بغداد فوجدت في الطريق رجلا مقتولا فخرجت
ولم أدر أين آخذ فأنا على حالي إذا دركني الأعوان فظنوني قتلته والله ما عرفه ولا رأيته
قط ولا أدري من هو ولا من قتله ولا قتلته أحد أقط وقد ضربوني وحبسوني ذلله الله في
دمي فقلت قد فرج الله عنك انطلق حيث شئت ثم أخذت الرحالة ومضيت إلى طاق التكم
فوجدت الغرف مصطفة كما وصف الشيخ فهجمت على الوسطى فاذا رجل سكران عليه
سراويل فقط وفي يده سكين مخضبة بالدم وهو يقول أخ عليك نعم ياسيدي أنا جرحته أنا
القحبة وإن مات فأنأقتله فأنزلته مكتوفاً وبعثت به إلى الحبس وانحدرت إلى الموفق
فحدثته الحديث فتعجب منه وتقدم إلى أن اضرب القاتل بالسياط إلى أن يتلف وأصلبه
في موضع جنايته فتشاغلت بذلك إلى أن فرغت ثم جئتك * حدثني محمد بن علي بن إسحق
قال خرجت مع أبي وهو يكتب لمحمد بن القاسم الكرخي المكنى بأبي جعفر لما تقلد
الموصل والديارات وكان قد ضم إلى أبي جعفر جماعة من قواد السلطان فلما صرنا بنصيبين
كان أبي قد مضى وأنامعه إلى أبي العباس أحمد بن كشمردم سألها عليه فتحدثنا فسمعته يحدثه
قال لما أسرنى أبو طاهر القرمطي فيمن أسره بالهيرة فخبسني وأبأ الهيجاء والغمر في ثلاث
حجر متقاربة ومكننا من أن نتزاور ونجتمع على الحديث فمكنا أبأ الهيجاء خاصة واختص
به وعمل على إطلاقه وشفعه في أشياء فسألت أبأ الهيجاء أن يسأله إطلاقي فوعدني
واستدعاه القرمطي فضى إليه وعاد إلي حجرته فجئت وسألته هل خاطبه فدفعني فقلت
لعلك أنسيت فقال لا والله ولوددت أني ما ذكرت لك له أني وجدته متغيظاً عليك فقال والله
لا ضربن عنقه عند طلوع الشمس في غد ورحل أبأ الهيجاء فورد على أمر عظيم
وعدت إلى حجرتي وقد يؤست من الحياة فلما كان في الليل رأيت في منامي كان
قائلاً يقول لي أكتب في رقعة بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل إلى المولى

الجليل مسنى الضر والخوف وأنت أرحم الراحمين فبحق محمد وآل محمد اكشف
 همى وحزنى وفرج عني واطرح الرقعة في هذا النهر وأوماً إلي ساقية كانت تجري
 هناك في المطبخ فانتبهت من نومي وكتبت الرقعة وطرحتها في الساقية فلما كان
 السحر استدعاني القرمطي فلم أشك انه القتل فلما دخلت إليه أدناني واجلسني
 وقال قد كان رأيي فيك غير هذا الا اني قد رأيت تخليتك فخرجت فاذا على الباب
 راحلة ورجل يصحبني فركبت ودخلت البصرة سالما ولحقت أبا الهيثب بها فدخلنا
 معا إلى بغداد * وقال أبو الحسن علي بن زكي قال كنت مع صاحبي عيسى البوسري
 وكان مضافا لمحمد بن سليمان الكاتب على حزب الطولونية الى ان افتتحت مصر فقلد
 قال قال عيسى خرج يوما محمد بن سليمان إلي ظاهر القسطنطين فانتبهت به السير الى قبة
 كانت لأحمد بن طولون يقال لها قبة الهواء مظلة على النيل وعلى البر فجلس فيها ومعه
 الحسين بن حمدان وجماعة من القواد ثم قال الحمد لله الذي بيده الأمر كله يفعل ما يشاء
 فقال له الحسين بن حمدان لا شك أن تجد يدك الحمد لأمر قال نعم وهو عجيب ظريف
 ذكرته الساعة وهو اني نزلت إلى مصر وأنا في حال رثة في زي صغار الاتباع
 فضاقت علي المعاش بها فانصرفت بلؤلؤ الطولوني فأجرى علي دينارين في كل شهر
 وصيرني مشرفا في اصطبله على كراعه فكنيت هناك من حيث لا يعرف وجهي
 جيدا ولا أقدم على الوقوف بين يديه فلما كان بعض الأيام أحضرني فقال ويحك من
 أين يعرفك الأمير يعني أحمد بن طولون فقلت والله ما رأي قط ولا وقعت عينه
 علي إلا في الطريق ولا محلي محل من يتصدى للقاءه فقال دعاني الساعة وهو في
 قبة الهواء فقال معك رجل أشقر أشبهل يقال له محمد بن سليمان فقلت ما أعرفه
 فقال بل هو في جنبتك فابعده عنك فاني رأيته البارحة وفي يده مكنسة يكنس
 داري بها فتوق ويحك ولا تتعرف إلى أحد من حاشيته وأقرني على أمرى
 فامتثلت أمره ومضت لهذا الحديث شهور ثم دعاني ثانية فقال ويحك ماذا
 بليت به منك وبليت أنت به من هذا الأمير دعاني بعدة من أصحاب الرسائل
 فوافيته وأنا في غاية الوجيل فقال أليس أمرتك بصرف محمد بن سليمان الأزرق
 الأشقر فقلت قد عرفتك ياسيدي اني ما استخدمت من هذه سبيله ولا وقعت
 لي عليه عين فقال لي كذبت وهو معك في اصطبلك فاخرجه عن البلد الساعة
 فاني رأيته في النوم أيضا وفي يده مكنسة وهو يكنس بها سائر دوري وحجري

ونسأل الله الكفاية فقلت للؤلؤ أي ذنب لي ياسيدي في الاحلام فقال لي صدقت فاستتر إلي أن يتناسى الأمير ذكرك وكان يجري على رزقي في كل شهر وأنا لا أعمل شيئاً فلما تهيأ من إنفاذ لؤلؤ إلى الشام ما تهيأ نهضت معه وتخلف عنه كتابه لما كانوا علموا من تغيير حاله عند صاحبه فأدنانى وقربنى وأجرى على عشرة دنانير في كل شهر وحملى على دابة فلزمت خدمته ولقيته واستحمدت إليه فرادنى من رأيه ولم ينتبه أحمد بن طولون من استيحاش لؤلؤ فكتب له بالرجوع إلى مصر فشاورنى فأشرت إليه بالانحدار إلى نواحي ديار مصر وأخذ كل ما استخف نيله من المال ولم أترك غاية إلا أتيتها في تضريته وتأليبه حتى أوردته مدينة السلام ثم تقلبت بي الأحوال في خدمة السلطان وخدمة الدول وتوفى أحمد بن طولون وحبس ابنه وقتل أبو الجيش وتولى بعدهم هرون بن خمارويه بن أحمد وضم إلى القواد والرجال وكان فيهم لؤلؤ صاحبي وكان أصغرهم حالاً فلم أقصر في صلاح حاله والاحسان إليه ومعرفة حقه فلم أدن من الشام حتى تلقاني بدر الحمى مطيعاً وتلاه طغج بن حف مسرطاً وصرت إلي مصر فلما شارفتها وثب شيبان بن أحمد بن طولون ومن معه من جند مصر فقتلوا هرون وتولى شيبان الأمر أياماً وانتال إلى القواد في الأمان ولحق بهم شيبان وتخلف الرجال وقطعة من الفرسان وأظهروا الخلاف فأوقعت بهم وأفنيتهم قتلاً وأسرا ودخلت النفس طائفة عنوة وحويت النعم والمهج وأشخصت الطولونية من البلد إلى الحضرة حتى لم يبق فيها منهم أحد وصح بذلك منام أحمد بن طولون فسبحان الذي ما شاء فعل وإياه نسأل خير ما تجرى به أقداره وأن يختم لنا بخير رحمته * حدثني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر الكاتب المعروف بالببغا قال اعتلت بحلب علة خف منها بدني كله فكنيت كالخشبة لا أقدر أن أتحرك ونحل جسمي وتقلبت في أغلال متصلة متضادة وأنا من هذا ألقى خلف فراش ثلاث سنين متواليات وآيس الأطباء من برئى وقطعوا مداواتي وكان لي صديق يعرف بأبي الفرج بن دارم من أهل بلدى يعنى نصيبين مقيم بحلب يلزم عيادتي وكان لفرط اغتمامه بي وإن الأطباء أيسوا مني يظهر لي حزناً يؤلم قلبي ويؤيسني من نفسي ويجاوز ذلك إلى التصريح لي باليأس وتوطيني ثم تعدى هذا إلي أن صار لا يملك دمعته إذا خاطبني فضعفت عن تحمل ذلك واتضاعفت به علتي وحارت معي قوتي فاعتقدت أن أقول للغلام أن يترصده فإذا جاء ليدخل على قاله عني أني لا أستحسن

حجابيه وان علتى قد تضاعفت بما أشاهده وأسمع من خطابه ويسأله أن ينقطع
 عني أو يقطع مخاطبتي بما فيه إياسى وقررت عزمى على ذلك فى ليلة من الليالى
 ولم أخاطب به غلالى فلما كان فى صبيحة تلك الليلة باكرنى ابن أبى دارم فحين
 وقعت عينى عليه تثاقلت به خوفاً من أن يسلك معى مذهبه وهممت أن أفتح مخاطبته
 بما كنت عزمت على مراسلته به فسبقته بأن قال لي قد جئتك مبشراً فقلت بماذا
 قال رأيت البارحة كأنى بالركة والناس يهرعون إلى زيارة قبور الشهداء فقال
 أبو الفرج وهم ممن قتلوا مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه بصفين
 منهم عمار بن ياسر رضى الله عنه وحملوا إلى ظاهر الرقة فدفنوا بها والحال فى ذلك
 مشهور والقبور إلى الآن مغطىة معمورة فقال ابن أبى دارم ورأيت كأن أكر
 الناس مطيفون بقبة فسألت عنها فقبل لى قبر عمار بن ياسر فقصدتها واطلعت فيها
 فاذا القبر مكشوف وفيه رجل شيخ جالس بشباب بيض وفي رأسه ضربات بينة
 دامية وعلى لحيته دم والناس يقولون هذا عمار بن ياسر وكأنى سألت عليه والناس
 يسألونه فيجيبهم فلحقته حيرة ولم أدر عما أسأله فقلت ياسيدى لعلك عارف بأبى
 الفرج عبد الواحد بن نصر الخزومى المعروف بالبيضا قال أنا عارف به قلت أتعرف
 ما به الجهد والبلاء بالعلقة الطويلة فقال نعم قلت أفيعيش ويبرأ أم لا فقال يعيش
 ويبرأ ولكن أنت لك ابن الحذر عليه من علة تلحقه قريباً واستيقظت قال وأخذ
 يهيننى بالعافية ويقول قد سرنى لك ما جرى ولكن قد أوحشنى فى أمر ابنى
 فاسأل الله الكفاية قال أبو الفرج وكان للرجل ابن عمره نحو الثلاثين سنة وهو
 فى الحال معافى فلما مضت خمسة أيام من الرؤيا حم النقى فقويت نفسى فى صحة
 المنام وماضت الايام يسيرة حتى مات الفتى وادبر مرضى ولم تزل العافية تتزايد
 الى ان قويت وطاودت إلى عادتى بعد مدة قريبة * وجدت فى بعض الكتب انه لما
 اشتدت الحرب بين الاسكندر وبين دار ابن دارا استظهر دارا عليه فأشرف
 الاسكندر على الهلاك وآيس من النصر وحال المساء بينهما فانصرف الاسكندر إلى
 معسكره قلقاً مغموماً متحيراً مغموماً عامة ليلته ثم نام فرأى فى منامه كأنه صارع
 دارا فصرعه دارا فانتبه وقد زاد همه وغمه فقصر رؤياه على بعض فلاسفته فقال
 ابشرأيها الملك بالغلبة والنصر وانك تملك على دارا الأرض لأنك كنت قلبها
 لما صرعتك فلما كان بعد أيام يسيرة انهزم دارا وقتل وجاؤا برأسه إلى الاسكندر

وملك ممالكه * قال مؤلف هذا الكتاب رحمه الله ومثل هذا مشهور في روايات أصحاب السير والأخبار ان عبدالله بن الزبير رأى في منامه كأنه صارع عبد الملك ابن مروان فصرع عبد الملك وصرعه في الأرض بأربعة أوتاد فأرسل راكبا إلى البصرة وأمره ان يلتقى ابن سيرين ويقص الرؤيا عليه ولا يذكر له من أنفذه ولا يسمى عبد الملك فصار الراكب حتى أناخ بباب ابن سيرين فقص عليه المنام فقال له ابن سيرين من رأى هذا فقال أنا رأيته في رجل بيني وبينه عداوة فقال ليس هذه رؤياك هذه رؤيا ابن الزبير أو عبد الملك بن مروان أحدهما في الآخر فسأله الجواب فقال ما أفسرها أو تصدقني فلم يصدقني فامتنع من التفسير وانصرف الراكب إلى ابن الزبير فأخبره بما جرى فقال له ارجع إليه فاصدقه اني رأيته في عبد الملك فرجع الراكب إلى ابن سيرين برسالة ابن الزبير فقال له قل له أيها الأمير عبد الملك يغلبك على الأرض ويلى هذا الأمر من ولده لصلبه بعده أربعة بعدد الأوتاد التي صمرته بها في الأرض * قال وحدثني أبو القاسم الحسين بن بشر الادمدي الكاتب المقيم بالبصرة إلى ان مات بها قال لماسعى أبو احمد طلحة بن الحسين ابن المتنبى مع جيش أبي القاسم بن أبي عبدالله اليزيدي في ان يقبضوا عليه ويحبسوه عند أبي أحمد وان يرد المطيع لله أو جيش له بالبصرة فيملكوها ويتسلموا منه أبا القاسم اليزيدي وكانت القصة مشهورة في ذلك فبلغتني فخلوت بأبي أحمد وكنت أكتب له حينئذ وكان لا يحتشمي في أموره ونبهته على هذا الرأي وعرفته وجوه الغلط عليه والغلط في ذلك والمخاطرة والغدر بدمه ونعمته وهو غير قابل لمشورتى إلى أن اكثرت عليه فقال لى اعلم انى رأيت رؤيا وانابها واثق فى تمام ما شرعت فيه من القبض على هذا الرجل فعجبت من نفسى في رجل يخالف الحزم الظاهر والرأى الواضح من أجل منام ثم قلت له ما الرؤيا قال رأيت كأن حية عظيمة قد خرجت على من حائط هذا العرض قال وكان جالسا فى عرض ذكره قال وكانى قد رميتها فاثبتتها فى الحائط فذكرت تأويل ابن سيرين لمنام ابن الزبير وقص المنام الذى ذكرته قال فسبق إلى قلبى تأويل منام أبى أحمد انه قد أثبت عدوه فى حائطه وانه سيعلمه على البلد فأمسكت وقطعت الكلام فما مضت مدة يسيرة حتى شاع التدبير وصح الخبر عند القاسم اليزيدي فبادر بالقبض على فائق الأعسر وكان هو الذى ندبه أبو أحمد للقبض على اليزيدي

وأن يكون أمير البلد الى أن يرد جيش الخليفة فقرره فأقر بالخبر على شرحه فقبض أبو القاسم على أبي أحمد بعد قبضه على فائق بيومين أو ثلاثة أيام فاستصفاه وأهله وولده ثم قتله بعد ذلك بأيام * بلغني عن إبراهيم بن المهدي أنه قال كنت في جفوة شديدة من أخي الرشيد أثرت في جاهي ونقصت حالي وافضيت معها الى الاضافة بتأخر رزقي وظهور اطراحه اياي واختلت لذلك ضيعتي وركبني دين فادح فبلغ مني القلق بذلك والفكر فيه ليلة من الليالي مبلغاً شديداً ونمت فرايت في منامي كاني واقف بين يدي المهدي وهو يسألني عن حالي وأنا أشكو إليه مانسكبني به الرشيد وانتهت حالي اليه وأقول أدع عليه يا أمير المؤمنين فكانه يقول اللهم أصلح ابني هارون يكررها فكانني أقول له يا أمير المؤمنين أشكو إليك ظلم هارون لي واسألك ان تدعو عليه فتدعو له فقال لي وما عليك إذا أصلحه الله لك وللکافة ان يبقى على حاله هو ذا امضى إليه الساعة وأمره أن يرجع لك ويقضى دينك ويوليك جند دمشق فكانني أومى إليه بسبابتي وأقول له دمشق دمشق استقلالا لها فكانه يقول حركت مسبحتك استقلالا لدمشق انها ربا وكيف قل حظك منها كان في العاقبة أجود لك فانتبهت وأحضرت مؤدباً كان لي في أيام المهدي فسألته عن المسبحة فقال كان عبد الله بن العباس يسمى السبابة بالمسبحة فاسبب سؤالك أيها الأمير عنها فقصصت عليه الرؤيا وامتنع النوم عني فأخذ يتحدثني وأنا جالس في فراشي إذ جاءني رسول الرشيد فارتعت له ارتباعاً شديداً ولم أعبأ بالمنام وخفت أن يكون يريدني بسوء يوقعه بي تخفت وقلت أدافعه الى ان تطلع الشمس ثم أدخل عليه نهارة فان كان أراد بي غيلة لم تتم فتقاطرت رسله حتى اعجلوني عن الرأي واضطروني الى الركوب في الحال فدخلت عليه وأنا شديد الجزع وهو جالس في فراشه ينتحب فلما رأيته قال سألتك بالله يا أخي هل رأيت الليلة في منامك شيئاً قلت نعم الساعة رأيت المهدي فلما قلت له ازداد بكأوه ثم قال ويحك بالله شكوتني إليه وسألته أن يدعوا علي قلت كان ذلك ولكنه ذل كذا وكذا وشرحت عليه ما قال فقال والله الساعة جاءني في منامي فقصص على جميع ما ذكرت وقد وفي بعهده والله لا ممثلن أمره ولا صلن رحى منك كم دينك قلت كذا وكذا فأمر

بقضائه وقال لا تبرح حتى أصلي واعقد لك على دمشق فانتظرت حتى وجبت الصلاة فاستدعاني فأظهر تكرمي وعقد لي لواء على دمشق وأمر الناس فصاروا معي إلى منزلي فعاد جاهي وصلحت حالي * وقال حدثني أبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد قال حدثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصبى قال حدثني أبو الفضل ميمون بن مهران قال حدثني موسى بن عبد الملك قال رأيت في منامي وأنا في الحبس قائلاً يقول هذه الأبيات

لازلت تملو بك الجدود نعم وحفت بك السعود
أبشر فقد نلت ما تريد بيد أعدائك المبيد
لم يمهلوا ثم لم يقولوا والله يأتي بما يريد
فأصبر فصبر الفتى حميد واشكر ففي شكرك المزيد

فانتبهت وقد طفي السراج فطلبت شيئاً حتى كتبت الأبيات على الحائط وأصبحت وقد قويت نفسي وأطلقت بعد مدة يسيرة * وقال وذكر المدايني في كتابه كتاب الفرج بعد الشدة والضيقة قال توبة العنبري أكرهني يوسف بن عمر على العمل فلما رجعت حبسني حتى لم يبق في رأسي شعرة سوداء فأتاني آت في منامي وعليه ثياب بيض فقال يا توبة أطالوا حبسك فقلت أجل فقال سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ثلاثاً فاستيقظت فكتبتها ثم توضأت وصليت ما شاء الله ثم جعلت ادعو حتى وجبت الصلاة للصبح فصليتها فجاء حرسى فقال أين توبة العنبري ثم حملني في قيودي وأنا أتكلم بهن فلما رأى يوسف بن عمر أمر بإطلاقى قال توبة العنبري وكنت علمتها وأنا في السجن رجلاً فقال لي لم أدع إلي عذاب قط فقلتهن إلا خلى عني خيء بي يوماً إلى العذاب فجعلت أتذكرك ولا أذكرها حتى جلدت مائة سوط ثم ذكرتهن بعد ذلك فدعوت بهن فخلى سبيلي * وروى المدايني أيضاً في كتابه عن أبي المثنى علي بن القاسم قال حدثني رجل قال رأيت في أيام الطاعون في المنام أنهم أخرجوا من داري اثنتي عشرة جنازة وأنا وعيالي اثنا عشر نفساً فمات عيالي وبقيت وحدي فاعتممت فضافت على الأرض فخرجت من الدار ثم رجعت من الغد فإذا لص قد دخل ليسرق فطعن في الدار فخرجت جنازته منها فسرى عني ما كنت فيه ووهب الله عز

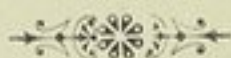
وجل السلامة * وذكر القاضي أبو الحسن في كتابه كتاب الفرج بعد الشدة أن وهب بن منبه قال أملت حتى قنطت أو كدت فأتاني آت في منامي ومعه شبيه بالفستقة فدفعها إلي وقال اففض ففضضتها فإذا فيها حرير فقال انشرها فنشرتها فإذا هي ثلاثة أسطر بيضاء الأول لا ينبغي لمن عرف من الله عدله الثاني أو عقل عن الله أمره الثالث أن يستبطن الله في رزقه قال فاعطاني الله عز وجل بعدها فاكثر * وذكر عن الواقدي أنه قال ضقت ضيقة شديدة وهجم شهر رمضان وأنا بغير نفقة فضاقت ذرعي لذلك فكتبت إلى صديق لي علوي أسأله أن يقرضني ألف درهم فبعث إلي بها في كيس مختوم فتركتهما عندي فلما كان عشي ذلك اليوم وردت علي رقعة صديق لي يسألني اسعافه لنفقة شهر رمضان بألف درهم فوجهت بالكيس إليه بخاتمه فلما كان من الغد جاءني صديقي الذي اقترض مني والعلوي الذي اقترضت منه فسألني العلوي عن خبر الدراهم فقلت صرفتها في المهم فاخرج الكيس بخاتمه وضحك وقال اعلم أنه قرب هذا الشهر وما عندي إلا هذه الدراهمات فلما كتبت إلي وجهت بها إليك وكتبت إلي صديقنا هذا اقترض منه ألف درهم فوجه إلي الكيس فسألته عن القصة فشرحها لي وقد جئناك لنقسمها وإلي أن تنفقها يأتي الله عز وجل بالفرج قال الواقدي فقلت لهما لست أدري أينما أكرم وأقسمناها ودخل شهر رمضان فانفقت أكثر ما حصل لي منها وضاق صدري فجعلت أفكر في امرئ فبينما أنا كذلك إذ بعث إلي يحيى بن خالد البرمكي في سحرة يومي فقال لي ياواقدي رأيتك البارحة فيما يرى النائم وأنت على حال دلتني أنك في غم شديد وأذى فاشرح لي أمرك فشرحت له إلي أن بلغت إلي حديث العلوي وصديقي والآلاف درهم فقال والله لا أدري أيكم أكرم وأمر لي بثلاثين ألف درهم ولهما بمنلها وقلدني القضاء

﴿ انتهى الجزء الأول من كتاب الفرج بعد الشدة ﴾

﴿ ويليه الجزء الثاني أوله الباب السابع ﴾



كتاب الفرج بعد الشدة

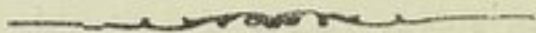


تأليف

﴿ القاضي أبي علي المحسن التنوخي ﴾
المتوفى سنة ٣٨٢ هـ

﴿ الجزء الثاني ﴾

﴿ قوبلت هذه النسخة على نسخة خطية ﴾



﴿ يطلب من ﴾

عبدالقادر علام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الباب السابع

﴿ من استنقذ من كرب وضيق خناق * باحدى حالتي عمدا أو اتفاق ﴾

قال أبو علي حدثنا علي بن الحسين المعروف بالأصبهاني إملاء من حفظه قال حدثني أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني الكاتب قال كان محمد بن زيد العلوي الداعي بطبرستان إذا افتتح الخراج نظر في بيت المال من خراج السنة التي قبلها ففرق في قبائل قريش قسطا على دعوتهم وفي الأنصار وفي الفقهاء وأهل القرآن وسائر طبقات الناس حتي يفرغ جميع ما بقي فجلس في سنة من السنين ففرق المال كما كان يفعل فلما فرغ من بني هاشم دعى بسائر بني عبد مناف فقام رجل فقال له من أي عبد مناف أنت قال من بني أمية قال من أيهم أنت فسكت قال لعلك من ولد معاوية قال نعم قال فمن أي ولده فأمسك قال لعلك من ولد يزيد قال نعم قال بئس الاختيار اخترت لنفسك في قصدك بلدا ولايته إلى أبي طالب وعندك ثارهم في سيدهم وإخوته وبني عمه وقد كانت لك مدوحة عندهم بالشام والعراق عند من يتولى جدك ويحب برك ذن كنت جئت على جهل بهذا فما يكون بعد جهلك شيء وإن كنت جئت متمريا فقد خاطرت بنفسك قال فنظر إليه العلويون فظفرا شديدا فصاح بهم محمد وقال كفوا كأنكم تظنون أن في قتل هذا دركا أو ثارا بالحسين بن علي رضي الله عنهما أو بأحد من أقاربه وأي جرم لهذا أن الله تعالى قد حرم أن تطالب نفس بغير ما كسبت والله لا تعرض له أحد إلا أفديته منه واستمعوا حديثنا أحدثكم به يكون قدوة لكم فيما تستأنفون * حدثني أبي عن أبيه رضوان الله عليهما قال حج المنصور فعرض عليه جوهر فاخر كان لهشام ابن عبد الملك فقال هذا بعينه قد بلذني خبره أن عند ابنه محمد وما بقي منهم

أحد غيره ثم قال للربيع إذا كان غدا وصليت بالناس في المسجد الحرام وحصل الناس فيه فأغلق الأبواب كلها ووكل بها ثقاتك من الشيعة وافتح للناس بابا واحدا وقف عليه فلا يخرج أحد إلا من عرفته فلما كان من الغد فعل الربيع ما أمره وتبين محمد بن هشام القصة فعلم أنه هو المطلوب وأنه مأخوذ فأقبل عليه محمد بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فرآه متحيرا وهو لا يعرفه فقال يا هذا أدراك متحيرا فمن أنت ولك أمان الله وأنت في ذمتي حتى اخلصك قال أنا محمد بن هشام ابن عبد الملك فمن أنت قال أنا محمد بن زيد بن علي بن الحسين قال فعند الله احتسب دمي اذن قال لا بأس عليك فانك لست قاتل زيد ولا في قتلك ادراك ثار وأنا الآن بخلاصك أولي مني بتسليمك وتعذرنى في مكروه اتناولك به أوقبيح اخاطبك به يكون فيه خلاصك قال أنت وذاك قال فطرح رداءه على رأسه ووجهه ولبيه به وأقبل يحجره فلما وقع عين الربيع عليه لطمه لطمات وجاء به إلى الربيع وقال يا أبا الفضل ان هذا الخبيث جمال من الكوفة اكراني جماله ذاهبا وراجعا ثم هرب مني واكرني بعض القواد الخراسانية ولى عليه بذلك بينة قال فضم اليه حرسين وقال لهما امضيا معه فمضيا معه فلما بعدا عن المسجد قال له تؤدى الى حقى قال نعم يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انصرفا فانصرفا واطلقه فتبيل محمد بن هشام يده وقال بأبي أنت وامى الله اعلم حيث يجعل رسالته ثم اخرج جوهررا له قدر فدفعه اليه وقال تشرفنى بقبول هذا فقال يا ابن عم انا أهل بيت لا نقبل على المعروف مكافأة وقد تركت لك أعظم من هذا تركت لك دم زيد بن علي فانصرف راشدا ووارثك حتى يخرج هذا الرجل فانه مجد في طلبك فمضى وتوارى قال ثم أمر محمد بن زيد الداعى بطبرستان للاموى بمثل ما أمر به لسائر بنى عبد مناف وضم اليه جماعة من مواليه وامرهم ان يخرجوه إلى الري ويأتوه بكتاب بسلامته فقام الاموى ومضى ومعه القوم حتى وصل إلى مامنه قال أبو مسلم الاصهباني وكان أبو مسلم محمد بن بحر وزير محمد بن زيد الداعى بطبرستان وخبرني ان هذا الخبر سمعه وشاهده من لفظ الداعى * وحدثني أبو الفرج المعروف بالاصهباني املاء من حفظه وأنا اسمع قال قرأت في بعض الاخبار للاوائل أن الاسكندر لما انتهى إلى بلد الصين ونزل على ملكها اتاه حاجبه وقد

مضى من الليل شطره فقال له رسول ملك الصين يستأذن عليك فقال ائذن له
فادخله فوقف بين يدي الاسكندر وسلم وقال ان رأى الملك أن يستخلىنى فامر
الاسكندر من محضرته أن ينصرفوا فانصرفوا وبقي خاصته فقال ان الذى جئت
له لا يمكن أن يسمعه غيرك فقال فتشوه ففتش فلم يوجد معه سلاح فوضع
الاسكندر بين يديه سيفاً مسلولا وقال له قف بمكانك وقل ماشئت واخرج كل
من كان عنده فقال الرسول أنا ملك الصين لارسوله وجئت اسألك عما تريده
فان كان مما يمكن عمله ولو على اصعب الوجوه عملته واغنيتك عن الحرب فقال
له الاسكندر وما امنك منى قال علمى بانك رجل عاقل وليست بيننا عداوة متقدمة
ولا مطالبة بدخل وانك تعلم انك ان قتلتنى لم يكن ذلك سبباً بأن يسلم اليك
أهل الصين ملكهم ولا يمنعهم قتلى من أن ينصبوا لانفسهم ملكاً غيرى وتنسب
إلى غير الجليل وضد الحزم فأطرق الاسكندر متفكراً وعلم أنه رجل عاقل فقال
الذى اريده منك ارتفاع مملكته لثلاث سنين عاجلاً ونصف ارتفاعها فى كل
سنة قال هل غير ذلك قال لا قال قد اجبتك قال فكيف تكون حالك حينئذ قال
أكون قتيلاً محارباً قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين فكيف يكون حالك قال
يكون أصلح مما كانت وافسح فى المدة قال فان قنعت منك بارتفاع سنة واحدة
قال ذلك يكون مضراً بى ومذهباً لجميع لذاتى قال فان قنعت منك بارتفاع الثلث
كيف يكون حالك قال يكون الثالث موفراً والباقي لجيشى ولاسباب الملك قال فقد
اقتصرت منك على ذلك فشكره وانصرف فلما طلعت الشمس اقبل جيش الصين
حتى طبق الارض واحاط بجيش الاسكندر حتى خاف الهلاك وتواثبت اصحابه
فركبوا الخيل واستعدوا للحرب فبينما هم كذلك إذ طلع ملك الصين وعليه التاج
فلما رأى الاسكندر ترجل فقال له الاسكندر غدرت قال لا قال فما هذا الجيش
قال اردت ان اعلمك انى لم اطعك من قلة ولا ضعف ولا عجز وانت ترى هذا
الجيش وما غاب عنك اكثر ولكنى رأيت العالم الاكبر مقبلاً عليك ممكنك لك
فعلمت ان من حارب العالم الاكبر غلب فأردت طاعته بطاعتك والتذلل له بالتذلل
لك فقال الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه شئ فاني لم اجدي بينى وبينك من
يستحق بالتفضيل والوصف بالعقل غيرك وقد اغفيتك من جميع ما اردته منك وأنا

راحل عنك قال ملك الصين أما إذا فعلت ذلك فلست تخسر فلما انصرف الاسكندر
 اتبعه ملك الصين من الهدايا والتحف باضعاف ما كان فردده عليه الاسكندر *
 قال أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولى فيما أجازته لى قال حدثنى الحسين بن
 يحيى قال كان لاسحق الموصلى غلام يقال له فتح يستقى الماء لاهل داره على بغلين
 له دائماً فقال اسحق قلت يوماً له أى شيء خبرك يافتح قال خبرى انه ليس في
 هذا الدار اشقى منك ومنى انت تطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء
 قال فاستظرفت قوله وضحكت منه وقلت له فإى شيء تحب قال تعتنى وتهب لى
 البغلين لاستقى عليهما لنفسى ففعلت * وأخبرني أبو الفرج الاصبهاني قال أخبرني
 حرمى بن أبى العلا قال حدثنى الزبير بن بكار عبد الاعلى بن عبد الله بن محمد بن
 صفوان الحمصى قال حملت ديناً وأنا بعسكر المهدي فركب المهدي يوماً بين أبى
 عبيد الله وبين عمر بن زريغ وأنا وراءه فى موكبه على برذون قطوف فقال المهدي
 ما أنسب بيت قالت العرب فقال أبو عبيد الله قول امرئ القيس

وما ذرفت عيناك إلا لتضرني بسهميك فى اعشار قلب مقتل

فقال هذا اعرابي قح فقال عمر بن زريغ قول كثير عزة يا أمير المؤمنين قال
 ما هو قال .

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثلى لى بكل سبيلى

فقال له ما هذا بشيء وماله يريد أن ينسى ذكرها حتى تمثلى له فقلت أنا عندي
 حاجتك يا أمير المؤمنين فقال الحق بي فقلت ليس بي لحاق لأن ليس ذلك فى دابتي
 فقال احمليه على دابة قلت هذا أول الفتح فحملت على دابة فلحقته قال ما عندك
 قلت قول الاخوص

إذا قلت انى مشتف بلقائها فخم التلاقي بيننا زادني سقم

فقال احسنت حاجتك قلت على دين قال اقضوا دينه فقضوا دينى * قال وذكر
 محمد بن عبدوس فى كتاب الوزراء حدث أحمد بن محمد بن زياد قال الديان بن
 الصلت كنت فى خدمة الفضل بن سهل على ما كنت عليه من ثقته بي واستنابته
 فدعاني فى وقت من الأوقات الى أن يضم إلى أربعة آلاف من الجند والساكرية
 ويقودني عليهم ويحرينى مجرى قواده فامتنعت عليه من ذلك واعلمته انى لأقوم

بذلك ولا اصلح له ولا أمن ان اتقلد له ما يقع التقصير فيه فيسقط ذلك حالي عنده
 ومنزلي لديه فانكر ذلك على اشد الانكار وطاودني فيه مرارا فلم أجبه اليه فلما
 رأى اقامتي على الامتناع جفاني واعرض عني وامتدت الأيام على هذا السبيل حتي
 ادى بي ذلك إلى الاختلال الشديد الذي اضرني فدخل على غلامي يوما فاخبرني
 انه لا نفقة عنده ولا مقدرة له في احتياها لامتناع التجار من اعطائه لتأخر ما لهم
 عنهم ولا علف لدوابنا ولا قوت لنا فاومأت إلى عمامة كانت عندي فامرته
 ببيعها وصرف ثمنها فيما يحتاج اليه فباعها بثمانية عشر درهما وورد على في هذا
 اليوم كتاب وكبلى على أهلي بمدينة السلام يعلمني ضيق الأمر فيما يحتاج اليه من
 اقامته للعيال وانه التمس من التجار الف درهم فلم يجيبوا اليها فعظم على ما ورد
 من ذلك وضائق بي المذاهب فيه فبينما أنا قاعد عشية يومى ذلك اذا اتاني رسول
 الفضل يامرني بحضور الدار والمقام فيها إلى وقت خروجه من عند المأمون فخصرتها
 بعد صلاة العتمة وأقت إلى أن خرج الفضل في وقت السحر فلقيته وبين يديه
 خرائط محمولة فقال لي صليت صلاة الليل فقلت نعم فقال لكنى ما صليت فكن
 هنا حتى اصلى فصلى ثم انفتل من صلاته فدعاني وقال اتدرى ما هذه الخرائط
 قلت لا قال هذه ثمان وستون خريطة وردت فقراتها واجبت عنها جميعها بخطني
 فدعوت له بحسن المعونة والتوفيق ثم قال لي ياديا ان أبا عبد الحسن ابن سهل
 قد دفع الي واسط وراى أمير المؤمنين ان يمدد بدينار بن عبد الله ونعيم بن حازم
 في عشرة آلاف رجل وان تقلد الاتفاق على عسكريهما وان يجرى لك في كل شهر
 عشرة آلاف درهم ولكاتبك ثلاثة آلاف درهم ولقراطيسك الف درهم وان
 يوظف لك على كل عسكر عشرة اجمال تحملك أو خمسمائة درهم عوضا عنها ثم امد
 في ذلك الوقت ان يحمل لى ارزاق ثلاثة أشهر فما صليت صلاة الصبح حتى حمل
 لى اثنان وأربعون الف درهم وأخذ في جهاز العسكرين قال وبعث إلى الفضل بن
 سهل بفرس من دوابه وامرني ان ابعث به إلى نعيم بن حازم واظهر انه خصه به
 وأنه من خيله الذي يركبها فوجهت به إلى نعيم ابن حازم واظهر السرور والابتهاج
 بذلك والتعظيم له فوهب لغلامي عشرة آلاف درهم وبعث الى بخمسين الف درهم
 فكتبت بذلك إلى الفضل فوقع على رقعتي اردد على نعيم ما أمر لك به ووهبه

لغلامك واقبض لنفسك عوضا منه مائة وعشرون الف درهم ثم أمر بعد أيام لدينار
بسبع مائة الف درهم صلوة ومعونة ولنعم بخمسمائة الف درهم فبعثت بها اليهما فبعثت إلى كل
واحد منهما بخمسين الف درهم فكتبت إلى الفضل رقعة أخبره فيها بما فعله فوقع على
ظهرها اقبل من دينار ما بعث به وارددوا إلى النعم ما بعث به واقبض لنفسك
عوضا عن ذلك مائة الف درهم قال ونقلنا عن مروفا ماصرنا في الطريق ورد على كتاب
الفضل يأمرني فيه أن أحمل إلى دينار الف الف درهم وخمسمائة الف درهم وإلى نعم
الف الف درهم فبعثت إلى دينار الف درهم وخمسين الف درهم وبعثت إلى نعم مائة
الف درهم فقبلت من دينار ما بعث به إلى ورددت على نعم حسب ما كان حد لي
في رقعة الأولى والثانية ولم أكتب بالخبر في ذلك إلى الفضل لئلا أتوهم بذلك
استدعاء العوض فكتب بذلك صاحب سر كان علينا فوقع على ظهر كتابه
قد علمت أنك إنما أمسكت عن الكتاب بما فعله دينار ونعم لئلا يتوهم عليك
الاستدعاء للصلاة وقد رأيت أن تقبض لنفسك عوضا من ذلك مائتي الف
درهم قال الربان فلم تمض سبعة وعشرون يوما حتى حصلت عندي سبعمائة
الف درهم * وذكر محمد بن عبدوس في كتابه عن جبريل بن بختيشوع الطبيب في
خبر طويل أنه سمع المأمون يقول كان لي خراساني يوما عجيبا وأولاني الله فيه
باحسانه الجميل وذلك لما توجه طاهر بن الحسين لحرب علي بن عيسى بن ما كإق
عرفتموه من ضعف طاهر وقوة علي وقع في نفوس عسكري جميعا أن طاهر ذاهب
ولحق أصحابي إضافة شديدة وظهرت فيهم خلعة ونفذ ما كان معي ولم يبق منه
قليل ولا كثير وافضيت إلى حال كان أصلح ما فيها الهرب فلم أدر إلى أين هرب
ولا كيف أحد فبقيت حائرا متفكرا وأنا والله كذلك نازلا في دار أبوابها حديدولي
متشرفات اجلس فيها إذا شئت وعدة غلمان ستة عشر غلاما لا أملك غيرهم
إذا بالقواد والجيش جميعا قد شغبوا على وطلبوا أرزاقهم وولغوا جميعا يشتمون
وتكلموا بكل قبيح وكان الفضل بن سهل بين يدي فأمر باغلاق الابواب
وقال لي قم فاصعد إلى المجلس الذي يتشرف فيه اشفاقا على من دخولهم وسرعة
اخذهم أيبي وتعليل لي بالصعود فقلت له ويحك ما يغني الصعود والقوم يدخلون

الساعة ليأخذوني فليئنأ كون بموضعي أصلح فقال اصعد فوالله ما تنزل الا خليفة
فجعلت اهزاء به وأعجب منه واحسب انه ما قال الا ليستجسني واردت الهرب
من أبواب الدار فلم يكن إلى ذلك سبيل لاحاطة القوم بالدار والأبواب كلها فالح
على إلى ان صعدت وأنا وجل فجلست في المشرفات وأنا أرى العسكر فلما علموا
بصعودي اشتد طلبهم وشتهم وضجيجهم ونادوني بالوعيد والشتم فاعلمت على
الفضل بن سهل وقلت له انك انت جاهل وقد غررتني فلم تدعني اعمل برأيي وليس
العجب الا ممن قبل منك وهو في هذا يحلف اني لا انزل الا خليفة وغيظي عليه
يزداد وتعجبي منه ومن حمقه ومواصلته الايمان مما يشاهده من الحال وكان
ما أقاسبه منه اشد مما أقسيه من الجند ثم وضعوا القوم النار في شوك وضعوه
وادنوه من الدار وتقبوا في سورها عدة نقوب واتلموا فيه جزاء فذهبت نفسي
جزءاً وعلمت باني بين ان احترق وبين أن يصلوا الي فيقتلوني فهيمت بان اتقي نفسي
إليهم وقدرت انهم إذا رأوني استحيوا وانصرفوا وجعل الفضل بن سهل يقبل
يدي ورجلي ويناشدني ان لا أفعل وحلف اني لا أنزل الا خليفة وفي يده
الاصطرلاب ينظر فيه في الوقت بعد الوقت فلما علا الأمر واستحكم الياس قال لي
ياسيدي والله أنك الفرج أرى شيئاً في الصحراء قد أقبل ومعه فرجنا فازددت
من قوله غيظاً وأمرت غلمانى بتأمل الصحراء فلم يروا شيئاً وجد القوم في الهدم
والحرىق حتى هممت لما دخانى ان ارمى الفضل إليهم فقال الغلمان ياسيدي
انازرى شيئاً في الصحراء قد أقبل يلوح فنظرت فاذا شيخ وجعل يزيد تبياناً إلى
ن تبينوا رجلا على بغل يلوح ثم قرب من العسكر فقويت له قلوبنا ورأى الجند
ذلك فتوقفوا وخالطهم فاذا هو يقول البشرى هذا رأس على بن عيسى معى
في الخلة فلما رأوا ذلك امسكوا عنا وانقلبوا بالدعاء إلى والسرور بالظفر والفتح
فقال لي الفضل ياسيدي ائذن لي في ادخال بعضهم فاذنت فشرط عليهم أن لا يدخل
الامن يريد فاجابوا إلى ذلك وسمى قوما من القواد يعدهم واحدا واحدا ففعلوا
ذلك واطمأ الله عز وجل تلك النائرة ووهب لي السلامة وقلدني الخلافة وظفرت
من أموال على بن عيسى وما في عسكره بما أصلحنا به جنودنا * وذكر أيضاً في
كتابه قال حدثنا محمد بن مخلد عن أبيه مخلد بن ازدي المدايني الكاتب قال كان مجلد

يلقب لبطل طول عمره خدثني ان المأمون لما قدم العراق خطرله أن يقلد الأعمال
إلى السبعة الذين قدموا معه من خراسان فطالت عطلة كتاب السواد وعماله وكانوا
يحضرون داره في كل يوم حتى ساءت أحوال أكثرهم فخرج يوما بعض مشايخ
الشيعة وكان مغفلا فتأمل مخلدا فلم يراسن منه فجلس إليه فقال له ان أمير المؤمنين
قد أمرني أن أتخير ناحية من نواحي الخراج صالحة المرفق ليوقع بتقليدي إياها
فاختلتي ناحية من نواحي الخراج فقال لا أعرف لك عملا أولى بك من بريدات
البحر وصدقات الوحش فقال له أكتبه لي فكتبه له فعرض الشيعة الرقعة على
المأمون وسأله تقليده العمل فقال له من كتب هذه الرقعة فقال شيخ من الكتاب
يحضر الدار في كل يوم فقال هلمه فلما حضر قال له ما هذا يا جاهل تفرغت لأصحابي
فقال يا أمير المؤمنين أصحابنا هؤلاء ثقات يصلحون لحفظ ما يقع في أيديهم من
الخزائن والأموال وأما شروط الخراج وحكمه وما يجب تعجيل استخراجه وما
يجب تأخيره وما يجب اطلاقه وما يجب منعه وما يجب اتقاؤه وما يجب احتباسه فلا
يعرفونه وتقليدهم إياه يعود بذهاب الارتفاع فان كنت يا أمير المؤمنين لا تثق
بنا فمر إلي أن يضم إلى كل رجل منهم رجل منا فيكون الشيعة يحفظ المال
ونحن نجمعه فاستصاب المأمون كلامه وأمر بتقليد عمال السواد وكتابه
وان يضم إلى كل واحد منهم رجلا من الشيعة وضم مخلد إلى ذلك الشيخ
فقلده ناحية جليلة * ووجدت في كتاب أبي الفرج الحنطى الخزومي الكاتب
ان محمد بن عبد الحميد الحسني قال حججت في سنة ثلاث وثلاثين ومائتين
وأنا في بعض المنازل راجعا إذ غشيتنا فقراء المدينة يستميجون فوقفت على
جارية تتصدق بوجه كأنه القمر حين استمدار ولون الشمس حين انار فرددت
طرفي عنها واستعدت بالله من الفتنة بها فلم تزل بين رجال الحاج وتعود إلى
رحلي حتى وقفت فقلت لها ما تستحين أن تبدين مثل هذا الوجه في مثل هذا
الوقت والموضع بحضرة الخلائق فلطمت وجهها وقالت

لم أبده حتى نقضت حيلتي أبديته وهو الأعز الأكرم
ويعز ذلك عليَّ إلا أنه دهر يمحو كما تراه ويظلم
قد صنته وحجبتة حتى إذا لم يبق لي طمع ومات الهيثم

أبرزته من حجبها مقهورة والله يشهد لي بذلك ويعلم
كشف الزمان قناعه في بلدة قلَّ الصديق بها وعز الدرهم
أصبحت في أرض الحجاز غريبة وأبو ربيعة أسرتي ومحكم

قال فأعجبني ما رأيت من جاهها وفصاحتها وأدبها وشعرها فبررتها وكتبت
الآيات منها وقلت لها ما اسمك قالت المهناة بنت الهيثم الشيباني وكان أبي جار
النبي ﷺ فزاره واعتل ونقد ماله وتوفي وتركني فقيرة فاحتجت إلى التكفف
قال ورحلنا فلما صرنا إلى الدجلة دخلت إلى مالك بن طوق مسلماً فسألني عن
طريقي وسفري ومارأيت فيه من الأعاجيب فحدثته بحديث الجارية فأعجبه واستظرفه
وكتب الآيات مني فدخلت إلى منزلي بالشام فلما كان بعد مدة أتاني رسوله
يستزيرني فصرت إليه فلما كان بعد أيام من اجتماعنا كنت جالساً بحضرته فاذا
خادمان قد جاءا ومعهما أكياس مختومة وتحوت ثياب مشدودة فوضعاها إلى
جانبي فقلت لمالك ما هذا قال حق دلالتك على المهناة بنت الهيثم الشيباني حتى
أظفرنني الله تعالى بها وهي أرسلت هذا إليك من مالها ولك من مالي ضعفه قلت
فما الخبر قال انك لما انصرفت أنفذت رسلاً إلى البادية ممن أثق بعقولهم
وأمانتهم فما زالوا يسألون عنها حتى ظفروا بها وحملوها إليَّ ووليها معها فلما
جاءتني رأيت منها زيادة عما كان ذرعه في نفسي حديثك عنها فتزوجتها من وليها
وجعلته أحد قوادى وأفضت عليها من دنياي حسب تمكنها من قلبي فسألت
عن سبب طلبها فأخبرتها خبرك وكتبت أستزيرك لأعرفك هذا وأقضى حقك
فلما عرفت حضورك أنفذت هذا إليك وقد أمرت لك بعشرين ألف درهم
وعشر تحوت ثياباً قال ابن عبد الحميد فكانت أم عدة من أولاده * حدثني
أبو القاسم سعيد بن عبد الرحمن الكاتب الأصبهاني قال كان أبو الحسن بن
أبي الفضل يتقلد بلدنا فقدم عليه من بغداد شيخ من الكتاب يطلب التصرف
وأورد عليه كتباً من إخوانه بالحضرة يذكرون طول عطلته وموقعه من الصناعة
ويسألونه تصريفه فسلم الرجل وجلس وأخرج اضبادة الكتب فتركها بين يديه
وكان في الأمير حدة وضجر فاستكثر الكتب وفض واحداً وقرأه وأقبل على شغله
من غير أن يقرأ باقي الكتب وضجر وتغيظ وقال أليس كلها في معنى واحد قد

والله بلينا بكم معاشر المتعطلين كل يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصرفاً أو برا
ولو كانت خزائن الأرض لي لكانت قد نفدت يا هذا مالك عندى شيء ولا
تصرف ولا لي عمل ساغر فأوده إليك ولا في مالي فضل لبرك فدبر أمرك بمعرفتك
كل هذا والرجل ساكت إلى أن أمسك ابن أبي الفضل فلما سكن قال الرجل
أحسن الله جزاك وتولى مكافأتك الحسنى وفعل بك وصنع قال وأسرف الرجل
في شكره والدعاء له ثم ولي منصرفاً فقال ابن أبي الفضل ردوه فرد فقال يا هذا
أأسخر بي على أي شيء تشكرني على إياسك من التصرف أو قطع رجائك في الصلة
وضجري لك أو تريد خداعي بهذا الفعل فقال ما أريد خداعك وما كان من
قبسح الرد غير منكراً لأنك حاكم ويلحقك ضجر ولعل الأمر كما ذكرته من
كثرة الواردين عليك وقد تعبت بهم ولم أشكرهم إلا في موضع الشكر لأنك
صدقتني عمالي عندك في أول مجلس فأعتقت عنقي من ذل الطمع وأرحتني من
التعب بالغدو والرواح إليك وكشفت لي ما أدبر أمرى به وكسوتني لم تخاق
وبقية تفقتي معي ولعلمها يحملاني إلى بلد آخر ووجه سواك قال فأطرق الأمير
ومضى الرجل فرفع رأسه وقال ردوه فلهقوه فردوه فاعتذر إليه وأمر له بصلة
وقال تأخذها إلى أن أقلدك عملاً يصلح لك فاني أرى فيك مصطنعاً فلما كان
بعد أيام قلده عملاً جليلاً وصلحت حال الرجل معه قال أبو الفرج المعروف
بالأصبهاني قال حدثني جعظرة وهو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى
ابن خالد بن برمك قال أحلت بي إضافة أنفقت فيها جميع ما أملك حتى بقيت
وليس في بيتي غير البواري فأصبحت يوماً وأنا أفلس من طنبور بلا وتر كما قال
المثل * ففكرت كيف أعمل فوق لي أن أكتب إلي محبرة بن أبي عباد الكاتب
وكنيت أجاوره وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنين ولزم بيته وحالفه النقرس
فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولاً على الأيدي أو المحفة وكان
مع ذلك على غاية الظرف وكبر النفس وعظم النعمة ومواصلة الشرب وإن ألتطايب
عليه ليدعوني فأخذ منه ما أنفقه مدة فكتب إليه

ما ذا ترى في جدى وفي عضبا وبوارد ومشمع ليس يخطى
من نسل يحيى بن خالد وقهوة ذات لون تحكى خدود الجرائد

قال فاشعرت الا بمحففة محبرة تحملها غلمانة إلى داري وأنا جالس على بابي فقلت له لم جئت ومن دعاك قال أنت قلت له انما قلت ماترى وعانيت بيتك وما قلت لك انه في بيتي وبيتي والله أفرغ من فؤاد أم موسى فقال الآن قد جئت ولا أرجع ولكن ادخل إليك واستدعي من داري من أريد قلت ذاك إليك فدخل بيت فلم ير الا بارية فقال يا أبا الحسن هذا والله ضرمدقع ثم انقذ إلى داره فاستدعي فرشا والة وقماشاً وغلماناً وجاء فراشوه وفرشوا ذلك وجاءوا بالآت الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج إليه وجاء طباخة بما كان في مطبخه وهو شيء كثير الآلات وجاء شرابه بالصواني والخروطى والفاكهة وآلة التبخير والبخور وألوان الانبذة وجلس يومه ذلك وليلته عندي فشرب على غناء مغنية احضرتها له كنت النفاها فلما كان من غد سلم إلى غلامه كيساً فيه ألف درهم ورزمة ثياب صحاح مفصلة من فاخر الثياب واستدعي محفته فجلس فيها فشيعة فلما بلغ آخر الصحن قال مكانك يا أبا الحسن احفظ بابك فكل ما في دارك لك فلا تدع أحداً يحمل منه شيئاً وقال لغلماناه اخرجوا اخرجوا بين يديه وأغلقت الباب على قماش بالوف كثيرة وحدثني عبدالله بن محمد بن عبدالله العبقسى قال حدثني بعض تجار أهل الكرخ ببغداد عن صديق له قال كنت اعامل رجلاً من الخراسانية أبيع له في كل سنة متاعاً يقدم به فأنفق من مسمرتة بالوف كثيرة فلما كان سنة من السنين تأخر عن الحاج فامر ذلك في حالي ثم توالى على محن فأغلقت دكاني وجلست في بيتي مستترا من دين ركبني ثلاثاً أو أربع سنين فلما كان في وقت ورود الحجاج تتبععت نفسي لأعرف خبر الخراساني طمعاً لا صلاحاً لي بوروده فمضيت إلى سوق يحيى فلم اعط له خبراً ورجعت فنزلت إلى الجزيرة وأنا تعب مغموم وكان يوماً حاراً ونزلت إلى دجلة فسمحت وصعدت وأنا رطب فابتل موضع قدمي وخطوت فعلق برجلي قطعة رمل فانكشف سير فلبست ثيابي وغسلت رجلي وجلست مفكراً أولع بالسير فانجر فلم أزل أجره حتى بان لي هميان من جلد فأخرجته فاذا هو مملوء فاخفيته تحت ثيابي وجئت إلى منزلي ففتحتة فاذا فيه ألف دينار عينا فقويت نفسي به قوة شديدة وقلت اللهم لك على انى متى صلحت حالي بهذه الدنانير ومادت ان اتحرى خبر هذا الهميان فمن علمت انه له رددته عليه بقيمة ما فيه من

الدنانير واحتفظت بالهميان واصلحت أمرى مع غرمائى وفتحت دكانى وعدت إلى رسمى فى التجارة والسمسرة فامضت على إلا ثلاث سنين حتى صار فى ملكى عين وورق بالوف دنانير وجاء الحجاج فتبعتهم لأعرف خبر الهميان فلم يعطينى أحد خبره فصرت إلى دكانى فأناجالس وإذا برجل قائم حيال دكانى أشعث اغبر وفى السبال فى خلفه سؤال الخراسانية وزيهم فظنفته سائلا فأومأت إلى دريهمات لا عطيه فأسرع الانصراف فارتبت به وقت فلحقته فتأملته فإذا هو صاحبى الذى كنت انتفع من سمسرته فى كل سنة فقلت له ما الذى أصابك وبكى رحمة له فبكى وقال حديثى طويل فقلت البيت البيت فدخلته فدخلته الحمام وألبسته ثيابا نظافا وأطعمته ثم سأله عن خبره فقال أنت تعرف حالى ونعمتى وانى أردت الخروج إلى الحج بعد آخر سنة جئت إلى بغداد فقال لي أمير بلدى عندى قطعة ياقوت أحمر كالكف لاقيمة لها عظماء وجمالة ولا تصلح إلا للخليفة فخذها معك فبعها لي ببغداد واشترى لي بها متاعا طلبه من عطر وظرف بكذا وكذا واحمل الباقي مالا فأخذت القطعة وهى كما قال فجعلتها فى هميان من صفته كيت وكيت قال ووصف الهميان الذى عندى وجعلت فى الهميان ألف دينار عيناً من مالى وجعلته على وسطى فلما جئت إلى بغداد نزلت اسبح فى الجزيرة بسوق يحبى وتركت الهميان وثيابي بحيث لاحظتهما فلما صعدت من دجلة لبست ثيابي وقد غربت الشمس وانسيت الهميان فلم أذكره الا من غد فغدوت لطلبه وكان الأرض قد ابتلعتة فهونت على نفسى المصيبة وقلت لعل قيمة الحجر خمسة آلاف دينار أغرمها فخرجت إلى الحج وقضيت حجى ورجعت إلى بلدى فأقذت إليه ما حملته به وأخبرته بخبرى وقلت له خذ منى تمام الخمسة آلاف دينار فطمع وقال قيمة الحجر خمسون ألف دينار وقبض على جميع ما أملاكه من مال ومتاع وأزل صنوف المكاهرة بي وحبسنى سبع سنين كنت اتردد فيها فى العذاب فلما كان فى هذه السنة سأله الناس فى أمرى فأطلقنى فلم يتمكنى المقام فى بلدى وتحمل شمانة الاعداء فخرجت على وجهى أعالج الفقر بحيث لأعرف وجئت مع الخراسانية امشى أكثر الطريق ولا أدري ما أعمل فجئت لاشاورك فى معاش اعلق به فقلت يا هذا قد رد الله عز وجل عليك ضالك هذا الهميان الذى وصفته عندى وقد كان فيه ألف دينار

أخذتها وعاهدت الله عز ذكره انى ضامنهما لمن يعطينى صفة الهميان وقد اعطينتى
صفته وعلمت انه لك وقت فجئت بكيس فيه الف دينار فقلت خذها وتعيش بها ببغداد
فانك لا تعدم خيرا ان شاء الله تعالى فقال لى ياسيدى الهميان بعينه عندك لم يخرج عن
يدك قلت نعم فشبهق شهقة ظننت انه قد تلف منها وخرساجدا فمأفاق الابد ساعة
ثم قال ائتنى بالهميان فجئته به فقال سكين فاعطيته فخرق اسفله واستخرج منه حجر
ياقوت أحمر كالصف فأشرق البيت منه وكاد أن يأخذ بصرى شعاعه وأقبل
يشكرنى ويدعو لى فقلت خذ دنائيرك خلف بكل يمين أنه لا يأخذ منها شيئا
إلا ثمن ناقة ومحمل ونفقة تبلغه فاجتهدت به فبعد جهد أخذ ثلثمائة دينار وأحلنى
من الباقي فلما كان فى العام المقبل جاءنى بقريب مما كان يجيئنى به سالفاً فقلت
خبرك فقال مضيت وشرحت لأهل البلد خبرى وأريتهم الحجر فجاء معى وجوههم
إلى الأمير وأعلموه القصة وخطبوه فى إنصافى فأخذ الحجر ورد على جميع
ما كان أخذه منى من مال وعقار وضياع وغير ذلك ووهب لى مالا من عنده
وقال اجعلنى فى حل مما عذبتك به فأحلته وعادت نعمتى على ما كانت عليه وعدت
إلى تجارتى ومعاشى وكل هذا بفضل الله عز وجل وبركتك فعل الله بك وصنع
قال وكان يجيئنى فى كل سنة إلى أن مات * حدثنى عبد الله بن محمد بن الحسن
الصروى قال حدثت أبى أن رجلا حج وفى وسطه هميان فيه دنائير وجواهر قيمة
الجميع ثلاثة آلاف دينار وكان الهميان من ديباج أسود فلما كان ببعض الطريق
نزل ليبول فأنحل الهميان من وسطه فسقط ولم يعلم بذلك إلا بعد أن سار عن
الموضع فراسخ فاتفق أن جاء رجل فى أثره فجلس يبول فى مكانه فرأى الهميان
فأخذه وكان عليه دين فحفظه * قال وكان الرجل من أهل بلدنا فأخبرنى أنه لم
يؤثر فى قلبى ذهابه لأنى استخلفته عند الله تعالى وكان فى طريق الله عز وجل
وكانت تجارتى عظيمة وأموالى كثيرة قال فلما قضيت حجتى وعدت وتابعت المحن
على حتى لم أملك شيئا فهربت على وجهى من بلدى فلما كان بعد سنين من فقرى
وقد أفضيت إلى أن أتصدق على الطريق وزوجتى معى وما أملك فى تلك الليلة
إلا دانقا ونصف وكانت الليلة مطيرة وقد أويت فى بعض القرى إلى خان خراب
فضرب زوجتى الطلق فتحيرت وولدت فقالت يا هذا الساعة تخرج روحى فاخرج

وخذ لي شيئاً أتقوى به فخرجت أخبط في الظلمة والمطر حتى جئت إلى بقال قال
 فدقت عليه فكلمني بعد جهد فشرحت له حالي فرحمني وأعطاني بتلك القطع
 حلبة وزيتا وأغلاهما وأعارني غضارة جعلت ذلك فيها وجئت أريد الموضع فلما
 مشيت بعيدا وقربت من الخان زلقت رجلي وانكسرت الغضارة وذهب جميع
 ما فيها فورد على قلبي أمر عظيم ما ورد على مثله قط فأقبلت أبكي وألطم وأصيح
 فاذا برجل قد أخرج رأسه من شباك في داره فقال ويلك مالك تبكي ما تدعنا
 أن ننام فشرحت له القصة فقال يا هذا البكاء كله بسبب دانق ونصف قال فداخلى
 من الغم أعظم من الغم الأول فقلت يا هذا والله ما عندي قدر لما ذهب مني
 ولكن بكائي رحمة لزوجتي ولنفسي مما قد وقعت إليه فان امرأتى تموت الآن
 وولدي جوعا والله والا على وعلى وحلف ايمانا غليظة لقد حججت في سنة كذا
 وكذا وانا املك من المال شيئاً كثيراً فذهب مني هميان فيه دنانير وجواهر تساوي ثلاثة
 آلاف دينار فما فكرت فيه وهو ذا تراني الساعة أبكي بسبب دانق ونصف فضة
 فأسأل الله تعالى السلامة ولا تعارني فتبلى بمثل بلواي قال فقال لي بالله يا رجل
 ما كان صفة هميانك فأقبلت ألطم وقلت ما ينفعني ما خاطبتني به وما تراه من
 جهدي وقيامي في المطر حتى تستهزئ بي أيضا وما ينفعني وينفعك من صفة
 همياني الذي ضاع منذ كذا وكذا سنة قال ومشيت فاذا الرجل قد خرج وهو
 يصيح بى فقال يا رجل خذ هذا فظننته يتصدق علىَّ فجئت وقلت له أي شيء
 تريد فقال لي صف هميانك وقبض على فلم أجد للخلاص سبيل غير وصفه له
 فوصفته فقال لي أدخل فدخلت فقال أين امرأتك قلت في الخان الفلاني قال
 فانفذ غلمانه فجاءوا بها فادخلت إلي حرمه فاصلحوا شأنها واطعموها كل ما تحتاج
 إليه وجاءني بحبة وقميص وعمامة وسراويل وادخلني الحمام سحرا وطرح ذلك
 على فاصبحت في عيشة راضية فقال اقم عندي اياماً فاقت عشرة أيام فكان يعطيني
 في كل يوم عشرة دنانير وأنا متحير في عظم بره بعد شدة جفائه فلما كان بعد
 ذلك قال لي في أي شيء تتصرف قلت كنت تاجرا قال فلي غلات وأنا أعطيك
 رأس مال تتجر فيه وتشركني فقلت افعل فاخرج لي مائتي دينار فقال خذها
 واتجر فيها ها هنا فقلت هذا معاش قد أغنانى الله يجب ان الزمه فلزمته فلما كان

بعد شهر ربحنا خجنته وأخذت حتى وأعطيته حقه فقال لي اجلس فجلست
فاخرج إلي همياني بعينه وقال اتعرف هذا خين رأيتك شهقت وأغمي على فما افقت
الا بعد ساعة ثم قلت له يا هذا املك انت أم نبي فقال أنا ممتحن بحفظه منذ كذا
وكذا سنة فلما سمعتك تلك الليلة تقول ماقلت وطالبتك بالعلامة فاعطيتها أردت
ان أعطيك للوقت هميانك تخفت أن تنشق مرارتك فاعطيتك تلك الدنانير التي
أوهمتك انها هبة وإنما أعطيتكها من هميانك والدنانير المائتان قرض فخذ هميانك
واجعلني في حل قال فشكرته ودعوت له وأخذت الهميان وارتجع دنانيره
ورجعت إلى بلدي فبعت الجوهر وضممت ثمنه إلى مامعي وانجرت فما مضت
الا سنين حتى صرت صاحب عشرة آلاف دينار وصلحت حالي فانا أعيش
في فضل الله تعالى وفي فضل تلك الدنانير إلى الآن * عن أبي سهل زياد
القطان صاحب علي بن عيسى قال كنت مع علي بن عيسى لما نفى إلى مكة ودخلنا
في حر شديد وقد كدنا ان نتلف وطاف علي بن عيسى وجاء فالتقى نفسه وهو كالميت
من الحر والتعب وقلق قلقا شديدا وقال اشتهي على الله تعالى شربة ماء مثلوج
فقلت له ياسيدنا أيدك الله أنت تعلم ان هذا مما لا يوجد في هذا المكان فقال هو
كما قلت ولكن تقسى ضاقت عن ستر هذا القول فاستروحت إلى المنى قال فخرجت
من عنده فرجعت إلى المسجد الحرام فما استقررت فيه حتى نشأت سحابة وكثفت
وبرقت ورعدت رعدا متصلا شديدا ثم جاءت بمطر يسير وبرد كثير فبادرت إلى الغلمان
فقلت اجمعوا اجمعوا منه شيئا كثيرا وملاؤا منه جررا كثيرة وجمع منه أهل مكة شيئا
عظيما قال وكان علي بن عيسى صائما فلما كان وقت المغرب خرج إلى المسجد ليصلي المغرب
فقلت له انت والله مقبل والنكبة زائلة وهذه علامات الاقبال فاشرب الثلج كما طلبته
قال وجئته في المسجد باقداح مملوءة باصناف الاسوقة والاشربة مكبوسة بالبرد قال
فأقبل يستقي من يقرب منه من الصوفية والمجاورين في المسجد الحرام والضعفاء
ويشربونه ونحن نأتيه بما عندنا من ذلك وأقول له اشرب فيقول حتى تشرب
الناس نخبت له خمسة ارطال وقلت له لم يبق شيء فقال الحمد لله ليتني كنت
تمنيت المغفرة بدلا من تمنى الثلج فلعلني كنت اجاب فلما دخل المبيت حلفت
عليه أن يشرب ومازلت اداريه حتى شرب منه بقليل سويق بقية ليلته

حدثني عبد الله بن محمد بن الحسين بن الحنفيا العبقسي قال حدثني أبي قال كان مجاورني فتى من أولاد الكتاب ورث عن أبيه مالا جليلا اتلفه في القيان واكله اسرافا وبدارا حتى لم يبق معه شيء فاحتاج إلى بعض داره فلم يبق منها إلا بيت يأويه فحدثني بعض من كان يعاشره قال صرت إليه يوما بعد انقطاعي عنه بنحو سنة لأعرف خبره فدخلت عليه فوجدته نائما في ذلك البيت في يوم بارد على حصير خلق وقد توطأ وتوطأ كأنه حشو فراش وقد تغطا بقطن كأنه حشو لحاف فهو بين ذلك القطن كأنه السفرجل فقلت ويحك بلغت إلي هذا الحال قال هو الحد ما ترى قلت فهل لك حاجة قال أو تقضيها فظننته يطلب مني شيئا لنفقة فقلت أي والله قال اشتهى أن يحملني إلى بيت فلانة المغنية حتى أراها يعنى المغنية التي يعشقها واتلف ماله بسببها قال وبكى فرقت له ومضيت إلى منزلي فجئته من ثيابي بما لبسه وأدخلته الحمام وحملته إلى بيتي فاطعمته وبخرتة وأخذت بيده وقصدنا دار المغنية فلما رأتنا لم تشك في أن حاله صلحت وأنه قد جاءها بدراهم فبشت به وسألته عن خبره فصدقها عن حاله حتى انتهى إلى ذكر الثياب وانها لي فقالت له في الحال قم فقال لم قالت لئلا تحي ستي فتراك وليس معك شيء فتحرد على فأخرج إلى برا حتى أصعد فأكلك من فوق فخرج وجعل ينظر أن تخاطبه من روزنة في الدار إلى الشارع وهو جالس فقبلت عليه مرقعة سكباج فصيرته آية ونكالا وضحكت فبكى وقال يا أبا فلان بلغ أمرى إلي ها هنا أشهد الله وأشهدك أني تائب عنها فأخذت تعظ به وقلت أي شيء تنزعك التوبة الآن ورددته إلى بيته وزعت ثيابي عنه وتركته بين القطن كما كان أولا وحملت ثيابي فغسلتهما وأيست منه فمأعرفت له خبرا نحو ثلاث سنين فانا ذات يوم في باب الطاق فاذا بغلام يطرق لرجل راكب فرفعت رأسي فاذا به على برذون فاره بمركب خفيف مليح وثياب حسنة وكان قديما في أيام يساره يركب من الدواب والمراكب افخرها والله وثيابه وقماشه افخر شيء فحين رأني قال فلان فعلمت أن حاله صلحت وقبلت فيخذه وقلت سيدى أبو فلان قال نعم فقلت أي شيء هذا قال صنع الله عز وجل وله الحمد والشكر البيت البيت قال فتبعته حتى انتهيت إلى بابه فاذا بالدار الأولى قد رمها وجصصها وطبقها وبني فيها مجاسين متقابلين وخزائن ومستراحا وجعل ما كان

في الدار من البيوت والمجالس صحننا كبيرا وقد صارت طيبة الا انها ليست بذلك
 السرور الاول وادخلني حجرة كان يخلو فيها قديما وقد أطادها كاحسن ما كانت
 وفيها فرش حسنة ولكن ليس من ذلك الجنس الاول وليس في داره إلا ثلاث
 غلمان وخادم قد كنت أعرفه لأبيه قد رده واقامه على حرمة وشيخ بواب ممن
 كان يصحبهم قديما ووكيل يتسوق له فجلس وأجلسني وجاؤنا بفاكهة حسنة
 نظيفة قليلة في آلة مقتصدة مليحة ثم جاؤا بعدها بطعام نظيف كاف غير مسرف
 ولا مقصر فاكلنا ثم نام ولم تكن تلك عادته ومدت ستار واحضرت مشام
 ورياحين في صوان وزبدات والجميع متوسط غير مسرف وانتبه فصلى وتبخر
 بقطعة ند جديد وبخري بمثلها فقلت ياسيدي ماهذه الترتيبات التي لست أعرفها
 فقال دع ماضى وخذ مانحن فيه وأقبل يشرب وغنى من وراء ستاره ثلاث
 جوار في نهاية طيب الغناء كل واحدة منهن أحسن وأطيب من التي اتلف عليها
 ماله فلما طابت نفسى ونفسه قال يا أبافلان تذكر زماننا الاول قلت نعم قال أنا
 الآن في همة متوسطة وما أفدته من العقل والعلم بأمر الدنيا ليسليني عما ذهب
 منى وهو ذاترى فرشي والتي وثيابي ومركبي فلم يكن ذلك بالعظيم المفرط ففيه
 جمال وبلاغ وتنعم وكفاية وهو مغن عن ذلك الاسراف والتبذير وقد تخلصت
 من تلك الشدة الشديدة تذكر يوم طاملتني فلانة المغنية لعنها الله تعالى بما عاملتني
 به قلت نعم والحمد لله الذى كشف عنك ذلك فمن أين هذه النعمة قال مات خادم
 كان مولى لأبي وابن عم في يوم واحد فحصل لى من تركتها أربعون ألف دينار
 وصل أكثرها وأنا بين القطن كما رأيتني خمدت الله تعالى واعتقدت التوبة من
 التدبير السيئ وأنا أدبر ما رزقته فعمرت هذه الدار بألف دينار واشترت من
 الآلة والفرش والثياب والجوارى ماتراه وغيره بسبعة آلاف دينار وسأمت
 إلى بعض التجار النقات التي دينار يتجر لى فيها وأودعت بطن الأرض عشرة
 آلاف دينار للشدائد والحوادث وابتعت بالباقي ضيعة تغل في كل سنة ما يزيد
 على مقدار تفتتى هذه التي شاهدها فما ابقى احتاج إلى الاستزادة وما تقبل غلة
 إلا وعندي بقية من الغلة الاولى وأنا أثقل في نعم الله تعالى كما ترى ومن تمام
 النعمة ان لا أطاشر ولا أحد ممن كان يحسن لى الاسراف يا غلمان اخرجوه

قال فاخرجت ووالله فما أذن لي بعدها في الدخول عليه * حدثني أبي قال بلغني من غير واحد أن أبا يوسف صاحب أبا حنيفة على فقر شديد وكان ينقطع بملازمته عن طلب المعاش فيعود إلي منزله إلي فقر شديد وكانت أمه تحتال فيما يقتاته يوما بيوم فلما طال ذلك عليها خرج إلى المجلس يوما فقام فيه وعاد ليلا وطلب ما يأكل فجاءته بغضارة مغطاة فكشفها فإذا فيها دقائر فقال ما هذا قالت ما أنت مشغول به نهارك أجمع فكل منه ليلا قال فبكى وبات جائعا وتأخر من غد عن المجلس حتى احتال فيما أكلوه فلما جاء إلي أبي حنيفة سأله عن سبب تأخره فصدمه فقال إلا عرفتني فسكنت أمدك ولا يجب أن تغتم فانه إن طال صمرك فستأكل بالفقه اللوزينج بالفستق المقشر قال أبو يوسف فلما خدمت الرشيد واختصصت به قدم بمحضرة يوما لوزينج بفستق مقشر فدعاني إليها فحين أكلت منها ذكرت أبا حنيفة فبكيت وحمدت الله تعالى فسألني الرشيد عن السبب فاخبرته * حدثني أبو الحسين محمد بن عبد الواحد الهاشمي أن شيخا من التجار كان له عند بعض القواد مال جليل فاطله واستخف به قال فعملت على الظلابة إلي المعتضد لأنني كنت تحملت عليه واستشفعت وتظاهمت إلي عبيد الله بن سليمان فلم ينجع ذلك فقال لي بعض اخواني على أن اخذ لك المال ولا تحتاج إلى الظلابة إلي المعتضد قم معي الساعة فتمت معه فجاءني إلي خياط في سوق الثلاثاء وهو جالس يخيط ويقرأ القرآن في مسجد فتمص عليه قصتي فقام معنا فلما مشينا تأخرت وقلت لصديقي انك قد عرضت هذا الشيخ ونفسك وإياي لمأكروه عظيم هذا إذا حصل على باب الرجل صنع وصفعنا معه هذا لم يلتفت لفلان وفلان ولم يذكرني الوزير فكيف يفكر في هذا الفقير فضحك الرجل وقال لا عليك امش واسكت فجئنا إلي باب القائد فحين رآه غلماناه أعظموه وأهروا لتقبيل يده فمنعهم من ذلك وقالوا ما حاجتك أيها الشيخ فان صاحبنا راكب فان كان أمرا نعلمه نحن بادرنا إليه وإلا فادخل واجلس إلى أن يمجيء فقويت نفسي فدخلنا وجاء الرجل فلما رأى الخياط أعظمه أعظاما تاما وقال لست اخلع ثيابي حتى تأمر بامرئ فخاطبه في أمرى فقال والله ما عندي إلا خمسة آلاف درهم فتسأله أن يأخذها ورهنا بباقي ماله إلى شهر فبادرت بالاجابة فاحضر الدراهم وحملها بقيمة الباقي فقبضت ذلك

واشهدت الخياط ورفيقي عليه إلى شهر يكون الرهن عندي على البقية فان حان
 الأجل ولم يسدد فانا وكيل ابيع وأخذ مالي من ثمنه وخرجنا فلما بلغنا إلى موضع
 الخياط طرحت المال بين يديه وقلت يا شيخ ان الله تعالى قد رد هذا المال بك
 فأحب أن تأخذ ربعه أو ثلثه أو نصفه بطيب قلب مني فقال ما أسرع ما كافئتني
 على الجميل بالقبيح انصرف بمالك بارك الله لك فيه فقلت له قد بقيت لي حاجة
 فقال قل قلت تخبرني عن سبب طاعة هذا لك بعد تهاونه باكثر أهل المملكة
 فقال يا هذا قد بلغت مرادك فلا تقطعني عن شغلي فالتحت عليه فقال انا رجل اؤم
 واقري في هذا المسجد منذ أربعين سنة ومعاشي هذه الخياطة لا أعرف غيرها
 وكنت منذ دهر قد صليت المغرب وخرجت أريد منزلي فاجتزت بتركي كان في
 هذه الدار وامرأة جميلة بمحاضرة فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره وهي ممتنعة
 تستغيث وليس أحد يغيثها ولا يمنعها منها وتقول في جملة كلامها قد حلف زوجي
 بطلاقي ان لا أبيت إلا عنده فان بيتني هذا حرم مني مع ما يرتكبه مني من المعصية
 قال فجئت الى التركي ورفقت به وسألته تركها فضرب رأسي بدبوس فشجني
 وادخل المرأة داره فصرت إلى منزلي فغسلت الدم وشددت الشجة وخرجت
 أصلي عشاء الاخرة فلما فرغت منها قلت لمن حضر قوموا معي الى عدو الله هذا
 التركي تنكر عليه ولا نبرح أو يخرج المرأة فقاموا وجئنا فصحننا على بابه فخرج
 علينا في عدة من غلماناه واوقع بنا وقصدي من دون الجماعة فضربني ضرباً
 عظيماً حتى كدت اتلف منه فحملني الجيران كالتالف فعالجني أهلي ونمت نوماً
 ثقيلاً وفقت نصف الليل فما حملني النوم للألم وفكراً للقصة فقلت هذا قد شرب
 طول ليلته ولا يعرف الأوقات فلو أذنت لوقع له أن الفجر قد طلع فاطلق
 المرأة فلحققت بيتها قبل الفجر فسلمت من إحدى المكروهين فخرجت إلى
 المسجد متحاملاً وصعدت المنارة فأذنت وجعلت أطلع منها إلى الطريق أراقب
 خروج المرأة فان خرجت والا أقمت الصلاة لكي يشك في الصباح فيخرجها فما
 مضت إلا ساعة والمرأة عنده إلا وقد امتلأ الشارع خيلاً ورجلاً ومشاعل وهم
 يقولون من هذا الذي أذن الساعة أين هو ففزعت وسكت ثم قلت أخاطبهم لعلني استعين
 بهم على إخراج المرأة فصحت من المنارة انا أذنت فقالوا الجب امير المؤمنين فقلت دنا

الفرج فنزلت فاذا بدر وعدة غلمان معه فحملني وأدخلني على أمير المؤمنين فلما رأته هبته وارتعدت فسكن مني وقال ما حملك على أن تغرر بالمسلمين باذانك في غير وقته فيخرج ذو الحاجة في غير جنبها ويمسك المرید للصوم في وقت قد أبيع له فيه الافطار وينقطع العسس عن الطواف والحرس فقلت يؤمنني أمير المؤمنين لا صدق قال أنت أمن فقصصت عليه القصة وأريته الضرب فقال يا بدر على بالغلام والمرأة في هذه الساعة وعزلت في موضع ومضى بدر وأحضر الغلام والمرأة فسألها المعتضد عن الصورة فأخبرته بمثل ماقلته فقال لبدر بادربها الساعة الى زوجها مع ثقة يدخلها دارها ويشرح لزوجها خبرها ويأمره عني بالتمسك بها والاحسان اليها ثم استدعاني فوقفتم وجعل يخاطب للغلام وأنا قائم اسمع الكلام فقال له يا فلان كم جرايتك في كل سنة قال كذا وكذا قال وكم عطاؤك قال كذا وكذا قال فما كان لك فيهن وفي هذه النعمة العظيمة العريضة كف عن ارتكاب معاصي الله تعالى وخرق هيبة السلطان حتى استعملت ذلك وتجاوزته بالوثوب على من أمرك بالمعروف قال فاسقط الغلام في يده ولم يدر جوابا فقال هاتوا جوالقاً ومداق الجص وقيدا وغلا فقيده واغله وأدخله الجوالق وأمر الفراشين بدقة بمداق الجص وأنا أرى ذلك وهو يصيح ثم انقطع صوته ومات فأمر به ففرق في دجلة وتقدم لبدر بحمل ما في داره ثم قال لي يا شيخ أي شيء رأيت من اجناس المكروه ولو على هذا وأومى بيده الى بدر فالعلامة بيننا أن تؤذن في هذا الوقت فاني اسمع صوتك واستدعيك وافعل مثل هذا بمن لا يقبل منك او يؤذيك قال فدعوت له وانصرفت وانتشر الخبر عند الاولياء والغلمان فما خاطبت منهم احدا بعدها في إنصاف احدا او كف عن قبيح الاطوا عني كما رأيت خوفا من المعتضد وما احتجت أن اذن الي الآن * وجدت في بعض الكتب عن الاصمعي قال كنت بالبصرة أطلب العلم وأنا مقل وكان علي بابنا يقال إذا خرجت بكرة يقول لي الى أين فأقول الى فلان المحدث وإذا عدت المساء يقول لي من أين فأقول من عند فلان الاخباري واللغوي فيقول يا هذا أقبل وصيتي انت شاب فلا تضع نفسك واطلب معاشاً يعود عليك نفقه واعطني جميع ما عندك من الكتب اطرحها في هذا الدن وأصب عليها من الماء للعشرة أربعة وانبذه وانظر ما يكون منه والله لو طلبت مني بجميع ما لديك من الكتب جوزة ما اعطيتك فيضيق صدري بمداومة الكلام حتى

كنت اخرج من بيتي ليلا وأدخله ليلا وحالي في خلال ذلك يزداد ضيقاً حتى
أفضيت الى بيع آجر اساسات داري وبقيت لاهتدي الى تفقة يوم وطال شعري
واخلق ثوبي واتسخ بدني وانا كذلك متحير في أمرى اذ جاء لي خادم للامير محمد
ابن سليمان قال أجب الامير فقلت ما يصنع الامير برجل قد بلغ به الفقر الى ماترى
فما رأى سوء حالي وقبيح منظري رجع فأخبر الامير بخبري وعاد الى ومعه تحوت
ثياب ودرج فيه بخور وكيس فيه دنانير وقال قد أمرني الامير أن ادخلك الحمام
والبسك من هذه الثياب وأدع باقيها عليك واطعمك من هذا الطعام واذا بخوان
كبير فيه صنوف الاطعمة وأبخر لك لترجع اليك روحك ثم اطلعك عليه فسررت بذلك
سرورا شديدا ودعوت له فقمت وعملت ما قاله ومضيت معه حتى دخلت على محمد
ابن سليمان فسامت عليه فقربني ورفعني ثم قال يا عبد الملك قد اخترتك لتأديب ولدي
أمير المؤمنين فاعمل على الخروج الى بابه وانظر كيف يكون فشكرته ودعوت له وقلت
سمعا وطاعة سأخرج شيئا من كتبي وأتوجه فقال ودعني وكن على الطريق فقبلت
يده وأخذت جميع ما احتجت اليه من كتبي وجعلت باقيها في بيت وسددت بابه واقعدت
على الدار عجوزا من اهلنا تحفظها وباكرني رسول محمد بن سليمان وأخذني الى دلال
قد اتخذ لي وفيه ما احتاج اليه وجلس معي ينفق على حتى وصلت الي بغداد ودخلت
على أمير المؤمنين فسامت عليه فرد على السلام وقال انت عبد الملك بن قريب الاصمعي
قلت نعم أنا عبد أمير المؤمنين بن قريب الاصمعي قال اعلم ان ولد الرجل مهجة قلبه
وثمرة فؤاده وهو ذا اسلم اليك ابني محمد بامانة الله فلا تعلمه ما يفسد عليه دينه فاعمل
ان يكون للمسلمين اماما قلت السمع والطاعة واخرجه الى وتحولت معه الى دار قد
أخليت لئلا تأديبه فيها وبها من اصناف الخدم والفرش ما يسر واجرى على في كل شهر عشرة
آلاف درهم وأمر بأن يخرج إلي في كل يوم مائدة نلزمته وكنت مع ذلك أقضي
حوائج الناس وأخذ عليها للرغائب وأنفذ جميع ما يجتمع أولا فاولا الى البصرة
فابني داري واشترى ضياعا وعقارا فأقت معه حتى قرأ القرآن وتفقه في الدين
وروى الشعر واللغة وروى أيام الناس وأخبارهم واستعرضه الرشيد فأعجب به
وقال يا عبد الملك أريد أن يصلي بالناس اماماً في يوم جمعة فاختر له خطبة وحفظه
اياها حفظته عشرا فخرج وصلى بالناس وأنامعه فأعجب الرشيد به وأخذته نثار

الدرهم والدنانير من الخاصة والعامة واثني الجوائز والصلاة على من كل ناحية
فجمعت مالا عظيما ثم استدعاني الرشيد فقال يا عبد الملك قد أحسنت الخدمة
فتمنى فقلت ما عسيت ان أتمنى وقد حزت أمالي فأمر لي بمال عظيم وكسوة كثيرة
وطيب فاخر وعبيد واماء وظهر وفرش وآلة فقلت ان رأى أمير المؤمنين ان يأذن
لي بالامام إلى البصرة والكتابة إلى عامله بها أن يخاطب الناس الخاصة والعامة بالسلام
على ثلاث أيام وإكرامى بعد ذلك فكتب لي عنه بما أردت وانحدرت إلى البصرة ودارى
قد عمرت وضيعى قد كثرت ونعمتى قد دفشت فما تأخر عني أحد فلما كان في اليوم
الثالث تأملت أصاغر من جاءني فإذا البقال وعليه عمامة وسيخة ورداء نظيف وجبة
قصيرة وقميص طويل في رجله جرموقان وهو بلا سراويل فقال لي كيف أنت
يا عبد الملك فاستضحكت من حماقته وخطابه لي بما كان يخاطبني الرشيد فقلت بخير
وقد قبلت وصيتك وجمعت ما عندي من كتب العلم وطرحتها في الدن كما أمرت
وصببت عليه من الماء للعشرة أربعة فخرج ما ترى ثم احسنت إليه بعد ذلك
وجعلته وكيلى * أخبرني القاضي أبو علي محسن بن علي قال مسرور الكبير
استدعاني المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلاناً
وسماهما لي أحدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعاً لما أقول لك
فانه بلغني أن شيخاً يحضر ليلاً إلى آثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكراً
كثيراً ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض انت وعلي ودينار حتى تردوا تلك
الخرائب فاستتروا خلف بعض الجدران فاذا الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد
أبياتاً فأتوني به قال فأخذتهما ومضيئنا حتى أتينا الخرائب فإذا نحن بغلام قد أتى
ومعه بساط وكرسی حديد وإذا شيخ قد جاء وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس
على الكرسي وجعل يبكى وينتحب ويقول هذه الأبيات

ولما رأيت السيف جندل جعفرنا ونادى مناد للخليفة يا يحيى

بكيت على الدنيا وزاد تأسفى عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات أطلها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففرغ
فرعاً شديداً وقال دعوني حتى أوصى بوصية فاني لا أوقن بعدها بحياة ثم تقدم
الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه

ثم سرنا فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين قال حين رآه من أنت وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم قال الخادم ونحن نسمع يا أمير المؤمنين ان للبرامكة ايادي خضرة عندي افتاذن لي أن احدثك بحالي معهم قال قل فقال يا أمير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت إلى بيع ماعلي راسي ورؤوس أهلي وبيتي الذي ولدت فيه اشاروا علي بالخروج إلى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امرأة وصبي وصبية وليس معنا ما يباع ولا يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت ببعض ثياب كنت اعدتها لاستتر بها فلبستها وخرجت وتركتهن جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن البرامكة فاذا أنا بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ باحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان وفي الجامع جماعة جلوس فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلست بين ايديهم وأنا اقدم رجلا وأؤخر اخرى والعرق يسيل مني لأنها لم تكن صناعتي وإذا الخادم قد اقبل ودعا القوم فقاموا وأنا معهم وإذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده وإذا بامرء بنت العذار في خديه قد اقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة خادم متمنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال مع كل خادم مجرة من ذهب في كل مجرة قطعة من عود كهية الفهد وقد قرن به مثله من العنبر السلطاني فوضعه بين يدي الغلام وجلس إلي جنب يحيى ثم قال للقاضي تكلم وزوج عائشة من ابن أخي هذا فخطب القاضي خطبة النكاح وزوجه وشهد أولئك الجماعة واقبلوا علينا بالشار بينادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت وإذا نحن في المكان ما بين يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنى عشر فاذا بمائة واثنى عشر خادما قد اقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية الف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يضعون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت أباطهم ويقوم الأول فالأول حتى بقيت وحدي لا أجسر على اخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت واخذتها وجعلت الذهب في كمي

والصينية في يدي وقت وجعلت اتلفت إلى ورأى مخافة ان امنع من الذهب
فبينما أنا كذلك وقد وصلت إلى صحن الدار ويحيى يلاحظني فقال للخادم ائتني
بهذا الرجل فأتيته فقال مالي أراك تلتفت يمينا وشمالا فقصصت عليه قصتي فقال
للخادم ائتني بولدي موسى فاتاه به فقال له يا بني هذا رجل غريب فخذ
إليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى ولده على يدي وادخلني
إلى دار من دوره فاكرمني غاية الاكرام واقت عنده يومى وليمتى في الد عيش
وأتى سرور فلما أصبح دعا باخيه العباس وقال له الوزير أمرنى بالعطف على هذا
الفتي وقد علمت اشتغالى في بيت أمير المؤمنين فاقبضه إليك واكرمه ففعل ذلك
وأكرمنى غاية الاكرام ثم لما كان من الغد تسلمنى أخوه أحمد فلم أزل في أيدي
القوم يتداولونى مدة عشرة أيام لا أعرف خبر عيالى وصبيانى أفى الأموات هم أم
فى الأحياء فلما كان اليوم الحادى عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا
قم اخرج إلى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج على
هذه الحالة إن الله وإنا إليه راجعون فرفع الستر الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع
وقال لى مهما كان لك من الحوائج فارفعها إلى فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرنى
به فلما رفع الستر الأخير رأيت حجرة كالشمس حسناً ونوراً واستقبلنى منها
رائحة الند والعود ونفحات المسك وإذا بصبيانى وعيالى يتقلبون فى الحرير
والديباج وحمل إلى مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك
الصينية التى كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبناقد واقت يا أمير المؤمنين مع
البرامكة فى دورهم ثلاث عشر سنة لا يعلم الناس امن البرامكة أنا أم رجل غريب
فلما جاءتهم البلية ونزل بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما نزل أحجف بي عمرو بن
مسعدة والزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج ملائفى دخلهما به فلما تحامل على
الدهر كنت فى آخر الليل أقصد خرابات دورهم فاندبهم واذا كرسن صنيعهم
إلى وأبكى على احسانهم فقال المأمون على بعمر بن مسعدة فلما أتى به قال له أتعرف
هذا الرجل قال يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال كم الزمته فى ضيعته
قال كذا وكذا فقال له رد إليه كل ما أخذته منه فى مدته وأفرغهما له ليكونا له

ولعقبه من بعده قال فعلا نحب الرجل فلما رأى المؤمنون بكائه قال له يا هذا
قد أحسننا إليك فما يبكيك قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنيع البرامكة
لولم آت خراباتهم فابكيهم واندبهم حتى اتصل خبري إلى أمير المؤمنين ففعل بي
ما فعل من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين قال إبراهيم بن ميمون فرأيت المؤمنون
وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعليهم
فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولا حسانهم فاذكر * بلغني انه كان رجل من أهل
الكوفة من ذوى الأدب والظرف يعاشر الناس وتأتبه الطافهم فيعيش بهامسعا
ثم انقلب الدهر عليه فامسك الناس عنه وجفوه حتى قعد في بيته والتجأ إلى عياله
وشاركهن في فضل مغازلهن فاستتم ذلك عليه وناسيه الناس ولزمه الفقر قال فبينما
أنا ذات ليلة في منزلي على أسوء حال وإذا بوقع حافر دابة ورجل يدق الباب
فكلمته من ورائه وقلت لها ما حاجتك قال ان اخالك لاسميه يقرأ عليك السلام
ويقول اني مستتر وليس آنس بكل أحد فان رأيت أن تصير إلى لنتحدث ليلتنا
قلت لعل سعدى يكون قد تحرك ثم لم أجد شيئا البسه فشتملت بازار امرأتى
وخرجت فقدم إلى فرس المجنوب كان معه فركبته إلى ان ادخلني إلى فتي أجمل الناس
فقام إلي وطافني ودعا بالعشاء فاكلنا وبالشراب فشربنا واخذنا في الحديث فما
خضت في شيء إلا وسبقني إليه حتى إذا صار السحر قال ان رأيت أن لا تسألني عن
شيء من أمري أوتجعل هذه الزيارة بيني وبينك ذا أرسلت إليك فقال وهنا
دراهم تقبلها ولا تردها واخرج إلى جراباً مملوءاً دراهم ودنانير فدخلتني أريحية
الشراب فقلت اخترتني على الناس لسرك فأخذ على ذلك جزاء لا حاجة لي بالمال
فجهدني فلم آخذه وقدم إلى الفرس فركبت وعدت إلى منزلي فدخلته مخفقا وعيالي
يتطلعن إلي ما أجيء به فاخبرتهن بخبري وأصبحت نادما على فعلى وقد ورد على
وعلى عيالي ما لم يكن في حسابنا فمكثت حيناً لا يأتى رسول الرجل إلى ان جاءنى
بعد مدة فصرت إليه فعاودنى مثل ذلك الفعل وعاودته الامتناع وانصرفت
مخفقا فاقبلت امرأتى على اللوم والتوبيخ فقالت لها أنت طالق ثلاثا ازعاودنى
فلم آخذ ما يعطيني فمكثت على ذلك مدة أطول من الأولى ثم جاءنى رسوله فلما
أردت الركوب قالت لى امرأتى يا مشؤم اذكر يمينك وبكاء بناتى وسوء حالك

وصرت إلى الرجل فلما مضينا إلى الشراب وأنا أحادثه إلى أن أبلغ الفجر وأخرج
إلى الجراب فعاودني في الكلام فأخذته فقبل رأسي وتنكرني على قبوله وقدم
إلى الفرس وانصرفت عنه إلى منزلي فلقيت الجراب فلما رأيته عيالي سجدن
لله شكرا وفتحناه فإذا هو مملوء دنانير فأصلحت من حالي واشتريت مراكيباً
وثياباً حسنة وأثاثاً وصيغة قدرت أن غلتها تفي بي وبعيالي بعدى واستظهرت على
زماني ببقية الدنانير وانهال الناس على يظهر ون الفرح بما تجدد لي وظنوا أنني
كنت غائباً في انتجاع ملك وعدت مسرياً وانقطع رسل الرجل عني فبينما أنا
أسير في القرب من منزلي وإذا ضوضاء شديدة وجماعة متجمعة فقلت ما هذا
فقالوا رجل من مدينة فلان يقطع الطريق فطلبه السلطان إلى أن عرف خبره
هنا فهجم عليه فخرج على الناس بالسيف يمنع عن نفسه فقربت من الجمع وتأملت
الرجل فإذا هو صاحب بعينه يقاتل الناس والشرط فينكشف الناس عنه ويكرو
عليه ويضايقونه فنزلت عن فرسي وأقبلت أقوده حتى دنوت منه وقد
انكشفت الناس فقلت له عنه بابي وأمي أنت شأنك والفرس واطلب والنجاه
فاستوى على ظهره فلم يلحقوه فقبض على الشرط وأقبلوا يهددونني حتى جاؤا إلى عيسى
ابن موسى وكان لي عارفاً فقالوا أيها الأمير إنا كدنا أن نأسر الرجل فجاء هذا فاعطاه
فرساً فنجا عليه فاشتد غضب عيسى ابن موسى وكاد أن يوقع بي وأنا منكر
وشرحت له ما كان أفضى بي الحال إليه وما عاملني به الرجل من الجميل وإني كافأته
فقال لي احسنت لا بأس عليك ثم التفت إلى الناس وقال يا حمقى هذا مستقتل بسيف
قد تكلمتم عنه بأجمعكم فكيف كان هو يدفعه عن فرسه انصرفوا ثم خلا سبيلي
فانصرفت إلى منزلي وقد قضيت زمام الفتى وخلصت النعمة بعد الشدة وأمنت
عواقب الحال وكان آخر عهدى به والسلام * سرق جعفر بن سليمان الهاشمي جوهر
بالبصرة وهو أميرها فجهد أن يعرف له خبراً فخفي عليه الفاعل فاغاضه فجاء بالشرط
وضربهم فجدوا في الطلب فلما كان بعد ذلك بشهور أتاه بعضهم برجل وجده
يبيع في سفط درة فاخرة من ذلك الجوهر وقد قبض عليه وضربه ضرباً عظيماً إلى
أن أقر فأخبر جعفر بخبره فأذن له في دخوله فلما رأى الرجل جعفر استغاث به
وبكى فرحمه جعفر وقال ألم تكن طلبت مني هذه الدرة في وقت كذا فوهبتها لك

فقال بلى فقال للشرط خلوا عنه واطلبوا الغريم * وروت الفرس قريباً من هذا
فذكروا أن بعض ملوكهم سخط له على حاجب سخطاً عظيماً فالزمه بيته وكان فيه
كالجَبوس وقطع عنه أرزاقه وجراياته وأقام على ذلك سنين حتى تهتك ولم يبق له مال
ثم بلغه أن الملك قد اتخذ سماً عظيماً يحضره الناس في غد ذلك اليوم فأرسل إلى
اصدقائه وأعلمهم بأن له مال ويجب أن يبعث بعض ولده ليحضره واستعار منهم
دابة بسرجهما ولجامها وغلاما ليسعى بين يديه وخلعة يلبسها وسيفاً ومنطقة فاعير
ذلك فلبسه وركب الدابة وخرج من بيته حتى جاء دار الملك فلما رآه البوابون
لم يشكوا في أنه لم يقدم على ذلك إلا بأذن الملك وتذموا التقدم وإن يحجبوه حتى
يستأذنون فدخل وهو مظهر لقوة الجاش ولم يذل حاله مع طائفة طائفة منهم
يقوى نفسه إلى أن وصل إلى الملك وقد أكل وهو جالس يشرب فلما رآه الملك
قطب وأنكر حضوره وهم أن يأمر به وبالحجاب والبوابين فسكروه أن ينغص
يوماً قد أفردته بالسرور على نفسه وأقبل الرجل يخدم فيما كان يخدم فيه
قديمًا فازدادت حالته تمويهاً على الحجاب والحاشية إلى أن كاد المجلس ينصرم وغفل
أكثر من كان حاضراً فيه فتقدم إلى صينية من ذهب وزن ألف مثقال مملوء مسكا
فاخذها بخفقه وجعل المسك في كفه والصينية في حقه وخرج فركب وعاد إلى
منزله ورد العواري على أهلها وباع المسك وكسر الصينية وجعلها دنائير واتسع
بها وأفاق الملك في غد من سكرته وقد سمع الذين يخدمون في الشراب يطلبون
الصينية وقهرمان الدار يطالب بها ويضرب قوماً من أجلها فذكر حديث الحاجب
وعلم أن ما حمله على الأقدام على مثل ذلك الأمر إلا من وراء شدة وضرفقال لقهرمانه
لا تطلب الصينية فما لاحد في ضياعها ذنب قد أخذها من لا يردّها ونظره من لا ينم
عليه فلما كان بعد سنة عاد ذلك الحاجب إلى شدة الاضاعة لنفاد الدنانير وبلغه خبر
سماط يكون عند الملك في غد يومه فاحتال بحيلة أخرى حتى دخل على الملك فلما رآه
الملك قال يا فلان قد نفدت تلك الدنانير فقبل الأرض بين يديه وبكى ومرغ خديه
وقال أيها الملك قد احتلت مرتين في أن تقتلني فاستريح مما أنا فيه من عظم الضر الذي
أعانيه أو تعفوا عني كما يليق بك وتذكر حرمتي فاعيش في ظلك وليس لي بعد هذه الكرة
حيلة فرق له الملك وغفاه عنه وأمر ببرد أرزاقه ونعمته ورده إلى حالته الأولى في خدمته

وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال نالت عمرو بن هبيرة ضيقة شديدة فاصبح ذات يوم في نهاية الكسل وضيقة الصدر والضجر مما هو فيه فقال له اهله ومواليه لوركت فلقيت أمير المؤمنين فلعنه اذا رآك أن يجري لك شيئاً فيه محبة أو يسألك عن حالك فتخبره فركب ودخل على يزيد بن عبد الملك بن مروان فوقف بين يديه ساعة فخاطبه ثم نظر يزيد فوجد عمر وقد تغير تغيراً شديداً انكره فقال له اتريد الخلاء قال لا قال ان لك لشأناً قال يا أمير المؤمنين اجد بين كتفي إذا لا أدري ما هو قال يزيد انظروا ما هو فنظروا فإذا بين كتفيه عقرب قد ضربته عدة ضربات فلم يبرح حتى كتب هذه على العراق وجعل يزيد يصفه بالرجولية وسعة الصدر * وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال حدثنا ميمون بن موسى قال خرج رجل من المتصرفين من عسكر المعتصم بالله الى مصر قال حدثني عنه بعض المتصرفين قال نزلت في دار بالقرب منه فحدثني الرجل بما كنت وقفت على بعضه قال اصبحت ذات يوم وقد نفذت نفقتي وتقطعت ثيابي وأنا من الهم والغم على ما لا يوصف فقال لي غلامى اى شىء نعمل اليوم فقلت له خذ بلجام الدابة فبعه وانه محلى وابتع مكانه لجاماً جديداً واشتر لنا خبزاً سميداً وجدياً حينئذ افقدت نفسي الى اكلها وعجل ولا تنس ان تبتاع أيضاً كوزاً نبذ لسرورى فضى الغلام وجلست مفكرافى امرى وما الاق وكيف اعمل فاذا بباب الدار قد دق دقاً عظيماً حتى كاد أن ينكسر فاذا رهق شديد فقلت لغلامى وكان واقفاً بين يدى اخرج فانظر ما هذا فذهب الغلام وفتح الباب فلم يفتح فكسره وامتلأت الدار على غلمانا من الأتراك وغيرهم واذا باشتاس وهو حاجب المعتصم وعبد بن عبد الملك الزيات وقد دخلا وطرحتا لهما زولية فجلسا عليها وإذا معهما حفارون قال فلما رأيت ذلك بادرت فقبلت أيديهما فسألانى عن خبرى فخبرتهما به وانى خرجت من جملة أهل العسكر طمعا في التصرف وذكرى حالى وماتوا الى فيه فوعدت وعدا جيلاً والحفارون يحفرون فالتفت اشتاس الى عبد الملك فقال انا والله جائع فقال لعبد وأنا والله جائع فقلت عند ذلك ياسيد اى عند خادمك شىء قد اتخذه فاذا أذتما في احضاره حضر فقالا هات فقدمت الجدى وما كان ابتيع ذكلاً واستوفيا وغسلا أيديهما ثم قال لى اشتاس عندك من ذلك الفن شىء فقلت نعم فسقيتهما من الكوز ثلاث اقداح فجعل أحدهما

يقول للآخر ظريف وما ينبغي لنا ان نضيع هذا الجميل فبينما الحال على ذلك
 إذ ارتفع تكسير الحفارين فاذا هم قد كشفوا عن عشرين مرجلا دنانير وأخرجت
 ليتوجهوا بها إلى المعتصم فلما نهضوا قال أحدهما للآخر فهذا الشقي الذي اكلنا
 طعامه وشربنا شرابه ندعه هكذا فقال الآخر ماذا نعمل نحفن له حفنة من كل
 مرجل لا تؤثر فيه فنكون قد أغنيناه ونصدق أمير المؤمنين على الحديث ثم قال
 حرك فجعل كل واحد منهما لى حفنة من كل مرجل ثم حملا المال وانصرفا
 فنظرت فاذا قد حصل لى عشرين ألف دينار فانصرفت بها إلى العراق فابتعت
 بها ضياعاً وتركزت التصرف * وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه قال حدثني
 أبي عن أبي قلابة المحدث قال ضقت ضيقة شديدة فأصبحت ذات يوم والمطر يجرى
 كافواه القرب والأولاد يتضورون جوعاً وماء عندي حبة واحدة اتقوتها فبقيت
 متحيرة في أمري فخرجت فجلست في دهليز وفتحت بابي وجعلت أفكر في أمري
 ونفسي تكاد تخرج غماً مما أنا فيه وليس يسلك الطريق أحد لشدة المطر فاذا
 بامرأة على حمار فاره وخادم أسود آخذ بلجام الحمار والحمار يخوض في الوحل فلما
 صار بجذائي سلم على وقال أين منزل فلان فقلت هذا منزله وأنا هو فسألتني المرأة
 عن مسألة فافتيتهما فصادف ذلك ما أحببت فاخرجت من خلفها خريطة ودفعت
 إلى منها ثلاثين ديناراً ثم قالت يا أبا قلابة سببحان خالقك لقد تنوق في قببح
 وجهك وانصرفت * وحدثني أبو القاسم التنوخي في المذاكرة بأسناد ذهب عن
 حفطى قال كان أحمد بن أبي خالد بغبضا قبيحاً اتهمهم وكان مع ذلك حراً وكان
 يلزمه رجل متعطل من طلاب التصرف يقال له ابن صالح الأضخم من وجوه
 الكتاب فحدث قال لما آلت بي العطلة في أيام المأمون والوزير إذ ذاك أحمد بن
 أبي خالد وضافت حالي حتى خشيت التكشف فبكرت إلى أحمد بن أبي خالد مغاسماً
 لا كلمه في أمري فرأيت بابه قد فتح وخرج وبين يديه بريد المأمون فلما نظرني
 أنكر بكوري وعبس وجهه وقال في الدنيا أحد بكر هذا البكور ليشغلنا عن
 أمرنا فلم تصبر نفسي ان قلت ليس العجب منك أصلك الله فيما استقبلتني به
 وإنما العجب مني كيف اسهرت نفسي ليلتي واسهرت من في داري تاميلاً لك
 وتوقعاً للصبح لا صير اليك وابئك أمري فأستعين بك على اصلاح حالي وحلفت

(١١١)
يمينا غليظة ان وقفت ببابك او سألتك حاجة حق تصير الى معتذرا مما كلمتني
به وانصرفت مغموما مكروبا بما لقيني به متذمما على ما فرط مني غير شاك في
العطب إذ كنت لا أقدر على الحنث وكان ابن أبي خالد لا يلتفت الى تبرئة قسمة
فاني كذلك وقد طلعت الشمس إذ دخل بعض غلمانى وقال أحمد بن أبي خالد
مقبل في الشارع ثم دخل آخر فقال قد دخل دارنا ثم آخر فقال قد وقف على
الباب ثم تبادر الغلمان يدخلون الدهليز فيخرجت مستقبلا له فلما استقر في مجلسه
من دارى ابتدأت اشكره على ابراره قسمة فقال ان أمير المؤمنين كان امرني
بالركوب اليه في بعض مهماته فدخلت اليه وقد غلبني السهو مما فرط مني اليك
حتى انكر ذلك فقصصت عليه قصتي معك فقال اسأت بالرجل قم ذمض اليه
واعتذر مما قلته له فقلت فأمضى اليه ذرع اليد قال فتريد ماذا قلت له تقضى دينه
قال كم هو قلت ثلثمائة الف درهم قال وقع له بذلك قلت يرجع بعد الى الدين قال
وقع له بلثمائة اخرى قلت وولاية يتشرف بها قال وله مصرا أو غيرها مما يشتهيها
قلت ومعونة على سفره قال وقع له بمائة الف درهم قال واخرج التوقيع من خفه
بالولاية وبسبعمائة الف درهم فدفعه الي وانصرف * وذكر أبو الحسين القاضي
قال حدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم الخياط قال كان في حيراني بالجانب
الشرقي من بغداد رجل من الاتراك له رزق في الجند فتأخر رزقه في أيام
المكتفى ووزارة العباس بن الحسين فسأت حاله ورثت هيئته حتى لزم الجلوس
عند خباز كان بالقرب منا وكان يستشفعه على جماعة يسألهم ويشفعه أيضا بأن
يعطيه في كل يوم خمسة ارطال خبزا يتقوت بها هو وعياله فاجتمعت عليه
للخباز شيء فضاق به صدر الخباز أن يعطيه شيئا آخر فمنعه فخرج ذات يوم
فجلس وهو عظيم الهم ثم كشف لي حديثه وقال لقد علمت ان لا بد لي من
مسألة الناس وقد عمات على مسألة كل من يشتري من الخباز أن يتصدق على وقد
حملني الجوع على هذا كله لكن لما ذكرت ما في ذلك من الذل منعتني نفسي
فبينما هو على ذلك إذ جاء رجل بزي نقيب يسأل عنه فدل عليه فوجده جالسا
عند الخباز فقال له قم فقال إلى أين قال إلى الديوان حتى تنبض رزقك فقد خرج
لك ولصاحبك رزق شهرين فمضى معه فلما كان بعد ساعة جاءني وقد قبض

مائتين واربعون دينارا فرم منزله واصلح حاله وحال عياله وابتاع دابة وسلاحا
 وخرج مع قائد كان برسمه وحسن حاله * وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه
 باسناده عن الفضل بن عياض قال حدثني رجل ان رجلا خرج بعزل له فباعه بدرهم
 ليشتري به دقيقا فمر على رجلين كل واحد منهما آخذ برأس أخيه قال ما هذا
 قال يصطخبان في درهم فاعطاهما ذلك الدرهم وليس له شيء غيره فجاء إلى امرأته
 فأخبرها فجمعت له شيئا من البيت فذهب ببيعه فكسد عليه فمر عليه رجل
 ومعه سمكة قد اروجت فقال له ان معك شيء قد كسدومعى شيء قد كسد فهل
 لك أن تبيعني هذا بذلك فبايعه وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت فقامت المرأة
 تصلحها واذا بلؤلؤة في جوفها فقالت له اتعرف قدر اللؤلؤة قال لا ولكن أعرف
 من يعرفه فانطلق بها إلى صديق لي وهو في سوق الجواهر وقال بعها لي قال لك
 بها على اربعون الف وإن شئت فاذهب بها إلى فلان فهو ائمن لك بهامني فذهبت
 بها إليه فقال لك بها ثمانون الفا وإن شئت فاذهب إلى فلان فهو ائمن لك بها
 مني فذهبت إليه فقال لك بها مائة وعشرين الفا ولا أدري احدا يزيدك قال
 فحمل لي اثني عشر بدرة في كل بدرة عشرة آلاف درهم فذهب بها إلى منزله
 ليضعها فيه فاذا رجل في الباب يسأل فقال هذه قصتي التي كنت عليها ادخل
 فدخل فقال له خذ نصف هذا المال فأخذ الرجل الفقير ست بدر ثم تباعد غير
 بعيد ورجع إليه وقال ما أنا بمسكين ولا فقير ولكن ارسلني إليك ربك تعالى
 الذي اعطاك بالدرهم عشرين قيراطا فهذا الذي اعطاك قيراط واحد لك الباقي
 وذكر أبو الحسين القاضي في كتابه قال القرطبي كان في جيران رجل من أهل
 البيوتات وكانت له نعمة فزالت له وساءت حالته وكانت له زوجة واربع بنات
 فحملت زوجته واخذها الطلق في الليل قال فلم يكن لي حيلة شيء في الدنيا فخرجت
 ليلا هاربا على وجهي امشي حتي أتيت جسر النهر وان فاملت أن القى عاملها وكان
 يعرفني فاساله تصريفي في شيء وتعجيل رزقه ببعض الشيء لانفذه إلي زوجتي
 فوصلت إلى الموضع وقد ارتفع النهار فجلست استريح بالقرب من بقال فاذا
 برجل قد جاء ووضع مخلاته وعصاه ثم قال اعطاني كذا وكذا من خبز وادم
 فاعطاه فاكل ووزن له الثمن ثم فتح مخلاته ففضها ويز ما فيها من الكتب فرأيت

فيها خطابا إلي وعليه وضفة منزلي فقلت هذا الى فقال اتدري ما تقول قلت نعم
 قال افتعرف من كتبه قلت لا قال فان فيه سفتجة بمال وبسبب هذا الكتاب
 من دون جميع مامعى استؤجرت وخرجت من الدينور فقلت له قد قلت لك
 الحقيقة وان مضيت الى بغداد لم تجد صاحب الكتاب غيري فقال اما هنا انسان
 يعرفك قلت نعم قال قم بنا اليه فجئنا إلى العامل فلما دخلت عليه قال لي ما قدمك
 يا أبا فلان علينا فقلت له قبل كل شيء من انا اعزك الله واين منزلى ببغداد
 قال أنت أبو فلان بن فلان الفلاني ومنزلك بمدينة السلام مدينة المنصور في
 سكة كذا منها فقلت للرجل عرفت صدقي قال نعم فحدثت العامل بحديثي
 واخذت الكتاب من الرجل وإذا هو من بعض المستورين من الدينور يذكر
 ابن عم كان لي فيها قد توفي بعد أن أوصى اليه انا وارثه واسماني لا ووصف
 مسكني ببغداد وان الثلث من ماله يصرف في وجوه البر وباقي التركة لي وانه باع
 اثاث المنزل وما خاف فسادَه وصرف الثلث منه وبعض ما كان أوصى به وانفذ
 إلى سفتجة بالثلثين من ذلك مبلغها سبعة دنانير وكذا وكذا دينار باجل اربعين
 يوما على تاجر في دار القطن بالكرخ وقال والقصد ان تبادر إلى الدينور لتبيع
 العقار والضياع أو تبيع الثلث منها لتصرفه في مهم وتتمسك بالباقي ان شئت قال
 فورد علي من السرور مالا عهد لي بمثله وحمدت الله تعالى وقلت للرجل قد وجب
 حقك وسأحسن اليك وشرحت له قصتي وأنه لا حبة فضة معي فجاءني الى
 البقال وقال زن لاستاذي بكذا وكذا خبزا وادما وما يريد غيرهما فتغذيت ووزن
 الرجل ثمن ذلك من عنده واستأجر حمارين فاركبنى احدهما وركب هو الآخر
 ووزن الأجرة من عنده وجئنا في بقية يومنا إلى بغداد وقصدنا دار القطن
 وفي النهار بقية صالحة فاوصلت السفتجة إلى التاجر فقال صحيحة اذا حل الأجل
 فاحضر للقبض فقلت له خذ حديثي وافعل بعد ذلك ما يوفقك الله تعالى له ويرى
 في مروءتك وقصصت عليه قصتي فقال بالله الذي لا إله إلا هو أنت صادق فجلفت
 له فاخرج كيسا كان بقربه فوزن منه مال السفتجة واخذ حظي بذلك وصرت
 من وقتي الى السوق فاشتريت عسلا وسكرا وشيرجا وخبزا كثيرا وحملا مشويا

وما يصلح للنساء في النفاس ومهدا وقشوة وعطرا صالحا وشيئا من الثياب وصرت
إلى منزلي وقد قربت عشاء الآخرة فوجدت كل من فيه من النساء يدعوا
على ويلعني فقدمت الجمالين ودخلت منزلي فانقلبت الدار وانقلب الدماء على
فصار دعاء لي وصار الغم سرورا ووجدت زوجتي قد ولدت ابنا وعرفت
الصبيان خبر السفتجة والميراث والرجل واعطيت الزوجة والقابلة من
الدنانير وأتت الرجل عندي اياما حتى أصلحت امرى وامر عيالي
وخلفت لهم نفقة وأعطيت الرجل منها وأجزلت واكثرت منها حمارين لي وله
واستصحبته إلى الدينور فوجدت فيه ما يخصني مما تركه ابن عمي نحو عشرة آلاف
دينار فبعث ذلك كله وأخذت بمحضتي سفاتي إلى بغداد وعدت وقد فرج الله
عز وجل عني وأصلح حالي فانا أعيش في بقية تلك الحال إلى الآن * وذكر
أبو الحسين القاضي قال حدثني أبي عن بعض اخوانه واحسبه أبو يوسف بن
يعقوب بن ثابت قال ألقى بعض الكتاب في أيام الرشيد حتى أفضى إلى بيع دابته
ونقض داره فلم يبق فيها إلا بيت ياوى إليه هو وولده فانقطع عن الناس وانقطعوا
عنه دهرًا وكان الرشيد يولي أعمال اذربيجان وارمينية في كل سنتين او ثلاثا رجلا
فاضلا مرة عين رجلا هاشميا فاضلا فطلب كاتبًا فارها يصطنعه وشاور فيه صديقه
من الكتاب فوصف له هذا الرجل المعتطل ووعد به باحضاره وصار إليه فطرق
الباب عليه فوجده لما دخل إليه على حال من الفقر لا يتهيأ له معها لقاء احد فبعث
إليه من منزله بخلعة من ثيابه ودابة و غلام وبخور و دراهم وركب معه إلى الهاشمي
فلقيه بها فاستجوبه الهاشمي فوجده بارعا في صناعته فاستكتبه وقرر جرائته
وامر له بمال معجل معونة له على سفره وأمره بالقدوم على اذربيجان فعاد الرجل
إلى منزله وأصلح من حاله وخلف نفقة لعياله وشيخا إلى تلك البلد فلما بلغ الوالي
المصرف الخبر رحل عن البلد وأخذ غير الطريق الذي بلغه ان الكاتب سلكه
وخلف كاتبه لرفع الحساب فلما شارف الناحية خرج إليه كاتب المعزول ولقيه وسأله
عن صاحبه فلما أعلمه بشخصه إلى دار السلام انكر ذلك فقال له كاتب المعزول
مل بنا إلى موضع نجاس فيه نتحدث ونرى رأيك فلما نزلوا وطرح لهما ما جلسا
عليه فقال اعزك الله لا تنكر انصراف صاحبي فانه رجل كبير المقدار وخاف من مهانة

تلقاه فشخص الى دارالسلام وقد خلف قبلي مائة الف درهم فاقبض ذلك واكتب
لنا كتابا بازاحة علقته وانفصال ما بيننا وبينك ونحن نصب لك من يرفع الحساب
رفع من لا يغيب ولا يستعصى عليه فقبل كاتب الوالى ذلك وركبا وقد زال الخلاف
بينهما إلى تقبيل تلك الأشياء النفيسة لنفسه ولصاحبه وكتب الكاتب إلى
الرشد بازاحة علقته وانفصال ما بينهم وبينه وخرج الكاتب لاحقا لصاحبه
وخلف من يسلم الحساب فاتصل ظاهر الخبر بالهاشمى الوالى فكتب إلى كاتبه
يشكر عليه فكتب إليه انى قد بلغت من الأمر مبلغا مرضيا إذا وقفت عليه فلما
صار إلى الناحية عرفه ماجرى فحسن موقعه منه وتبرك به وغلب على عقله فكسب
مالا عظيما فلما مضت عليه ثلاث سنين صرف الهاشمى وخلفه الذى كان قبله واليا
وبلغ الهاشمى الخبر فقال لكاتبه ما رأى فقال تفعل به مثل ما فعل بنا وأقيم
انا ومعى مثل ما كان اعطانا فأعطيه اياه وأخذ كتابه بانفصال ما بيننا وبينه والحق
بك ففعل ووافى الكاتب الذى كان مصروفا فتلقاه الكاتب في الموضع الذى كانا
التقياه في مبدأ الأمر فعذلا ونزلا وعرض عليه ما خلفه صاحبه له وسأله قبول
ذلك والكتابة بمثل ما كان كتب له إلى الرشد فامتنع من قبول ذلك وكتب
له بانفصال ما بينهما إلى الرشد كتابا وكيدا وقال أراك رجلا فاضلا فطنا وأرى
صاحبك عاقلا وقبول هذا لا يكون مكافأة له بل يكون كانه يبيع له وشراء
منه ولكن قد تذكرت أمرا أجمع لنا ولكم من هذا قال ما هو قال اعقد بيننا وبين
صاحبك صهرا ونكون اخوة وأصدقاء قال فعل الله بك وصنع فما في الدنيا أكرم
ولاية منك فعقد بينهما الصهرين وسارا إلى مقصدهما ودخل الكاتب بغداد
وقد حصل الهاشمى صاحبه وأخبره الخبر فحمد ربه وامضى عقده في المصاهرة
فصار الكاتب من أرباب الأحوال وعاد إلى أفضل ما كان عليه قبل محنته * وذكر
القاضى أبو الحسين فى كتابه قال حدثتني جدتي أم أبي قالت كان زوجي يعقوب
ابن علي قد نهض إلى مصر وتصرف بها وعمل وتعطل وأقام هناك وأضقنا اضاقة
شديدة وعرضنا بيع ضيعة لنا فلم نجد لها ثمنا وتأخر كتابه عنا وانقطع خبره
حتى توهمنا ان حادثا حدث عليه وكان أولاده صغارا فكنت احتال وانفق عليهم
حتى لم يبق لي في المنزل شيء وحضر وقت عمارة الضيعة فاحتجنا إلى بزر وتفقة

فتمتذر ذلك علينا حتى كدنا ان نتعطل ويفوت وقت الزراعة فأصبحت يوما
وبني من الغم من اجتماع هذه الأحوال أمر عظيم ووجهت إلى بعض من كنت
أثق به وأتوهم اني لو سألتهم اسعافنا بالكثير من ماله ان لا يخالفنا لاقترض منه
شيئا لذلك فرد رسولي واعتذر وعرفني الرسول انه قال إذا بعثت لهم ما طلبوا
والضيعة لم تعمر ولم يحصل لهم غلة وزوجهم لم يعرف له خبر فمن اين تردون على
المال قال فكنت أموت غما وامتنتعت من الطعام يومى وليلتى فأصبحت فما
انتصف النهار حتى ورد على كتاب زوجى بسلامته وذكر السبب في تأخر
كتابه وبسفنجة انقذها طي كتابه بمائتى دينار وذكر ثيابا أنقذها مع آخر من
أهل البصرة مبلغها خمسون دينارا فعمرنا الضيعة وزرعت في تلك السنة وحنست
حالي * وذكر القاضى أبو الحسين فى كتابه أيضا قال روى ان سعيد
ابن العاص قدم الكوفة عاملا لعثمان بن عفان وكان يتعشى عنده من القراء رجل
قد ساءت حاله فقالت له امرأته ويحك قد بلغنا عن أميرنا هذا كرم فاذكر له
حالك فلعله أن ينيلنا شيئا فلم يبق للصبر فينا بقية فقال ويحك لا تخلقى وجهى فقالت
فاذكر له ما نحن فيه على كل حال فلما كان بالعشاء اكل عنده ولما انصرف الناس
ولم يبق الرجل فقال له سعيد اظن جلوسك لحاجة فاذكرها فخبجل الرجل فقال
سعيد لغلماننا تنحوا ثم قال يرحمك الله أنا وأنت فاذكر حاجتك فخبجل فنفع سعيد
المصباح فأطفاه ثم قال رحمك الله لست ترى وجهى فاذكر حاجتك قال أصلح الله
الامير إصابتنا حاجة وأحببت ذكرها لك قال فاذا أصبحت فأنت فلانا وكيلى فلما
أصبح الرجل لقي الوكيل فقال إن الامير قد أمر لك بشيء فهات من يحمله معك فقال
ما عندي من يحمل معى وما أظن الامير الا قد أمر لي بقوصرة تمر وقد ذهب ماء
وجهى ولو كان دراهم أو دنانير لا عطانيها ايديد فلما كان بعد أيام قالت له امرأته
يا هذا قد بلغ بنا الامر الى ما ترى ومهما أعطاك الامير فخذوه نتقوت به أياما
فاذهب والى وكيله فلقية فقال أين أنت لقد اخبرت الامير أن ليس لك من يحمل
ما أمر به لك فأمرني أن أوجه معك من يحمل ذلك قال ثم اخرج إليسه أناس
من السودان على رأس كل واحد منهم بدره دراهم وقال امضوا معه فلما بلغ
لرجل باب منزله فتح بدره وأخرج منها دراهم فدفعها للسودان وقال انصرفوا

قالوا الى أين نحن عبيدك انه ما حمل مملوك لأمير هدية فرجع المملوك الى مالكة
 قال فصلحت حال الرجل واستظهر في امر دنياه * وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه
 عن الاصمعي قال لزممت باب الرشيد وكنت أقيم عليه طول نهاري وأبيت بالليل مع
 الحراس اسامرهم وأتوقع طالع سعدى حتى كدت اموت قراوهزالا وأنا أتصبر
 واتذكر عاقبة الصبر وما وراءه من الفرج وآمل صلاح حالي باتفاق محمود فبينما
 أنا ذات يوم وقد أثر في السهاد خرج بعض الحجاب فقال هل بالباب أحد يحسن
 الشعر فقلت الله اكبر رب مضيق فكه اليسر أنا ذاك الرجل فأخذ بيدي وقال
 ادخل فانه ختم لك بالسعادة ولعلها ليلة تكون فزت فيها بالنبي فقلت بشرك الله
 بالخير ودخلت فواجهت الرشيد في البهو جالسا والخدم وقوا على رأسه وجعفر بن
 يحيى البرمكي الى جانبه فوقف بي الحاجب حتى يسمع تسليمي فسلمت ثم قال
 تنح قريبا لتسكن نفسك ان كنت وجدت للردعة حسنة فقلت في نفسي ان سكنت فهي
 فرصة تقوتني الى آخر الدهر فلا اعتاض عنها الا كمدا حتى يضيق على الضريح فقلت
 بصوت اضاءة كرم أمير المؤمنين وبهاء مجده مدبر ان لمن نظر اليه من آذيه النفس يسألني
 أيده الله فأجيبه أم ابتدى فأصيب فتبسم الى جعفر وقال ما أحسن من استدعى
 الاحسان وأحرى به ان يكون محسنا ثم قال لي اشاعرانت أم راوية للشعر قلت راوية
 قال لمن قلت لكل ذي جد وهزل بيد أن يكون محسنا قال ﴿ أنصف الفارة من
 رامها ﴾ ما معنى هذه الكلمة قلت لها وجهان زعمت التبابعة انه كان لها رماة
 لا يقع سهامها في غير الحدق فكانت تكون في الموكب الذي فيه الملك على الجياد
 البلق فخرج فارس معلم بعذبات سمور وقلنسوة فنادى أين رماة الحدق فقالت
 العرب انصف الفارة من رامها والوجه الآخر المرتفع من الجبل الشاهق فمن
 ضاهاه بفعله فقد راماه وما احسب هذا هو المعنى لأن المراماة كالمعطاء فكما
 أن المعطاء للنديم هو أن يأخذ كاسا كذلك المراماه ترميها وترميه قال اصبت
 ارويت للحجاج شيئا قلت الا كثر قال انشدني قوله ﴿ ارقني طارق هم طارق ﴾
 فمضيت فيها مضى الجواد تهدير اشد اقي فلما بلغت مدحه لبني أمية ثنيت عنان
 اللسان لامداحة للمنصور قال أعن عمد أو عن غير عمد فقلت بل عن عمد قال
 تركت كذبه إلى صدقه بما وصف المنصور من مجده قال جعفر بارك الله عليك

مثلك يؤهل لمثل هذا الموقف ثم التفت إلى الرشيد وقال اروي لعددي بن الرفاع
 قلت الأكثر قال انشدني قوله * بانث سعاد فاخلفت ميعادها * فابتدرت
 بها تهدير اشد اقي فقال لي جعفر يا هذا انشد على مهل لن تنصرف إلا غانماً
 فقال الرشيد هل قطعت على لتشركني في الجائزة قال فطابت نفسي وقلت أفلا
 ألبس اردية البتة على العرب وأنا أري الخليفة والوزير يتشاطران المواهب لي
 فتبسم ومضيت فيها ثم قال اروي لذي الرمة شيئاً قلت الكثير قال انشدني
 قوله * أمن حذر الهجران قلبك يطمح * فقلت هي عروس شعره قال فأية
 لجهة قلت قوله (ما بال عينك منها الماء ينسكب) قال امض فيها فمضيت حتي
 انتهيت إلي وصفه جميلة قال جعفر تغني علينا ما تسع من مسامرة الشين بمجمل
 اجرب فقال الرشيد اسكت فهي التي سلبت تاج ملكك وإن عجبتك عن قرارك
 ثم جعلت جلودها سياطاً تضرب بها أنت وقومك عند الغضب فقال جعفر الحمد
 لله عوفيت من غير ذنب قال الرشيد اخطأت في كلامك لو قلت استعين الله قلت
 صواباً إنما يحمده الله عز وجل ويستعان على الشدائد ثم قال اني لاجد مللاً
 وهذا جعفر ضيف عندنا فسامره في ليلتك فاذا أصبحت فان تابعي يلقاك
 بثلاثين ألف درهم ثم قام وقربت اليه النعل فجعل الخادم يصلح عقب
 النعل في رجله فقال ارفق ويلك احسبك قد عقرتني فقال جعفر قاتل الله
 العجم لو كانت سديده ما احتاج أمير المؤمنين إلى هذه الكلفة فقال هذه نعلي
 ونعل أبائي ولا تدع نفسك والتعرض لما تكره فمضي فقال جعفر لولا أنه
 مجلس أمير المؤمنين ولا يجوز ان امر فيه بمثل ما أمر لك لأمرت لك
 بثلاثين ألف درهم ولكن قد أمرت بتسعة وعشرين ألف درهم فاذا أصبحت
 فاقبضها فما صليت ظهر الغد إلا في منزلي وقد صرف لي المال فأيسرت ولازمتها
 وزال ما كنت فيه من الضر واتي الاقبال * وذكر القاضي أبو الحسين في كتابه
 قال بلغني عن عمرو بن مسعدة انه قال كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد
 الروم حتى إذا نزلت الرقة قال يا عمرو ماترى الرجحي قد احتوى على الاهواز
 وهي سلة الخير وجميع المال قبله وطمع فيها وكتبه متصلة بحملها وهو يتعلل
 ويتربص بي الدوائر فقلت أنا اكفي أمير المؤمنين هذا وأتخذ من يضطره إلى حمل

ما عليه فقال ما يقنعني هذا فقلت فيأمر أمير المؤمنين بأمره فقال فاخرج إليه
 بنفسك حتى تصفده بالحديد فتحمله إلى بغداد وتقبض على جميع ما في يده من
 أموالنا وتنظر في أعمالنا وترتب لها عمالاً فقلت السمع والطاعة فلما كان في غد
 دخلت عليه فقال ما فعلت فيما أمرتك به قلت أنا على ذلك قال أتريد أن تجيء في غد
 مودعاً قلت السمع والطاعة فلما كان في غد جئته مودعاً فقال أريد أن تحلف لي
 أنك لا تقيم ببغداد إلا يوماً واحداً فاضطربت من ذلك إلى أن حضني واستحلفني
 أن لا أقيم فيها أكثر من ثلاثة أيام فخرجت حتى قدمت بغداد فلم أقم بها إلا ثلاثة
 أيام وانحدرت في زلال أريد البصرة وجعل لي في الزلال خيش واستكثرت من
 الثلج لشدة الحر فلما صرت بين جرجاني وحبل سمعت صوتاً من الشاطئ يصيح
 يا ملاح فرفعت سجع الزلال وإذا بشيخ كبير السن جالس حامر الرأس حافي
 القدمين خلق القميص فقلت للغلام أجبه فأجابه فقال يا غلام أنا شيخ كبير السن
 على هذه الصورة التي تري وقد أحرقتني الشمس وكادت تتلفني وأريد حبل فاحملوني
 معكم فإن الله يحسن أجر صاحبكم قال فشتمه الملاح وانتهره فادركتني رقة عليه
 وقلت خذوه معنا فتقدمنا الشط وصحنا به وحملناه فلما صار معنا في الزلال
 وانحدرنا نتقدم فدفعنا إليه قميصاً ومنديلاً وغسل وجهه واستراح وكأنه كان
 ميتاً وعاد إلى الدنيا فحضر وقت الغداء وتقدمت وقلت للغلام هاته يا كل معنا
 خبء وقعد على الطعام فأكل كل أكل أديب نظيف غير أن الجوع أثر فيه فلما رفعت
 المائدة أردت أن يقوم ويغسل يده ناحية كما تفعل العامة في مجالس الخاصة فلم يفعل
 فغسلت يدي وتذمت أن أمر بقمائه فقلت قدموا له الطشت فغسل يده وأردت
 بعدها أن يقوم لنام فلم يفعل فقلت يا شيخ أي شيء صناعتك قال حائك أصلحك
 الله فقلت في نفسي هذه الحياكة علمته سوء الأدب فتناومت عليه ومددت رجلي
 فقال قد سألتني عن صناعتني وأنت أعزك الله ما صناعتك فأكبرت ذلك وقالت
 أنا جنيت على نفسي هذه الجناية ولا بد من احتمالها أترأه إلا حق لا يرى زلالاً
 وغلاماً ونعمتي وإن مثلي لا يقال له هذا فقلت كاتب فقال كاتب كامل أم كاتب
 ناقص فإن الكتاب خمسة فأبهم أنت فورد على من قول الحائك مورداً عظيماً
 وسمعت كلاماً أكرته وكنت متكئاً فجلست ثم قلت فصل الخمسة قال نعم كاتب

خراج يحتاج ان يكون عالما بالشر وط والطسوت والحساب والمساحة والبثوق
والفنون والرتوق وكاتب أحكام يحتاج أن يكون عالما بالحلل والحرام والاحتجاج
والاجماع والأصول والفروع وكاتب معونة يحتاج أن يكون عالما بالتقصاص
والحدود والجراحات والمواثبات والسياسات وكاتب جيش يحتاج أن يكون عالما
بمخيل الرجال وشيات الدواب ومدارة الأوليا وشيئا من العلم بالنسب والحساب
وكاتب رسائل يحتاج أن يكون عالما بالصدور والفصول والاطالة والايجاز وحسن
البلاغة والخط قال فقلت اني كاتب رسائل قال فأسألك عن بعضها قلت قل فقال
لي اصلحك الله لو ان رجلا من اخوانك تزوج أمك فأردت ان تكتبه مهنا فكيف
كنت تكتبه ففكرت في الحال فلم يخطر ببالي شيء فقلت ما أرى للتهنئة وجهها قال
فكيف تكتب إليه تعزيه ففكرت فلم يخطر ببالي شيء فقلت اعفني قال قد فعلت
ولكنك لست بكاتب رسائل قلت أنا كاتب خراج قال لا بأس لو أن أمير المؤمنين
ولاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والانصاف وتقضى حاجة السلطان فيتظلم إليك
بعضهم من مساحيك واحضرتهم للنظر بينهم وبين رعيته خلف المساح بالله العظيم
لقد أنصفوا وما ظلموا وحلفت الرعية بالله انهم لقد جاوروا وظلموا وقالت الرعية
قف معنا على ما مسحوه وانظر من الصادق من الكاذب فخرجت لتقف عليه فوقفوا
على قراح شكله قاتل قنا كيف كنت تمسحه قلت كنت آخذ طوله على انعراجه
وعرضه ثم اضربه في مثله قال ان شكل قاتل قنا ان يكون زاو بتاه محدودتين وفي
تحديده تقويس قلت فأخذ الوسط فاضربه في العرض قال إذا يذئني عليك العمود
فأسكتني فقلت ولست كاتب خراج قال فاذا ما أنت قلت أنا كاتب قاض قال أرأيت لو أن
رجلا توفي وخلف امرأتين حاملتين احدهما حرة والآخرى سرية فولدت السرية
غلاما والحرة جارية فعدت الحرة إلى ولد السرية فأخذته وتركته بدله الجارية فاختصما
في ذلك فكيف الحكم بينهما قلت لا أدري قال فلست بكاتب قاض قلت فانا كاتب
جيش فقال لا بأس أرأيت لو أن رجلين جاء إليك لتحليمهما وكل واحد منهما
إسمه واسم أبيه كاسم الآخر إلا ان أحدهما مشقوق الشفة العليا والآخر مشقوق
الشفة السفلى كيف كنت تحليمهما قال قلت فلان الاعلم وفلان الاعلم قال إن رزقها
مختلفان وكل واحد منهما يحجىء في دعوة الآخر قلت لا أدري قال فلست بكاتب

جيش قلت أنا كاتب معونة قال لا تبالي لو أن رجلين رفعوا اليك قد شج أحدهما
 الآخر شجة موضحة وشج الآخر شجة مأمونة كيف كنت تفصل بينهما قلت
 لا أدري قال لست إذا كاتب معونة اطلب لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا قال
 فصغرت الى نفسي وغازني فقلت قد سئلت عن هذه الأمور ويجوز أن لا يكون
 عندك جوابها كما لم يكن عندي فإن كنت عالما بالجواب فقل فقال نعم ان الذي تزوج
 أمك فتكتب اليه أما بعد فإن الأمور تجري من عند الله بغير محبة عباده ولا
 اختيارهم بل هو تعالى يختار لهم ما أحب وقد بلغني تزويج الوالدة خا الله لك في
 قبضها وأن القبور أكرم الأزواج واستر العيوب والسلام وأما قراح قاتل قنا
 فتسمح العمود حتى إذا صار عدادا في يدك ضربته في مثله ومثل ثلثه فما خرج
 فهو المساحة وأما الجارية والغلام فيوزن لبن الاثنتين فأيهما كان أخف فالجارية له
 وأما الجنديان المتفقا الاسمين فإن كان للشق في الشفة العليا قيل فلان الأعلم وإذا كان
 في الشفة السفلى قلت فلان الأفلاح وأما صاحب الشجتين فلصاحب الموضحة ثلث
 الدية ولصاحب المأمونة نصف الدية فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتنعته
 بأشياء كثيرة غيرها فوجدته ماهرا في جميعها حاذقا بليغا فقلت الست زعمت انك
 حائك فقال أنا أصلحك الله حائك كلام ولست بحائك نساجة وأنشأ يقول شعر

مامر بؤس ولا نعيم الاولي فيهما نصيب
 فذقت حلوا وذقت مرا كذلك عيش الفتى ضروب
 نوائب الدهر ادبتني وإنما يوعظ الاديب

قلت فما الذي بك من سوء الحال قال أنا رجل كاتب دامت عطيتي وكثرت عيلتي
 وتواصلت محنتي وقلت حيلتي نخرجت اطلب تصرفا فقطع على الطريق فصرت كما
 ترى فمشيت على وجهي فلما لاح لي الزلال استغنمت بك قلت فاني قد خرجت الى
 متصرف جليل احتاج فيه الى جماعة مثلك وقد أمرت لك بخلعة حسنة تصلح
 لمثلك وخمسة آلاف درهم تصلح بها امرئك وتنفذ منها الى عيالك وتقوى نفسك بياقيها
 وتصير معي الى عملي فاوليك اجله فقال أحسن الله جزاك اذا تجددني بحيث أسرك
 ولا اقوم مقام معذر اليك إن شاء الله وأمرت بتقبيضه مارسمت له قبضه وانحدر

إلى الاهواز معي فجعلته المناظر لارجحي والمحاسب له بحضرتي والمستخرج لما
عليه فقام بذلك احسن قيام وعظمت حاله معي وعادت نعمته إلي احسن ما كانت
عليه * قال مؤلف هذا الكتاب بلغني لعمر بن مسعدة في زلاله خلاف هذا
حدثني به عبد الله بن الحسن العباسي وهو يذكر أن أهل أمه اقرباء لبني
مازنة الذين كانوا أبناء البصرة وأهل النعم بها قال حدثني أبي قال سمعت شيوخا
يتحدثون أن عمرو بن مسعدة كان مصعبا من واسط إلى بغداد في حر شديد
وهو جالس في زلال فناداه رجل يا صاحب الزلال بنعمة الله عليك إلا نظرت
إلي قال فكشفت سحجف الزلال فاذا شيخ ضعيف حاف حامي فقال له قد ترى
ما أنا فيه ولست أجد من يحماني فابتغ الأجر في وتقدم إلى ملاحيك يطرحوني
بين مجاذيفهم إلي أن ابلغ بلدا يطرحوني فيه قال عمرو وفرحمته وقلت خذوه فاخذوه
فغشي عليه وكاد يموت لما لحته من الشمس والمشى فلما افاق قلت له يا شيخ
ما حالك وقصتك فبكى وقال قصتي طويلة فسليته من بكائه وطرحته عليه قميصا
ومنديلا وأمرت له بدراهم فاستمسك وشكرني وحمد الله جلّت عظمتة فقلت له
لا بد أن تحدثني بقصتك أنا رجل كنت لله على نعمة وكنت صيرفيا فابتعت جارية
بخمسمائة دينار فعشقتها عشقا عظيما فكنت لا افارقها إلا ساعة واحدة فاذا
خرجت إلى الدكان اخذني الجنون والهيمان حتى اعود اليها فاجلس معها بقية
يومي فدام ذلك حتى تعطل دكاني وبطل كسبي واقبلت اتفق رأس ملي حتى لم
يبق منه قليل ولا كثير وأنا مع ذلك الحال لا اطيع أن افارقها بقدر ما اقعدي في
الدكان لأتعيش وحبلت الجارية واقبلت انقض داري وابع انقاضها حتى فرغت
من ذلك ولم يبق لي حيلة وضربها الطلق فقالت لي يا هذا هو ذا أموت فاحتل
فما تبتاع به عسلا ودقيقا وشيرجا وإلا مت فبكيت وحزنت وخرجت على وجهي
وجئت لاغرق في الدجلة فذكرت حلاوة الروح والنفس وخوف العقاب في
الآخرة ثم خرجت على وجهي إلى النهروان وما زلت أمشي من قرية إلى قرية
حتى بلغت خراسان فصادفت من عرفني فتصرف في صناعتي ورزقني الله جلّت
عظمتة فأثريت واتسعت حالي وكتبت ستة وستين كتابا لا عرف خبر منزلي فلم
يعد إلي الجواب فلم اشك أن الجارية قد ماتت فقطعت المكاتبه وتراخت

السنون حتى حصل معي ما قيمته عشرون ألف دينار فقلت قد صارت لي نعمة
فلو رجعت إلى وطني فابتعت بالمال كله متاعاً من خراسان وأقبلت أريد العراق
من طريق فارس والاهواز فلما حصلت بينهما خرج على القافلة اللصوص فاخذوا
جميع ما فيها ونجوت بتيابي وعدت فقيرا كما خرجت من بغداد فدخلت الاهواز
وبقيت فيها متحيراً حتى كسفت خبري لبعض أهلها ممن لا عرفه فاعطاني ما تحملت به إلى
واسط ونفدت نفقتي فمشيت إلى هذا الموضع وقد كدت أتلّف فاستغثت بك
ولي منذ فارقت بغداد ثمانية وعشرون سنة فعجبت من محنته ورفقت به وقلت
له إذا صرنا إلى بغداد وعرفت خبر أهلك فصر إلىّ فاني أمر بتصريفك فيما يصلح
لمثلك مما تعيش به فشكر ودعا ودخلت بغداد ومضت على ذلك مدة نسيت فيها
فيدينا أنا يوماً قد ركبت أريد دار المأمون فاذا بالشيخ على بابي راكباً بغلاً فارها
بمركب محلي ثقيل وغلّامين أسودين بين يديه كأنهما مماليكه وثياب حسنة فلما رأيته
رحبت به وقلت له ما الخبر فقال طويل فقلت عد إليّ فلما كان من الغد جاءني
فقلت له عرفني خبرك فقد سررت بحسن ظاهر حالك فقال اني لما صعدت من
زلالك قصدت داري فوجدت حائطها الذي يلي الطريق كما خلفت غير ان باب
الدهليز مجلو نظيف وعليه دكتان وبغال مع شاكريّة فقلت إنا لله ماتت جاريتي
ويملك الدار بعض الجيران فباعها لرجل من أصحاب السلطان فقدمت على رجل
يقال كنت أعرّفه في المحلة فاذا في دكانه غلام حدث فقلت من تكون من فلان
البحال فقال ابنه فقلت ومتى مات أبوك قال منذ عشرين سنة قلت هذه الدار
لمن قال لابن داية أمير المؤمنين وهو الآن جهيذة وصاحب بيت ماله فقلت بمن
يعرف قال بابن فلان الصيرفي فسماني فقلت هذه الدار من باعها عليه قال هذه دار
أبيه فقلت وهل يعيش أبوه قال لا قلت افتعرف عن حديثهم شيئاً قال نعم حدثت
ان هذا الرجل كان صيرفياً جليلاً وافترق وان ام هذا الفتى ضربها الطلق فخرج أبوه
يطلب لها شيئاً ففقد وهلك فقال أبي خجاءني رسول أم هذا الغلام تستغيث بي
فقلت لها بحوائج الولادة ودفعت لها عشرة دراهم فما انفقها حتى قيل قد ولد
لأمير المؤمنين الرشيد مولود وقد عرض عليه جميع المراضع فلم يقبل ثديهن
وقد طلب له الحراير فجأوه بغير واحدة فما أخذ ثدي واحدة منهم وهم في طلب

مرضع فأرشدت الذي طلب الداية إلى أم هذا فحملت إلى دار الرشيد وحين وضع
فم الصبي على ثديها قبله فأرضعته وكان الصبي هو المأمون وصارت عندهم في حالة
جليلة ووصل اليها منهم خير عظيم ثم خرج المأمون إلى خراسان فخرجت هذه
لمرأة وابنها هذا معهم ولم يعرف أخبارهم إلا منذ قريب لما عاد المأمون وعادت
حاشيته وقد رأينا هذا قد جاء رجلا وأنا لم اكن رأيت قط وقد كان أبي قدماء
فقالوا هذا ابن فلان الصيرفي وابن مرضعة الخليفة فبنى هذه الدار وسواها فقلت
له افعندك علم من أمه أم هي حية أم ميتة فقال هي حية تمضي إلى دار الخليفة اياما
وتكون عند ابنها اياما وهي الآن هنا فخدمت الله على هذه الحالة وجئت حتي
دخلت الدار مع الناس فرأيت الصحن في نهاية العماره والحسن وفيه مجالس كثيرة
مفروشة بفرش ظاهرة وفي صدره رجل شاب بين يديه كتاب وجهابذة وحساب
يستوفيه عليهم وفي صفوف الدار ومجالسها جهابذة بين أيديهم الأموال والتخوت
والشواهدن يقبضون ويقبضون وبصرت بالفتى فرأيت شبهي فيه فعلمت انه ابني
فجلست في غمار الناس إلى ان لم يبق في المجلس غيري فاقبل إلى فقال يا شيخ هل من
حاجة تقولها ولكنها لا يجوز أن يسمعها غيرك ثم أوما إلى غلمان كانوا قياما حوله
فانصرفوا فقال قل أعزك الله قلت أنا أبوك فلما سمع ذلك تغير وجهه ولم يكلمني
بحرف ووثب مسرعا وتركني في مكاني فلم أشعر إلا بخادم قد جاءني وقال قم ياسيدي
فقمتم معه حتى بلغت ستارة منصوبة في دار لطيفة وكرسی بين يديه والفتى خارج
الستارة على كرسی آخر فقال اجلس أيها الشيخ فجلست على الكرسی ودخل الخادم
فاذا بمحركة خلف الستارة فقلت أظنك تريد أن تختبر صدق قولي من جهة فلانة
وذكرت اسم جاريتي أمه فاذا أنا بالستارة قد هتكت والجارية قد خرجت إلى
وجعلت تقبلني وتبكي وتقول مولاي والله قال فرأيت الفتى قد بهت وتحير فقلت
للجارية ويحك ما خبرك فقال دع خبري ففي مشاهدتك لما تفضل الله جلست عظمتي
على كفاية عن ان أخبرك فقل ما كان خبرك انت قل فقصصت عليها خبري منذ
خروجي من عندها إلى يومى ذلك وقصيت ما كان قصه على ابن البقال وشرحت
ذلك كله بمحضرة الفتى ومستمع منه فلما استوفى الحديث خرج وتركني في مكاني
فاذا بخادم قال يا مولاي يسألك ابنك ان تخرج اليه قال فخرجت فقال لي معذرة الى

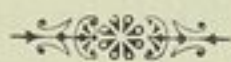
الله واليك يا ابت من تقصيري في حقك فانه جاء امر لم يظن مثله يكون فالآن
هذه النعمة لك وانا ولدك وأمير المؤمنين يجتهد بي منذ دهر ان اترك الجهبذة
واتوفر على خدمته فما فعلت تمسكا بصنعتي والآن فاني اسأله ان يرد عملي اليك
واخدمه أنا غيرها عاجلا واصالح أمرك فاخذت إلي الحمام وتطيبت وجاءني بخلمة
لبستها وخرجت إلى حجرة والدته فجلست فيها ثم انه ادخلني على أمير المؤمنين
وحدثه حديثي ثم انه امر لي بخلع وهي هذه ورد إلى العمل الذي كان لابني
واجري لي في كل شهر من الرزق كذا وكذا وقلد ابني اعمالا هي اجل من
عمله واضعف لي ارزاقه فجئت لاشكرك على ما عاملتني به من الجميل واعرفك
بتجدد النعمة قال عمرو فلما اسماني التي عرفته وعلمت انه ابن داية أمير المؤمنين
كما قال * وحدثني محمد بن عبد الله بن الحسين السقطي قال حدثني محمد بن زكريا
الأنصاري قال غلست يوما إلى المربد أريد مسجد الزيادتين بشارع المربد لوعده
كان عليّ فيه وكانت الريح قوية وبين يدي باذرع رجل يمشي فلما بلغنا دار
رياح قلعت الرياح سترا آجر وجصا على رأس حائط فرمت بها عليه فلم أشكك
في اتلافه وارتفعت غبرة عظيمة أفزعتنى فرجعت فلما سكنت عدت
اسلك الطريق ولم أر الرجل فعجبت وتمت طريقي حتى دخلت مسجد
الزيادتين فرأيت أهل المسجد مجتمعين فحدثتهم بما رأيت في طريقي متوجعا للرجل
وشاكر الله تعالى سلامتي فقال رجل منهم يا أبا الخطاب أنا الذي وقعت على السترة
وذاك اني قصدت هذا المسجد لما وعدت فلما سقطت السترة ولم احس لها بضرر
لحقني ووجدت نفسي سالما قائما فحمدت الله تعالى وتحيّرت ووقفت حتى انجلت
الغبرة فتأملت الصورة فاذا في السترة باب كبير وقد اتفق ان وقع راسي وسائر
جسدي في موضع الباب فخرجت منه وسقط باقي السترة حوالى فلم يضرني شيء
فتخطيت على المهندم وسبقتك إلى هاهنا * وحدثني أن الفتح بن خاقان اجتاز
على بعض القناطر وهو متصيد وقد انقطع عن عسكره وانخسفت القنطرة من تحته
فغرق فرآه اكار وهو لا يعرفه فطرح نفسه عليه وخلصه وقد كاد ان يتلف
ولحقه اصحابه فامر للاكار بمال عظيم وتصدق بمثله فدخل عليه البحرى فانشده
قصيدته التي اولها (متى لاح برق او بدا طلل قفر) إلى ان قال

لقد كان يوم النهروان عظيمة اطلت ونعما جرى بهما الدهر
اجزت عليه عابرا فتشاءبت اواديه لما ان طغى فوقه البحر
وزالت واخرى الجسر وانهدمت به قواعده الظلماء وما ظلم الجسر
فما كان ذاك الهول إلا عناية بداطالعامن تحمت ظلمتها البدر
فان ننس نعمى الله فيك حفظنا اضعنوا وان لشكر فقد وجب الشكر

فقال له الفتح الناس يهنونا بنثر وانت بنظم واجزل صلته * وحدثني أبي بكر محمد بن عبد الله الرازي المعروف بابن حمدون عن الحسن بن محمد الانباري الكاتب قال كان لي ايام مقامي بارجان رجل تاجر يعرف بجعفر بن محمد فكانت آنس به يحدثني قال كنت احج دائما وانزل بالكوفة على رجل حسيني فقير مستور فالطفه وافتقده فتاخرت عن الحج سنة ثم عدت فوجدته مثيرا فسألته عن سبب غناه فقال كان قد اجتمعت معي دريهمات على وجه الدهر ففكرت عام أول في ان اتزوج فاني كنت عزباً كما علمت ثم قلت ان فرض الحج قد تعين على فرايت ان اقدم اداء الفروض واتوكل على الله تعالى ان سهل لي بعد ذلك ما اتزوج به فلما حبيبت طفت طواف الدخول فاودعت رحلي وما كان معي بيتا من خان وقفلت بابه وخرجت الى منا فلما عدت وجدت الباب مفتوحا فارغا فتحيرت ونزلت بي شدة ما رايت مثلها قط فقلت هذا امر عظيم لثوابي فما وجه الغم واستسأمت لأمر الله تعالى وجلست في البيت لاحيلة لي ولا تطيب نفسي بالمسألة فاتصل بمقامي ثلاثة أيام ما طعمت فيها شيئا فلما كان في اليوم الرابع بدا بي الضعف سحرا وخفت على نفسي وذكر قول جدي رسول الله ﷺ ماء زمزم لما شرب له فيخرج حتى شربت منها ورجعت لا يريد الباب باب ابراهيم لاستريح فيه وكان في الطريق بقية من سدفة فعثرت في الطريق بشيء اوجع اصبعي فانكبت عليه لأمسكه فوقعت يدي على هميان ادم أحمر كبير فاخذته فلما حصل في يدي ندمت وعلمت ان اللقطة حرام وقلت ان تركته الآن كنت المضيع له وقد لزماني ان اعرفه ولعل صاحبه إذا رجع اليه ان يهب لي شيئا اقتاته حلالا فجئت إلى بيتي وحلته في المصباح فاذا هو دنانير صفر تزيد على الف دينار فشددته ورجعت إلى المسجد وجلست على الحجر وناديت من ضاع

منه شيء فليأتني بعلامته ويأخذه فانقضى يومى انادى ما جاءني احد وأنا على
حالى فى الجوع وبت فى بيتي ليلتي كذلك وغدوت إلى الصفا والمروة فعرفته
عندهما يومى حتى كاد ينقضى فلم يأتني أحد فضعفت ضعفا شديدا فخشيت على
نفسى فرجعت متحاملا مقبلا حتى جلست على باب ابراهيم فقلت قبل انصراف
الناس قد ضعفت عن الصباح وأنا ماض اجلس على باب ابراهيم فمن رأيتموه
يطلب شيئا قد ضاع منه فارشدوه الى فلما قربت المغرب وأنا فى الموضع اذا
بخراسانى مجتاز ينشد ضالة فصحت به وقلت له صف ماضاع منك فاعطانى صفة
الهميان بعينه وذكر وزن الدنانير وعدتها فقلت ان أرشدتك إلى من يعطيك
إياه تعطينى مائة دينار قال لا قلت فخمسين قال لا فلم أزل انازل إلى أن بلغت
إلى دينار واحد فقال لا ان اراد من هو عنده ايمانا واحتسابا وإلا فهو الضر
وولي لينصرف فورد على أعظم وارد وهممت بالسكوت ثم خفت الله
تعالى واشفقت ان يفوتنى الخراسانى فصحت به ارجع فرجع فاخرجت
الهميان فدفعته اليه فمضى فجلست ومالى قوة على المشى إلى بيتي فما غاب عني
حينما حتى عاد فقال لى من أى البلاد أنت ومن أى الناس أنت فاغتظت منه غيظا
عظيما فقلت وما عليك هل بقى لك عندى شيء قال لا ولكنى أسألك بالله
العظيم من أى الناس والبلاد أنت تعرفنى ولا تضجر فقلت من أهل
الكوفة فقال ومن أيهم أنت واختصر قلت رجل من ولد الحسين بن على بن
أبي طالب عليهما السلام فقال ما حالك ومالك فقلت ما أملك من الدنيا شيئا
إلا ما تراه على وقصصت عليه قصتي وما كنت طمعت فيه من صلاحها بما تعطينيه
من الهميان وما انتهيت اليه من الضعف وشدة الجوع فقال اريد أن تعرفنى صحة
نسبك وحالك حتى أقوم بأمرك كله قلت ما قدر على المشى لشدة الضعف ولكن
اعرض الطواف وصح بالكوفيين وقل رجل من بلدكم علوى بباب ابراهيم
يريد الجيئة بينكم من ينشط لخال هو فيها فمن جاء معك فهاته فغاب غير بعيد
وجاء ومعه من الكوفيين جماعة اتفق انهم كلهم يعرفون باطن حالى فقالوا ما تريد
أيها الشريف فقلت هذا رجل يريد أن يعرف حالى ونسبى لشيء بينه وبينى
فعرفوه ما تعرفونه من صحة نسبي فوصفوا له طريقتى وعزى فمضى وجاء وأخرج

الهميان بعينه كما كنت سلمته له فقال يا هذا خذ هذا بأسره لك بارك الله لك فيه
 فقلت يا هذا ما يكفيك ما علمتني به حتي تستهزيء بي وأنا في حال الموت فقال معاذ
 الله هو والله لك فقلت فلم يخلت علي دينار منه ثم وهبت الجميع لي فقال ليس
 الهميان لي فكان يجوز لي أن أعطيك منه شيئاً قل أم كثر وإنما اعطانيه رجل
 من بلدي وسألني ان اطلب بالعراق أو بالحجاز رجلاً علويًا حسينيًا فقيرا مستورا
 فاذا علمت هذا من حاله أغنيته بأن اسلم اليه هذا الهميان كله ليصير أصلاً لنعمة
 تنعقد له فلم تجتمع لي هذه الصفة في أحد فلما اجتمعت فيك لما شاهدته من
 الأمانة والفقر والعفة والصبر وصح عندي نسبك أعطيتك اياه فقلت إن كنت
 تحب استكمال الأجر فخذ منه دينارا وابتع لي دراهم واشتر لي منها ما آكله وصر به
 الساعة إلي هاهنا فقال لي اليك حاجة فقلت قل فقال أنا رجل موسر والذي
 أعطيتك ليس لي فيه شيء كما عرفتك وأنا أسألك أن تقوم معي الي رحلي فتكون في
 ضيافتي الي الكوفة وتتوفر دنائيرك عليك فقلت ما بي حركة فاحتل في حملي كيف
 شئت فغاب وجاء بمركوب فاركبني الي رحله واطعمني في الحال ما كان عنده وقطع
 لي من الغد ثيابا وكان يخدمني بنفسه وعادلني في عماريته الي الكوفة فلما بلغنا اعطاني
 من عنده دنائير أخرى وقال لي ضفها علي ما عندك قال وفارقتة وأنا ادعوا اليه واشكره
 ولم امس الهميان بل أتفق من الدناير التي أعطانيها الرجل باقتصاد الي ان اتفقت
 لي ضيعة رخيصة فابتعتها بما في الهميان فأغلت واثمرت وأنا بعافية



الباب الثامن

﴿ من أشفى علي أن يقتل * فكان الخلاص اليه أعجل ﴾

وجدت في كتاب أبي الفرج الخزومي الحنظلي ان ابراهيم ابن المهدي لما طال
 استتاره عن المأمون ضاق صدره فخرج ليلة من موضع كان مستخفياً فيه يريد
 موضعاً آخر في زى امرأة وكان عطرا فعرض لحارس فلما شم رائحة الطيب ارتاب

به فكلمه فلما علم انه رجل ضببطته فقال خذ خاتمي فثمنه ثلاثون الف دينار وخلصني
 فابي وتعلق به فحملة الى صاحب الشرطة فأتني به المأمون فلما دخل عليه بالحالة التي
 هو عليها جلس المأمون مجلساً عاماً وقام خطيب بحضرته يخاطب بفضله ومارزقه
 الله جلّت عظمته من الظفر بإبراهيم ولما دخل إبراهيم بين يديه سلم عليه بالخلافة
 فرد عليه السلام فقال إبراهيم يا أمير المؤمنين إن ولي النار محكم في القصاص والعفو
 أقرب للتقوى ومن تناولته يد الاقدار بما مدله من اسباب الرجاء ما يأمن معه طائفة
 الدهر وقد جعل الله عفوك فوق كل ذى عفوك كما جعل كل ذى ذنب دوني ذن توأخذ
 بحبقتك وان تعفو فبفضلك ثم قال

ذنبى اليك عظيم وانت أعظم منه
 فيخذ بحبقتك أولاً فاصفح بحلمك عنه
 ان لم أكن فى فعلى من الكرام فكنه

وقال

أتيت ذنباً عظيماً وأنت للعفو أهل
 فان عفوت فمنى وإن جزيت فعدل

فرق له المأمون وأقبل على أخيه أبي إسحاق وإبنة العباس والقواد وقال ماترون
 في أمره فقال بعضهم يضرب عنقه وبعضهم قال يقصص لحمه الى أن يتلف وبعضهم
 قال تقطع اطرافه ويترك إلى أن يموت فكل اشار بقتله وإنما اختلفوا في الصفة
 فقال المأمون لآحمد بن أبي خالد ما تقول أنت يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين إن قتلته
 وجدنا مثلك قد قتل مثله كثيراً وإن عفوت لم نجد مثلك عفى عن مثله فأيما أحب
 اليك أن تفعل فعلاً تجد لك فيه شريك أو تنفرد بالفضل فاطرق المأمون ما يأم ثم رفع
 رأسه فقال اعد ما قلت يا أحمد فاعاد فقال بل منفرد بالفضل ولا رأى لنا في الشركة
 فكشف إبراهيم المقنعة عن رأسه وكبر تكبيرة عالية وقال قد عفى والله أمير المؤمنين
 بصوت كاد الايوان يتزعزع وكان إبراهيم طويلاً آدم جعد الشعر جدير الصوت فقال
 له المأمون لا بأس عليك يا عم وأمر بحبس في دار أحمد بن أبي خالد فلما كان بعد شهر
 حضره المأمون فقال اعتذر من ذنبك فقال يا أمير المؤمنين ذنبي أجل من ان

اتفوه فيه بعذر وعفوا أمير المؤمنين أعظم من ان انطق بشكر ولكني أقول
تفديك نفسي ان تضيق بصالح والعفو منك بفضل خلق واسع
ان الذي خلق المكارم حازها في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله عفو ولم أشفع إليك بشافع
ورحمت أطفالا كافرأخ القطا وحنين والدة بقلب جازع
فقال المأمون لا تثريب عليك يا عمه قد عفوت عنك فاستأنف الطاعة وردماله
وضياعه فقال إبراهيم يشكره

رددت مالي ولم تبخل عليَّ به وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
أمنت منك وقد خولتني نعمًا نعم الحياتان من موت ومن عدمي
فلو بذلت دمي ابغى رضاك به والمال حتى اسل النعل عن قدمي
ما كان ذاك سوي طارية رجعت اليك لو لم تعرها كنت لم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم
فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وأمر له بالخلع ومال قيل
انه الف الف درهم وقال له ان أبا اسحاق وولدي اشارا بقتلك فقال ابراهيم فها
قلت لها يا أمير المؤمنين قل قلت لها ان قرابته قوية ورحمه ماسه وقد ابتدأناه
بأمر فينبغي أن نستتمه فان نكث بالله مغير مابه قال ابراهيم لقد نصحنالك
ولكن أبيت الا ما انت اهلك ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المأمون قد
مات حقدي بحياة عذرک وقد عفوت عنك واعظم من عفوي عنك اني لم
اجرعك مرارة امتنان الشافعين * ووجدت في بعض الكتب انه لما حصل
ابراهيم بن المهدي في قبضة المأمون لم يشكك هو وغيره انه مقتول فاطال حبسه
في مطمورة بأسوأ حال واقبحها قال ابراهيم فأيست من نفسي ووطنها على القتل
وتعزيت عن الحياة حتى صرت أتمنى القتل للراحة من العذاب وما أوامله في
الآخرة من حصول الثواب فبينما أنا كذلك إذ دخل عليَّ احمد بن أبي خالد مبادرا
فقال اعهد فقد أمرني أمير المؤمنين بضرب عنقك فقلت اعطني دواتا وقرطاسا
فكتبت وصية ذكرت فيها كلما احتجت اليه واسندتها إلى المأمون ونهضت

فتطوعت ركعات ومضى أحمد وفرغت من الصلاة وجلست اتوقع القتل فعاد إلى أحمد بعد ساعتين وقال أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول أنا أحمد الله جلت عظمته الذي وفقني لصلاة رحمك والصلح وقد أمنك ورد عليك نعمتك وجميع ضياعك ومملكك فانصرف إلى دارك قال فبدأت ادعى للمأمون فغلبنى البكاء والانتحاب وهو يطالبني بالجواب وأنا غير متمكن منه فقال لي أحمد لقد رأيت منك عجباً أخبرك اني امرت بضرب رقبتك فلم تجزع ولم تبك ثم أخبرتك بتفضل أمير المؤمنين عليك وصفحه عنك فلم تتمالك من البكاء فقلت له اما السكوت عن الخبر الأول فلا في لم اتوهم منذ ظفر بي ان اسلم من القتل فلما ورد عليّ ما لم اشك فيه لم اجزع ولم ابك واما بكائي عند الخبر الثاني فوالله شأنه ما هو لسرور بالحياة ولا لرجوع النعمة ولا بكائي إلا لما كان مني في قطيعة رحم من بعد استحقاق منه للقتل يخواني مثل هذا الصلح الذي لم يسمع به في جاهلية ولا اسلام فقد استحق أمير المؤمنين الثواب من الله تعالى في صلة رحمه واظهاره احسانه عند اساءتي وحلمه عند جهلي وفضله عند نقضي وجوابي هو ما شهدت وسمعت فرجع إلى المأمون واخبره ثم عاد إلى بالمال والخلع ومركوب فانصرفت به إلى داري ونعمتي * وقال علي بن هشام بن قباط الكاتب ببغداد باسناد ذكره يحدث عن أحمد بن يوسف الكاتب قال كنت اشرب مع المأمون وانا دمه وانا اتقلب له في ديوان المشرق وديوان الرسائل قبل وزارتي له وكان كثيراً ما انادمه على الانفراد وربما يجمع بيني وبين البريدي فلما رضى عن ابراهيم بن المهدي ونادمه صار لا يكاد يشرب مع غيره وغيري ويقتصر على استماع الغناء من وراء الستائر وربما حضر اسحاق بن ابراهيم الموصلي فنحن ذات يوم على شرب ومعنا اسحاق إذ غنى ابراهيم بن المهدي فقال

صونوا جيادكم واجلووا سلاحكم وشمروا انها أيام من غلبا

فاستعاده المأمون مرارا وبأن لي في وجهه الغيظ والغضب والهلم وزوال الطرب ولم يظن ابراهيم وترك المأمون القدح الذي كان في يده ونهض فظنناه يريد الضوء ثم عاد فما شعرنا إلا وقد استدعانا إلى مجلس آخر فاذا هو جالس على سرير الخلافة بقلنسوة وثياب الهيبة وبين يديه اسحاق بن ابراهيم المصعبي

وجلة القواد فاستدعى ابراهيم بزيه فحضر باخس صورة واقبحها وعليه ثياب
 المنادمة يفضحه بذلك فلما وقف بين يديه قال يا ابراهيم ما حملك على الخروج على
 والخطبة لنفسك بالخلافة قال احمد بن يوسف وقد كنت لما ابطأ المأمون عن
 مجلس الشرب عرفت الصورة فلما استدعاني جئت وقد لبست ثياب العمل ومحيت
 ثياب المنادمة فلما سئل ابراهيم ذلك بمثل ذلك المجلس علمت أن الصوت قد
 ذكره فاقبل عليه ابراهيم بوجه ضيق وقاب ثابت فقال يا أمير المؤمنين لست
 اخلو من ان اكون عندك عاقلا أو جاهلا فان كنت جاهلا فقد سقط عني اللوم
 من الله تعالى ثم منك وإن كنت عاقلا فيحسن ان تعلم اني قد علمت ان عمدا أخاك
 مع امواله وذخائره وأموال والدته وكثرة ضياعها وصنائعها والاعمال التي كانت
 في يده وارتفاعها ومحبة بنى هاشم له لم يثبت لك وهو خليفة وأنت أمير من
 امرائه فكيف اثبت انا لك وأنا في قوم أكثر رزق الرجل ثلاثون درهما في
 الشهر وقد غلبني على بغداد بن أبي خالد العباد وأصحابه يقطعون ويضربون
 ويحبسون ويطلقون ووالله جل شأنه وحق رسول الله وحق جدي العباس
 ما دخلت فيما دخلت فيه إلا لابقى هذا الأمر عليك وعلى أهل بيتك لما رأيت
 الحسن بن سهل قد حمل البطر والرفض على ان اخرج الخلافة عنك فاردت ضبط
 الأمر إلى أن تقدم فتستلمه قال فرأيت المأمون وقد اصفر وجهه فقال على بيناء
 الخادم فاحضر فقال رقعة سلمتها اليك بمرو قبل رحيلي عنها وأمرتك بحفظها
 فهاها فمضى وجاء بسفط ففتحه واخرج منه الرقعة فاذا مكتوب بخط المأمون
 لئن اظفرني الله عز وجل بابراهيم بن المهدي لأسألنه بحضرة الأولياء والخاصة
 من أهل بيتي واجنادي عن السبب الذي دعاه إلى الخروج على فان ذكر انه انما
 أراد بذلك حفظ الأمر على أهل بيتي لما جرى في أمر علي بن موسى لأخلى سبيله
 ولأحسن اليه ولئن ذكر غير ذلك من العذر كائنا ما كان لأضرب عنقه قال
 أحمد بن يوسف ولم يكن بحضرته كاتب غيري فدفعها إلى وقال يا أحمد
 ادفعها اليه ثم قال يا عم خذ براءتك من أحمد وعد إلى مجلسك الذي
 خلفتك فيه قال فسلمنا الرقعة اليه وعدنا إلى مجلسنا وموضعنا فطرح ابراهيم
 نفسه مغشياً عليه فما شعرنا إلا بالمأمون قد رجع بثياب بذلته فقمنا وجلس

مجلسنا وقال ارجعوا إلى ما كنا فيه واتمنا يومنا ذلك * وجدت في بعض
 الكتب ان كسري ابرويز ركب يوما فرسه الشبندير فتلكا عليه فجذب عنانه
 فانقطع فاحضر صاحب السروج وقال يكون عنان مثلي ضعيفاً ينقطع اضربوا
 عنقه فقال أيها الملك اسمع وانصف قال قل قال مابقاء جلدة تنازعها ملكان ملك
 الناس وملك الدواب قال زه زه اطلقوا عنه واعطوه اثني عشر الف درهم وعفا
 عنه * وذكر محمد بن عبدوس في كتابه قال لما صار الرشيد إلى طوس واشتدت
 علته اتصل خبره بالامين فوجه بيكر بن المعتمر ودفع اليه كتاباً إلى الربيع بن
 الفضل واسماعيل بن صبيح وغيرهما يأمرهم بالقول إلى بغداد ان حدثت الحادثة
 بالرشيد والاحتياط على ما في الخزائن وحمله وقد كان الرشيد جدد الشهادة للمأمون
 بجميع ما في عسكره من مال وأثاث وخزن وكراع وغير ذلك فلما ورد بكر بن
 المعتمر اوصل كتباً ظاهرة كانت معه بعبادة الرشيد وكانت الكتب الباطنة مخفاة
 فاتصل خبرها بالرشيد فاحضره وطالبه بالكتب الباطنة فجحدها قال فذكر عبيد
 الله بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبي قال كنت مع الرشيد بطوس لما ثقلت
 علته وقد ورد بكر بن المعتمر والمأمون حينئذ بمرو وقد ظفر الرشيد بأخي
 رافع بن الليث فاحضر ذلك اليوم ومعه قرابة له نخلع الرشيد على بكر وصرفه
 إلى منزله ثم أمر باحضاره ومطالبته بالكتب فجحدها فأمر بحبسه ثم جلس
 الرشيد مجلساً عاماً في مضرب خز اسود استدارته اربعمئة زراع قبايه من شاة
 بخز اسود وهو جالس في فارة خز اسود في وسط المضرب والعمد كلها سود
 وقد جعل مكان الحديد فضة والاوئاد والحبال كلها سود وعليه جبة خز سوداء
 وعليه فتك قد استشعره لما هو فيه من شدة البرد والعلّة وفوقها دراعة خز
 اسود مبطنّة بفتك وقلنسوة طويلة وعمامة خز سوداء وهو عليل لما به وخلف
 الرشيد خادم يمسكه لئلا يميل بيدنه والفضل بن الربيع جالس بين يديه فقال
 للفضل مر بكرة باحضار ما معه من الكتب السرية فانكرها وقال ما كان معي إلا
 الكتب التي أوصلتها فقال للفضل توعدده واعلمه ان لم يفعل قتلته فاقام ينكر وقال
 ما كان معي إلا الكتب التي أوصلتها فقال الرشيد بصوت قنبوه فنحى بكر وجيء
 بالقنب وقنب من قرنه إلى قدمه قال بكر فأيقنت بالقتل ويئست من نفسي وعملت

على الاقرار فانا على ذلك حتى أحضر هارون اخي رافع وقرابته الذين كانوا معه
وقال ايتوهم رافع انه يغلبني والله لو كان معه عدد نجوم السماء لالتقطهم واحدا
بعد واحد حتى اقلتهم عن آخرهم فقال الرجل الله الله يا أمير المؤمنين فان الله
تعالى يعلم وأهل خراسان اني برىء من أخى منذ عشرين سنة ملازم مسجدي
فاتق الله تعالي فيّ وفي هذا الرجل فقال له قطع الله لسانك فسكت فقال أخى
الثالث انت والله منذ كذا وكذا تدعو الله تعالي بالشهادة فلما رزقتها على يدي
أمر خلقه اخذت في الاعتذار فاغتاز الرشيد وقال على مجزارين فقال له قرابتي
يا هارون افعل ماشئت فانا نرجو أن نكون نحن وأنت بين يدي الله تعالي في
اقرب مدة فتعلم كيف يكون حالك فصاح وأمر الجزارين بهما فقطعا عضوا
عضوا فوالله ما فرغ منهما حتى توفي الرشيد فقال بكر وانا أتوقع القتل بعدهما
حتى اتاني غلام لأبي العتاهية قد بعث به مولاه وكتب في راحته شيئاً
ارانيه فاذا هو

هي الأيام والعبر وأمر الله ينتظر
اتياس ان ترى فرجاً فإن الله والقدر

فوثقت بالله وقويت نفسي ثم سمعت واعية لا افهم معناها فاذا الفضل بن
الربيع قد اقبل إلى فقال حلوا أبا حامد فقلت ليس هذا يكفيني خللت ودعا لي
بخلع فجعلت على ثم قال اعظم الله اجرک في أمير المؤمنين واخذ بيدي وادخلني
بيتاً فاذا الرشيد مسجى فيه وكشف عن وجهه فلما رأيته ميتاً سكنت فقال هيه
هات الكتب الباطنة التي معك وكنت اتخذت صندوقاً للمطبخ قد ثقت قوائم
وجعلت الكتب فيها وجعلت الجلد فوقها فشق الجلد وكسرت القوائم وسلمت
الكتب إلى أصحابها واخذت الأجوبة وانصرفت قال مؤلف هذا الكتاب وقد
اتي أبو الحسين القاضي في كتابه بهذين البيتين لأبي العتاهية ولم يذكر القصة
وزاد بين البيت الأول والبيت الثاني بيتاً وهو هذا

فلا تجزع وان عظم البلاء ومسك الضر

حدثني ابراهيم بن علي النصيبي المتكلم ذل جماعة من أهل نصيبين انه كان بها
أخوين ورتاعن ابيهما مالا جليلاً فاقتسماه فاسرع احدهما في اتفاق حصته فلم يبق

له شيء حتى احتاج إلى ما في ايدي الناس وثمر الآخر حصته فزادت وعرض له
سفر في تجارته فجاءه أخوه الفقير فقال يا أخي انك تحتاج الي أن تستأجر
غلاما في سفرك وانا احتاج ان أخدم الناس فاجعلني بدل غلام تستأجره
فيكون ذلك أصون لي ولك فلم يشك الأخ أن أخاه قد تأدب وان هذا أول اقباله
وآثر أن يصون أخاه ورق عليه فاخذه معه فكان للأخ الغنى حمار يركبه وقد
استأجر بغالا لأحماله فركب أخوه احدها والمكاري احدها وساروا فلما استتم
بهم السفر حصلوا في جبل في الطريق فيه عين ماء فقال الأخ الفقير للأخ الغنى
لو نزلت ها هنا وأرحنا دوابنا وسقيناها من هذا الماء وأكلنا ثم ركبنا فقال
افعل فنزل التاجر على باب الكهف الذي في الجبل وادخل متاعه اليه وبسط السفرة
ليأكل وأخذ أخوه الفقير والمكاري الدواب ومضيا ليسقيهاها وانتظر التاجر أخاه
والمكاري فاحتبسا طويلا ثم جاء أخوه وحده وشد الدواب فقال له أين المكاري
فقال له قد أقام في الجبل فقال له تعالى حتى نأكل فتركه ومضى ثم عاد يسعى
اليه وييده أحجار يرميه بها ويقول لأخوه استكتف يا ابن الفاعلة فقال ويحك
مالك ما تريد فقال أريد قتلك يا ابن الفاعلة اخذت مال أبي وعملت تجارة لك
وجعلتني غلامك قال ورفسه فالتقاء على ظهره ثم اوثقه كتافاً واثمخه ضربا بالحجارة
وشجا وصاح الرجل فلم يجبه احد فبرك أخوه الفقير على صدره واخرج من وسطه
سكينا عظيما في قراب لها ليدبمه فرام استخراجه من اقرب فتعسرت عليه
فقام عن صدر أخيه وعلى يده اليسرى السكين في قرابها وجذبها بيده اليمنى
وقد صار القراب من خلفه فخرجت السكين بحمية الجبده فذبحته فوق يخور
في دمه وينزف إلى أن مات وجفت يده على السكين بعد موته وهي فيها وحصل
على تلك الصورة وأخوه الغنى مشدود لا يقدر على الحركة والسفرة منشورة
والطعام عليها والدواب مشدودة فقام على تلك الصورة بقية يومه وليلته وقطعة
من غد فاجتازت قافلة على المحجة وكان بينها وبين الكهف بعد فاحست البغال
بالدواب المجتازة ونهق الحمار وجذب الرسن وجذبت البغال ارسانها فقلعت
وعادت تطلب الدواب القادمة فلما رأى أهل القافلة دواباً غائرة ظنوا انها لقوم
قد أسرهم اللصوص وكانوا في منعة فتسارعوا إلى البغال فلما قصدوها رجعت

تطلب موضعها وتبعها قوم من أهل القافلة فأتوها إلى التاجر وشاهدوه مكتوفاً
والسفرة منشورة والأخ مذبوحاً وبيده السكين فشاهدوا عجباً واستنطقوا الرجل
قائلاً اليهم أنه لا قدرة لي على الكلام فخلوا كتافه وسقوه ماء وأقاموا عنده إلى
أن أفاق وقدر على الكلام وأخبرهم الخبر فطلبوا المكاري فوجدوه غريقاً في
الماء قد اغرقه الأخ الفقير فحملوا ثقل التاجر على بغالهم واركبوا حماره وسيره
معه إلى المنزل * وحدثني إبراهيم ابن علي النصيبي قال حدثني إبراهيم بن علي
الصفار شيخ كان جارا لنا بنصيبين قال خرجت من نصيبين بسيف تقيس كنت
ورثته عن أبي أقصد به عباس بن عمرو السامي أمير ديار ربيعة وهو براس العين
لا هديه له واستجديه بذلك فصحبني في الطريق شيخ من شيوخ الأعراب
فسألني عن أمري فأنست به فحدثته الحديث وكنا قد قربنا من العين فدخلناها
وافترقنا وكان يجيئني ويراعيني ويظهر لي أنه مسلم على وأنه يريدني بالقصد ويسألني
عن حالي فأخبرته أن الأمير قبل هديتي وأجاز لي بألف درهم وثياب واني أريد
الخروج يوم كذا وكذا فلما كان ذلك اليوم خرجت عن البلدرا كباً حماراً فلما
اصحرت اذا بالشيخ على دويبة ضعيفة متقلدا سيفاً خفي رأيته استربت منه
وانكرته ورأيت الشر في عينيه فقلت ما تصنع ها هنا فقال قضيت حوائجي
وأريد الرجوع وصحبتك عندي أثر من صحبة غيرك فقلت على اسم الله تعالى
وما زلت متحذراً منه وهو مجتهد أن ادنو منه فلا افعل وكلما دني مني بعدت عنه
إلى أن سرنا شيئاً يسيراً وليس معنا ثالث فقصر عني واحثت الحمار لافوته فما
حسيت إلا بركضه فالتفت فإذا هو قد جرد سيفه وقصدني فرميت بنفسي عن
الحمار وعدوت فلما خاف أن افوته صاح ياباً القاسم إنما مزحت معك فلم التفت
إليه ففرع دابته وزاد في التحريك وبأن لي ناووس فطلبته وكاد الأعرابي يلحق
بي فدخلت الناووس ووقفت وراء بابه قال ومن صفات تلك النواويس أنها مبنية
بالحجارة وباب كل ناووس حجر واحد عظيم قد نقر وجفف وملس فلا تتمكن
اليد منه وله في وجهه حلقة وليس من داخله شيء تتعلق اليد به وإنما يدفع من
خارجة فينفتح فيدخل إليه وإذا خرج منه وجذبت الحلقة انغلق الباب وتمكن
أردامه من ورائه فلم يمكن فتحه من داخل قال فحين دخلت الناووس وقفت خلف

بابه وجاء الاعرابي فشد دابته في حلقة ودخل يريدني مخترطاً سيفه والناووس مظلم فلم يرني ومشى إلى صدر الناووس فخرجت أنا من خلف الباب وجذبتته معي حتى صار الباب مردوداً وحصلت الحلقة في ردة هناك وحللت الدابة وركبتها وجاء الاعرابي إلى باب الناووس فرأى الموت عياناً فقال يا أبا القاسم اتق الله في أمري فاني اتلف قلت له تتلف أنت أهون من أن اتلف أنا قال فاخرجني وأعطيك اماناً واستوثق مني بلايمان اني لا أ تعرض لك بسوء أبداً واذكر الحرمة التي بيننا قلت لم ترعها أنت وايمانك فاجرة لا اثق بها في تلف نفسي فأخذ يكرر الكلام فقلت لا تهذي هو ذا اركب دابتك واجنب حماري والوعد بيننا بعد أيام هاهنا فلا تبرح حتى أجي وان احتجت إلى طعام فعليك بجيف العلوج فنعى الطعام لك وأخذت الهوايه في هذا القول وأخذ يبكي ويستغيث ويقول قتلتنى والله فقلت إلى لعنة الله وركبت دابته وجنبت دابتي ووجدت على دابته خرجاً فيه ثياب يسيرة فجئت إلى نصيبين فبعثت الثياب وكانت دابته شهباء فصيرتها ادهم وبعته لثلاث يعرف صاحبه فاطالب بالرجل واتفق انه اشتراه رجل من المحتاجين وكفيت أمره وانكمت القصة فلما كان أكثر من سنة عرض لي خروج إلى رأس العين فخرجت في ذلك الطريق فلما لاح لي الناووس تذكرت فقلت اعدل إلى الناووس وانظر إلى ما صار إليه أمره فجئت إليه فاذا بابيه كما تركته ففتحته ودخلته فاذا بالاعرابي وقد صار رمة فلا زالت أحمد الله عز وجل على السلامة ثم حركته برجلي وقلت على سبيل العبث ما خبرك يا فلان فاذا بصوت شيء يتخشخش ففتشته فاذا هميان فأخذه وأخذت سيفه وخرجت ففتحت الهميان فاذا فيه خمسمائة درهم وبعث السيف بعد ذلك بمجملة دراهم * حدثني أبو المغيرة محمد بن يعقوب بن يوسف الشاعر البصري قال حدثني أبو موسى عيسى بن عبد الله البغدادي قال حدثني صديق لي قال كنت قاصدا الرملة وحدي وما كنت دخلتها قط فاتميت إليها وقد نام الناس ليلاً فعدلت إلى المقبرة ودخلت بعض القباب التي على القبور فطرحت درقة كانت معي واتكأت عليها وعلقت سيفي واضطجعت أريد النوم لادخل البلد نهاري فاستوحشت من الموضع وارتقت فلما طال ارقى أحسست بحركة فقلت لصوص

يحتازون وان تصديت لهم لم آمنهم ولعلمهم يكونوا جماعة ولا أطيعهم فأنزلت
بمكاني ولم تحرك واخرجت رأسي من بعض أبواب القبة على تخوف مني شديد
فرايت دابة كالذئب تمشي فاخفيت نفسي فاذا بها قد قصدت قبة حيالي فما زالت
تلتفت طويلا وتدور حوالها ثم دخلتها فارتبت وأنكرت أمرها وتطلعت نفسي
إلى علم ما هي ثم دخل القبة وخرج غير مطيل ثم جعل ينظر ثم دخل وخرج بسرعة
ثم دخل وعيني إليه فضرب بيده إلى قبر في القبة يبعثه فقلت نباش لا شك فيه
وتأملت يده فعلمت ان فيها آلة من حديد يحفر بها فتركته إلى ان اطمأن
وأطال وحفر شيئا كثيرا ثم أخذت سيفي ودرقتي ومشيت على اطراف أنامل
ودخلت القبة فاحس بي فقام إلي بقامة إنسان وأومى إلي ليلطمني بكفه فضربت
يده بالسيف فانبثها وطارت فقال او اده قتلتي لعنك الله وعدا من بين يدي وعدوت
خلفه وكانت ليلة مقمرة حتى دخل البلد وأنا أراه ولست الحقة إلا أنه بحيث يقع
بصري عليه إلى ان اجتاز بي في طرق كثيرة وأنا في خلال ذلك اعلم الطريق لثلاث
أضل حتى جاء إلى باب فدفعه ودخل فاغلقه وأنا أسمع فعلمت الباب ورجعت
أقفوا أثرى والعلامات التي علمتها في طريق حتى انتهيت إلى القبة التي كان فيها
النباش وطلبت الكف فوجدتها فأخرجتها إلى القمر فبعد جهد انتزعت الكف
المقطوعة من آلة حديد مصنوعة على شكل الكف وتأملت الكف فوجدت فيه نقش
حنا وخاتمان من الذهب وهي أحسن كف في الدنيا نعومة ورطوبة وسمنا وملاحة
فاغتممت ومسحت الدم منها ونمت في القبة التي كنت فيها ودخلت البلد من
الغد أطلب العلامات حتى انتهيت إلى الباب وسألت لمن الدار فقالوا لقاضي البلد
فاجتمع إليها خلق كثير وخرج منها رجل بهي نصلي بالناس وجاس في المحراب
فازداد عجيبي من الأمر وقلت لبعض الحاضرين بمن يعرف هذا القاضي فقال بفلان
فأطلت الحديث في معناه حتى عرفت انه له ابنة طاتقا وزوجة فلم أشك في ان
النباش ابنته فتقدمت إليه فقلت بيني وبين القاضي اعزه الله حديث لا يصلح الا
على خلوة فقام ودخل المسجد وخابي وقال قل فاخرجت الكف وقلت أتعرف
هذه فتأملها طويلا فقال أما الكف فلا وأما الخواتم فخواتم ابنة لي عاتق فما الخبر
فقصصت عليه القصة بأمرها فقال قم معي فادخلني بيته وأغلق الباب واستدعى

طبقاً وطعاماً فأحضر واستدعى امرأته فقال له الخادم تقول لك كيف تخرج
 ومعك رجل غريب فقال لا بد من خروجها تأكل معنا فهذا لا تحتشمه فابت عليه
 خلف بالطلاق لتخرجن قال فخرجت وهي باكية فجلست معنا فقال لها أخرجي
 ابنتك فقالت له يا هذا قد جئت في الذي حل بك قد فضحتني وأنا امرأة كبيرة
 فكيف تهتك صبية عاتقاً خلف بالطلاق لتخرجنها فخرجت فقال لها كلي معنا
 فرأيت صبية كالدينا مليحة ملحت مقلتي أحسن منها إلا أن لونها قد اصفر
 جدا وهي مريضة فقلت ان ذلك لنزف الدم من يدها فأقبلت يمينها وشمالها
 مخبأة فقال أخرجي يدك اليسار فقالت قد خرج بها خراج عظيم وهي مشدودة
 خلف لتخرجها فقالت امرأته يا رجل استر على نفسك وابنتك فوالله وحلفت
 بإيمان كثيرة ما أطلعت لهذه الصبية على سوء قط إلا البارحة فانها جاءتني
 بعد نصف الليل فايقظتني فقالت يا أمي الحقيني وإلا تلفت فقلت ما بالك فقالت
 انه قد قطعت يدي وهو ذا نزف الدم والساعة أموت فعالجيني وأخرجت يدها
 مقطوعة فلطممت فقالت لا تفضحيني ونفسك بالصباح عند أبي والجيران
 وعالجيني فقلت لا أدري بما أطعك فقالت اغلي زيتاً وأكوي يدي به ففعلت
 ذلك وكويتها وشدتها فقلت الآن خبرني مادهاك فامتنعت فقلت والله لن
 لم تحدثيني لا كشفن أمرك لأبيك فقالت انه قد وقع في نفسي منذ سنين ان
 أنبش الموتى فتقدمت الي هذه الجارية فاشتريت لي جلد ماعز بشعره واستعملت
 كفا من حديد فكنت إذا نمت افتح الباب وأمرها أن تنام في الدهليز ولا تغلق
 الباب فالبس الجلد والكف الحديد وأمشى على أربع فلا يشك الذي يراني
 من فوق سطح أو غيره اني كلب ثم أخرج الى المقبرة وقد عرفت من النهار خبر
 من يموت من الجلة والمياسير وأين دفن فأقصد قبره فأنبشه وأخذ الأ كفان
 وادخلها معي في الجلد وأمشى مشيتي وأعود والباب غير مغلق فادخل واغلقه
 وانزع تلك الآلة فادفعها الى الجارية مع الكفن فتأخذه فتخفيه في بيت لا تعلمون
 به وقد اجتمع عندي ثلثمائة كفن او ما يقاربها لا ادري ما أصنع بها إلا اني كنت أجد
 لذلك الخروج لذة لا سبب لها اكثر من أن اصابتني هذه المحنة فلما كانت الليلة سلط
 على رجل أحس بي كأنه كان حارساً لذلك القبر فقامت لا ضرب وجهه بالكف

الحديد فيشتغل عني وأعدوا فداخلني بالسيف ليضربني فتوقيت الضربة بشمالى
 فأباد كفى فقلت لها أظهري انه قد خرج على كفك خراج وتعالى فان الذى يرى
 مابك من الصفار يصدق قولك فاذا مضت أيام قلنا لأليك ان لم يقطع يدك
 خبت جميع جنتك وتلف فيأذن لنا فى قطعها فنظهر انا قطعناها ويشيع الخبر
 حينئذ وينستر ابوك فعملنا على هذا بعد أن استتبناها فتأبى وحلفت بالله لا عادت
 وكنت عولت على أن أبيع الجارية هذه واراعى بيت الصبية وأبيتها الى جانبي
 ففضحتها وتساك قال فقال لها القاضي فما تقولين قالت صدمت امي ووالله لا عدت
 ابدا وتبت الى الله فقال لها القاضي هذا صاحبك الذى قطع يدك فكادت تتلف
 جزعاً ثم قال لي يا فتى من ابن أنت قلت من العراق قال فقيم وردت قلت أطلب
 الرزق قال قد جاءك حلالاً طيباً نحن قوماً مياسير والله علينا نعمة وستر فلا تنقص
 النعمة ولا تهتك السترا زوجك ابنتى هذه وأغنيك بمالي عن الناس وتكون معنا
 في دارنا قال نعم فأمر ثم خرج الى المسجد والناس مجتمعون ينتظرونه فخطب
 وزوجني وأقعدني في الدار ووقعت الصبية في نفسي حتى كدت أموت عشقا لها
 فافترعتها واقامت شهورا معي وهي نافرة مني وأنا أوأسها وأبكي حسرة على يدها
 واعتذر اليها وهي تظهر قبول عذري وأنا الذى بها غما على يدها يزيد حنقا على
 الى ان نمت ليلة واستثقلت في نومي على راسي فاحسست بثقل شديد على صدري
 فانتبهت جزعاً فاذا هي باركة على صدري وركبتها على يدي مستوثة منهما وفي
 يدها موسى وقد أهوت لتذبحني فاضطربت ورمت الخلاص فتعذر وخشيت ان
 تبادرنى فسكت وقلت لها كلميني واعلمي ما شئتى فقالت قل قلت ما يدعوكي الى
 هذا قالت أظننت انك تقطع يدي وتهتكني ویتزوجني مثلك وتنجوا سالمك والله
 لا كان هذا فقلت أما الذبح فقد فاتك ولكنك تتمكنين من جراحت توقعيها
 في ولا تأمنين ان افلت فاذبحك واهرب أو اكشف هذا عليك ثم اسلمك الى
 السلطان فتتكشف جنيتك الأولى والثانية ويتبرأ منك أبوك وأهلك وتقتلين فقالت افعل
 ما شئت لا بد من ذبحك وقد استوحش الآن كل منا من صاحبه فنظرت فاذا الخلاص منها
 بعيد ولا بد من أن تخرج الموضع فيكون فيه تلني فقلت الحيلة اعمل فيها فقلت لك غير
 هذا فقالت قل قلت اطلقيني وأنا أطلقك الساعة وتخرجين عني فاخرج غدا عن

البلد فلا أراك ولا ترينى ولا ينكشف لك حديث فى بلدك ولا تفتضحين وتزوجين من شئت فقد شاع أن يدك قطعت بخراج خبيثة وتربحين السر قالت لا أفعل حتى تحلف لى أنك لا تقيم فى البلد ولا تفضحنى أبدا وتعجل لى بالطلاق فطلقتهما وحلفت أنى أخرج ولا أفضحها بالإيمان المغلظة فقامت عن صدرى تعدو خوفا من اقبض عليها حتى رمت موسى حيث لا أدرى وعادت واخذت تظهران الذى فعلته مزاح وتلاعبنى فقلت اليك عنى فقد حرمت على ولا يحل لى ملامستك وفى غد أخرج عنك فقالت الآن علمت صدقك ووالله لئن لم تفعل لانهجوت من يدى فقممت فجاءتنى بصرة وقالت هذه مائة دينار خذها نفقة لك واكتب رقعة طلاقى وأخرج غدا فأخذت الدنانير وخرجت سحرة ذلك اليوم بعد أن كتبت إلى أبيها أنى طلقتهما وأنى خرجت حياء منه ولم التق معهم أبدا * وحكى محمد ابن بديع العقيلي قال رأيت رجلا من بنى عقيل فى ظهره كله شرط كشرط الحجام إلا أنها أكبر فسألته عن سبب ذلك فقال أنى كنت هويت ابنة عم لى وخطبتها فقالوا لى لا تزوجك إلا أن تجعل الشبكة صداقها وهى فرس سابقة كانت لبعض بنى بكر بن كلاب فتزوجتها على ذلك وخرجت أحتال فى أن أسل الفرس لأتمكن من الدخول بابنة عمى فاتيت الحى الذى فيه الفرس بصورة مجتاز مقتر إلى أن عرفت مربوط الفرس من الخبا ورأيت لهم مهرة فاحتلت حتى دخلت البيت من كسره وحصلت خلف النضد تحت عهن لهم كانوا نفسوه ليغزل فلما جاء الليل وافى صاحب البيت وقد أصلحت له المرأة عشاء فجعل يأكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم وكنت ساغبا فأخرجت يدى وأهويت إلى القصعة وأكلت معهم فأحس الرجل بيدى وأنكرها وقبض عليها فقبضت على يد المرأة بيدى الأخرى فقالت له المرأة مالك ويدي فظن أنه قابض على يد المرأة فخلى يدى فخلت يد المرأة واكلنا ثم أنكرت المرأة يدي فقبضت عليها فقبضت على يد الرجل فقال لها مالك فخلت عن يدى وخلت عن يده وانقضى الطعام واستلقى الرجل ونام فلما استنقل وأنا مرصدهم والفرس مقيد فى جانب وابنتها فى البيت غير مقيدة ومفتاح قيد الفرس تحت رأس المرأة فوافى عبد له اسود فنبذ حصاة وانتبهت المرأة وقامت إليه وتركت المفتاح فى مكانها وخرجت من الخبا إلى ظهر البيت ورمقتها بعينى فاذا هو قد

علاها فلما حصلنا في شأنهما دببت فأخذت المفتاح وفتحت القفل وكان معي لجام
شعر فأوجرته الفرس وركبتها وخرجت عليها من الخبا فقامت المرأة من تحت
الاسود فدخلت الخبا ثم صاحت وذعر الحى فصاحوا واحسوا بي فركبوا في
طلبي وانا اكد الفرس وخلقى خلقى منهم فأصبحت ولست اري إلا فارسا واحدا
يرمح فلحقني وقد طلعت الشمس فاخذ يطعنني فلم يصل طعنه إلى أكثر مما تراه
في جلدي لا فرسه تلحق بي فيتمكن طعنه مني ولا فرسى يبعث بي إلى حيث
لا يمسني الرمح حتي وافينا إلى نهر جرار فصحت بالفرس فوثبتها وصاح الفارس
بفرسه فلم يشب فلما رأيت عجزها عن العبور نزلت عن فرسى لاستريح وادريجها
فصاح بي الرجل وقال يا هذا أنا صاحب الفرس الذي تحتك وهذه ابنتها فاذا قد
اخذتها فلا تحدد عنها فانها تساوي عشر ديات وعشر دبات وما طلبت عليها شيئا
قط إلا لحقته ولا طلبني أحد عليها إلا فاتته وانما سميت الشبكة لأنها لم تر شيئا
إلا ادركته فكانت كالشبكة في التعلق به فقلت اما إذا نصحتني فوالله لانصحتك
ولا اكذبك انه كان من صورتي الباردة كيت وكيت حتي قصصت عليه قصة
امراته والعبد وحيلتي في الفرس فاطرق راسه ساعة ثم قال لاجزالك الله من طارق
خيرا اخذت فرسى وقتلت عبدي وطلقت ابنة عمي * وحكى رجل من الجنود
قال خرجت من بعض بلدان الشام وأنا على دابتي وخرج لي فيه ثياب ودنانير
فلما سرت عدة فراسخ لحقني المساء فاذا بدير عظيم فيه راهب في صومعة فنزل
واستقبلني وسألني المبيت عنده وان يضيفني ففعلت فلما دخلت الدير لم اجده فيه
غيري فاخذ دابتي وطرح لها شعيرا وعزل رحلي في بيت وجاءني بما جاد وكان
الزمان شديد البرد واوقد بين يدي نارا وجاءني بطعام طيب من اطعمة الرهبان
فاكلت ونبذ فشربت ومضت قطعة من الليل فاردت النوم وقلت ادخل المستراح
فسألته عنه فدلني على طريقه وكنا في غرفة فمشيت فلما سرنا على باب المستراح
فاذا بادية مطروحة فلما صارت رجلاي عليها خلت ونزلت فاذا أنا في الصحراء
واذا البادية كانت مطروحة على غير ستمف وكان الثلج سقط تلك الليلة سقوطاً
عظيماً فصحت وقدرت ان ذلك تم على من غير قصد فما كلمني فقممت وقد جرح
بدني إلا اني سالم فجئت وتظلمت بطارق باب الدير من الثلج فما وقفت فيه حيناً

حتي رأيت فيه برايح من فوق راسي قد جاءتنى منها حجارة لو تمكنت من
 دماغى لطحنته فخرجت اعدو وصحت به فشتمنى فعلمت ان ذلك من حيلته طمعاً
 في رحلى فلما خرجت وقع الثلج علىّ فعلمت انى تالف ان دام ذلك فولد لي الفكر ان
 طلبت حجراً فيه ثلاثون رطلا فوضعت على عاتقى واقبلت اعدوا في الصحراء
 وهو على عاتقى شوطاً حتى اذا تعبت وحملت وجريت عرقاً طرحت الحجر وجلست
 استريح فاذا نالني البرد اخذت الحجر وعدوت حتى ابلغ خلف الحصن فاجلس
 من حيث يقع لي ان الراهب لا يراني فاذا احسست بان البرد قد بدا يأخذني
 تناولت الحجر وسعيت من الدير إلى ذلك الحصن وأنا على هذا الى الغداة فلما كان
 قبل طلوع الفجر وأنا خلف الدير سمعت بحركة بابه فتخفيت فاذا بالراهب قد
 خرج فجاء إلى موضع سقوطين فلما لم يرني قال وأنا اسمعه يا قوم ما فعل المشؤم
 اظنه قد رأي بقر به قرية فقام يمشي اليها كيف اعمل فأتني سلبه واقبل يمشي يطالب
 اثرى فخالفته أنا إلى باب الدير وكان في وسطى سكين فوقفت خلف الباب فطاف
 ولم يبعد فلما لم ير لي أثراً عاد ودخل فحين بدأ برد الباب ثرت به فقبضت عليه
 ووجأته بالسكين وصرعته فذبحته واغلقت باب الحصن وصعدت الغرفة فاصطليت
 بنار كانت موقدة ودفيت وطرحت عنى تلك الثياب وفتحت خرجت فلبست منه
 ثياباً واخذت كساء الراهب ونمت فيه إلى العصر ثم انتبهت وانا سالم غير منكسر
 شيئاً من نفسي فطفت بالدير حتى رأيت طعاماً فاكلت وسكنت نفسي وظفرت
 بمفاتيح بيوت الحصن في يدي فأقبلت افتح بيتاً بيتاً فاذا أنا بمال من عين وثياب
 وآلات ورحالات اقوام واخراجهم واذا عادته كانت هكذا مع كل من يجتاز به
 منفرداً فلم ادر كيف اعمل في ثقل المال وما وجدته فلبست ثياب الراهب
 واقمت في موضعه اياماً اترأى لمن يجتاز بي من بعد فلا يشكون في اننى هو واذا
 قربوا لم ابرز لهم وجهي إلى أن خفي لهم خبري ثم نزع تلك الثياب واخذت
 جواليقافمالاتها مالا وجعلتها على الدابة ومشيت وسقت إلى أقرب قرية واكثر
 فيها منزلاً ولم ازل انقل اليه كلما وجدته حتى لم ادع شيئاً له قدر إلا حصلته في
 القرية ثم اقمته إلى أن اتفقت لي قافلة وحملت من تلك الامعة كل ما قدرت عليه
 ورفعته إلى الحمل وسرت في قافلة عظيمة لنفسي بغنيمة هائلة حتى قدمت

بلدي وقد حصلت لي عشرات ألوف دراهم ودنانير وسلمت من الموت * حدثني
أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين العبقسي الشاعر قال كان لأبي مملوك يسمى
مقبل فأبق منه ولم يعرف له خبرا سنين كثيرة ومات أبي وتغربت عن بلدي
ووقعت الى نصيبين وانا حدث فبينما أنا مجتاز يوما في سوقها وعلى لباس فاخر
وفي كمي منديل فيه دراهم كثيرة رأيت غلاما مقبلا خفي رأني انكب على يدي
فقبلها واظهر سرورا شديدا بي واقبل يسألني عن أبي واهلنا فاعرفه موت من
مات وخبر من بقي ثم قال لي ياسيدي متى دخلت إلى هاهنا وفي أي شيء فعرفته
فاخذ يعتذر من هربه منا ثم قال انا مستوطن هاهنا وأنت مجتاز فلو انعمت عليَّ
وجئت في دعوتي فاني احضر لك نبیذا طيبا وغناء حسنا فاغتررت به وبالصبيا
ومضيت معه حتى بلغ بي الى آخر البلد والي دور خراب ثم انتهی إلى دار عامرة
مغلقة الباب فدقه ففتح له ودخل فدخلت وحين حصلت الدهليز اغلق الباب
بسرعة واستوثق منه فتكرت لذلك ودخلت الدار فاذا أنا بثلاثين رجلا بالسلاح
وهم جلوس على بادية فلم اشكك في انهم لصوص وايقنت بالشر وبادرني احدهم
يلطمني وقال انزع ثيابك فطرحت كل ما كان عليَّ حتي بقيت بالسر اويل خلوا
الدراهم التي كانت معي واعطوا مقبلا شيئا منها وقالوا امض فهات بهذا مانا كله
فانا جباة فطارت روحي فقال لهم الغلام ما امض أو تقتلوه فقلت لهم يا قوم
ماذني حتى تقتلوني قد اخذتم مامعي ولستم ترثوني اذا قتلتموني ولا لي حال
غير ما اخذتموه فالله الله فيَّ ثم اقبلت استعطف مقبلا وهو لا يجيبني ويقول لهم
انكم ان لم تقتلوه ويفلت دل السلطان عليكم فقتلتم كلكم قال فوثب إلىَّ احدهم
بسميف مسلول وسحبني من الموضع الذي كنت فيه إلى البالوعة ليدبحني وكان
بقربي غلام امرد فعلمت به وقلت يا فتى ارحمني واجرني فان سنك قريب من
سني واستدفع البلاء من الله بخلاصي فوثب الغلام وطرح نفسه عليَّ وقال والله
لا يقتل وانا حي وجرد سيفه وقام فقام استأذه لقيامه وقال لا يقتل من اجاره
غلامي واختلفوا وصار مع غلامه جماعة فانتزعوني وجعلوني في زاوية من البيت
الذي كانوا فيه ووقفوا بيني وبين أصحابهم وقال لهم رئيسهم كفوا عن الرجل
الى أن ننظر في امره وشمتم مقبلا وقل امض فهات مانا كله فانا جباة وليس

يفوتنا قتله فمضى مقبل وجاءهم بما كول كثير وجلسوا يأكلون وترك جماعة
 منهم الا كل حراسة لي لئلا يغتالني احدهم اذا تشاغلوا بالأكل فلما اكلوا
 انفرد بعض من كان يتعصب لي بحراستي واكل من لم يكن اكل منهم ثم افضوا
 إلي الشرب فقال لهم الآن قد اكتم فترك هذا يؤدي إلى قتلكم فدعوا الخلاف
 في امره واقتلوه فوثب من يريد قتلي ووثب الغلام ومن معه للمنع عني وطال
 الكلام بينهم وأنا في الزاوية وقد اجتمع الي من يمنع قتلي فصرت بينهم وبين
 الحائط الى أن جرد بعضهم السيوف على بعض فقال لهم رئيسهم هذا الذي اتم
 فيه يؤدي إلى قتلكم والله رأيت رأياً فلا تخالفوه فقالوا ماذا تأمرنا فقال اغمدوا
 السلاح واصطلحوا ونشرب إلى وقت نريد أن نخرج عن هذه الدار ثم نكتفه
 ونسد فاه وندعه في الدار وننصرف فانه لا يتمكن من الخروج وراءنا والصباح
 علينا الى أن نصبح من غد فنمر على بلاد ولا يجرح بعضكم بعضاً ولا تنصرف
 كلمتكم فقالوا هذا صواب وجلسوا يشربون وجاء الغلام ليشرب معهم فقلت له
 الله الله في فتمم ما قد عملت ولا تشرب معهم وتحرسني لئلا يشب على أحد
 منهم على غفلة فيضربني ضربة يكون فيها تلف نفسي ثم لا تتمكن أنت من
 ردها ولا تنفعني أن تقتل قاتلي فرحمني وقال افعل ثم قال لاستاذة أحب أن
 تترك شربك اليوم وتعمل كما أفعل خفاءً خلساً قدامي وأنا في الزاوية أتوقع
 الموت ساعة فساعة إلى أن حلت العتمة وقام القوم فتحزموا ولبسوا ثيابهم
 وخرجوا وبقي الظلام واستاذة فقالا لي يافتي قد علمت انا خالصنا دمك فلا
 تكافئنا بقبح وهو ذا نخرج ولا يحسن ان نكتفك واحذر أن تصيح فاخذت
 أقبل أيديهما وأرجلهما وأقول أنما احييتاني فكيف اكافئكما بالقبيح فقالا قم
 معنا فقممت ففتشا الدار حتى علما انه لم يختف فيها من يريد قتلي ثم قالوا لي يا هذا
 قد امنت فاذا خرجنا فاستوثق من الباب ونم وراءه فلا يكون إلا خيراً ثم خرجا
 فاستوثقت من غاق الباب ثم جزعت جزعاً ولم أشكك في أنه يخرج من تحت الأرض
 منهم من يقتلني وزاد على الجزع وأقبلت أمشي في الدار وادعوا وأسبح الي ان
 كدت اتلف وآنست باستمرار الوقت على السلامة فحملتني عيني ونمت فلم احس
 الا بالشمس وحرارتها على الباب فقممت وخرجت أمشي عرياناً بسر وويل الى أن

حصلت في الموضع الذي كنت أسكنه وما حدثت أحدا بهذا الحديث مدة
لبقية الفزع ثم بعد انقضاء سنة أو قريب منها كنت يوما عند صاحب الشرطة
بنصيبين لصداقة كانت بينه وبين أبي فلم البث ان حضر من عرفه عن عثور الطوف
على جماعة من اللصوص بقرية سماها من قرى نصيبين وقبضه على سبعة نفر منهم
وفوت الباقي فامر باحضارهم فوقع بصري منهم على ذلك الغلام الذي اجارني
ذلك اليوم وعلى استاذة ثم على مقبل فأخذتني رعدة تبينت فيَّ وأخذ مقبل من
بينهم مثل ما أخذني فقال لي صاحب الشرطة مالك فقلت له أن حديثي لطويل
ولعل الله أراد بحضوري هذا المجلس سعادة نفر وشقاوة نفر فقال هات فقصصت
عليه قصتي مع القوم إلى آخرها فتعجب وقال هلا شرحتها لي فيما قبل حق كنت
اطلبهم وانتصف لك منهم فقلت ان الفزع الذي كان في قلبي منهم لم يبسط لساني
به فقال فمن الذي كان معك من هؤلاء قلت الغلام وأستاذة وواحد من الباقيين
فامر بحمل كتافهم وتميزهم من بين أصحابهم ودعا مقبل فقال ما حملك على ما فعلت
بابن استاذك قال سوء الأصل وخبت العرق فقال لاجرم تقابل بفعلك وأمر به
فضرب عنقه وأصحابه الباقيين ودعا بالغلام وأستاذة وصاحبهما وقال لهما لقد
احسنتما في دفعكما عن هذا الفتى والله يجزيكما عن فعلكما الخير فتوبا إلى الله من
فعلكما وانصرفا في صحة الله مع صاحبكما ولا تعودا لما كنتما عليه من التلصص
فقد مننت عليكما لحسن صنعكما مع هذا الفتى فان ظهرت منكما ثانياً الحقنكم
بأصحابكم فشكروه ودعوا له وانصرفوا وشكرته على ما فعل والحمد لله على توفيق
لقضاء حق من اجارني والانتقام ممن ظلمني ثم صار ذلك الغلام وأستاذة من
أصدقائي وكان يختلفان إلى * وحكي إبراهيم بن عبد السلام الهاشمي البصري قال
كان عندنا بالمربد رجل من خول محمد بن سليمان الهاشمي وكان مؤثنا يسمى عياد
وكان يحمل السلاح فاجتمع يوما مع قوم من الخول على شراب لهم فتجاروا
حديث الشجاعة فعابوه بما فيه من التأنيث فخاطروهم في شيء يعمله مما يعرضون عليه
يبين به عن شجاعته فقالوا له يخرج الساعة بغير سلاح إلى صهاريج الحجاج
فيدخل منها الصهريج القلاني ويسمر في أرضه هذا الوتد ويعود وهذه الصهاريج
على أكثر من فرسخ من البصرة في البرية وهي موحشة المكان خالية يجتمع فيها

الماء وكان الحجاج قد عملها لشرب أهل الموسم والقوافل قال فأخبرني عباد
قال خرجت وليس معي الاوتد ومطرقة حتى بلغت الصهر يبع الذي خاطرت عليه
وكان أعظمها وأوحشها فدخلت وكان جافاً وجلست وضربت الوتد بالمطرقة في
أرضه فطرن الصهر يبع فسمعت صلصلة شديدة وصوت سلسلة فقطعت الدق
وانقطع الصوت وأعدت الدق فعاد الصوت وظهرت حركة وأنا ثابت القلب أتأمل
ولا أدري شيئاً من الظلمة إلي ان احسست بالحركة والصوت قد قربا مني وتأملت
فاذا بشخص لطيف لا يشبه قدر خلقة الانسان فاستوحشت وثبت نفسي وأنا
ادق والشخص يقرب مني فوثبت وألقيت نفسي عليه واستوثقت منه فاذا هو
قرد في عنقه سلسلة فظننت انه قد أفلت من قراد أو قافلة فسحبته فلان في يدي
وآنس بي فأخذته على يدي وساعدي وجئت أريد باب الصهر يبع فلما بلغته سمعت
كلما فخشيت أن يكون بعض من يطلبني من العصبية هناك فوقفت أسمع فاذا
كلام امرأة مع رجل وهي تقول له يا فلان ويحك أتقتلني أتدبحني أتبلغ بي الموت
اتق الله وهو يقول الذنب كله لك وأنت اذنت لهم في أن يزوجوك ولو أبييت
ما قدر ابوك أن يزوجك وإنما فعلت به مللا بي وأنا تالف عشقا وأنت تتمنعين والله
لاذبحنك استكتفي يا ابنة الفاعلة قال فنظرت فاذا ظهره إلى باب الصهر يبع فصاحت
عليه صيحة عظيمة وضربت قفاه بالقرد ففزع القرد وقبض على عنق الرجل
وتمكن من ظهره فورد على الرجل ماحيره وأفزعه وذهب بعقله فخر مغشياً عليه
ووقع السيف من يده فأخذته ورأيت الجحفة هناك فأخذتها وقصدت الرجل
وكان عقله ناب إليه ورمى القرد عن ظهره وسعى هاربا فقصدت المرأة وحللت
كتافها وقلت لها ما قصتك فقالت أنا بنت فلان وذكر رجل من أهل المربد
وهذا ابن عمي وكان يعشقني فخطبني من أبي فامتنع من تزويجه بي وزوجني من
رجل غريب ودخل بي منذ شهر فلما كان أمس خرجت أنا وجماعة من نساء
الجيران ننظر إلى الصحراء وقت العصر وبلغه خبرنا فكبسنا في الصحراء ومعه
عدة رجال بالسلاح فأخذ كل رجل امرأة وانفرد بها وحملي هذا إلى هذا
الصهر يبع ففجر بي طول الليل ولما كان الآن عزم على قتلي فأغاثني الله بك وما
أعرف للنسوة خبراً قلت لا بأس عليك امشي فمشيت بين يدي حتى دخلت البصرة

فدقت باب والدها وفتح لها فدخلته وعدت إلي أصحابي فحدثتهم الحديث وأريتهم
 القرد وخرجنا من الغد فرأوا الوتد وذهبنا إلى باب المرأة فأريتهم إياه وأخذت
 خطري * قال وحكي أبي قال كان في جوارى رجل يعرف بأبي عبيدة حسن
 الأدب كثير الرواية للاخبار وكان قديما ينادم إسحق بن إبراهيم المصعبي فحدثني
 ان إسحاق استدعاه ذات ليلة في نصف الليل قال فهالني ذلك وأفزغني وأوحشني
 لما كنت أعرفه من زعارة الأخلاق وشدة الاسراع إلى القتل وخفت أن يكون
 قد بلغه عني أمر باطل فيسرع إلي قتلي قبل كشف حالي فخرجت طائر العقل حتى
 أتيت داره فأدخلت إلي بعض دور الحرم فاشتد جزعي وذهب علي أمري فأنتهى
 بي إليه وهو في حجرة لطيفة فسمعت في دهليزها بكاء امرأة ونحيبها ودخات
 فاذا هو جالس على كرسي وبيده سيف مسلول وهو مطرق فأيقنت بالقتل وسلمت
 ووقفت فرفع رأسه وقال اجلس يا أبا عبيدة فسكن روحي وجلست فرمى إلي
 رقاعا كانت بين يديه وقال اقرأ هذه فقرأتها جميعا فاذا هي رقع أصحاب الشرط
 يخبره كل واحد منهم بخبر يومه وما جرى في عمله وفي جميعها ذكر كبسات وقعت
 على نساء وجدن على فساد من بنات الوزراء والأمراء والاجلاء الذين بادوا وذهبت
 مراتبهم ويسألوه عما يعملون في أمرهن فقلت قال قد وقعت أعز الله الأمير على
 هذه الرقاع فما يأمرني الأمير قال ويحك يا أبا عبيدة ان هؤلاء الناس الذين ذكروا
 حال بناتهم كلهم كانوا أجل مني وامثل وقد أفضى بهم الدهر في حرمهم إلي ما قد
 سمعت وقد وقع لي ان بناتي بعدى سيبلغن إلى هذا المبلغ وقد جمعتن وهن خمس
 وجعلتني في هذه الحجرة لأقتلن الساعة واستريح ثم أدركتني رافة البشرية
 والخوف من الله تعالى فأردت ان أشاورك في امضاء الرأي أوشى تشيربه علي فيهن
 فقلت أيها الأمير ان اباء هؤلاء النساء اللواتي قرأت رقاع أصحاب الاخبار بما
 جرى عليهن اخطأوا في تدبيرهن لأنهم خلفوا عليهن النعم ولم يحفظوهن بالزواج
 فيخلون بأنفسهن ونعمهن ففسدن ولو كانوا جعلوهن في أعناق الأكفاء ما جرى
 منهن هذا والذي أرى ان استدعي فلان العابد وله خمس بنين كلهم جميل الوجه
 حسن اللبسة والنشو فتزوج كل واحدة من بناتك واحدا منهم فتكتفي العار
 والنار فتكون قد أخذت بأمر الله عز وجل وبالحزم ويراك الله قد أردت طاعته

في حفظهن فيحفظك فيهن فقال امض الساعة إليه وأفرغ لي معه من هذا قال
 فمضيت إلى الرجل وقررت الأمر معه وأخذت الفتيان وآبائهم وجئت إلى دار إسحق
 ابن إبراهيم فما طلع الفجر حتى عقدت للخمس فتيان على الخمس بنات في خطبة
 واحدة وحمل إسحق بين يدي كل واحد منهم خمسة آلاف دينار عينا وشيئا
 كثيرا من الطيب والنياب وحمل كلا منهم على فرس بمركب ذهب وأعطاني كل
 واحد من الأزواج مالا مما دفع إليه كثيرا وأمر لي إسحق بخمسمائة دينار وخلعة
 وطيبا وانفذ إلى أمهات البنات هدايا وأموالا جلييلة وشكرنني على تخليص
 بناتهن من القتل وقلبي بتلك الغمة فرحا فعدت إلى داري ومعى ما قيمته ثلاثة
 آلاف دينار * ودعا الرشيد صالحا صاحب الموصل حين تنكر للبرامكة فقال له
 أخرج إلي المنصور بن زياد فقل له قد صحت عليك عشرة آلاف ألف درهم فأجملها
 إلي في هذا اليوم وانطلق معه فان دفعها إليك كاملة قبل مغيب الشمس فأقبلها
 والا فأجمل إلي رأسه وإياك ومراجعتي في شيء من أمره قال صالح فخرجت إلي
 منصور بن زياد وعرفته الخبر فقال إنا لله وإنا إليه راجعون ذهبت والله نفسي
 ثم حلف أنه لا يعرف موضع ثلاثمائة ألف فكيف بعشرة آلاف ألف درهم فقال له
 خذ في عملك فقال له امض بي إلى منزلي حتى أوصي فها هو إلا ان دخله حتى ارتفع
 الصباح من منازل وحجر نسائه فأوصى وخرج وما فيه دم فقال لصالح امض بنا إلي
 أبي علي يحيى بن خالد لعل الله أن يأتينا بفرج من عنده فضى معه إلى يحيى وهو يبكي
 فقال له ما وراءك فقص عليه القصة فقلق يحيى أمره واطرق مفكرا ثم دعى بخازنه
 فقال له كم عندك من المال قال خمسة آلاف ألف درهم فقال احضرنيها فأحضرها ثم
 وجهه للفضل ابنه انك قد أعلمتني فذاك أبوك ان عندك ألف درهم تريد أن
 تشتري بها ضيعة وقد أصبت ضيعة يبق لك ذكرها وتحصد ثمرتها فوجهه إلى بالمال
 فوجه به ثم قال للرسول امض إلى جعفر وقل له ابعت فذاك أبوك ألف ألف درهم
 لحق لزمني فوجه بها إليه ثم قال لصالح هذه ثمانية آلاف درهم ثم اطارق اطارقه
 لأنه لم يكن عنده شيء ثم رفع رأسه إلى خادم له فقال له امض إلى دنانير فقل
 لها وجهي إلى بالعقد الذي كان أمير المؤمنين وهبه لك فجاءه به فاذا بعقد كعظم
 الذراع ثم التفت إلي صالح وقال له قد اشتريت هذا العقد لأمير المؤمنين بثمانية

وعشرين الف دينار وقد حسبته عليك الآن بالف الف درهم وهذا تمام حقه
فانصرف وخل عن صاحبنا فلا سبيل لك عليه قال صالح فاخذت ذلك ورددت
منصورا معي فلما صرت بالباب انشأ منصور متمثلا بقول

فما بقي عليّ تركتاني ولكن خفتما صرد النبال

فقال صالح ما على وجه الأرض رجلا انبل من هذا الذي خرجنا من عنده
ولا سمعت بمثله فيما مضى من الدهر ولا على وجه الأرض اخبت سريرة ولا اكفر
نعمة ولا أدني طمعا من هذا النبطي لم يشكر من اعطاه ووزن عنه هذا المال
العظيم قال وصرت الى الرشيد فقصصت عليه القصة وطويت عنه ما تمثل به منصور
خوف ان يقتله إذا سمع ذلك فقال الرشيد قد علمت انه ان نجا انما ينجوا باهل
هذا البيت اطلق الرجل واقبض المال واردد العقد فاني لم أكن لاهب هبة وترجع
الى مالي قال صالح فلم اطب نفسا الا بتعريف يحيى ما قاله منصور عند خروجنا
من المنزل من عنده فرجعت اليه واطنبت في شكره والدعاء له وووصف ما كان منه
وقلت ولكن انعمت على غير شاكر قابل اكرم فعل بالام قول قال وكيف فاخبرته
بما كان فجعل والله يطلب له المعاذير ويقول يا أبا علي ان المنحوت القلب ربما سبقه
لسانه بما ليس في ضميره وكان الرجل في حال عظيمة قال صالح فقلت له والله
ما ادري من أي امر بك اعجب من اوله ام من آخره ولكني اعلم أن الدهر لا يخلف
مثلك ابدا قال وكان علي بن عيسى القمي ضامنا يعمل الخراج والضيايع ببلده
فبقيت عليه اربعون الف دينار ولح المأمون في طلبته حتي قال لعلي بن صالح
حاجبه طالبه بالمال وانظره ثلاثة أيام فان احضر المال قبل انقضائها وإلا فاضربه
بالسياط حتى يؤديها أو يتلف وكان بين علي بن عيسى وغسان بن عباد عداوة
فانصرف من دار المأمون آيسا من نفسه لا يقدر على شيء من المال فقال له كاتبه
لو عرجت على غسان واخبرته بخبرك لرجوت ان يعينك عليه قال فحملته على
قبول ذلك فدخل على غسان فتلقاها بحميل ووفاه حقه فقص عليه كاتبه قصته
فقال له ارجو ان يكفيه الله ونهض علي بن عيسى آيسا من نفسه كاسف البال
نادما على قصده وقال لكاتبه لما انصرف ما افدتني بقصد غسان الا لتجعل
المهانة والذل لي وتشاغل في طريقه بلقاء بعض اخوانه وعاد إلي داره فوجد علي

داره بغالا عليها اربعون الف ديناراً مع رسول غسان بن عباد فبلغه سلامه وعرفه عنه بما دفع اليه وسلم اليه المال وتقدم بحضور دار المأمون من غد ذلك اليوم فبكر على بن عيسى فلما وصل الناس إلى المأمون مثل غسان بن عباد بين الصفوف وقال يا أمير المؤمنين ان لعلي بن عيسى حرمة وخدمة وسالف اصل ولأمر المؤمنين عليه سالف احسان وقد لحقه من الخسران في ضمانه ما قد تعارفه الناس وجرى عليه من حدة المطالبة وشدتها والوعيد بضرب السياط ما حيره وقطعه عن احتيال ما عليه فان رأى أمير المؤمنين ان يسعفني ببعض ما عليه ويضعه عنه فعل قال فلم يزل به إلى ان حظه النصف واقتصر منه على عشرين الف دينار قال غسان على أن تجدد عليه الضمان وتشرفه بخلع فاجابه المأمون الى ذلك قال فيأذن لي أمير المؤمنين ان احمل الدواة اليه ليوقع بذلك فيبقى شرف حملها على وعلى عقبي قال افعل ففعل وخرج على بن عيسى والتوقيع معه بذلك وعليه الخلع فلما وصل الى منزله رد العشرين الف دينار إلى غسان وشكره فردها غسان وقال اني لم استحطتها بنفسى وانما احببت توفيرها عليك واستحطتها لك وليس والله يعود شيء من المال الى ملكي * وحكي أحمد بن أبي داود قال ما صحب السلطان اجلد من عمر بن فرج الرجعي ولا ازجل واخبت منه غضب عليه المعتصم يوماً وهم بقتله وامر بحضوره فجاء وقد نزع دمه فقال المعتصم السيف يا غلام فجعلت ركبتا عمر تصطكان فقلت ان رأى أمير المؤمنين أن يسأله عن ذنبه فلمعه أن يخرج منه بعد لعذر فقال له يا ابن الفاعلة امرتك في ولد أبي طالب ان تعرف خبر منازلهم قال لا قال فلم فعلت فقال عمر انما فعلت ذلك لأنه بلغني عن واحد منهم ان اصل قوم يكاتبونه فاردت أن اعرف ما في الكتب الواردة عليه وجعل عمر في خلال ذلك يلتمس البساط الذي كان تحت المعتصم فزاد ذلك في غضبه وقال يا ابن الفاعلة ما شغلك ما أنت فيه عن لمس البساط كانك غير مكترث بما أريده منك فقال لا والله يا أمير المؤمنين ولكن العبد يعنى من امر سيده بكل شيء على جميع الأحوال وانى ما استحسننت هذا البساط لأنه ليس من بسط الخلافة فقال له ويلك هذا البساط ذكر محمد بن عبد الملك أنه قام علينا بخمسين الف درهم فقال ياسيدي عندي خير منه بسبعمائة دينار قال فذهب عن المعتصم والله ذلك القور الذي كان به

وسكن غضبه وقال وجه الساعة من يحضره فجاء البساط وما كان قد قام عليه فيما
اظن باكثر من ثلاثة آلاف دينار فبسط واستحسنه المعتصم واستلافه وقال
هذا والله احسن من بساطنا وارخص وقد اخذناه منك بما اقام عليك ووالله
ما برح ذلك اليوم حتى نادى وخلع عليه * قال واخذ مصعب ابن الزبير رجلا
من اصحاب المختار فأمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير ما اقبح بك أن أقوم يوم
القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الجميل الذي يستضاء به فأعلق
بك ثم أقول يا رب سل هذا فيم قتلني قال قد عفوت عنك قال أيها الأمير اجعل
ما وهبت لي في حياتي في خفيض فانه لا عيش لفقير فقال ردوا عليه عطاءه واعطوه
مائة الف درهم فقال اشهد الله اني قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات قال
ولم قال لقوله

انما مصعب شهاب من الله تخلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء
يتقى الله في الأمور وقد افلح من كان همه الاتقاء

فضحك مصعب وقال اري فيك للصنيعة موضعاً وجعله في ندمائه واحسن
صلته * وقيل للفضل بن يحيى قد افسدت جودك بكبرك فقال والله مالي
حيلة في النزوع عنه وما كان طبعي هكذا إلا انني حملت نفسي عليه لما رأيت
من عمارة بن حمزة فتشبهت به فصار طبعاً لا أقدر على الاقلاع عنه وذلك ان أبي
كان يضمن فارس من المهدي فحملت عليه ألف ألف درهم وكان المهدي قد ساء رأيه فيه
فحرك ذلك ما كان في نفسه وامر ابا عوز ان يأخذه فيطأ به بالمال فان غربت الشمس عن
يومه ذلك ولم يسلم جميعه أو يبقى درهم منه أتاه براسه من غير أن يستأذنه أو يراجعه قال
فأخذه أبو عوز فاستدعاني اليه وقال يا بني قد ترى ما نحن فيه فلا تدعوا في منازلكم
شيئاً إلا احضرتوه فجمعنا كل ما في منازلنا من صامت وحلى فلم يبلغ عشر المال
فقال لي يا بني ان كانت لنا حيلة في الحياة فهي من قبل عمارة بن حمزة وإلا فانا
مقتول العشية فآلقه واذكر له الصورة فمضيت إلى بابه فاستؤذن لي عليه فدخلت
عليه وهو مضطجع قد غاص في فرش له ما كاد يبين غير وجهه فوالله
فوالله ما تحرك وسلمت فأومأ الي بالجلوس فجلست بعيداً منه فلم يعرني الطرف

فانكسرت نفسي وقلت أي خير عند من هذا لقاءه وعنوان أمره فامسكت
لا أتكلّم منكرا في الكلام والقيام فقال اذكر حاجتك ان كنت أتيت بها قال
فقصصت عليه القصة وعرفته بما جئت بقصده وما نحن فيه من المضايقة والتشديد
قال فوالله ما أجابني بأكثر من ان قال امض فان الله تعالى يكفيك فقمت متحيرا
أجر رجلى لأشك في انه قد آيسني من حاجتي وقلت ان عدت إلى أبي بهذا الجواب
مات غما قبل ضرب العنق فتوقفت ساعة لا أدري ما أصنع ثم قلت على كل حال
لا بد من أن أمضي إليه واؤانسه فان كان له حيلة أخرى شرعنا فيها قبل ان ينصرم
النهار قال فجئته فوجدت على الباب بغالا محملة فقلت لمن معها من أتم ومن بعث
بكم فقالوا اتقدنا عمارة إليكم بمال على هذه البغال فدخلت وأخبرت أبي بما جرى
وأخذنا المال فصحيحناه وما صليت العصر إلا وسلمنا المال ولما عرف المهدي
الصورة فاستحيا وافرّج عن أبي وكان ذلك سبب رضاه عنه وصلاح نيته له فلما
كان بعد شهرين ورد لنا من فارس مال كثير فقال لي أبي خذ المال وامض به إلى
عمارة واشكره وردّه عليه فحملت المال وجئت به إلى بابه حتى استؤذن لي فدخلت
عليه وهو على فرشه فما زادني على ما علمني به أولا ولا نقصني فشكرته عن أبي
ودعوت له وعرفته احضاري المال وسألته الأمر بقبضه فقال لي أ كنت قسطارا
لأبيك أقرضه وارجع منه فقلت لا ياسيدي بل أحييته وحقنت دمه ومننت عليه
وما أحب أن ينقمك فلما حصل له المال اتفذه فقال له اما إذا رده أبوك فقد وهبته
لك خذه وانصرف فقمت وقد أعطاني ما لم يعطه أحدا فجئت إلى أبي فعرفته
ما جرى فقال لا والله يا بني ما طيب لك نفسي به كله ولكن تأخذ منه مائتي ألف
درهم فأعطانيها فهي أول مالي وأصل نعمتي فتعلمت من عمارة الكرم والكبر معاً
فصار لي طبعاً * وحكى المعروف بالهايم الراوية فيما حدثني به قال كنت أسير من
الشام أريد العراق فلما انتهيت إلى قرية في بعض الطريق لقيني خراساني معه مخلاة
فقال أين تريد قلت بغداد فقال أنار فيك فسرنا إلى قرية خراب على شاطئ الفرات
في بركة الشام فرأينا على باب القرية رجلا أسود منكر الخلق عريانا لا يتوارى بشيء
البتة فعدا مجفلا عنا فدخلنا القرية فجلسنا في دار خراب على شاطئ الفرات وأخرجنا

زادا كان معنا فجعلنا نأكل فاذا الحجارة تحييئنا متداركة حتي خفنا ان نهلك منها
 وماتما لكنا ان نقوم الالبجهد وتاملنا امره فرأينا الأسود يرجنا فطلبناه وطلبنا فلما
 دخلنا وأم الأسود أن يقبض على ففزعت منه فقبض على الخراساني وقبض عليه الآخر
 وجعلنا يتعاركان فانكب الأسود على كتف الخراساني فعضه فصاح الخراساني
 يا بغدادى ادركنى فقد قتلتنى فدنوت من خلف الأسود وتعلقت بخصيتية ولكتهما
 لكبات شديدة نخر مغشياً عليه وقام الخراساني فجلس على صدره وخنقه بيده حتي
 تلف وسرنا والخراساني يصيح من ألم العضة فاتهمنا إلى حيال قرية عامرة فصحبنا بملاح
 فقدم زورقه لنعبر إلى القرية فطرح الخراساني نفسه على الشط كالتالف فشجعتة وقلت
 مالك وأى شيء قدر عضه فقال ويحك أنظر إليها فرأيتها فاذا هي قد أخذت كتفه كله
 واسودت واحمر بدنه كله فحملته أنا والملاح حتى حصلنا في الزورق وعبرنا فلما
 صرنا بالقرب من الشط تلف فأخرجناه ميتاً فاجتمع أهل القرية وسألوا عن شأنه
 فحدثهم الحديث فقالوا قد فتحتم فتحاً هذا عبد فلان أصابه داء الكلب وتغرب
 في تلك الخرابات وقد قتل خلقاً كثيراً بالعض وتبادر قوم منهم يريدون الموضع
 للنظر إلى الأسود وسرت أنا في طريقي وحمدت الله على سلامتي من الأسود * قال
 وقرأت في كتب الفرس ان ابرويز الملك كان معجباً بالقليبيذ لطيب غنائه فنشأ
 للقليبيذ غلام أحسن غناء منه فاهداه إلى ابرويز متقرباً به اليه واستطابه ابرويز
 وغلب على قلبه حتى قدمه على القليبيذ فحسده القليبيذ فقتله وبلغ ذلك ابرويز
 فغضب غضباً شديداً واستدعا القليبيذ وأمر فاحضروا له السيف والنطع وعزم
 على ضرب عنقه وقال له يا كلب علمت أن شطر لذتي بالغناء كان فيك وشطرها في
 غلامك فقتلته لتذهب بشطر لذتي والله لأقتلنك وأمر به فخر ليقتل فقال أيها
 الملك اسمع مني كلمة ثم اعمل ما شئت قال قل إذا كانت لذتك شطر ين وقد ابطلت
 أنا بالجهل والخطأ أحدهما فهل تبطل أنت على نفسك الشطر الآخر بطاعة الغضب
 فان جنائتك على نفسك أعظم من جنائتي عليك فقال ابرويز ما نطقك بهذا الكلام
 في مثل هذا المقام الا لما في أجلك من التأخير ولما يريد الله اسعادي به من
 الالتذاذ بالغناء وقد عفوت عنك فاطلقه * وقال أبو إسحق أخبرنا احمد بن أبي
 داود قال دخلت على المعتصم يوماً فقال لي يا أبا عبد الله لم يدعني اليوم أبو الحسن

الاقشين حتى أطلقت يده على القاسم بن عيسى فقامت من بين يديه ولم أبصر شيئاً جزعاً على أبي دلف ودخلني أمر عظيم وخرجت فركبت دابتي ومرت أشد سيرة من الجوسق إلى باب الاقشين بقرب المطيرة أو مل ان ادرك ابا دلف من قبل أن يحدث عليه حادثة فلما بلغت بابه كرهت ان استاذن فيعلم اني قد حضرت بسبب أبي دلف فيعجل عليه فدخل فدخلت على دابتي إلى الموضع الذي كنت أنزل فيه وأوهمت حاجبه اني قد جئت برسالة من المعتصم ثم نزلت فرفع الستر فدخلت فوجدت الاقشين في مجلسه وأبا دلف مصفدا بالحديد بين يديه على نطع وهو يقرعه ويخاطبه بأشد غضب واغلظ مخاطبة حين قربت منه امسك فسامت وأخذت مجلسي ثم قلت للاقشير قد عرفت حرمتي بأمر المؤمنين وخدمتي إياه وموضعي عنده وموقعي من رأيه وتفرد به بالصنعة عندي والاحسان الي وعلمت مع ذلك ميل اليك ومحبتى لك وقد رغبت إليك فيما يرغب اليه مثلي إلى مثلك ممن رفع الله قدره واجلَّ خاطره وأعلى همته فقال كلما قلت وكلما أردته مني فهو مبذول لك خلا هذا الجالس فاني لاشفعك فيه فقلت ماجئتك إلا في أمره ولا التمس منك غيره ولو لاشدة غضبك وما تتوعده به من القتل لكان في جميل عفوكم ما أغنى عن كلامك ولكني لما عرفت غضبك وما تنقمه عليه احتجت مع موقعه مني إلى كلامك في أمره واستيهاب عظيم جرمه إذ كان مثلك في جلالتك انما يسئل جلائل الأمور فقال يا أبا عبد الله هذا رجل طلب دمي ولم يقتصر على إزالة نعمتي ولا سبيل إلى تشفيك فيه ولكن هذا بيت مالي وهذه ضياعي وكل ما أملك نخذ من ذلك ما أردت فقلت بارك الله لك في مالك وثمرها لك لم آت لهذا وإنما أتيت في مكرمة يبقى فضلها وتحسن احوالها وتعتقدها منة في عنقي لا أزال صرتهناً بشكرها فقال ما عندي في هذا شيء البتة فقلت له القاسم بن عيسى فارس العرب وشريفها فاستبقه وأنعم عليه فان لم تره لهذا اهلا فهبه للعرب كلها وأنت تعلم ان ملوك العجم لم تزل تفضل على ملوك العرب ومن ذلك ما كان من كسرى إلى النعمان حتى ملكه وأنت اليوم بقية العجم فالنعم على شريف من العرب بالعفو عنه فقال ما عندي في هذا إلا ما سمعته وتنكر وتبينت الشر في وجهه فقلت في نفسي انصرف وادع هذا يقتل أبا دلف لا والله ولكن امثل بين يديه قائماً واسأله فلعله يستحي

فقلت وتوهمني أريد الانصراف فتحضر لي فقلت لست أريد الانصراف وإنما
مثلت بين يديك طالباً راغباً ضارعا سائلاً مستوهاً هذا الرجل منك فكان
جوابه اغلظ فتحيرت فقلت انكب على رأسه فأقبله فدخلني من ذلك انفة شديدة
وقلت أقبل رأس هذا النذل لا يكون هذا أبداً ثم راجعتني الشفقة على أبي دلف
فقبلت رأسه وتضرعت فلم يجبني فأخذ في ما قدم وما حدث وعدت فجلست
وقلت يا أبا الحسن قد طلبت إليك وتضرعت ووضعت خدي لك ومثلت بين يديك
وقبلت رأسك فشفعني وأصر فني شاكراً فهو أجل بك قال لا والله ما عندي غير
ما قلته لك قلت فأنا رسول أمير المؤمنين إليك وهو يقول لك لا تحدث في القاسم
ابن عيسى حدثاً فانك إن قتلته قتلت به قال يقول أمير المؤمنين هذا لي بعد أن
أطلق يدي عليه قلت نعم أنا رسوله إليك بما قلته لك فإن كنت في الطاعة فاسمع
وأطع وإن كنت قلت لا طاعة فأفعل ونقضت يدي في وجهه ونهضت فاضطرب
حتى لم يقدر أن يدعو لي بدابتي وركبت فاعدت السير إلى المعتصم لا خبره الخبر
وبما اضطررت إليه من تأدية رسالة باطلة عنه لاني علمت انه لم يقل لي ما قاله إلا
وهو يحب استبقاء أبي دلف فأنتهيت إلى الجوسق في وقت حار والحجاب جميعاً
نيام والدار خالية فأنتهيت إلى ستر الدار التي فيها المعتصم وجلست وقلت إن جاء
الاقشين دخلت معه وتكلمت وإن سال الوصول أخبرت أمير المؤمنين الخبر كله
فبينما أنا كذلك إذ خرج خادم صغير من وراء الستر ثم دخل وخرج فقال ادخل
فدخلت وقلت يا أمير المؤمنين أمالي حرمة أمالي زمام أمالي حق أما في فضل
أمير المؤمنين ونعمته على ما يجب رعايته فقال مالك يا أبا عبد الله ما قصتك اجلس
اجلس فقلت يا أمير المؤمنين قلت لي اليوم في القاسم بن عيسى قولاً علمت أنك
تريد استنقاذه وحقن دمه فضيت من فوري إلى أبي الحسن الاقشين وقصصت
عليه القصة وكلما دخلت معه في الكلام يتغيظ ويفتل سباله حتى إذا أردت أن
أعرفه الرسالة التي أدبتها عنه قطع كلامي وقال يمضي قاضي وصنيعتي أحمد بن
أبي داود إلى جندي فيخضع له ويقف بين يديه ويقبل رأسه فلا يشفعه قتلني الله
إن لم أقتله يكررها فما استوفى كلامه حتى رفع الستر ودخل الاقشين فلقيه با كبر
البر والاكرام وأجلسه بقربه وقال في هذا الوقت الحار يا أبا الحسن فقال

ياأمير المؤمنين رجل عرفت مانالني منه وأنه طلب دمي وقد أطلقت يدي عليه
ويحيئني هذا ويقول انك بعثت به إلى تأمرني أن لا أحدث فيه حدثاً وإني ان
قتلته قتلت به قال فظهر الغضب وقال نعم أنا ارسلته اليك فلا تحدث على القاسم
ابن علي حدثاً فنهض الاقشين مغضبا يدمدم واتبعته لاتلافاه فصاح بي المعتصم
ارجع ياأبا عبد الله فرجعت وقلت ياأمير المؤمنين انه باق مما جرى كلاماً قد قطعني
بكلامك عن تكلمته وهي بمعنى الرسالة قال قد فهمتها والقاسم بن عيسى يوافيك
العشية فاحذر أن تتفوه بشيء مما جرى ومضى الاقشين فأطلق القاسم وخلع عليه
خفاء في القاسم من عشيته وما أخبرت بالحديث أحد حتى قتل الاقشين ومات
المعتصم * قال قرأت في بعض كتب الفرس المنقولة إلى العربية ان ملكاً من
ملوكهم قدم اليه صاحب مائدته عضادة اسفيدباج فسقطت منها نقطة على ذراع
الملك فأمر بقتل الرجل فقال الرجل اعيز الملك بالله من أن يقتلني ظالماً لغير ذنب
قصده فقال الملك قتلك واجب ليتعظ بك غيرك فلا يميل الخدمة فأخذ الرجل
العضادة فصحبها بأسرها على الملك وقال أيها الملك تكرهت أن يشيع عنك انك
قتلتني ظالماً ففعلت هذا لاستحق القتل ويزول عنك قبج الاحدوثة بظلم الخدم
فشأنك الآن وما تريد فقال الملك ما أحسن الأجل قد عفوت عنك * قال احمد
ابن أبي داود وما رأيت رجلاً طين الموت فما اكرث به ولا شغله عما أراد حتى
بلغه وخلصه الله من القتل الاتيم بن جميل فاني رأيته بين يد المعتصم بالله وقد
بسط له النطع وانتضى السيف وكان رجلاً جسيماً ومما فأحب المعتصم أن يستنطقه
لينظر أين منظره من مخبره فقال له تكلم فقال اما إذا اذن أمير المؤمنين في الكلام
فالحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله
من سلاله من ماء مهين ياأمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث
المسلمين إن الذنوب تحرس اللسنة وتخلع الافئدة وايم الله لقد عظمت الجريمة
وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق إلا عفوك او انتقامك وانشد

أرى الموت بين النطع والسيف كامناً يلاحظني من حيث لا أتلفت
وأكثر ظني انك اليوم قاتلي وإي امرء مما قضى الله يفلت
وأي امرء يدلي بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيه مصلت

وما جزعى من أن أموت وانى لأعلم ان الموت شىء موقت
ولكن خلفى بلية قد تركتهم واكبادهم من حسرتى تتفتت
كانى أراهم حين أنعى اليهم وقد لطموا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة اذ ود الردى عنهم وان مت موتوا
فاستعبر المعتصم ثم قال ياتيم قد عفوت عنك من الهفوة ووهبتك للصبية
وأمر بفك قيوده وخلع عليه وعقد له على سقى الفرات * وقال أوتى معن بن زائدة
بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فأحضر سيف ماض وسياف ونطع وقدم
واحد منهم فقتل ثم قدم غلام كان فيهم فقال يامعن لا تقتل اسراك وهم عطاش
فقال اسقوهم ماء فشربوا فقام الغلام فقال أيها الأمير لقد أطعنا فى السؤال وإن
لكل كبد حرا أجر ونحن والله جياع فان رأيت أن تشبعنا قبل قتلنا فافعل فأمر
لهم بطعام فأكلوا فلما شبعوا قام الغلام فقال أيها الأمير كنا اسراك والآن
سرنا اضيافك فقال خلوا عنهم فاطلقوهم جميعا * وقرأت فى بعض الكتب كان
موسى الهادى قد طالب أخاه هارون أن يخلع نفسه من العهد لصيره لابنه من
بعده ويخرج هارون من الأمر فلم يجب إلى ذلك فأحضر يحيى بن خالد البرمكى
ولطف به وداره ووعدده ومناه وسأله ان يشير على هارون بالخلع فلم يجب يحيى
إلى ذلك ودافعه عنه وهدده الهادى وتوعده وجرت بينهما فى ذلك خطوب
وأشنى يحيى معه على الهلاك وهو مقيم على مدافعتة عن صاحبه إلى ان اعتل
الهادى علته التى مات فيها واشتدت به فدما يحيى وقال له ليس ينفعنى معك
شىء وقد أفسدت أخى وقويت نفسه حتى امتنع مما أريده ووالله لأقتلنك فدما
بالسيف والنطع وأبركه ليضرب عنقه فقال له إبراهيم بن ذكوان الحراني
يا أمير المؤمنين ان ليحيى عندى يدا أريد ان اكافئه عنها فأحب ان تهبه لى الليلة
وأنت فى غد أعلا عيناً وماتراه فى أمره فقال وما فائدة ليلة فقال اما أن يعود صاحبه
إلى رضاء أمير المؤمنين أو يعهدك فى أمر نفسه وولده فأجابه قال يحيى فاقمت من
النطع وقد أيقنت بالموت وعلمت أنه لم يبق من أجلى إلا بقية الليلة فما اكتحلت
غمضاً إلى السحر سمعت صوت القفل ففتح عنى فلم أشكك ان الهادى استدطاني
للقتل لما انصرف إبراهيم كاتبه وانقضت الليلة فاذا بخادم قد أقبل وقال أجب

السيدة فقلت مالى وللسيدة فقال قم قال فقممت فأتيت الخيزران فقالت لى ان
 أمير المؤمنين قدمات ونحن نساء فأدخل وأصلح أمره وأنفذ إلى هرون فحى به
 فدخلت فاذا هو ميت على فراشه وأمه العزيز تبكى على رأسه فغمضته وشدت
 لحيته وحمدت الله على لطيف صنعه وتقرىحه ما كنت فيه وبادرت إلى هرون
 فوجدته نائما فأيقظته فلما رأى عجب وقال ويحك ما الخبر فقلت يا أمير المؤمنين
 قم إلى دار الخلافة فقال مات موسى قلت نعم فقال الحمد لله هاتوا ثيابي فقبل
 أن يلبسها جاءني من عرفنى سرا انه قد ولد له ابن من مراجل ولم يكن عرف الخبر
 فقلت أقر الله عينك يا أمير المؤمنين بابن مراجل فحمد الله كثيرا وسماه عبدالله
 المأمون وركب وأنامعه إلى دار الخلافة * ووجدت في بعض الكتب ان الحجاج
 كان يستعرض قوما من أصحاب ابن الأشعث فقتل منهم جماعة ثم جرىء برجل فأمر
 بضرب عنقه فقال أيها الأمير ان لي عليك حقا فقال انه سبك عبدالرحمن يوما
 فرددت عليه قال ومن يعلم هذا فصاح الرجل انشد الله رجلا سمع ذلك إلاشهد
 به فقام من الاسري رجل وقال قد كان ذلك قال خلوا عنه ثم قال للشاهد ما منعك
 أن تنكر سبي كما انكر هو قال قديم بغضى لك فقال خلوا عنهما هذا ليده وهذا
 لصدقه * وذكر المدايني في كتابه يرفعه إلى رجل كان من اسراء الحجاج من
 أصحاب بن الأشعث قال جعل الحجاج يقتل عامة يومه الاسراء وبقيت منا جماعة
 قليلة واتى برجل ليضرب عنقه فقال يا حجاج والله لان كنا اسأنا الفعل فما
 احسنت في العقوبة ولئن كنا لزمنا الجناية فما كرمتم في العفو فقال ردوه يا حرسى
 كيف قلت فاعاده فقال الحجاج صدقت والله اف لهذه الجيف والجثث أما كان
 فيها أحد ينهبنا كما نهبتنا اطلقوا عنه * وذكر المدايني في كتابه عن معمر بن
 المسنى قال اتى الحجاج بقوم ممن كانوا خرجوا عليه أمر بهم فقتلوا وأقيمت
 الصلاة وقد بقى منهم رجل واحد فقال الحجاج لعنبة انصرف بهذا معك واغد
 على غدا قال لعنبة فخرجت به فلما سرنا في الطريق قال هل فيك خير قلت وما
 ذاك قال انى والله ما خرجت على المسلمين ولم استحل منا لهم وعندي ودائع
 واموال فتخلى عنى حتى آتى اهلى وارد على كل ذى حق حقه واجعل الله لك
 على انى اتصبح عندك فى غد فتمجبت منه وتضاحكت ومضينا ساعة فاعاد على

القول فقلت له اذهب فذهب فلما تواري عنى شخصه سقط في يدي فأتيت أهلي
فاخبرتهم فقالوا لقد اجترأت على الحجاج وبتنا باطول ليلة فلما طلع الفجر إذا به
قد جاءني فقلت ارجعت فقال سبحان الله جعلت الله عز وجل شاهدي ثم لم
ارجع قال فانطلقت إلى الحجاج فقال اين اسيرنا قلت اصلح الله الأمير هو بالباب
وقد كانت لي وله قصة قال وما هي فاخبرته الخبر وادخلته عليه فقال لي اتحب
اني اهبه لك قلت نعم قال هو لك فقلت للرجل خذ أي طريق شئت فرفع بصره
إلى السماء وقال الحمد لله وانصرف وما كلمني بكلمة فقلت في نفسي هذا مجنون
فلما كان في غد اتاني فقال يا هذا جزاك الله خيرا اني ما جهلت قدر ما صنعت
ولكن كرهت أن اشرك في حمد الله أحدا * وذكر محمد بن عمر القاضي أبو
الحسين في كتابه قال حبس رجل وقد وجب عليه حد فلما رفع خبره أمر بضرب
عنقه فقال الخبر فدخلت بعدها الحبس إلي رجل بيني وبينه سبب اتفق خبره
فرايت الذي أمر بضرب عنقه يلعب بالنرد فقلت للذي دخلت اليه أنا أعلم بضرب
عنق ذلك الانسان فما افرغ قلبه يلعب بالنرد وهو محبوس قال صاحبي اطرف
من هذا انه قد أمر بضرب عنقه وقد علم بذلك وهو ذا ترى حاله قال فازددت
تعجباً ففطن الرجل لما نحن فيه فاخذ بيده فصا من فصوص النرد فرفعه وقال
إلى أن يسقط هذا من يدي إلى الأرض تكون قد حدثت أمور فخرجت وأنا
متعجب منه مفتكر في قوله فما أمسينا ذلك اليوم حتى سعت الجند وفتحت
السجون وخرج من كان فيها والرجل فيهم وسلم من القتل



الباب التاسع

من شارف الموت بحيوان مهلك رآه فكفاه الله سبحانه ذلك بلطفه ونجاه
عن ابراهيم الخواص قال ركبت البحر مع جماعة من الصوفية فكسر المركب
بنا فنجى منا قوم على خشب من خشب المركب فوقعنا إلي مكان لا ندرى أي
مكان هو فاقمنا فيه أياما لا نجد ما نقتاته فاحسبنا بالموت فقال بعضنا لبعض تعالوا

حتى نجعل الله على انفسنا ان ندع له شيئا فلعله يرحمنا فيخلصنا من هذه الشدة فقال بعضنا لا افطر الدهر وقال بعضنا أصلي كل يوم كذا وكذا ركعة وقال بعضنا ادع اللذات إلى أن قال كل منا شيئا وأنا ساكت فقالوا لي قل شيئا فلم يجيء على لساني إلا أن قلت لا آكل لحم فيل أبدا فقالوا الهزل في مثل هذا الحال فقلت والله ما تعمدت الهزل ولكني منذ بدأت وأنا أعرض على نفسي شيئا ادعه لله عز وجل فلا تطاوعني ولا يخطر على قلبي غير الذي لفظت به وما أجرى هذا على لساني ولا الهمة قلبي إلا لامر فلما كان بعد ساعة قال بعضنا لم لا نطوف في هذه الأرض متفرقين فنطلب قوتا فمن وجد شيئا انذر به الباقيين والموعود هذه الشجرة قال فتفرقنا في الطرق فرجع احدا بولد فيل صغير فلوح بعضنا لبعض فاجتمعنا فاخذة أصحابنا واحتالوا فيه حتى شووه وقعدوا يأكلون وقالوا تقدم فقلت أنتم تعلمون أنني منذ ساعة تركته لله عز وجل وما كنت لارجع في شيء تركته له لعله جرى ذلك على لساني لأجل موتي من بينكم لأنني ما أكلت شيئا منذ أيام وما اطعم في شيء آخر وما يراني الله انقض عهده ولو مت واعتزلتهم وأكل أصحابي وأقبل الليل وتفرقنا إلى مواضعنا التي كنا فيها نبيت وآويت إلى أصل شجرة كنت أبيت عندها فلم يكن إلا لحظة فاذا بفيل عظيم قد أقبل وهو ينعر والصحراء تتدكدك بنعيه وشدة شغبه وهو يطلبنا فقال بعضهم قد حضر الأجل فاستسلموا وتشهدوا وأخذنا في الاستغفار والتسبيح وطرح القوم نفوسهم على وجوههم فجعل الفيل يقصد واحدا واحدا فيشمه من أول جسده إلى آخره فاذا لم يبق فيه موضع الاشمه شال احدي قوائمه فوضعها عليه وفسخه فاذا علم انه قد اتلفه قصد آخر ففعل به مثل فعله في الأول إلى أن لم يبق غيري وأنا جالس منتصب اشاهد ما يجري واستغفره واسبحه فقصدني الفيل فحين قرب مني رميت نفسي على ظهري ففعل بي من الشم كما فعل بأصحابي ثم اعاد شتى مرتين أو ثلاثا ولم يكن فعل باحد منهم ذلك وروحي في خلال ذلك تكاد تخرج فزعا ثم لف خرطومه على فشالني في الهوا فظننته يريد قتلي بقتلة أخرى فجهرت بالاستغفار فما نحى خرطومه حتي جعلني فوق ظهره فانتصبت جالسا واجتهدت في حفظ نفسي بموضعي وانطلق الفيل يهرول تارة ويسعى أخرى وأنا تارة أحمد الله عز

وجل على تأخير الفيل وأطمع في الحياة وتارة أتوقع أن ينور بي فيقتلني فطاود
الاستغفار وأنا أقاسى في ذلك واتجرع من الألم الشديد لسرعة سير الفيل أمراً
عظيماً فلم أزل على ذلك إلى أن طلع الفجر واشتد ضوءه فاذا به قد لف خرطومه
على فقلت قد حضر الأجل فاستكثر من الاستغفار فاذا به قد أنزلني من
ظهره وتركني على الأرض ورجع إلى الطريق التي جاء منها وأنا لا أصدق فلما غاب
عن عيني ولم اسمع له حساً خرت ساجداً لله سبحانه فما رفعت رأسي حتى
احسست بالشمس فاذا أنا على ظهر محجة عظيمة فمشيت عليها نحواً من فرسخين
فانتهيت إلى بلد كبير فدخلته فعجب أهله مني وسألوني عن حالي فاخبرتهم بالقصة
فزعموا أن الفيل سار في هذه الليلة مسيرة أيام واستظرفوا سلامتي وأقمت عندهم
حتى صلحت من تلك الشدائد التي قاسيتها وتندى بدني ثم سرت مع التجار إلى
بلد على شاطئ البحر فركبته ورزقني الله السلامة إلى أن عدت إلى بلدي * قال
حدثني أبو بكر البسطامي صاحب ابن دريد وكان زوج ابنته وكان شيخاً من أهل
الأدب والحديث وقد استوطن الأهواز سنين وكان ملازماً لأبي رحمه الله يتفقد
ويبره قال كان لامرأة ابن غاب عنها غيبة طويلة منقطعة وآيست منه فجلست يوماً
تأكل خبز كسرت لقمة واومت بها إلى فيها وقف بالباب سائل مستطعم فامتنعت
من أكل اللقمة وحملتها مع تمام الرغيف فتصدقت بها وبقيت جائعة يوماً وليلتها
فما مضت إلا أيام يسيرة بعد ذلك حتى عاد ابنها فاخبرها بشدائد عظيمة مرت به
وقال أعظم شيء جرى لي كنت منذ أيام أسلك أجمة عظيمة في الموضع الفلاني
إذ خرج على الأسد فقبض على من على ظهر حمار كنت راكبه وعاد الحمار ونشبت
مخالب الأسد في ثياب كانت على فما وصل إلي بدني كثير شيء من مخالبه وذهب
أكثر ثيابي فادخلني الأسد الأجمة وبرك لي فترسني فرأيت رجلاً عظيم الخلقة
أبيض الوجه والثياب قد جاء حتى قبض بيده من غير سلاح على قفا الأسد
وشاله وخبط به الأرض وقال قم يا كلب لقمة بلقمة فقام الأسد هارباً يهرول
وثاب إلي عقي وطلبت الرجل فلم أجده وجلست ساعات إلى أن ثابت إلي قوتي
ثم نظرت إلى نفسي فلم أجدها بأساً فمشيت حتى لحقت بالقافلة التي كنت فيها
فتعجبوا لما رواني خدثهم حديثي ولم أدر معنى القول من الرجل لقمة بلقمة

فَنظَرْتُ الْمَرْأَةَ فَذَا هُوَ وَقْتُ أَنْ أُخْرِجْتَ اللَّقْمَةَ مِنْ فِيهَا وَتَصَدَّقَتْ بِهَا * وَجَدْتُ
 فِي دَفْتَرِ عَتِيقٍ عَنْ بَعْضِهِمْ قَالَ خَرَجْتُ إِلَى الْحَائِرِ فِي أَيَّامِ الْخَنْبَلِيَةِ أَنَا وَجَمَاعَةُ مُخْتَفِينَ
 فَلَمَّا صَرْنَا فِي أَجْمَةٍ بَرَّ قَالَ لِي رَفِيقٌ مِنْهُمْ يَا فُلَانُ إِنْ نَفْسِي تَحْدِثُنِي إِنْ السَّبْعَ يُخْرَجُ
 فَيَفْتَرِسُنِي مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ نَحْذِ حِمَارِي وَمَاعِلِيهِ فَأُدْهِ إِلَى عِيَالِي فِي مَنْزِلِي
 فَقُلْتُ لَهُ هَذَا اسْتِشْعَارٌ يَجِبُ أَنْ تَتَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْهُ وَتَضْرِبَ عَنِ الذِّكْرِ فِيهِ قَالَ فَهَامَضِي
 عَلَى هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا يَسِيرُ حَتَّى خَرَجَ الْأَسَدُ فَخِينَ رَأَى الرَّجُلَ سَقَطَ عَنْ حِمَارِهِ
 يَتَشَهَّدُ وَقَصْدُهُ الْأَسَدُ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ فَأَخَذَهُ وَدَخَلَ بِهِ الْأَجْمَةَ وَسَقَتِ الْحِمَارُ
 وَأُسْرِعَتْ مَعَ الْقَافِلَةِ وَبَلَغَتْ الْحَائِرَ وَزَرْنَا وَرَجَعْنَا إِلَى بَغْدَادَ وَاسْتَرَحْتُ فِي بَيْتِي
 يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَخَذْتُ الْحِمَارَ وَجِئْتُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ لِأَسْلِمَهُ إِلَى عِيَالِهِ فَدَقَقْتُ الْبَابَ
 فَخَرَجَ إِلَيَّ الرَّجُلُ بَعِينُهُ فَعَانَقَنِي وَبَكَا وَبَكَيتُ وَقُلْتُ حَدِيثُكَ فَقَالَ إِنْ السَّبْعَ سَاعَةً
 أَخَذَنِي وَجَرَنِي إِلَى الْأَجْمَةِ وَأَنَا لَا أَعْقِلُ أَمْرِي سَمِعْتُ صَوْتَ شَيْءٍ وَرَأَيْتُ السَّبْعَ
 قَدْ دَخَلَ نِي وَمَضَى فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَذَا الَّذِي سَمِعْتُهُ صَوْتَ خَنْزِيرٍ وَإِذَا السَّبْعُ لَمَّا رَأَى
 عَنْ لَهُ أَنْ يَتْرَكْنِي وَمَضَى فَصَادَهُ وَبَرَّكَ عَلَيْهِ يَفْتَرِسُهُ وَأَنَا أَشَاهِدُهُ إِلَى أَنْ فَرَّغَ مِنْهُ
 ثُمَّ رَجَعَ السَّبْعُ مِنَ الْأَجْمَةِ وَغَابَ عَنْ عَيْنِي فَسَكَنْتُ وَتَأَمَّلْتُ حَالِي فَوَجَدْتُ مُخَالِبَهُ
 قَدْ وَصَلَتْ إِلَى نَحْدِي قَلِيلًا وَقَوَتْ قِدَعَاتُ فَقُلْتُ لِأَيِّ شَيْءٍ جُلُوسِي فَقُمْتُ أَلْتَسَحَّبُ
 فِي الْأَجْمَةِ أَطْلُبُ الطَّرِيقَ فَذَا بِمُجِيفِ نَاسٍ وَبَقَرٍ وَعِظَامٍ بَالِيَةٍ وَآثَرٍ مِنْ افْتَرَسِهِمُ
 الْأَسَدُ فَهَازَلْتُ أَنْخَطَّاهَا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى رَجُلٍ قَدْ أَكَلَ الْأَسَدُ بَعْضَ جَسَدِهِ وَبَقِيَ
 أَكْثَرُهُ وَهُوَ طَرِيٌّ وَفِي وَسْطِهِ هَمِيَانٌ قَدْ تَخَرَّقَ بَعْضُهُ وَظَهَرَتْ مِنْهُ دَنَانِيرٌ فَتَقَدَّمْتُ
 فَجَمَعْتُهَا وَقَطَعْتُ الْهَمِيَانَ وَأَخَذْتُ جَمِيعَ الدَّنَانِيرِ وَتَتَبَعْتُهَا حَتَّى لَمْ يَفْتَنِي مِنْهَا شَيْءٌ
 وَقَوَيْتُ فَضْلَ قُوَّةٍ فَاسْرِعْتُ فِي الْمَشْيِ وَطَلَبْتُ الْجَادَةَ فَوَقَفْتُ عَلَيْهَا وَأَقَمْتُ امْشِي
 إِلَى بَعْضِ الْقُرَى وَاسْتَأْجَرْتُ حِمَارًا وَعَدْتُ إِلَى بَغْدَادَ وَلَمْ أَمْضِ إِلَى الزِّيَارَةِ لِأَنِّي
 خَشِيتُ أَنْ يَسْبِقُونِي وَيَذْكُرُوا خَبْرِي فَيَصِيرُ عِنْدَ عِيَالِي مَا تَمُّ فَسَبَقْتُمْ وَأَنَا أَطَالُ
 نَحْدِي وَإِذَا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعَافِيَةِ عَدْتُ إِلَى الزِّيَارَةِ وَحَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ غَيْرُ
 وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ * حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ أَصْبَغُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَبِيعٍ وَكَانَ بِحُجُبِ
 أَبِي أَحْمَدَ الْمُهَلِّي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ قَبْلَ وَزَارَتِهِ فَلَمَّا وَلِيَ الْوِزَارَةَ كَانَ يُصْرِفُهُ فِي الْأَسْتَحْثَاتِ
 عَلَى الْعَمَالِ وَفِي الْأَعْمَالِ الَّتِي يَتَصَرَّفُ فِيهَا الْعَمَالُ الصَّغَارُ قَالَ كُنْتُ بِشِيرَازٍ مَعَ

أبي الحسن علي بن خلف بن طباط وهو يتولى عمالتها يؤمئذ فجاء مستحسنا من
الوزير يطالبه بحمل الأموال وكان أحد الغلمان الأكبر قد كوتب باكرامه
فاحضره أول يوم طعامه وشرابه فامتنع من مؤاكلته وذكر ان له عذرا فقال لا بد
أن تأكل فأكل بأطراف أصابعه ولم يخرج يده من كفه وكاد كفه يدخل في الغضائر
ويناله الغمر فلما كان في غد قال علي بن خلف ليدعه كل يوم واحد منكم فكانوا
يدعونه ويدعون بعضهم بعضا فتكون صورته في الأكل واحدة فنقول لعل به
برضا أوجدنا ما إلى ان بلغت النوبة الى فدعوته ودعوت الحاشية وجلسنا نأكل
وهو يأكل معنا على هذه الصورة فسألته إخراج يده والانبساط في الأكل فامتنع من
إخراج يده فقلت له يلحقك تنغيص بالأكل هكذا فخرجها على أي شيء كان بها فانرضى
به قال فكشفها فاذا فيها وفي ذراعه ضربات بعضها فيه بقية أدوية يابسة وهي على أقبح
ما يكون من المنظر فأكل معنا غير محتشم وقدم الشراب فشربنا فلما أخذ منا الشراب
سألته عن سبب تلك الضربات فقال هو أمر ظريف اخاف أن لا أصدق فيه ولا يحمل بي
الحديث به فقلت لا بد أن تتفضل قال كنت عام أول بقريب من هذا الوقت قائما
بمحضرة الوزير فسلم الى كتابا إلى عامل دمشق ومنشورا وأمرني بالتوجه إليه
وإزهاقه بالمطالبة بحمل المال ورسم ان أخرج على طريق السماوة لا تعجل وكتب
الي حامل هيت باتقاضي مع خفارة فلما حصلت هيت استدعا العامل جماعة من أحياء
العرب وضمني إليهم وأعطاهم مالا على ذلك وأشهد عليهم بتسلمي واحتاط في امرى
وكانت هناك قافلة تريد الخروج منذ مدة وتتوق البرية فأتسوا بي وسألوني ان
أخذل نفسي مالا وللأعراب مالا وأوصلهم في الخفارة ويسرون معي ففعلت ذلك
فصرنا قافلة عظيمة وكان معي من غلماني من يحمل السلاح وهم يقربون من العشرين
غلاما وفي حمالي القافلة والتجار جماعة يحملون السلاح أيضا فرحلنا عن هيت
ودخلنا في البرية ثلاثة أيام بلياليها فبينما نحن نسير إذ لاح لنا خيل فقلنا
للأعراب ما هذه الخيل فتسرع منهم قوم ثم عادوا كلهم زمين وقالوا قوم من بني
فلان بيننا وبينهم دم ونحن طلبتهم ولا ثبات لنا معهم ولا يمكننا خفارتكم منهم
وركضوا متفرقين وبقينا نحن متحيرين ولم نشك انهم كانوا بعض أهلهم وإن ذلك

فعل على مواطأة فجمعت القافلة وطفقت بها انا وغلامي ومن كان منهم يحمل السلاح
متساندين كالداثرة وقلت لمن كان معي لو كان هؤلاء يأخذون أموالنا ويدعون
جمالنا لننجوا عليها كان هذا أسهل ولكن الجمال والدواب أول ماتواخذ وتلف
في البرية ضعفا وعطشا فاعملوا على أن نقاتل فان هزمناهم سلمنا وإن قتلناهم كان أسهل
فقالوا نفعل وقدم القوم فقتلناهم عدة خيل وجرحنا منهم غير جريح وماظفروا
منا بعود فباتوا قريبا منا حنقين علينا وتفرق الناس للأكل والصلاة راجتهدت
بهم أن يجتمعوا ويبيتوا تحت السلاح فخالفتوني وكانوا قد آمنوا ونام بعضهم
فغشنا الخيل فلم يكن عندنا ممانعة فوضعوا فينا السيوف وكنت أنا المطلوب
خاصة لما شاهدوه من تدبير القوم برأيي وعلموه من أني رئيس القافلة فقطعوني
بالسيوف ولحقنتي هذه الجروحات وفي بدني اضعاف أضعافها قال وكشف لنا عن
أكثر جسده فاذا به أمر عظيم لم ير مثله في بشر قط قال وكان في أجلى تأخير
فرميت نفسي بين القتلى لايشك في تلى قال فلما كان بعد ساعة افقت فوجدت
في نفسي قوة والعطش بي شديد فلم أزل اتحايل حتى قتت أطلب من القافلة قدح
ماء لاشرب منها فلم أجده أحدا ورأيت من القتلى والمجروحين الذين هم في آخر
رمق وسمعت من أنينهم ما أضعف نفسي وأيقنت بالتلف وقلت غاية ما أعيش الى
أن تطلع الشمس فلت اطلب شجرة أو محلا لاجعله ظلا لي من الشمس إذا طلعت
فذا بي قد عثرت بشيء عظيم لا أدري ماهو من الظلمة وإذا أنا منبطح عليه بطولي
وطوله فنار من تحتي فحسست عليه وكنت قدرته رجلا من الأعراب فاذا هو
أسد فخير علمت ذلك طارعتلي وقلت ان استرخيت افترسني فعانقت رقبتة بيدي
ونمت على ظهره وألقيت بطني بظهره وجعلت رجلاي تحت مخضاه وكانت دمائي
تجري خين دخلني ذلك الفزع الشديد رقي دمي وعلق شعر الأسد بافواه
الجروحات فصار سدادا لها وعونا على أن أمسك نفسي فوقه وورد على الأسد
منى أظرف مما ورد على منه فاقبل يجري كما تجري الفرس على طريق واحد وأنا أحس
بروحى وأعضائي تتقصص من شدة جريه فلم أشك في انه يقصد اجته فيلقيني إلى
لبوته فتفترسني الا أني ضبطت نفسي وأنا أو مل الذرج وادافع الموت وكلام
الأسدان يربض ضربت مخضاه برجلي فيطير وأنا أعجب من نفسي ومطيتي وأدعوا

الله عز وجل وأرجوه وما زلت على ذلك الى أن ضر بني نسيم السحر فقويت
نفسى وأقبل الفجر يضىء فتذكرت طلوع الشمس فجزعت ودعوت الله عز وجل
فما كان أسرع من أن سمعت صوتاً ضعيفاً لأدري ماهو ثم قوى فشبهته بناعورة
قال والأسد يجرى وقوى الصوت فلم أشك في انه ناعورة ثم صعد بنى الاسد إلى
تل فرأيت منه بياض ماء الفرات وهو جار وناعورة تدور والأسد يمشى على
شاطىء الفرات برفق إلى أن وجد شريعة فنزل منها إلى الماء وأقبل يسبح ليعبر
فقلت في نفسى ما تعودى لئن لم أتخلص هنا ما تخلصت ابداً فما زلت ارفق حتى
خلصت شعره من أفواه جراحاتي وسقطت وسبحت منحدرًا وأقبل الأسد
يشق الماء عرضاً فبينما أنا أسبح نظرت جزيرة فقصدتها وحصلت فيها وقد بطلت
قوتي وذهب عقلى وطرحت نفسى عليها كالتلف فلم أحس إلا بحرارة الشمس
قد نهتنى فرجعت أطلب شجرة رأيته في الجزيرة لاستظل بها فرأيت السبع مقعياً
على ذنبه بشاطىء الفرات فقل فزعى منه وأمت مستظلاً بالشجرة اشرب من ذلك
الماء إلى العصر فاذا أنا بزورق منحدر فصحت به وحلقت لهم ان ما بالجزيرة أحد
سواى واومأت لهم إلى الأسد وقلت لهم قصتي طريفة طويلة وان تجاوزتمونى
كنتم أنتم قد قتلتمونى فالحمد لله فى فرقوا لى ودخلوا إلى يحملونى فلما صرت
فى الزورق ذهب عقلى فما أفقت إلا فى اليوم الثانى فاذا على ثياب نظاف وقد غسلت
جراحاتى وجعل فيها الزيت وأدوية وأنا بصورة الأحياء فسألنى أهل الزورق عن
حالى فحدثتهم وبلغنا إلى هيت فانفذت إلى العامل من عرفه خبري فبعث لى من
يحملنى إليه فتوجه لى وقال ما أظن أنك افلت فالحمد لله فحدثته كيف نجيته فعجب
وقال بين الموضع الذى قطع عليكم وبين الموضع الذى حملك أهل الزورق منه مشاق
أربعين فرسخاً على غير محجة فأقامت عنده أياماً ثم أعطانى نفقة وثياباً وزورقاً
فجئت إلى بغداد فكنت أتعالج عشرة أشهر حتى صرت هكذا ثم خرجت وقد
افتقرت وانفقت جميع ما كان فى بيتي فلما أمت بين يدي الوزير رقى وأطلق لى
مالاً واخرجنى إليكم * حدثنى على ابن تضيف المعروف بشهدابنخه وسعيد بن
عبدالله السمرقندي الفقيه عن شخص حدثهما انه بات فى سطح خان فى بعض
الاسفار ومعه رجل وزوجته وقرده فنام الناس وأخذنى الأرق فلما هدأت

العيون رأيت القرد قد قلع المسمار الذي فيه السلسلة ومشى نحو المرأة ولم أعلم ما يريد
فقممت فرآني القرد فرجع إلى مكانه ثم فعل ذلك دفعات وأنا أقوم فلما طال الأمر
جاء إلىّ وفتح خرجا وأخرج منه صرة دراهم ظننت أن فيها أكثر من مائة درهم ورمى بها
إلى فعميت من ذلك وقلت في نفسي أمسك لا تنظر ما يفعل فجاء إلى المرأة فمكنته
من نفسها فواقعها فاعتممت بتمكينى إياه من ذلك وحفظت الصرة فلما كان في
الغد صاح صاحب القرد يطلب ما ذهب منه وقال لصاحب الخان أن قردى يعرفنى
من أخذ هذه الصرة فتقفل باب الخان واقعد أنا وانت ويخرج الناس فمن علق به
القرد فهو خصمى ففعل ذلك وأقبل الناس يخرجون والقرد ساكن وخرجت فما
تعرض لى فوقفت خارج الخان أنظر ما يجري فلما لم يبق أحد خرج رجل يهودى
فتعلق به القرد فقال القرداد هو خصمى وجذبه ليحمله إلى صاحب الشرطة فلم
استحل حينئذ السكوت فقلت يا قوم ليس اليهودى صاحبكم وإنما أنا صاحبكم
والصرة معى ولي قصة ظريفة في أخذها وأخرجتها وقصصت عليهم القصة فحملنا
إلى صاحب الشرطة وحضرت الصرة فعرفوا صاحب الشرطة محلى ومنزلى ويسارى
وأقبل القرداد يحيد عن القرد فما برحت حتى أمر صاحب الشرطة بقتل القرد وطلبت
المرأة فهربت وسلم اليهودى * حدثنى الحسن بن صافي مولى محمد ابن المتوكل
القاضى قال حدثنى غلام كان أبى منى قال انى كنت أسير ماشيا فى وسط بغداد
فلما صرت بين دير العاقول والسيب وأنا وحدى فى يوم صائف له ريح شديد رأيت
بالبعد منى غيطة عظيمة قد خرج منها سبع خين رآنى وحدى أقبل يهرول إلىّ
فذهب على أمرى وأيقنت بالهلاك وتخدر بدنى كله والهمت أن آخذ منديلى واحمله
فى رأس قصبة كانت معى ظننا انى أقرعه بذلك وبينما أنا فى تلك الحال من الالاس
وبقى بينى وبينه نحو المائتى ذراعا إذ قلع الريح أصل حشيش يقال له بارق عينه
وصار يلتف بالشوك حتى بقى كاللكارة العظيمة والريح تدخرجه نحو السبع وبالقضاء
تمكنت منه وصار حفيف شديد خين رآنى السبع وسمع الصوت رجع منصرفاً
وقد فزع فزعا شديداً وبقي يحول وجهه فى كل عشر خطوات فاذا رآنى وذلك
الأصل فى أثره يتدحرج يزيد فى الجرى إلى أن بعد عنى بعدا شاسعا ودخل الغيطة
وعادت إلى نفسى ومضيت فى طريقى * حدثنى القاضى أبو بكر أحمد بن سيار قال

حدثني شيخ من أهل النير ومكران رأيت بهمان ووجدتهم يذكرون ثقته ومعرفته
بالبحر وأنه دخل الهند والصين قال كنت ببعض البلدان بالهند وقد خرج على
ملكها خارج فأتقذ إليه الجيوش فطلب منه الامان فأمنه فسار ليدخل إلى بلد
الملك فلما قرب أخرج الملك جيشا لتلقيه وكذا الآلات وخرجت العامة تنظر
دخوله فخرجت معهم فلما قعدنا في الصحراء ووقف الناس ينتظرون طلوع الرجل
فطلع وهو راجل في عدة رجال من أصحابه وعليه ثوب حرير ومئزر وفي وسطه
جري على زى القوم والجري مدية معوجة الرأس من سلاح الهند فتلقوه
بالاكرام ومشوا معه حتى انتهوا إلى فيلة عظيمة قد أخرجت للزينة وعليها الفيالون
ومنها فيل يخص الملك نفسه ويركبه في بعض الأوقات فلما قرب منه قال له الفياال
تنح عن طريق الفيل فسكت عنه فاعاد عليه الفياال القول فسكت فقال يا هذا احذر
على نفسك وتنح عن طريق فيل الملك فقال له الخارجى قل لفيل الملك يتنحى عن
طريقى فغضب الفياال وأغرى الفيل به بكلام كلمه به فغضب الفيل وعمد إلى
الخارجى فلف خرطوميه عليه فقبض الخارجى بيده على الخرطوم وشاله الفيل
اشالة عظيمة والناس يرون وأنا فيهم وخبط به الأرض فاذا هو قد انتصب قائما
على قدميه فوق الأرض ولم ينح يده عن الخرطوم فزاد غضب الفيل فاشاله أعظم
من تلك وعدا ثم رمى به الأرض فاذا هو قد حصل عليها مستويا على قدميه منتصبا
قائضا على الخرطوم فسقط الفيل ميتا لأن قبضه الخرطوم تلك المدة كانت على
النفس فقتله قال فوكل به وحمل إلى الملك وحدث بالصورة فأمر بقتله قال فاجعت
القحباب (بهذا اللفظ وهن النساء الفواجر يفعلن ذلك بالهند ظاهرا عند البر
تقربا إليه بذلك عندهم قال وهن العدول يشهدن في الحقوق ويقمن الشهادة
فيقطع بها حاكمهم في سائر الأمور ويعترض في الآراء لأن عندهم انهن بذلن
أنفسهم عند البر بغير أجر وقد صرن في حكم العباد الزهاد) فقال القحباب للملك
نحب أن نستبقى مثل هذا فان فيه جمالا للملك ويقال ان للملك خادما قتل فيلا
بقوته وحيلته من غير سلاح فمضى عنه * عن أبي بكر محمد سهل الشاهد الواسطى
القاضى قال أخبرني وكيلان ثقتان كانا في صنعتين بنواحي الحامدة ونهر جعفر
قالا خرجنا مع صناع عندنا إلى أجمة نقطع قصبا فرأينا شبلا كالسنور فقتله أحد

قطاعي القصب فقالوا قتلنا الشبل والساعة يحىء السبع واللبوة فاذا لم يراه طلبانا
ونحن نبيت في الصحراء بين القصب فيفترسانا قال فما كان بأسرع من ان سمعنا
صوت السبع فطربنا على وجوهنا واجتمعنا إلى دار خراب خارج الأكمة وعلونا
على سطحها وكان فيها غرفة عليها باب كسنا نأوي إليها ليلا فلما رأى السبع ولده
قتيلا قصدنا فصار معنا في صحن الدار الخراب وكان بين يدي الغرفة صحنين فأخذ
السبع يظفر ليصير معنا فما قدر على ذلك فولي وعلا فكه في الصحراء وصاح
خجاءه اللبوة فظفرت مثله فما وصلت فخرجا وصاحا فأتاهما عدة سباع أخرى من
السباع فظفروا فما قدروا على الوصول فلم يزالوا كذلك حتى اجتمع بضع عشرة
سبعاً وكلما جاء واحد منهم ظفر إلينا فلم يبلغنا ونحن كالموتى خوفاً من أن يصل
إلينا واحد منهم فبينما نحن كذلك إذا اجتمعت السباع كلها كالحلقة وجعلت أفواهاها
في الأرض وصاحت صيحة واحدة فرأينا حفرة قد احتفرت في التراب من أنفاسها
فما كان إلا ساعة حتى جاء سبع أسود هزيل متجرد الشعر طويل فتلقته السباع
كلها وبصبت بين يديه وحوله خجاء يقدمها وهي خلفه حتى رأنا في الغرفة وكنا
قد أغلقنا الباب واجتمعنا كالحلقة لندفعه عن الدخول فلم يزل يدفع الباب بمؤخره
حتى كسر بعض ألواح وأدخل حجره إلينا فعمد أحدها إلى ذنبه وقطعه بمنجل
كان معنا فصاح صيحة عظيمة منكرة وهرب فرمى بنفسه إلى الأرض فلم يزل
يخمش السباع الباقيين من بين يديه وهام في الصحراء وتبعه الباقون ونزلنا نحن لما
لم يبق منها شيء فلحقنا القرية وأخبرناهم خبرنا فقال لنا شيخ منهم هذا السبع
مثل الجرد العتيق إذ قطع ذنبه يأكل الفار * حدثنا قاضي القضاة أبو السائب
عتبة بن عبيد الله بن موسى الهمدان قال كان رجل من أهل أذربيجان له على رجل
دين فهرب منه وطالت غيبته فلقى الدائن المدين بعد مدة في الصحراء منفردا
فقبض عليه وطلبه خلف بالله أنه معسر وسأله الانتظار وقال لو اني أيسر الناس
لما تمكنت هنا من دفع شيء إليك فإني عليه وأخرج قيда كان معه ليقيده حتى
لا يهرب فتضرع إليه وسأله أن لا يفعل وبكى فلم ينفعه ذلك فقيده بالقيد ومشى
إلى القرية بقرب الموضع الذي التقيا فيه فجاءها مساء وقد أغلق أهلها سورها

واجتهدا في فتحها لهما فابي أهل القرية ذلك عليهما فباتا في مسجد خراب على باب القرية وأدخل صاحب الدين رجله في حلقة من حلقة القيد حتى لا يهرب فجاء السبع وها نأتمان فقبض على صاحب الدين فافترسه وجره فانجر المدين معه بسبب الحلقة التي في إحدى رجله فلم يزل ذلك حاله الى ان فرغ السبع من أكل صاحب الدين وشبع وانصرف وترك المدين وقد تجرح بدنه وبقيت ركبة صاحب الدين في القيد فحملها الرجل مع قيده إلى أهل القرية وأخبرهم الخبر فخلوا قيده وسار لخال سبيله * حدثني أبو جعفر بن مسعود بن عبدالله الضبي أن شيخاً من التنا البصريين كان قد انتقل عنها إلى قرية له وضبعة بقرب نهر الدين فاستوطنها قال كان في هذا البستان وأشار إلى بستان بجانب داره كثيرة الأشجار أفعى تسمى الجراب لأنها كانت بقدر الجراب الكبير طولاً وسعة وانفخا فكثر خيانتها حتى أخرجت على هذه الضبعة فانتقلت عنها إلى الجانب الآخر من النهر وبطلت ضيعتي وصار هذا البستان كالأجمة لا يجسر أحد على دخوله فطلبت حواء من البصرة ليبيده وبذات له على ذلك بذلاً فجاء الحواء فتبخر بدخنة معه فظهرت الأفعى خين رآها هاله أمرها وقصدته الأفعى فنهشته فتلف في الحال فصار لي حديث بذلك وشاع الخبر فامتنع الحواؤن من المجيء وتغربت عن الضبعة وبطلت معيشتي فيها وذات يوم كنت جالساً في النهر الآخر إذ جاءني رجل فسلم علي وقال بلغني خبر أفعى عندك قد قتل فلان الحواء وأخرب عليك ضيعتك فجئت لا تدلي عليك حتى آخذه فقلت ما أحب تعرضك لهذا وقد صار لي بتلف ذاك الحواء ذكر فقال إن ذلك الحواء كان أخي وأنا أريد أخذ ثأره أو اللحق به قلت تشهد على نفسك أهل الأنهار المجاورة إن هذا باختيارك لا بمسألة لي في ذلك قال نعم ففعل واريته البستان قال أريد شيئاً آكل فجئناه بطعام فأكل ثم أخرج دهنًا كان معه فطلى به جميع بدنه وقال لغلام كان معه انظر هل بقي موضع من غير ما أطليه فقال له الصبي لا تجلس أنا فوق السطح الذي كان في داري انظر فأخرج الحواء دهنه فتبخر بها فما كان بأسرع من أن ظهر الأفعى كأنه دن خين قرب من الحواء هرب منه وتبعه الحواء فلحقه وقبض عليه فالتفت الأفعى وعضت يده فتركه الحواء وذهب عاياه أمره فجئناه وحملناه فمات في الليل وانقلبت الناحية بحديث الأفعى ومضى على هذا

مدة فجاءني رجل يشبه الرجل وسألني عما سألني عنه الأخوان فاخبرته بالخبر
فقال الرجلان اخوأي ولا بد لي أن آخذ بثأرها أو أكون اللاحق بهما فاشهدت
عليه واريته الموضع وصعدت إلى السطح فشرب هذا اقداحا كثيرة واخرج دهنا
كان معه وطلّى به دفعات وكل مرة يسأل غلامه فيقول هل بقي موضع لم يبلغه
الطلا فيقول له الغلام اعد الطلا فيعيدده حتي طلائ نفسه ثلاث دفعات وصار الدهن
يسقط عن بدنه ويخرج نخرج الأفعى فطلبه الحواء فأخذ الأفعى يحاربه ومكن
الحواي يده من قفاه فأنثني عليه فعض ابهامه فبادر الحواء نخرم فاه وجعله في
سله واخرج سكيناً وقطع ابهام نفسه وغلا زيتا وكواها به وخر كالتالف فحملناه
إلى القرية فاذا بصبي من غلماني أتاني بليمونة وكان إذ ذاك قليلا بالبصرة جدا
وعندي شجرة واحدة خفين رأى الليمون قال ياسيدي هذا موجود عنديكم
قلت نعم قال اغثنى بكل ما تقدر عليه فانا نعرفه في بلدنا أنه يقوم مقام الترياق
فقلت وابن بلدك قل عمان فأتيته بكل ما كان عندي فأقبل يقصمه ويسرع في
أكله وحمد إلى بعضه فاستخرج منه ماء وأقبل يتحمى منه ويطلّى به الموضع
فأصبح في غد معافي سالما فسألته عن خبره قال ماخلصني بعد الله عز وجل إلا
ماء الليمون واظن أن اخوأي لو اتفق لهما ذلك ما تلفا فقلت له ذلك الدهن
الذي طلبت به نفسك ما هو قال الطلق الذي لو طرح على الجسم لا يكون فيه
خلل وماضرت النار الجسم وانما تلف اخوأي لأن بعض ابدانها خلا من الطلا
وجف بعض الدهن فقلت وكيف تمكن منك الحية قال لطول الوقت جف بعض
الدهن فتمكن مني ولولا الليمون لتلف فتعلمت منه استخراج ماء الليمون وكنت
أول من استخرجه بالبصرة ونبه الناس على منافعه وجربته في الطبخ فوجدته
طيبا وتداولته الناس قال ثم اخرج الأفعى فقطع راسه وذنبه وغلاه في طنجير
واستخرج دهنه وجعله في قوارير وانصرف * حدثني عبد الوهاب بن محمد مهدي
المعروف باحمد بن أبي سامة الشاهد الفقيه المتكلم العسكري في سنة خمسة وخمسين
وثلاثمائة بعسكر مكرم أنه شاهد رجلا مفلوجا حمل من اصفهان إلي عسكر مكرم
ليعالج قال فطرح على باب خان في الجانب الشرقي منها قد هجر وفرغ منه أكثر
العقارات لكثرة العقارب والجرارات فيه وفي خانين بمجواره وطلب له موضع

ليسكنه فلم يوجد إلا في هذا الخان فانزله غلمانا فيه وهم لا يعلمون حالته وانه
أخلى لكثرة الجرات فيه وصعد أصحاب الرجل إلى السطح وتركوه في اسفله
لما وصف لهم أن المفلوج لا يبيت على السطح قال فلما كان في الغد دخلوا عليه فوجدوه
جالسا وكان طريقا لا يمكنه أن يتقلب من جنب إلى جنب ووجدوا له لسانا فصيحاً
وكان متكسراً بالعلة حتى أن الرجل مشى من يومه ذلك فاحضر بعض الأطباء
وسأل عن حاله ففتشه فوجد أثر لسع الجرارة في إبهام رجله اليسرى فقال له انتقل
الساعة من هذا الخان فانه مشهور بكثرة الجرات وقد لستك واحدة منهن
فأبرأتك وعشت بشيء ما عاش به أحد قط وقامت حرارتها ببرد الفالج فزالته ولم
تتجاوز فقتلك وسيعقب ذلك حدة وحرارة فاصبر لها حتى اصابك باليسير
من الرطوبة فلا ترجع اليك رطوبة الفالج وانتقل لثلاث ساعات أخرى فتتلف فانتقل
الرجل وتعهده الطبيب فحم المفلوج من غد فلفظ به في علاجه حتى برأ * حدثني
عبيد الله بن محمد بن الصروي قال كنت اتصرف مع المختار بن الغيث بن حمران
أحد قواد بني عقيل فسار وأنا في جملته مع دكين الشيرازي لما تغلب على الموضع
يطلب ناصر الدولة وصار العسكر منتشرا سائرا بمجلة وكان تحتي حجرة فصرت
في أخريات الناس ثم انقطعت عن العسكر حتى صرت وحدي ثم وردت الدابة ماء
كان في الطريق وحمز ولم يمكنه ان يسير خطوة واحدة فخفت ان يدركني من يأسرني
فنزلت عنها مشى وفي عنقي سيف بحائل والمقرعة في يدي فسرت فراسخ حتى
صعدت جبل سنجار وكنت احتاج أن امشى فيه نحو الفرسخ ثم انزل إلى
سنجار فاحتبسني الليل واستنفذ المشى جلدي خفت الوحوش في الجبل فطلبت
موضعا اسكن فيه ليلتي فلم أجد ورأيت جبابا منقورة في الجبل فطلبت اقربها
قعرا ورميت فيه بحجر فظننت ان قعره قامة أو نحوها فرميت بنفسي فيه وكان
البرد شديدا فتمت ليلتي لا أعقل من التعب والجوع فلما كان من الغد انتبهت
وعندي أن الجب محفور كالآبار واني أضع رجلاي في جوانبه فتسلق واطلع
فتأملت فاذا هو محفور كالتنور رأسه ضيق وأسفله شديد السعة وجوانبه
منقوشة فقامت في وسط الجب فاذا هو أعلى من قامتي فتجريت في امرى ولم
أدر كيف السبيل إلي الصعود وطلعت الشمس واضاء الجب وإذا فيه أفعى مدور

كالطبق بين حجرين وقد سدر من شدة البرد فليس ينتشر ولم يتحرك من مكانه
وهمت أن اجرد السيف واقطعه به ثم قلت اتعجل شرا لا أدري عاقبته ولا منفعة
لي في قتله لأنني سأتلّف في هذه البئر وهي قبري فما معنى قتل الأفعى ادعه
فلعله أن يبتدىء بالنهش فاتعجل التلّف ولا أري نفسي نخرج بالجوع والعطش
فاقت يومى كله على ذلك والأفعى لم تتحرك وأنا أبكى وأنوح على نفسي وقد
يئست من الحياة فلما كان من الغد أصبحت وقد ضعفت خملني حب الحياة على
الفكر في الخلاص فقممت وجمعت من الحجارة الرقيقة شيئا كثيرا ووضعتها في وسط
الجب وعلوتها لتنال يدي طرف البئر فاحمل نفسي إلى رأسها فحين وضعت رجلى
على الحجارة انهالت لرقتها وملاستها فلم أعد عملها وأمضيت يومى كله وأنا مشغول
البال وجاء الليل فلم يمكنني أن أقوم من الجوع والضعف ثم حملني النوم فلما كان
من الغد فكرت في حيلة أخرى ووقع لي أن شددت المقرعة التي معي بعلاقتها
في حمائل السيف ودليت المقرعة إلى داخل البئر وقد أمسكت باحدى يدي فحصل
جفن السيف فوق الجب معترضا لرأسه وهي مدلاة إليّ ثم سللت السيف ولم
أزل أقلع من أرض البئر ما يمكن نحته وقلعه من تراب قليل ثم غيب ذلك الرضراض
وأعلقت على السيف المعترض وظفرت وصار السيف معترضا في جفنه تحت صدرى
وظهرت يداي في البئر فحصل جوانبها تحت ابطنى واستللت نفسي فاذا أنا قد خرجت
منها بعد أن اعوج السيف وكاد يندق ويدخل في بطني لنقلي عليه فوققت خارج
البئر مغشيا عليّ من هول ما نالني ووجدت اسناني قد اصططكت وقوتى قد بطلت
عن المشي فما زلت احبو واطلب المحجة حتي وقفت عليها ورآنى قوم مجتازون
فأخذوا بيدي وقوى قلبي فمشيت حتى دخلت سنجار آخر النهار وقد بلغت
روحي إلى حد التلّف فدخلت مسجدا فطرحت نفسي فيه وأنا لا أشك في الموت
وحضرت صلاة المغرب واجتمع أهل المسجد فيه وسألوني عن خبري فلم يكن
في مقدرة على الكلام فحملوني إلى بيت أحدهم ولم يزالوا يصبون على حلقى الماء
ثم المرق والثرید إلى أن فتحت عيني بعد العتمة فتكلمت وبت ليلتي بحال عظيم
من الألم فلما كان من الغد دخلت الحمام وأقمت عندهم أياما حتى برأت واخرجت
تفقة كانت في وسطى فاستأجرت منها مراكوبا ولحقت بصاحبي وسلم الله عز وجل

عن ديسم بن إبراهيم بن شاذلويه المتغلب كان باذريجان لما ورد حضرة سيف الدولة يستنجد على المرزبان بن محمد بن مسافر السلال لما هربه عنها قال ان بناحية اذريجان واديا يقال له الرأس شديد جرية الماء جدا وفي أرضه حجارة كثيرة بعضها ظاهر من الماء وبعضها مغطى بالماء وليس للسفن فيه مسلك وله اجراف هائلة وبه قنطرة يجتاز عليها المارة قال كنت مجتازا عليها في عسكري فلما صرت في وسط القنطرة رأيت امرأة تمشي وتحمل ولدا طفلا في القباط فزاحمها بغل محمل فطرحته على القنطرة فزعافسقط الطفل من يدها الى النهر فوصل إلى الماء بعد ساعة لبعده ما بين القنطرة وصفحة الماء ثم غاص وارتفعت الضجة في العسكر ثم رأينا الصبي قد طفا على وجه الماء وقد سلم من تلك الحجارة وكان الموضع كثير العقبان ولها اوكار في أجواف هذا النهر ومنها يصاد أفراخها قال خير ظهر الطفل في قماطه صادف ذلك عقابا طائرا فرآه فظنه طعمة وانقض عليه وشبك مخالبه في القماط وطار به وخرج إلى الصحراء فطمعت في تخليص الطفل فأمرت جماعة ان يركضوا وراء العقاب ففعلوا وتبعتهم بنفسى لمشاهدة الحال فاذا العقاب قد نزل إلى الأرض وابتدأ يمزق قماط الصبي ليفترسه فحين رأوه صاحوا بأجمعهم وقصدوه ومنعوه عن الصبي فطار وتركه على الأرض فلحقنا الصبي فاذا هو سالم ماوصل اليه جرح وهو يبكي فقايناه حتى خرج الماء من جوفه وحملناه سالما الى أمه * حدثنا أبو محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب المعروف بالحاتمي قال رأيت بمصر رجلا يعرف بابن التماسح فسألت جماعة من أهل مصر عن ذلك فقالوا هذا وطىء التماسح أمه فولدته فكذبت ذلك وبحئت عن الخبر فأخبرني جماعة من عقلاء أهل مصر ان التماسح بها يأخذ الناس في الماء من الشطوط القريبة فيفترسهم وربما أخذهم إلى جباله وهي جبال حجارة فيها مفازات إلى النيل لا يصل اليها الماشى ولا سالك الماء لبعدها عن الجهتين فيتسلق التماسح إلى بعض المغارات فيودع بها الانسان الذي أخذه حيا أو ميتا بحسب الاتفاق ويتركه ويذهب فاذا جاع ولم يظفر بشيء عاد اليه فيفترسه فمرة واحد منهم قبض على امرأة وجعلها في المغار فذكرت المرأة انها حين استقرت في المغار وانصرف التماسح رأته رجلا حيا وأثر جماعة قد افترسهم التماسح وانها قد سألت الرجل عن أمره فذكر ان التماسح تركه

هنا منذ يومين قالت وأخذ الرجل يؤانسني الى أن طالبني بنفسي فقلت يا هذا
اتق الله فقال التمساح قد مضى ومن ساعة الى ساعة فرج ولعله ان يجتاز بنا
سفينة قبل عودته فنطرح أنفسنا اليها وننجو فوعظته ولم يلتفت إلى كلامي
واغتصبتني فواقعتني ولم ينزل عني حتى جاء التمساح وأخذه من فوقى ومضى فبقيت
كالميتة فرعافاني كذلك إذ سمعت وقع حوافر الخيل وصليل الجم وصوت اقوام
كثيرين فاخرجت رأسي من الغار وصحيت واستغثت فاطلع بعضهم وقالوا ما أنت
قلت حديثي طويل ارموا إلى حبلا فشددت نفسي وجزبوني فصرت معهم على
ظهر المغار بعد أن توهمت وانسلخ بعض جلدي فسألوني عن خبري فأخبرتهم
حديث التمساح فأركبوني شيئاً حتى دخلت البلد فلما كان في وقت حيضى تأخر
عني ثم ظهر الحمل فولدت ابني هذا بعد تسعة أشهر وكرهت أن اخبر الناس
بالحديث فنسبته إلى التمساح * حدثني أبو القاسم بن الأعمى العلوي الفيلسوف قال
خرجت من بغداد أريد الكوفة فلما صرت بينها وبين حمام عمرو قرية من الكوفة
افضيت إلى أجمة هناك وكنت قد تقدمت الرفقة وكنت راكباً حماداً وورائي
بمسافة قريبة غلام مملوك لى راكب بغلة فلما وصلنا للأجمة رأيت ممشاة دقيقة في
وسط الأجمة وعليها المسلك ويوصل اليها بهبوط فرمت النزول اليها فوقف الحمار
من تحتي فضربته ضرباً شديدا فلم يبرح فالتفت الى كفله اتأمل ما بقوائمه فوجدت
أسداً واقفاً بينه وبين كفله الحمار نحو ذراع وأقل وإذا بالحمار عند ما شم رائحته
أصابته رعدة عظيمة فرسخت قوائمه في الأرض ولم يتحرك فلم أشك في التلف
وان الأسد سيمد يده فيجذبني من على الحمار فغمضت عيني لئلا أري كيفية
وجودي في مخالبه وفه وأقبلت أتشهد وأقرأ ومع هذا أجد عقلي ثابتاً ومتصوراً
لهيئة الأسد ولم يفدني التغميض شيئاً فاستدرت اليه وفتحت عيني في عينه
وأقبلت أتشهد خفياً والأسد فأنح ذاه وأنا اتأمل أسنانه ويصل الى أنفي من فمه
روائح منتنة وانى لذلك إذ لحقني الصبي المملوك على البغلة ومعه رجل ركب
دابة ووراهما قوم مشاة فحين رأيته والأسد على تلك الصورة جزع جزعاً شديداً
وصاح بأعلى صوته يا معشر المسلمين ادركونا فقد افترس الأسد مولاي فحين
سمع الأسد الصياح من ورائه التفت فرأى الصبي فتناوله من على سرجه وغادر البغل

وصار الصبي في فم الأسد كالقارة في فم السنور وأنا كملت الا اني اري كل شيء
 وأقبل الأسد يحمل على راكب الدابة والمشاة والصبي في فمه فهربوا منه ودخل
 الاجمة فقلت في نفسي قد فداني الله عز وجل بمملوكي فرميت نفسي من على الحمار
 وسرت اعدو حتي تلقاني قوم قد جاؤا من الكوفة ورأوا فزعى فسألوني عن
 أمرى فأخبرتهم فتقدموا يطلبون الأسد وردت الى روعي فزدت في الجري إلي أن
 خرجت من الاجمة ولحقني الرفقة الذين كنت معهم وقد أحضروا البغلة التي
 كانت تحت مملوكي وساقوا الحمار فركبت ودخلت الكوفة قال وكان هذا يوم
 الثلاث غرة المحرم سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة فصمت يومى واعتقدت ان اصومه
 ابدا فانا كل يوم ثلاثاء صائم إلي الآن وجاءني أبو علي عمر بن يحيى وهناني بالسلامة
 وبقدومي وقد كان خبري شاع وقال في جملة كلامه كيف خفت الاسد أو ما علمت
 أن لحومنا بنى فاطمة محرمة على السباع فقلت له مثل سيدنا أطل الله بقاءه لا يقول
 مثل هذا وما الذي كان يؤمنني أن يكون هذا الخبر باطلا فالتف وكيف كانت نفسي
 مع طبع البشرية تطيق هذا في مثل ذلك الوقت مع احتمال هذا الحديث قال ولم
 لا تطيق وكيف يجوز أن يكون هذا الخبر باطلا مع ما رويناه من خبر زينب
 الكذابة مع علي بن موسى الرضا رضى الله عنه قال فقلت له بلى قد رويت ذلك
 ولكن لم يحضرني فكرى من هذا شيء في تلك الحال قال مؤلف الكتاب فقلت
 انا لابی القاسم الأعلم وما خبر زينب الكذابة فاني ما سمعته قال هذا خبر مشهور
 عند الشيعة يروى بأسناد لهم لأحفظه ان امرأة يقال لها زينب ادعت انها علوية
 فجيء بها إلى علي بن موسى الرضا رضى الله عنهم فدفع نسبها فخاطبته بكلام دفعت
 به نسبه ونسبته الى مثل ما نسبها له من الادعاء وكان ذلك بحضرة الخليفة فقال
 الرضا اخرج انا وهذه الى بركة السباع فاني رويت عن آبائي عن النبي صلی الله علیه وسلم
 ان لحوم ولد فاطمة رضى الله عنها محرمة على أكل السباع فمن اكلمه السباع
 فهو دعى فقالت المرأة لا أرضى بهذا ودفعت الخبر فاجبرها السلطان على ذلك
 فقالت فلينزله هو قبلى فنزل الرضا رضى الله عنه بركة السباع بمحضر من خلق
 عظيم فلما رآته السباع اقعت على اذنانها فدنيت منها ولم يزل يمسح رأس كل واحد
 منها ويمر بيده إلى ذنبه والسبع يبصبع له حتى أتى على آخرها ثم ولى وكرهت

المرأة النزول وابته فأجبرت على ذلك فحين نزلت وثب عليها بعض السباع فافترسها
ومزقها فعرفت بزئيب الكذابه * وروى عن جماعة من شيوخ البحرين الذين
ترددوا الى بلد الهند انهم سمعوا هناك حكاية مستفيضة أن رجلا كان معاشه
صيد الفيلة قال استخفيت مرة في شجرة عالية كثيرة الورق في غيضة كانت تحتاز
بها الفيلة من شرائع الماء التي تردها الى مرتعها فاجتاز بي قطيع منها وكانت
عادتي أن أدع القطعان تجوز الى أن يبلغ آخر فيل فارميه بسهم مسموم في بعض
مقاتله فتفزع الفيلة وتمضى فاذا مات المجروح نزلت فاقتلعت أنيابها وساخت جلده
وأخذت ذلك وبعته في البلاد فلما اجتاز بي هذا القطيع رميت آخر فيل كان
فيه نحر فاضطربت الفيلة وأسهرت إليه فاذا اعظمها قد عاد فوقف عليه وتأمل
السهم والجرح ورجعت معه الفيلة ووقفت بوقوفه فما زال قائما والفيل المجروح
يضطرب الى ان مات فضج ذلك الفيل ضجيجا عظيما وضجت الفيلة ثم انتشرت
في الغيضة ففتشوها شجرة شجرة فأيقنت بالهلاك وانتهى الفيل الأعظم الى
الشجرة التي أنا فيها واتكأ عليها فاذا هي قد انكسرت على عظمها وضخامتها
وسقطت الشجرة إلى الأرض فلم أشك ان الفيل سيدوسني فاذا به قد جاء حتى
وقف يتأملني واجحمت الفيلة عني فلما رأى الفيل الأعظم ونظر إلى قوسي
وسهامي لف خرطومه فلواه على وأزلى إلى الأرض وأخذ يومىء بخرطومه إلى
ثعبان كان هناك برفق وتملق فسددت سهما إلى الثعبان ورميته فأصبته وتابعت
رميه فانصرف متخفا فتقدم الفيل إليه فداسه ثم عاد فأخذنى بخرطومه وحطنى
على ظهره وجعل يهرول والفيلة خلفه فجاء إلى غيطة لم أكن أعرفها أعظم من تلك
التي أخذنى منها فاذا هي فراسخ وفيها فيلة ميتة لا يحصيها إلا الله عز وجل
وأكثرها قد بلى جسده وبقيت عظامه فما زال يتتبع الأناب ويجمعها ويومىء
إلى فيل فيجىء إليه فيعبي عليه ما يمكنه أن يعبيه عليه من ذلك إلى ان لم يدع
هناك نابا إلا جمعه وأوقر تلك الفيلة ثم اركبني على ظهره وأخذني على طريق العمارة
واتبعته الفيلة فلما شارف القرى أومى إلى الفيلة فطرحت أحمالها حتى لم يبق منها
شئ ثم أنزلى بخرطومه برفق وتركنى عند الأناب وقد صارت تلا عظيماء هائلا
فجلست عندها متعجبا من سلامتى ورجع الفيل يريد الصحراء ورجعت الفيلة

يرجوعه وأنا لا أصدق بسلامتي ولا بما شاهدت من عظم فطنة الفيل وذكائه فلما غابت الفيلة عن عيني مشيت إلى أقرب القرى مني واستأجرت خلقا كثيرا حتى خرجوا معي وحملوا تلك الأنياب في أيام ومازلت أبيعها في تلك المدة حتى حصل لي مال عظيم كان سبب يساري وغنائى عن صيد الفيلة * عن مروان ابن شعيب العدوى عن عدى بن ربيعة قال كنت في حدائتي شديد القوة وكانت عندى زوجة لى من عبد القيس ببلدة منارة وهى قريبة من تل أهواز على أربع فراسخ وعندى قوم من أهل المرأة ونحن نشرب فتفاخرنا حتى انتهينا إلى تجريد السيوف فحجز بيننا مشايخ القرية وبدر لسانى ان حلفت بالطلاق ان لا أبيت بمنارة فخرجت منها أريد منزلى بتل أهواز ومعى سيفى وحجفتى وكان ذلك ليلا فسرت فى الطريق وحدى وبلغت إلى أجمة لا بد من سلوكها فلما سرت فيها قليلا سمعت ضجة من ورأى قبيحة فخردت سيفى ورجعت أطلب الصوت فوجدت أسدا قد افترس رجلا وهو الذى صاح وهو فى فم الأسد عرضا بثيابه فصحت فى الأسد فرمى الرجل ورجع إلى فقاتلته ساعة ثم وثب على وثبة شديدة فلطيت الأرض ثم جمعت نفسى فى حجفتى فلشدة وثبته جازنى فصار ورأى فأسرعت الوثوب وبعجته بالسيف فى فمه وكان سيفنا ماضيا فدخل فى فيه وخرج من لحيته نحر صريعا يضرب فتداركه بضربات كثيرة حتى تلف وعدت إلى الرجل فوجدته يتنفس ولا يعقل فحملته إلى الجادة وكانت ليلة مقمرة وتأملتة فاذا هو تاجر من تل أهواز أعرفه فلم تطب نفسى بتركه أصلا فجعلته عند الجادات وعدة فأخذت رأس السبع وحملته والرجل وحصلتهما فى صبيغة كانت على الصبيغة ازار أحمر يتشح به العرب فى تلك الناحية وكان الأسد فى خلال قتالى قد ضرب نخذى بكفه فأحسست به فى الحال كفرز الابرمة لما كنت فيه من الهول فلما حصلت أمشى حاملا لرأس الأسد والرجل أحسست بالآلم ورأيت الدم يجرى وقوتى قد ضعفت فصبرت نفسى حتى بلغت تل أهواز وقد أصبحت فنكر أهل القرية الجراح وسألونى عن خبرى فالقيت الصبيغة التى بها الرجل والرأس فاستهلوا الحال لما حدثتهم بها وفتشوا الرجل فوجدوا فى بدنه خدوش كثيرة فأخذوه ورمت ان امشى يسيرا إلى منزلى فلم أقدر حتى حملت وكنت أطالج من تلك الجراح مدة وعولج الرجل فبرا

قبلى وهو حى إلى الآن يسمينى مولاي ومعتقى قال وجراحاتى لصعوبتها تفتقض
على فى أغلب الأوقات قال صاحب الحكاية وأرانى الجرح وكان عظيم الفتح فلم
أكن أعلم سبب الشكرنا وعربدتنا الانجاة ذلك الرجل من السبع * قال رجل
يعرف بعبد العزيز بن الحسن الأزدي من تجار القصباء بالبصرة قال كنت يوما
جالسا فى القصباء وقد أخرج من النهر قصب رطب فعمل كالقباى على العادة فيما
يراد تخفيفه من القصب وكان يوما صائفا وكذنى الحر فدخلت احدي تلك القباى
القصب وهى تكون باردة جدا وعادة التجار ان يستكنوا بها فنمت فى القبة
فلبردها استنقلت فى النوم فانتهيت بعد العصر وقد انصرف الناس من القصباء
وهى موضع بالبصرة فى أعلاها صحراء وبساتين فاستوحشت للوحدة وعملت على
القيام فاذا بافعى غليظ الساعد طويل متدور على باب القبة كالطبق ولم أجد سبيلا
إلى الخروج ويئست من نفسى وتحيرت وجزعت جزعا شديدا فأخذت فى التشهد
والتسبيح والفرع إلى الله تعالى وانى لكذلك إذ جاء ابن عرس من بعيد فلما رأى
الأفعى تأمله ثم رجع من حيث جاء وأنى ثانيا ومعه ابن عرس آخر فوقف أحدهما
يتأمله على يمين القبة والآخر على اليسار وصار أحدهما عند رأس الحية والآخر عند
ذنبه والحية غافلة عنهما ثم وثبا عليه فى آن واحد وعضاه فاضطرب ولم يفلت منهما
وجراه حتى بعدا عن عينى فخرجت من القبة سالما * عن الحسن بن على الأنصارى
المقرى بالرملة وكان فارسا فاتكا شجاعا جلدا قال خرجت فى قافلة من الرملة
صاحبها ابن الحداد وأنا على مهرلى وعلى سلاحى فبلغنا فى ليلة ظلماء إلى واد عميق
جدا عمقه نحو فرسخ وفى بطنه ماء يجرى وعليه شجر كثير وهو مشهور
بالسباع والطريق على جنبه فى مضيق فازدحمت القافلة فسقط جمل عليه بز فرأيت
صاحبه يلطم ويبكى وكان موسرا فدماه ابن الحداد وقال له أنت رجل موسر فما
هذا الجزع فقال له على الجمل أكثر من عشرة آلاف دينار فنادى فى القافلة من
ينزل ويخلص الجمل ويرده إلى صاحبه وله ما يشاء فلم يجسر أحد على ذلك فلما كرر
النداء أجبته وقلت عجلى الدنانير فقال لا ولكن أكتب لك بها الساعة كتابا
وأشهد من فى القافلة فاذا صار الجمل وحمله مع ما فيه من المال عندى فالمال لك
فكتبنا كتابا بذلك وأشهدنا القافلة وأعطينهم دابتي ورحلى وأخذت سيفي

وحجفة وشمعة ودنوت للنزول فرأيت منزلا غرنى فاستعجلت بسلوكه فنزلت ساعة حتى صرت على جانب الوادى فاذا هو واد مشجر فيه أثر الرعاة والغنم ثم لم أجد طريقا إلى أسفل وكان سبيلي ان ارجع وارتاد المنزل من جهة أخرى فحملنى ضيق الوقت والحرص على الدنانير ان جعلت اتوغل وانتقل من شجرة إلى شجرة ومن حجر إلى حجر حتى حصلت فى جنب الوادى على صخرة ملساء كالرف وليس لها إلى أسفل طريق البتة فطاعت بالشمعة فاذا بينى وبين القرار نحو عشرين ذراعا وفى أسفل الوادى بردى كثيف يجري بينه الماء وله خرير شديد فاجعت رأيت على أن التفتسى واطفات الشمعة وشدتها مع حمائل السيف مع الحجفة والقيت ذلك فى موضع علمته عن يمينى ثم جمعت نفسى فوثبت فى وسط البردى فوقعت على شئ ثار من تحتى وتفضنى بعد أن صاح صيحة ملأ بها الوادى وإذا هو أسد فشق الوادى وسعى هاربا فوقف بأذائى من جانب الوادى الآخر فطلبت سيفى وحجفتى حتى اخذتهما ووقفت انتظر أن يمشى فأطلب الجمل فأقبل يريدنى فمشيت بين يديه فى ذلك البردى وهو فى أثرى يخوض الماء ويشق البردى وأنا اخائله من موضع إلى موضع فطلع القمر فأبصرت بناء خفيا فقصده فاذا هو بيت رعى يديرها الماء فدخلت فيه ثم فكرت فقلت هذا مأوى السبع والساعة يجيئنى فخرجت منه وجئت إلى شجرة كبيرة فقطعتها بالسيف من نصف ساقها وجررتها ودخلت بيت الرعى فامتلا الباب بها وجلست فى الداخل وساق الشجرة فى يدي فما كان إلا مقدار الجلوس حتى احسست بالأسد يزحم الشجرة وهو يروم الدخول فاستندت إلى الحائط وامسكت ساق الشجرة أدافعه بها حتى ملنى وملته ثم ربض بالباب إلى أن أسفر الصبح فلما كادت الشمس تطلع مضى لحال سبيله فأقمت إلى أن انبسطت الشمس حتى أمنت ثم خرجت فما زلت اطلب أثر الجمل حتى انتهيت اليه فاذا هو قد تقطع من أثر السقطة والعدلان مطروحان وكانوا امرؤنى بفتقهما واستخراج المال منهما وحمله ان لم أقدر على تخليص الجمل وحمل العدلين ففعلت ذلك وحملت المال على ظهري وطلبت المصعد وقد علت الضحى فصعدت فيه فلما صرت برأس الوادى إذا ببادية مجتازين فقصدونى فمانعهم عن تقسى بالسيف فلم اطقهم فضربونى بالسيف فقلت لشيخ رأيت كالرئيس لهم إلى الزمام على مامعى

حتى أصدقك وانفعك نفعا كثيرا فقال اصدقني حتى اعطيك الزمام فحدثته
 بالحديث فأخذوا المال وساروا بي معهم حتى وقفوا على العدلين فاحتملوهما وضرب
 الشيخ يده في المال فحشي منه ثلاث حثوات واعطاها لي فأخذتها وقلت ان
 هذا لا ينفعني إن لم تبلغوني مأمني فاناخ جملا وحملي عليه وسار بي سيرا حثيثا
 حتى أتني في القافلة على بعد ثم أنزلني وقال الحق رفقتك فما عليك من أحد بأس
 فمشيت حتى لحقت القافلة وقد خبأت تلك الدنانير في سراويلي فعرفتهم بما
 جرى وبما اخذته البادية وكنتمهم ما اعطونييه ودخلنا طبرية فشكوا إلي أميرها
 أبي عثمان مولى بني عقيل فامسرى إلى الأعراب فارتجع منهم أ كثر المال والثياب
 ورده إلي صاحبه وكنت أنا لما دخلت طبرية فارقتهم ودخلت مصر ولحقوني
 وبلغني مارد عليهم فقلت لصاحب المال قد بذلت مهجتي وافلت من الأسد
 ومن الموت مرارا ومن الأعراب حتى وصل اليك بعض مالك فلا أقل من أن
 توصلني إلى بعض ما كنت قد وعدتني به فاعطاني مائتي دينار فاضفتها إلى ما اعطانيه
 الأعراب فاذا الجميع ستمائة دينار مع السلامة من تلك الشدائد * وجدت
 أيضاً أن رجلا وفد على هشام فقال يا أمير المؤمنين لقد رأيت في طريقي عجبا فقال
 وما هو قال بينا أسير بين جبلي طي إذ نظرت فاذا عن يميني أسد كالبعغل وعن
 يساري ثعبان كالجبل وهما مقبلان نحوي ففرغت منهما ورفعت رأسي إلى
 السماء وقلت شعر

يادافع المكروه قد تراها فنجنى يارب من اذاها

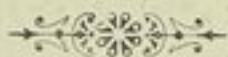
ومن اذى من كاذني سواها لاتجعلن شلوى من قراها

قال فقربا مني فشمانى حتى لم أشك في الموت ثم صدرا عني فنجوت والله
 الحمد * بلغني عن قاضي القضاة أبي السائب ولم اسمع ذلك منه قال وافيت من
 همدان إلى العراق وأنا فقير وزرت قبر الحسين رضى الله عنه فلما انصرفت اريد
 قصر بن هبيرة قيل إن الأرض مسبعة وأشير على أن الحق قرية فيها حصن سميت
 لي فأوى إليها قبل المساء وكنت ماشيا فاسرعت واتعبت نفسي إلى أن لحقت
 القرية فوجدت باب الحصن مغلقا فدفعته فلم يفتح لي وتوسلت للقائمين بحراسته
 بمن قصدت زيارته فقالوا قد أتانا منذ أيام من ذكر مثل ما ذكر فادخلناه وآويناه

فكان عينا علينا للصوم وفتح الباب ليلا وادخلهم فسلمونا ولكن الحق بذلك
المسجد وكن فيه لئلا تسمى فيأتيك السبع فصرت إلى المسجد فدخلت بيتا كان
فيه وجلست فلم يكن بأسرع من أن جاء رجل على حمار منصرفا من الحائر فدخل
المسجد وشده حماره في غلق كان في باب البيت ودخل إلى ومعه كرز فيه خرج
فاخرج منه سراجا فاصلحه وقده فأوقدها واخرج خبزه واخرجت خبزي
 واجتمعنا على الأكل فما نشعر إلا والسبع قد حصل في المسجد فلما رآه الحمار
 دخل إلى البيت الذي كنا فيه فدخل السبع وراه فخرج الحمار وجذب باب البيت
 بالرسن فأغلقه علينا وعلى السبع وصرنا محبوسين فيه وقد رنا أن السبع لا يفترسنا
 بسبب السراج وأنه إذا انطفئ اخذنا واكلنا وما طال الأمر ان فنى ما كان في
 السراج من الدهن وطفئ وصرنا في الظلمة والسبع معنا فما كان عندنا من حاله
 شيء إلا إذا تنفس فانا كنا نسمع نفسه وراث الحمار من فزعه فملا المسجد روثا
 ومضى الليل ونحن على حالنا وقد كدنا نتلف فزطاً ثم سمعنا صوت الأذان من
 داخل الحصن وجاء المؤذن فدخل المسجد فلما رأى ما فعله الحمار لعن وشتم وحل
 رسن الحمار من الغلق فمر يطير في الصحراء وفتح المؤذن باب البيت لينظر من
 فيه فوثب السبع إليه فدقه وحمله إلى الأجمة وقمنا نحن وانصرفنا سالمين * بلغني
 عن أبي عيسى محمد بن محمد بن علي بن مقله قال كنت عند أبي الحسن علي بن عمر
 ابن يحيى العلوي بالكوفة إذ دخل عليه غلام له فقال يا مولاي أخذ الأسد فلاناً
 وكيلنا فزاعج وقال في أي محل فقال في موضع كذا وادخله الأجمة الفلانية فقال
 العلوي لا إله إلا الله في هذا الموضع بعينه أخذ الأسد أباه وادخله إلى هذه الأجمة
 بعينها منذ كذا وكذا سنة فأغتم فاخذنا نسله فعاد إلى شأنه في المحادثة وأنا
 قاعد أحدثه إذ دخل عليه غلامان مبادرين وقالوا قد نجى الوكيل من الأسد
 وحضر فماتم كلامه إلا ودخل الوكيل فبش له العلوي وسأله عن خبره فقال نعم
 أخذني السبع كما شاهد من حدثكم وكنت راكباً فحملني بفمه كما تحمل السنور
 بعض أولادها إلا أنه ما كلمني فادخلني الأجمة وقد زال عقلي فما أعرف من أمرى
 شيئاً إلا أنني أقفت فلم أرى ووجدت أعضائي سالمة ووجدت حولي من الجماجم
 والعظام أمراً عظيماً ولم تزل قوتي تعود إلى أن قتت فعترت بشيء فاذا هو هيمان

فأخذته وشدته على وسطى ومشيت الى ان بعدت عن الموضع فوصلت الى شبيه
 بوهدة جلست فيها وغطيت نفسى بما امكنتى من القصب بقية ليلتى فلما طلعت
 الشمس احسست بكلام المجتازين وحوافر بغالهم فخرجت وعرفتهم قصتي وركبت
 بغل أحدهم فلما بعدت عن الاجمة وأمنت على نفسى فتحت الهميان فاذا فيه رقعة
 فتأملتها فاذا هى بخط أبي بأصل ما كان فى الهميان من الدنانير وما أنقعه فاذا هو
 هميان أبى الذى كان فى وسطه عند ما افترسه الأسد فحسبت الخرج ووزنت
 الدنانير فاذا هى بازاء مابقى من الأصل ما تنقصت شيئاً قال واخرج الهميان
 وفتحه واخرج الرقعة فقال العلوى نعم هذا خط أيبك فعجبت الجماعة من ذلك
 بلغنى عن رجل من أهل الانبار قال خرجت الى الضيعة لى فى ظاهر الانبار راكباً
 دابة كانت معى ومعى عبد أسود مملوك فى نهاية الشجاعة فلما صرنا فى بعض
 الطريق بالقرب من الضيعة إذ نشأت سحابة فامطرت وكان المطر قد ادركنا فلما
 إلى قباب كانت الا كاسرة تبنيها على الطريق وعلى السابلة فلجأنا اليها وقوى المطر
 جدا حتى منعنا من الحركة فأشار على الغلام بالمبيت فقلت له تخاف ويالك
 اللصوص فقال لى اتخاف وأنا معك فقلت فالسبع قال نصير الدابة داخل القبة
 وأنت تليها وأنا عند الباب واشد وسطى بالحبل الذى معنا واشد طرفه برجلك
 حتى لا يأخذنى النوم فان جاء الأسد أخذنى دونك وما زال يحسن لى ذلك الرأى
 حتى اطعته وملنا إلى أحد القباب ودخلناها وفعل ما قال فلا والله مامضت قطعة
 من الليل حتى وافى السبع فأخذ الأسود ودقه واحتمله وجر رجلى المشدودة معه
 فى الحبل ولم يزل يحجرنى على الشوك والحجارة والدكادك الى أن صار الى اجتمه وأنا
 لا أعقل شيئاً من أمرى ولا أحس باكثر مما يحزى ولا تميز لى يؤدىنى الى الاجتهاد
 فى حل الحبل من رجلى ثم رمى بالأسود وربض عليه وما زال يأكل منه حتى شبع
 وترك ما فضل منه وليس فى من حس الحياة غير النظر فقط ثم مضى فنام بالقرب
 من مكاننا وبقيت زماناً على تلك الحال ثم سكن روعى وثاب الى فهمى ورجعت
 إلى نفسى فخللت رجلى من الحبل المشعوم وقت لأدب فعثرت بشيء لا أدرى
 ماهو فأخذته بيدي فاذا هو هميان ثقيل فشددته فى وسطى وخرجت من الاجمة
 وقد قارب الصبح ان يسفر ومشيت الى القبة التى فيها دابتي فاذا هى واقفة بحالها

فأخرجتها وركبتها وانصرفت إلى منزلي فوجدت في الهميان جملة دنانير خمدت الله
عز وجل على السلامة وبقي الرعب في قلبي والتألم في جسدي



الباب العاشر

﴿ من اشتد بلاؤه بمرض ناله * فعافاه الله سبحانه بإيسر سبب وأقاله ﴾
روى بإسناد آخره عثمان بن أبي العاص الثقفي قال شكوت إلى رسول الله ﷺ
وجعاً قد كان يبطاني قال فقال لي يا عثمان ضع يدك عليه وقل أعوذ بعزة الله
وقدرته من شر هذا الوجع ومن شر ما أجد سبع مرات قال فقلت فشفاني الله
وعن ابن جعدية قال مرض أبو عزة الجمحي الشاعر فكانت قریش لا تؤاكله
ولا تجالسونه فقال الموت خير من هذه الحياة فأخذ حديدة ودخل بعض شعاب
مكة فطعن بها في المعدة والمعدة موضع عقبي الراكب من الدابة قال ابن الجعدية
فمرت الحديدة بين الجلد والصفاف فسال منه ماء أصفر فقال

لاهم رب نائل ونهد والمهمات والجبال الجرد

من بعد ما طعنت في معد

قال مؤلف الكتاب كذا في كتاب الطوسي والصواب عندي

لاهم ورب من يرعى بياض نجد أصبحت عبدا لك وابن عبد

أبرأتني من وضع بحلمي من بعد ما طعنت بها في معد

حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي قال كان ينزل
باب الشام من الجانب الغربي من بغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة يقال له لبيب
العابد لا يعرف إلا بهذا وكان الناس ينتابونه وكان صديقا لأبي فحدثني لبيب قال
كنت مملوكا روميا لبعض الجند قرباني وعلمني السلاح حتى صرت رجلا ومات
مولاي وتزوجت بامرأته وقد علم الله أني ما أردت بذلك إلا صيانتها وأقمت معها
مدة ثم اتفقت لي أني رأيت حية داخلية إلى حجرها فامسكت ذنبها لاقتلها فأنثت
عليّ فنهشت يدي فشلت ومضى على ذلك زمان طويل فشلت يدي الأخرى بغير

سبب اعرفه ثم جفت رجلاي ثم عميت ثم خرسيت فكنيت على هذه الحال ملقي سنة كاملة لم يبق لي جراحة صحيحة الا اسمعي اسمع به ما اكره وانا طريق على ظهري ولا أقدر على كلام ولا ايماء ولا حركة أستي وأناريان وأطعم وأنا شبعان وأترك وأنا جائع فلما كان بعد سنة دخلت امرأة الى زوجتي وقالت كيف أبو على فقالت لها زوجتي لا هو حي فيرجى ولا ميت فيسلى فافلقني ذلك وآلم قلبي المأ شديدا وبكيت وضججت الى الله عز وجل في سرى بالدعاء وكنت في جميع تلك العلل لا أجد ألما في نفسي فلما كان بقية ذلك اليوم ضرب على جسدي ضربا شديدا كاد يتلفني ولم أزل على ذلك الحال الى أن دخل الليل وانتصف وخف الألم قليلا فنمت فما أحسست إلا وقد انتهت وقت السحر واحدى يداي على صدرى فتمعجبت من ذلك في نفسي وقلت كيف صارت يدي على صدرى ومن رفعها اليه وكانت طول هذه المدة مطروحة على فراشي لا ترفع الا أن شالها أحد لي ثم وقع في قلبي تحريكها فتحركت ففرحت فرحا شديدا وقوى طمعي في فضل الله عز وجل بالعافية فحركت الأخرى فتحركت فقبضت إحدى رجلي فاقبضت فرددتها فرجعت وفعلت مثل ذلك بالأخرى ورمت الانقلاب من غير أن يقلبني احد كما كان يفعل بي فانقلبت بنفسى فجلست ورمت القيام فامكنتني فقممت فنزلت من على السرير الذي كنت مطروحا عليه وكان في بيت من الدار فمشيت اتلمس الحائط من الظلمة لانه لم يكن هناك سراج إلي أن وقفت على الباب وأنا لا أطمع في بصرى فخرجت من البيت الى صحن الدار فرأيت السماء والسكواكب مزهرة وكدت أموت فرحا وانطلق لساني وقلت يا قديم الاحسان لك الحمد ثم صحت بزوجتي فقامت وقالت أبو على فقلت لها الساعة صرت أبو على اسرجي فاسرجت فقلت جيئي بي بمقراض فجاءت به فقصصت شاربيا كان لي بزي الجند فقالت زوجتي ما تصنع الساعة تعيبك رفقاؤك فقلت بعد هذا لا أخدم غير ربي فانقطعت إلي الله عز وجل وخرجت من الدار وطلقت الزوجة ولزمت عبادة ربي وقل أبو الحسن خبر هذا معروف مشهور وكانت هذه الكلمة لا تفارقه وهي يا قديم الاحسان لك الحمد وصارت حادثة يقول لها في حشو كلامه وكان يقال انه محاب الدعوة فقليل له إن الناس

يقولون انك رأيت رسول الله ﷺ في منامك فمسح يده عليك فبرأت فقال
ما كان لعافيتي سبب غير ما عرفتك * حدثني محمد بن علي الخلال البصري أحد أبناء
القضاة قال حدثني بعض الأطباء الثقة ان غلاماً من بغداد كان عليلاً فقدم الـ
وهو ينفث الدم وكان قد لحقه ذلك وهو في طريقه فاستدعى أبا بكر الرازي
الطبيب المشهور بالحدق صاحب الكتب المصنفة فاراه ما ينفث ووصف له الحال
فأخذ الرازي مجلسه ورأى قارورته واستوصف حاله منذ ابتدأت العلة به فلم يـ
دليل على سل ولا قرحة ولم يعرف العلة فاستنظر الرجل ليفكر في الأمر فقامت
على العليل القيامة وقال هذا يأس لي من الحياة لحذق الطبيب وجهله بالعلة فازداد
مابه وولد الفكر للرازي أن عاد اليه وسأله عن المياه التي شربها في طريقه فأخبره
انه شرب من مستنقعات وصهاريج فقام في نفس الرازي بحدة الخاطر وجودة
الذهن ان علة كانت في الماء وقد حصلت في معدته وان ذلك النفث للدم من
فعلها وقال له إذا كان في غد جئتكم فعايجتكم ولم انصرف حتى تبرأ ولكن بشرط
ان تأمر غلمانك ان يطيعوني فيما أمرهم به فيك قال نعم وانصرف الرازي وتقدم
وجمع له ملاً مركنين من طحلب فاحضرهما في غد معه وأراه اياهما وقال له ابلع
جميع ما في هذين المركنين فبلع الرجل منه شيئاً كثيراً ثم قال ليس يمكنني بلع شيء
آخر أكثر منه فقال له ابلع فقال لا أستطيع فقال للغلمان خذوه ففعلوا ذلك به
وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه وأقبل الرازي يدس الطلب في حلقه ويكبسه كبسا
شديداً ويطلبه ببلعه شاء أو أبي ويتهدده بالضرب الى أن ابلعه كارها احد
المركنين بأسره والرجل يستغيث ولا ينفع مع الرازي شيء إلى أن قال العليل
الساعة اقذف فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه فذره التقيء فقذف فتأمل الرازي
قذفه فاذا فيه علة وإذا هي لما وصل الطحلب اليها دبت إليه بالطبع وترك
موضعها فلما قذف العليل خرجت مع الطحلب ونهض العليل معافي * عن
أبي الحسن علي بن الحسن الصيدلاني قال كان شندنا بسوق الأربعاء من أولاد
آذر غلام حدث لحقه وجع في معدته شديد بلا سبب يعرفه وكانت تضرب عليه
في أكثر الأوقات ضرباً عظيماً حتى كاد يتلف وقل أكله ونحل جسمه فحمل
الي الأهواز فعولج بكل شيء فما نجح فيه دواء فرد إلى بيته وقد يئس منه

فاجتاز بنا بعض الأطباء فدعاه والد العليل وعرفه حال ابنه فقال للعليل اقعد
واشرح لنا سبب مرضك من منذ حال صحتك إلي أن أصبحت فشرحتها فطاوولها
بمحدث الي ان قال العليل اني دخلت الي بستان لنا فكان في بيت البقر منه رمان
كثير قد جمع للمبييع فاكلت منه رمانا عدة فقال له الطبيب كيف كنت تأكل
قال كنت أعض رأس الرمانة بضمي واكسرها وارمي بها واكلها قطعاً قطعاً فقال
الطبيب في غد أعجل لك العلاج فتبرأ بأذن الله وخرج فلما كان من الغد جاءه بقدر
اسفيدباج قد طبخها في لحم جرو سمين وقال للعليل كل هذا فقال ماهو قال إذا
أكلته عرفتك قال فأكل العليل وقال له امتل من الطعام ففعل ثم اطعمه بطيخاً
كثيراً ثم تركه ساعتين وسقاه فقاعاً قد خلط بماء حار وشبث ثم قال له أى شيء
أكلت فقال لا أدري فأخبره الخبر خين سمع الغلام ذلك اندفع يقذف فأمر بعينه
ورأسه فامسكت وأقبل يتأمل القذف إلى ان طرح الغلام شيئاً اسود كالنواة
الكبير يتحرك فأخذه الطبيب وقال له ارفع رأسك فقد برأت وفرج الله تعالى
عنك فرفع الغلام رأسه وانقطع القذف وسقاه الطبيب شيئاً يقطع الغثيان وصب
على رأسه ماء ورد ومسكن ثم أخذ الذي يشبه النواة فأراه لوالد الغلام فاذا هو
قراد فقال له اني قد ذكيت ان الموضع الذي كان فيه الرمان كان فيه قرادا من
البقر وانه دخلت واحدة منهن في رأس احدى الرمانات التي اقتلعت رؤوسها بفم
الغلام فنزل القراد في حلقه وعلق بمعدته يمتصها وعلمت أن القراد يهش إلى لحم
الكلب فأطعمته اياه وقلت إن صح ظني سيتعلق القراد بلحم الكلب تعلقاً يخرج
معه ان قذف فيبرأ وإن لم يكن ما ذكيت صحيحاً فما يضره من أكل هذا اللحم
فلما أحب الله عز وجل عافيته صح ما ذكيت فنبهه إلى أن لا يعاود بعدها ادخال
شيء في فيه لا يدري ماهو وبرأ الغلام وصح جسمه * حدثنا أبو الحسن غلامنا
عن ابن الصيدلاني قال كان لي أكار حدث فانتفخ ذكره انتفاخاً عظيماً فلم يكن ينام
الليل ولا يهدأ النهار وعولج فلم يكن لبرئه سبيل قال فجاء متطبيب من الأهواز
يريد البصرة فسألته أن ينظر إليه فقال لي قل له يصدقني عن خبره في أيام صحته
إلي الآن قال فحدثه قال فأصدقني فلست أدري شيئاً يوجب هذه العلة ومالي إلى
علاجك سبيل قال فقال لي الغلام أصدق وأنا آمن جهتك فقلت افعل فقال له

أنا غلام حدث واعزب فوطئت حمادا ذكرا كان لي في الصحراء قال فقال له
الطبيب الآن قد علمت انك صادق والساعة اعالجك فتبرأ ثم امر به فأمسك
امسا كما شديدا والغلام ساكت إلى أن جس منه موضعا فصاح الغلام فأخذ
الطبيب خيطا ابريسما فشد الموضع شدا شديدا ولم يزل يمرح ذكر الغلام حتي
خرجت منه حبة وقد كبرت وجرححت الموضع فسأل منه شيء يسير كماء اللحم
فأعطاه مرهما وقال استعمل هذا أياما فانك تبرأ وتب إلى الله تعالى عن مثل هذا
الفعل واستعمل الغلام المرمم فبرأ * حدثني أبو عبد الله الحسن بن محمد بن عبد الله
الدقاق المعروف بابن العسكري من بغداد في المذاكرة قال كان أبي إذا جلس يفتش
دفاتره وأنا صبي أجيء فأخذ منها الشيء بعد الشيء استحسنه والعب به وكنت
أرى في دفاتره دفاتر فيه خطوط حمر فاستحسنه واطلبه فيمنعني منه حتى بلغت
مبلغ الرجال قال فجلس يوما يفتش كتبه فرأيت الدفتر فأغفلت أبي وأخذته ففتحته
أقراه فإذا هو مولدي قد عمله بعض المنجمين ووجدت فيه اني بلغت اربعا
وثلاثين سنة كان عليّ قطع فيها فالتفت أبي فرأى الدفتر في يدي فصاح وأخذه
منى ونظر أي موضع أقرأ فرآه فأخذ يضعف ذلك في نفسي لثلاث غم ومضت
السنون فلما بلغت إلى السنة التي ذكرها المنجم ركبت مهرا لي وقد خرجت إلى
دار الضرب وأبي فيها وكان اليه العيار فبلغت إلى سباط في درب الدبرج فنفر
المهر من كلب كان في الطريق رابضاً فضرب رأسي حائطا كان في السباط فوقعت
عن المهر مغشياً علي ثم حملت إلى دار الضرب فاحضروا طبيباً وقد انتفخ موضع
من رأسي انتفاخا عظيما فأشار بقصدي فقصدت فلم يخرج لي دم فحملت إلى بيتنا
ولم أشك في اني ميت لشدة مالحقني فاعتلت مدة وضعفت نفسي خوفا مما ذكر
من حكم المنجم وكنت يوما جالسا مستندا على سرير وقد آيست من نفسي إذ
حملتني عيناى فخفق رأسي فضرب درابزين السرير فأنشج الموضع المنتفخ وخرج
منه ارطال دم نفخ مابى في الحال وصلحت وبرأت وعشت إلى الآن وكان له يوم
وقد حدثني بهذا الحديث وهو ابن أربع وثمانون سنة وشهور على ما أخبرني *
حدثني أبو الحسن بن علي ابن أبي محمد الحسين بن محمد الصالحى الكاتب قال رأيت
بمصر طبيبا كان بها مشهورا يعرف بالقطيعة وكان يقول أنه يكسب في كل شهر

ألف دينار من جرايات يجرىها عليه قوم من رؤساء العسكر ومن السلطان وما يأخذه من العامة قال وكان له دار قد جعلها شبه بيادرستان من جملة داره يأوى إليها ضعفاء الاعلاء ويعالجهم ويقوم بأغذيتهم وادويتهم وخدمتهم وينفق أكثر كسبه على ذلك قال أبو الحسن وأصيب أحد فتيان الرؤساء بمصر بالسكتة واسماه لى وذهب عنى اسمه فحمل إلى الأطباء وفيهم القطيعى فاجمعوا على موته إلا القطيعى وعمل أهله على غسله وكفنه فقال القطيعى دعونى اعالجه فان برىء وإلا فليس يلحقه أكثر من الموت الذى قد اجمع هؤلاء عليه فخلاه أهله معه فقال هاتوا غلاما جلدا ومقارع فأتى بذلك فأمر به وضربه عشر مقارع بأشد الضرب ثم مس مجسه وضربه عشرا أخرى شديدة ثم مس مجسه وضربه أيضا عشرا أخرى ثم مس مجسه وضربه عشرا أخرى ثم مس مجسه وقال للأطباء أليكون للميت نبض متحرك فقالوا لا فضربه عشر مقارع أخرى وقال جسوه فقالوا قد زاد نبضه فضربه عشرا أخرى فتأوه فضربه عشرا أخرى فصاح فقطع عنه الضرب فجلس العليل يحس بدنه ويتأوه وقد ثابت قوته اليه فقال له ماتجد قال أنا جائع فقال اطعموه الساعة فجاؤه بما يأكل فرجعت قوته اليه وقمنا وقد برىء فقال له الأطباء من اين لك هذا قال كنت مسافرا فى قافلة فيها اعراب يخفروننا فسقط منهم فارس عن فرسه فاستكت فعمد اليه شيخ منهم فضربه ضربا عظيما فما رفع عنه الضرب حتى افاق فعلمت ان الضرب جلب اليه الحرارة وازالت سكتته فقست عليه أمر هذا العليل * حدثنى بعض المتطبيين بالبصرة قال حدثنى أبو منصور بن مارمة كاتب أبي مقاتل صالح بن مدركه الكلابي أمير دجلة وكان أبو منصور من رؤساء أهل البصرة الذين يضرب المثل بنعتهم وترفعهم وكان ثقة اديبا قد شاهدته أنا ولم اسمع منه هذه الحكاية قال أخبرنى شيوخنا قال كان بعض اهلنا قد استسقى فأيس من حياته فحمل إلى بغداد فشور الأطباء فيه فوصفوا له ادوية كبارا فعرفوا أنه قد تناولها بأسرها فلم تنجع وآيسوا منه وقالوا لا حيلة فى برئه قال فسمع العليل فقال لمن كان معه دعونى الآن ازود من الدنيا وآكل ما اشتهى ولا تقتلونى بالحيلة فقالوا كل ما تريد فمهما رآه مما يجتاز به على الطريق اشتراه واكله ولم يلتفت إلى ضرره ونفعه فمريه رجل يبيع جرادا مطبوخا فأجلسه واشترى منه عشرة

ارطال واكلها بأسرها فلما كان بعد ساعة انحل طبعه وتواتر قيامه حتى قام في ثلاثة أيام أكثر من ثلاثمائة مجلس وضعف وكاد يتلف وآيس منه ثم قطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وعادت بطنه إلى حالها في الصحة وثابت إليه قوته وبرأ فخرج برجليه في اليوم الخامس يتصرف في حوائجه فرآه أحد الأطباء فعجب من أمره فسأله عن الخبر فعرفه فقال ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا ولا بد من أن يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصية فاحب ان تدلني على الذي باعك الجراد قال فما زالوا في طلبه حتى اجتاز بالباب دفعة ثانية فأراه الطبيب فقال ممن اشتريت هذا الجراد فقال ما اشتريته انا اصيده واجمع منه شيئا كثيرا واطبخه على الأيام وابعه فقال من اين تصيده قال فذكر قرية على فراسخ يسيرة من بغداد فقال له الطبيب اعطيك دينارا وتدع شغلك وتجيء معي إلى ذلك الموضع فقال نعم فخرجوا وعاد الطبيب من غد فذكر أنه رأى ذلك الجراد يرعى في صحراء أكثرها حشيشة يقال لها المأذريون وهي دواء الاستسقا فاذا دفع إلى العليل منها دون درهم أسهله أسهالا يزيل الاستسقا ولكن لا يؤمن من ان لا ينضبط ولا يقف فيقتله الذرب والعلاج بها خطر جدا وهي مذكورة في الكتب ولقرط ضررها لا يكاد يصفها الطبيب فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة وانطبخت في معدته ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطبيحين اجتماعا عليه وقضى أن تناولها هذا بالاتفاق وقد تعدلت بمقدار ما يدفع طبعه دفعا قطع بانقطاع العلة فبرأ * حدثني محمد بن أحمد بن طوطى الواسطى أبو الحسين قال سمعت أبا علي عمر بن يحيى العلوي الكوفي رحمه الله يقول كنت في بعض حججى في طريق مكة فاستسقى رجل كان معنا من أهل الكوفة وثقل في علته وسل الأعراب قطارا من القافلة كان على جمل منه هذا العليل فافتقد وجزعنا عليه وعلى القطار وكنا راجعين إلى الكوفة فلما كان بعد مدة جاءني العليل إلى دارى معافا فسألته عن قصته وسبب حافيته فقال إن الأعراب لما سلوا القطار ساقوه إلى محلهم وكان من المحجة على فراسخ يسيرة فانزلوني ورأوا صورتي فطرحوني في أواخر بيوتهم وتقاسموا ما كان في القطار فكنت ازحف واتصدق من البيوت ما آكله فاطعم فتمنيت الموت وكنت ادعو الله عز وجل به أو بالعافية فرأيتهم وقد عادوا يومامن ركوبهم

فاخرجوا افاعى قد صادوها فقطعوا رؤسها واذنابها وسووها واكلوها فقلت
هؤلاء يا كاون هذه فلا تضرهم بالعادة التي نشؤوا عليها ولعلى ان اكلت منها
شيئا ان اتلف فاستريح مما أنا فيه فقلت لبعضهم اطعمنى من هذه الحيات فرمى
إلى واحدة منها مشوية فيها ابطال فاكلتها بأسرها وامعنت طالباً للموت فاخذني
نوم عظيم فانتبهت وقد عرقت عرقاً عظيماً واندفعت طبيعتي فقممت في بقية يومى
وليلتي أكثر من مائة مجلس إلى ان سقطت طريحاً وجوفى يجرى فقلت هذا
طريق الموت واقبلت اتشهد وادعو الله عز وجل بالمغفرة فلما اضاء الصبح تأملت
بطنى فاذا هى قد ضمرت وزال عنها ما كان بها فقلت أى شئ ينفعنى من هذا
وأنا ميت فلما اضحى النهار وانقطع القيام وجبت صلاة الظهر فلم احس بقيام وجعت
فجئت لاذحف على العادة فوجدت بدنى خفيفاً وقوتى سالحة فتحاملت فمشيت
فطلبت منهم ما كولا فاطعموني فقويت فبت في الليلة الثانية معافا ما انكر شيئاً
من امرى فاقمت أياماً إلى أن وثقت من نفسى بأني ان مشيت نجوت فاخذت
الطريق من بعضهم إلى ان صرت على المحجة ثم سلكتها إلى الكوفة مشياً *
حدثني أبو الفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازى الكاتب قال حدثني القاضى
أبو بكر الجعابي الحافظ قال دخلت يوماً على القاضى أبي الحسين ابن القاضى أبي
عمر رحمهما الله وهو مغموم فقلت لا يغم الله قاضى القضاة ما هذا الحزن الذى
اراه به قال مات يزيد المائى فقلت يبقى الله قاضى القضاة ومن يزيد المائى حتى
إذا مات اغتم عليه قاضى القضاة هذا الغم كله فقال ويحك مثلك يقول هذا فى
رجل اوجد لنا صناعة نخيمة قد مات وما ترك فى حذقه أحد وهل تفخر البلدان
إلا بكثرة رؤساء الصنائع وحذاق أهل العلوم فيها فاذا مضى رجل لا مثيل له فى
صناعته لا يبدل الناس فرحهم بالترح وهل يدل هذا إلا على نقصان العالم والنحطاط
البلدان قال ثم اقبل يعدد فضائله والأشياء الظريفة التى عاج بها والعلل الصعبة
التي زالت بتدبيرها فذكر من ذلك اشياء كثيرة كان منها إذ قال لقد أخبرني منذ
مدة رجل من جلة أهل هذه البلد أن كان حدث بآبنة له علة فكتمت أمرها
ثم اطلع عليها أبوها فكتمها هو مدة ثم انتهى أمر البنات إلي حد الموت قال
فقلت لا يصح ترك علاج هذا وكتمانه أكثر من هذا قال وكانت العلة أن فرج

الصبية كان يضرب عليها ضربانا عظيما لا تنام معه الليل ولا النهار وتصرخ أعظم صراخ ويجرى في خلال ذلك منه دم يسير كماء اللحم وليس هناك جرح يظهر ولا ورم قال فلما خفت المأثم احضرت يزيدا فشاورته فقال اتأذن لي في الكلام وبسط عذري قلت نعم قال لا يمكنني أن اصف لك شيئا دون أن اشاهد الموضع بعيني وافتشه بيدي واسائل المرأة عن أسباب لعلها كانت الجالبة للعلّة قال فلعظم الصورة وبلوغها حد التلف امكنته من ذلك فاطال مسألتها وحديثها بما ليس من جنس العلّة فبعد ان جس الموضع من ظاهره وعرف بقعة الألم حتى كدت ابطش به ثم تصبرت ورجعت إلي ما اعرفه من ستره فصبرت على مضض إلى أن قال تأمر من يمسكها ففعلت ثم ادخل يده في الموضع دخولا شديدا فصاحت المرأة قاضى عليها وانبعث الدم واخرج في يده حيوانا اقل من الخنفساء فرمى به فجلست الجارية في الحال وقالت يا أبت اشترني فقد عوفيت فأخذ يزيد الحيوان بيده وخرج من المحل فاجلسته وقلت اخبرني ماهذا فقال إن تلك المسائلة التي لم أشك في أنك انكرتها انما كانت لا طلب دليلا استدل به على سبب العلّة إلى ان قالت أنها في يوم من الأيام كانت جالسة في بيت دواب من بستان لكم ثم حدثت العلّة بها من غير سبب تعرفه فلما كان في غدته الضربان تخيلت انه قد دب إلى فرجها من القردان التي تكون على البقر وفي بيوته قراد قد تمكن من أول داخل الفرج وكلما امتص الدم من موضع ولد له ضربانا وأنه إذا شبع خف الضربان لا نقطاع مصه ونقطت من الجرح الذي يمتص منه إلى خارج الفرج هذه النقطة اليسيرة من الدم فقلت ادخل يدي وافتش فادخلتها فوجدت القراد فأخرجته وهو هذا الحيوان وقد تغيرت صورته من كثرة ما امتص من الدم مع طول الأيام قال فتأملنا الحيوان فاذا هو قراد وبرأت المرأة قال مؤلف هذا الكتاب ولم يذكر القاضي أبو الحسن في كتابه هذا الخبر ولعله اعتقد انه مما لا يجب ادخاله فيه * عن بني عقيل وكان إذا جاء من البادية ينزل في شارع دار الرقيق بالقرب من درب سليمان قال كانت عندي جارية بالبادية بالغة زمنة مقعدة سنين ومن عادتنا أن نأخذ الحنظل فنقور رأسه ونغلاه باللبن الحليب ونزد على كل واحدة رأسها ونتركها في الرماد الحار حتى تغلي فاذا غلت حسي كل واحد منا ما في الحنظلة من ذلك فتسهله وتصلح بدنه

قال فأخذنا سنة من السنين ثلاث حناظل لثلاث أنفس يشربونها وجعلنا فيها اللبن على الصفة المارة فرأتها الجارية الزمنة فلغرضها بالحياة وضجرتها من الزمانة غدت إلى الحناظل الثلاث فحستها كلها وعلمنا بذلك بعد لما رأينا من قيامها فأيسنا من حياتها فباعدها في الأخبية لثلاث نسم روائحها فتعدينا ولتموت بالبعد عنا فلما كان في الليل انقطع قيامها ومشيت برجلها إلى أن اعادت إلى البيوت معافية لاقلبة بها وعاشت بعد ذلك سنين وولدت * قال جبريل بن يحنشوع كنت مع الرشيد بالزقة ومعه المأمون ومحمد وكان رجلا كثير الأكل والشرب فأكل في بعض الأيام أشياء خلط فيها ودخل المستراح فغشى عليه وقوى عليه الغشى حتى لم يشك غلمانه أنه قد مات وحضر ابنه وشاع عند العامة والخاصة خبره فأرسل إلى فحضرت وجسست عرقه فوجدت نبضا خفيفا وقد كان قبل ذلك بأيام يشتكي امتلاء وحركة الدم فقلت لهم لم يموت والصواب أن يحجم الساعة فقال كوثر لما يعرف من أمر الخلافة وافضأها إلى صاحبه محمد بن الفاعلة تقول احجموا رجلا ميتا لا يقبل قولك ولا كرامة فقال المأمون الأمر قد وقع وليس يضر بأن نحجمه فاحضر وتقدمت إلى جماعة من غلمانه بامساكه ففعلوا واقعد فقلت للحجج وضع محاجك ففعل فلما مصها رأيت الموضع قد احمر فطابت نفسي بذلك أنه حي ثم قلت اشترط فشرط نخرج الدم فسجدت شكرا لله عز وجل وكلما خرج الدم يحرك رأسه ويصفر لونه إلى أن تكلم فقال ابن انا فطيت نفسي وغذينا صدر دراج وسقينا نبيذا وما زلت أسعطه بالطيب في انقه حتى تراجعت إليه قوته وادخل الخاصة والقواد اليه فساموا عليه من بعد ما كان قد شاع من خبره ثم تكاملت قوته ووهب الله له العافية فلما خرج من غلته دعا بصاحب حرسه وصاحب شرطته وحاجبه فسأل صاحب الحرس عن غلته في كل سنة فعرف انها ألف ألف درهم وسأل صاحب شرطته عن غلته فعرف انها خمسمائة ألف درهم ثم قال لي يا جبريل كم غلتك فقلت خمسين ألف درهم فقال ما نصفناك حيث غلات هؤلاء وهم يحرسوني ويحجبوني عن الناس على ما هي عليه وتكون غلتك ما ذكرت وأمر باقطاع ما قيمته ألف ألف درهم فقلت أسيدى مالى حاجة إلى الاقطاع ولكن تهب لي ما اشتري الضياع بها ففعل وتقدم بمعاونتي على

ابتياعها فابتعت بهباته وصلاته ضياعاً غلتها ألف ألف درهم فجميع ما أمتلكته ضياعاً
 لا اقطاع فيها * حدثني طلحة بن عبدالله بن قياس الطائي الجوهري البغدادي
 أبو جعفر قال كان في درب مهرويه بالجانب الشرقي ببغداد قديماً رجل من كبراء
 الحجزية وكان متشبهاً بـغلام من غلمان ربه صغيراً فاعتل الغلام علة من بلسام وهو
 الذي تسميه العامة البرسام فبلغ إلى حالة قبيحة وزال عقله فتفرقوا عنه يوماً وهو
 في موضع فيه خيش ووكلوا صبياً بمراعاته فسمعوا صياح الفتى الموكل به فبادروا
 إليه فقالوا انظروا إلى ما قد أصابه فإذا عقرب قد نزل من المسند على رأس العليل
 فلسعته في عدة مواضع فإذا به قد فتح عينيه وهو لا يشكوا الماء فسألوه عن حاله
 فطلب ما يأكل فاطعموه وبرأ فلاموا طبيبه فقال علام تلومونني لو أمرتكم أن
 تلسعوه بعقرب أكنتم تفعلون * عن أبي بكر بن قارب الرازي وكان تلميذ
 لأبي بكر محمد بن زكريا الطبيب بعد رجوعه من عند أمير خراسان لما استدعاه
 ليعالجه من علة صعبة قال اجتزت في طريقي إلى نيسابور ببلد بسطام وهو النصف
 من طريق نيسابور إلى الري قال فاستقبلني رئيسها فانزلني داره وخدمني وخدمته
 وسألني أن أقف على ابن له به استسقاء فادخلني إلى دار قد أفرد هاله فشاهدت العليل
 ولم أطمع في البرأة فعلت القول بمشهد من العليل ولما انفردت بابيه سألتني أن
 أصدق فصدقته وآيسته من حياة ابنه وقلت له يمكنه من شهواته فإنه لا يعيش
 وخرجت إلي خراسان وعدت بعد اثني عشر شهراً فاستقبلني الرجل بعد عودي
 ولما لقيت استحييت منه غاية الحياء ولم أشك في وفاة ابنه وإني كنت نعيته إليه
 وخشيت من ثقله بي فلم أجده عنده ما يدل على ذلك وكرهت أن أسأله عنه لئلا
 أجدد عليه حزناً قد نسيه فقال لي بعد أيام أتعرف هذا الفتى وأومئ إلى شاب
 حسن الوجه والسجية كثير الدم والقوة قائم مع الغلمان يخدمنا فقلت لا فقال
 هذا ابني الذي آيستني منه عند مضييكم إلى خراسان فتحيرت وقلت عرفني سبب
 برأه فقال لي أنه بعد قيامك من عنده فطن أنه قد آيستني منه فقال لي لست أشك
 أن هذا الرجل وهو أوحده في الطب قد آيسك مني والذي أسئلك أن تمنع هؤلاء
 الغلمان يعني الغلمان الذين كنت أخدمهم إياه عنى لأنهم أذنوني لأنني إذا رأيتهم
 معافين وأنا لست بينهم يتجدد على قلبي الحزن فارحني منهم يا أباي وأفرد لي فلانة

تخدمتي ففعلت ماسأله وكانت المرأة داية له وكان يحمل إليها في كل يوم مائتا كلة
وله ما يطلب على غير حمية فلما كان بعد أيام حمل إلى الداية مضيرة لتأكل فتركبتها
ومضت لشغل لها فذكرت بعد ان عادت ان أبي قد نهاها عن أكل المضيرة
فوجدتها قد ذهب كثير منها وبقي بعضه متغير اللون قالت فسألت الغلام عن
السبب فاخبرني بانه رأي افعى عظيما قد خرج من موضع ودب إليها وأكل منها
ثم قذف فيها فصار لونها كما ترينه فقلت أنا ميت وهو ذا يلحقني ألم شديد ومتى
أظفر بمثل هذا وجئت فاكلت من الغضارة ما استطعت لأموت عاجلا واستريح
فلما لم استطع زيادة أكل رجعت حتى جئت إلى فراشي وجئت أنت قالت ورأيت
أنا المضيرة على يده وفيه فصحت فقال لا تعلمي أحدا حتى تدفني الغضارة بما فيها
لئلا يأكلها إنسان فيموت أو حيوان فيلسع إنسانا فيقتله ففعلت ما قال وخرجت
إليك فلما عرفتني ذلك ذهب عليّ أمرى ودخلت إلى ابني مسرعا فوجدته نائما
فقلت لا توقظوه حتى ننظر ما يكون منه فانتبه آخر النهار وقد عرق عرقا شديدا
وهو يطلب المستحم فانهضناه إليه فاندفعت طبيعته وقام من الليل ومن الغدأكثر
من مائة مجلس فازداد يأسنا منه وقل القيام وقد صار بطنه مع ظهره مثل بطون
الاصحاء وطلب فرار يجفأكل ولم تزل قوته تزداد فطمعنا في حياته فمنعناه التخليط
وثابت قوته وتزايدت إلى ان صار كما ترى قال فعجبت من ذلك وذكرت ان الأوائل
قالوا ان المستسقي إذا أكل من لحم حية عتيقة مزمنة لها مؤن سنة برأ ولو قلت
لك هذا علاجه لظننت اني أدافعك ومن أين يعلم كم عمر الحية إذا وجدت
فأمسكت عنه



الباب الحادي عشر

﴿ من امتحن من لصوص بسرقة أو قطع * فعوض عن الخلف باكمل صنع ﴾
عن دعبيل بن علي الخزاعي الشاعر قال لما قلت قصيدة (مدارس آيات خلت من

تلاوة) قصدت بها أبي الحسن علي بن موسى الرضا رضوان الله عليهم أجمعين وهو
بخراسان ولي عهد المأمون فوصلت إليه فأنشدته فاستحسنها وقال لا تنشدها لأحد
حتى آمرك واتصل خبري بالمأمون فأحضرني وسألني عن خبري ثم قال لي يادعبل
أنشدني (مدارس آيات خلت من تلاوة) فقلت لا أعرفها يا أمير المؤمنين فقال
يا غلام أحضر أبا الحسن علي بن موسى قال فلم يكن بأسرع من أن حضر فقال له
يا أبا الحسن سألت دعبل عن مدارس آيات فذكر أنه لا يعرفها فالتفت إلي
أبو الحسن فقال أنشده يادعبل فأنشدت القصيدة ولم يذكر ذلك المأمون إلى أن
بلغت إلى بيت فيها وهو هذا

قال رسول الله هلب رقابهم وآل زياد غلظ الرقاب

ثم تمتها إلي آخرها فاستحسنها وأمر لي بخمسين ألف درهم وأمر لي علي بن
موسى بقرىب منها فقلت له ياسيدي أريد أن تهب لي ثوبا يلي بدنك أتبرك به
واجعله كفنا فوهب لي قميصا قد ابتذله ومنشفة وأظنه قال وسراويل قال ووصلني
ذو الرياستين وحملي علي برزون أصفر خراساني فكنت أسايره في يوم مطير وعليه
مطر خز وبرنس ومنه فأمر لي به وودعا بغيره جديدا فلبسه وقال إنما أتركك باللبس لأنه
خز الممطرين قال فأعطيت به ثمانين دينارا فلم تطب نفسي ببيعه وقضيت حاجتي
وكررت راجعا إلى العراق فلما صرت ببعض الطريق خرج علينا اكراد يعرفون
بالسرنجان فسلموني وسلبوا القافلة وكان ذلك في يوم مطير فاعتزلت في قميص
خلق قد بقي علي وأنا متأسف من دون ما كان معي علي القميص والمنشفة اللذين
وهبهم لي علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما إذ مررت بي واحد من الاكراد تحته
الأصفر الذي حملي عليه ذو الرياستين وعليه الممطر الخز ثم وقف بالقرب مني وابتدأ
ينشد (مدارس آيات) ويبكي فلما رأيت ذلك عجبت من لص يتشيع ثم طمعت
في القميص والمنشفة فقلت ياسيدي لمن هذه القصيدة فقال وما أنت وذلك وذاك
فقلت له فيه سبب أخبرك به فقال هي أشهر بصاحبها من أن يحبل فقلت ومن
هو قال دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل رسول الله ﷺ فقلت ياسيدي انا والله
دعبل وهذه قصيدتي فقال وذاك ما تقول قلت الأمر أشهر من ذلك فاسأل أهل
القافلة بصحة ما أخبرتك به فقال لا جرم والله لا يذهب من القافلة خلافة فافوقها

ثم نادى في الناس من أخذ شيئاً يرده على صاحبه فردوا على الناس أمتعتهم وعلى جميع ما كان معي ما فقد أحد عقالا ثم انصرفنا إلى شأننا فقال راوي هذا الخبر عن دعبل فحدثت بهذا الحديث على بن بهز الكردى فقال لي ذلك والله أبي الذي فعل هذا * حدثني عبد الله بن عمرو الحارث الواسطى السراج المعروف بأبي أحمد الحارث قال كنت مسافرا في بعض الجبال فخرج علينا ابن سياد الكردى فقطع علينا وكان بزي الأمراء لا بزي الققطاع فقربت منه أنظر إليه واسمع كلامه فوجدته يدل على فهم وأدب فداخلته فاذا برجل فاضل يروى الشعر ويفهم النحو فطمعت فيه وعممت في الحال أبياتاً مدحته بها فقال لست اعلم ان هذا من شعرك ولكن اعمل لي على قافية هذا البيت ووزنه شعرا الساعة لاعلم انك قلته وأنشدني بيتاً قال فعملت في الحال اجارة له ثلاثة أبيات فقال لي أى شيء أخذ منك لارده عليك قال غذكرت ما أخذ منى واستضفت إليه قماش رقيقين كانا لي فرد جميع ذلك ثم أخذ من أكياس التجار التي نهبها كيساً فيه ألف درهم فوهبه لي قال لخزيتة خيرا ورددته عليه فقال لي لم تأخذه فواربت في كلامي قال أحب أن تصدقني فقلت وأنا آمن قال نعم قلت لأنك لا تملكه وهو من أموال الناس أخذته منهم الساعة ظالماً فكيف يحل لي أخذه فقال لي اما قرأت ما ذكره الجاحظ في كتاب اللصوص عن بعضهم قال ان هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لأنهم منعوها وتجردوا فترك عليهم فصارت أموالهم بذلك مستهلكة واللصوص فقراء إليها فاذا أخذوا أموالهم وان كره التجار أخذها كان ذلك لهم مباحاً لأن عين المال مستهلكة بالزكاة وهم يستحقون أخذ الزكاة شاء أرباب الأموال أو كرهوا فقلت بلى قد ذكر ذلك الجاحظ ولكن من أين يعلم ان هؤلاء استهلكت الزكاة أموالهم فقال لا عليك أنا أحضر هؤلاء التجار الساعة وأريك بذلك دليلاً صحيحاً ان أموالهم لنا حلال ثم قال لأصحابه هاتوا التجار فجاءوا فقال لأحدهم منذ كم تتجر في هذا المال الذي قطعناه عليك قال منذ كذا وكذا سنة قال فكيف كنت تخرج زكاته فتلجلج وتكلم بكلام منه لا يعرف الزكاة على حقيقتها فضلاً عن أن يخرجها ثم دعى بآخر وقال له إذا كان معك ثلثمائة درهم وعشرة دنانير وحال عليك الحول فكم تخرج منها للزكاة فما أحسن أن يجيبه ثم قال للآخر ان كان معك تجارة ولك دين

على نفسين أحدهما ملي والآخر معسر ومعك دراهم وكان الحول حال على الجميع
كيف تخرج الزكاة قال فما فهم السؤال فضلا عن أن يتعاطى الجواب فصرفهم
ثم قال لي بأن لك صدق حكاية أبي عثمان الجاحظ وإن هؤلاء التجار ما زكوا
قط خذ الآن الكيس قال فأخذه وساق القافلة ليتصرف فيها فقلت إن
رأيت أيها الأمير أن تنفذ معي من يبلغني المأمون كان لك الفضل ففعل ذلك ونجوت
من اذاه * حدثني أبي رحمه الله عليه قال لما كنت مقبلا بالكركخ اتقلد القضاء بها
وبالمرج وأعمالها كان معي رجل له ابن صبي فأقام معي أبوه عشر سنين وكان ذلك
الصبي يدخل داري ويمرح مع غلماني وأهب له في بعض الأوقات الدراهم والثياب
واحمله وأرقصه كما يفعل الناس بأولاد غلمانهم ثم صرفت عن الكركخ ورحلت ولم
أعرف للرجل ولا لابنه خبرا حتى مضت السنون فاتقذني أبو عبد الله اليزيدي من
واسط برسالة إلى أبي بكر بن رائق فلقيته في حدود دير العاقول قال وانحدرت
أريد واسطاً وقد كان قيل لي قبل اصعادي أن في الطريق لصا يعرف بالكركخي
وكنت خرجت من واسط بطالع أخذته على موجب تحويل مولدي لتلك السنة
وقد استظهرت فيه عند نفسي وكفاني الله تعالى في اصعادي أمر اللص فلم أره
أثرا فلما انحدرت إلى واسط في بعض الطريق خرج علينا اللصوص في سفن عدة
ونشاب وسلاح شاك وهم نحو مائة نفس كالعسكر العظيم وكان معي من غلماني من
يضرب النشاب خلفت أن من يرمى منهم ضربته إذا صرت في البلد مائتي مفرقة
وذلك أني خفت أن يقصدنا اللصوص فلا يرضوا إلا بقتلي من دونهم وبادرت
وأخذت ذلك السلاح الذي كان معهم فرميت به في الماء واستسلمت للأمر طلباً
للسلامة وجلست أفكر في الطالع فاذا ليس ما يوجب عنده القطع على والناس قد
أدبروا إلى الشط وأنا في جملتهم حيث تفرغ سفنهم وينقل ما فيها إلى الشط وهم
يخبطون بالسيوف وكنت في وسط الكار فأنتهى الأمر إلى فعبجت من حصول
القطع وإن الطالع لا يوجب له ولست أتهم عملي فأنا كذلك وإذا بسفينة فيها رئيسهم
قد طرح على زيربي كما كان يطرح على سفن التجار ليصرف على ما يؤخذ منها خين
دأني منع أصحابه من انتهاب شيء من زيربي وصعد وحده إلى فتأملني طويلاً ثم
انكب فقبل يدي وكان متلماً فلم أعرفه ذارعت وقلت يا هذا مالك فقال لي أمتعرفني

ياسيدي فتأملته وأنا جزع فلم أعرفه فقلت لا والله قال بلى وأنا عبدك بن فلان
الكرخي حاجبك وأنا الصبي الذي ربيت في دارك وريبتني وكنت تحملني على كتفك
وتطعمني بيدك قال فتأملته فاذا الخلقة خلقتة إلا أن اللحية غيرته في عيني فسكن
روعي وقلت يا هذا كيف بلغت إلي هذا الحال قال نشأت فلم أتعلم غير معالجة السلاح
وجئت إلي بغداد اطلب الديوان فاقبلني أحد فالضفت إلي هؤلاء وطلبت الطريق
فلو كان انصفني السلطان ونزلى بحيت أستحق من الشجاعة لا انتفع بخدمتي وما
فعلت هذا ثم قال ياسيدي هل رأيت أحدا من القوم أخذ منك شيئا فقلت ماذهب
مني إلا سلاح رميته في الماء وشرحت له الصورة فضحك وقال والله أصاب القاضي
فمن في الكارة ممن تعني به حتى أطلقه فقلت كلهم عندي بمنزلة واحدة فلو أفرجت
عن الجميع كان أحسن بك فقال والله لولا أن أصحابي فرقوا ما أخذوا لفعلت ذلك
ولكنهم لا يطيعوني في رده إلا أني لأدع أحدا يأخذ من السفن الباقية شيئا بعد
هذا فجزيته الخير فصعد إلى الشط وأصعد جميع أصحابه ومنع أن يؤخذ شيء من
السفن الباقية فما تعرض اليها أحد ورد على قوم ضعفاء أشياء كثيرة كانت أخذت
منهم وأطلق الناس وسار معي في أصحابه إلي أن صار بيني وبين المأمن شيء يسير
ثم ردعني وانصرف إلي أصحابه * حدثت عن بعض التجار البغداديين قال خرجت
بسلع لي ومتاع من بغداد أريد واسطا وكان اليزيدي بها والدنيا مفتتنة فقطع على
الطريق وعلى الكار الذي كنت فيه لهن كان في الطريق يقال له ابن حمدون يطلع
قريبا من بغداد فأفقرني وكان معظم ما أملاكه معي فسهل على الموت وطرح
نفسه له وكنت أسمع ببغداد أن ابن حمدون فيه فتوة وظرف وأنه إذا قطع لم
يعرض لأصحاب البضائع القليلة التي تكون دون الألف وإذا أخذ من حاله ضعيفة
شيئا قاصمه عليه فترك شطر ماله في يديه وأنه لا يفتش امرأة ولا يسلمها وحكايات
كثيرة مثل ذلك ذطمعني ذلك في أن يرق لي فصعدت إلى الموضع الذي هو فيه جالس
فخاطبته في أمرى ورفقته ووعظته وقلت له إن جميع ما أملاكه قد أخذه وإنني احتاج
إلي أن أتصدق من بعده قال فقال لي يا هذا لعن الله السلطان الذي أحوجنا إلى هذا
فانه قد أسقط أرزاقنا فاحتجنا إلي هذا الفعل ولسنا فيما نفعل ارتكاب أمر عظيم
مما يرتكبه السلطان أنت تعلم أن ابن شيراز ببغداد يصادر الناس ويفقرهم حتى يأخذ

الموسر المكثّر فلا يخرج من حبسه وهو يهتدى إلى شيء غير الصدقة وكذلك يفعل اليزيدي بواسط البصرة والديلم وبالأهواز وقد علمت أنهم يأخذون أصول الضياع والدور والعقار ويتجاوز ذلك إلى الحرم والأولاد فاحسبونا نحن مثل هؤلاء فقلت أعزك الله ظلم الظلمة لا يكون حجة والتبجح لا يكون سنة فاذا وقفت أنا وأنت بين يدي الله عز وجل أترضي أن يكون هذا جوابك له قال فاطرق مليا ولم أشك في أنه يقتلني ثم رفع رأسه وقال كم أخذ منك فصدقته فقال أحضروه فأحضر قال وكان كما ذكرت فأعطاني نصفه فقلت الآن قد وجب حق عليك وصار لي باحسانك إلى حرمة فقال أجل فقلت إن الطريق فاسد وما إلا أن أتجاوزك حتى يؤخذ هذا أيضا فأتقذ معي من يؤديني إلى المأمن قال ففعل ذلك وسألت بما أفلت معي قال فجعل الله عز وجل فيه البركة واخاف * حدثني الحسن بن صافي مولي ابن المتوكل القاضي وكان أبوه يعرف بعلام ابن مقله قال لما حصل المتقي بالله الرقة ومعه أبو الحسن علي بن محمد بن مقله وزيره كاتبني بأن أخرج إليه فخرجت ومعي جماعة من انسائي واسباب الخليفة إلى هيت وضم إلينا ابن قتال خفراء يودونا إلى الرقة فرحلت من هيت ومعنا الخفراء والغلمان ومن اتجر معنا من هيت فصرنا نحو المائتي مقاتل فلما كان في اليوم الرابع من مسيرنا ونحن في البر الأفقر وقد حصلنا نستريح إذا بسواد عظيم من بعيد لاندري ماهو فلم نزل نرقبه إلى أن بان لنا وإذا هو بمائة مطية رجالان فجمعنا رجالنا وأصحابنا وحملنا وأخذوا حجفهم وسلوا سيوفهم وتقدمهم رئيسهم فقال لنا يامعشر الناس لا يسلمن أحد سيفه ولا يرمين بسهم فمن فعل ذلك فهو مقتول ففشل أكثر من كان معنا وقاتل الباقيون قتالا ضعيفا وخالطنا الأعراب وخرج جماعة منهم وأخذونا وجميع ما كان معنا واقتسموه وطرحونا في الشمس مجرحين فنظرت فاذا أنا قد عريت وبقي على خلق لا يصد عني شيئا وليس معي ماء أشربه ولا ظهر أركبه وليس بيني وبين الموت الا ساعات يسيرة فقامت على القيامة واشتد جزعي ولم يكن لي حيلة فآيست من الحياة فأنا كذلك إذ وجدت شمشجة كانت لي فيها خاتم عقيق كبير الفص كثير الماء فوق لي في الحال وجه الحيلة فأخذته وجعلته في قطن وخباته معي وقصدت رئيس القوم وكان هو الذي تولى أخذ مالي وقد عرف موضعي وقدرتي وقلت

له رأيت عظيم مأخذته مني فأنا خادم الخليفة وقد خرجت لأمر كبير من خدمته
وانك فزت بما أخذته مني وأنا أملك به واسديه اليك حالاً لا يجري مجرى
الغصوب على أن تؤمنني على نفسي وزدد عليّ من ثيابي وأدواتي وتسقينني ماء
وتسيرني حتى أصل الي مامني فقال ما هو فقلت تعطيني ايمانك وعهودك وذمامك
على الوفاء ففعل فانفردت به وجعلت يدي مقابلة للشمس ورأيت الخاتم واقت فصه
في شعاع الشمس فكاد يخطف بصره ورأى ما لم يكن رآه فهاله وقال لي استره وقل
لي خبره قلت هذا خاتم الخلافة وهذا الفص منه يا قوت أحر وهو الذي يتداوله
الخلفاء منذ العهد الطويل ويعرف بالجبل ولا يقوم أمر الخلافة إلا به وكان
مخبوءاً ببغداد فأمرني الخليفة أن احمه في جملة ما حملته وحيث حصل عندك فالرأى
أن تمتنع من اعطائه إلا بمائة ألف دينار وهم لم يقدروا عليك فيضطروا لانفاذ الثمن
وأرى أيضاً أن تأخذه وتنفذه إلى ناحية الشام وتوقفني على موضع حملتك وتخفي
حصول الخاتم معك وإني إذا حصلت بمحضرة الخليفة وعرفته الخبر جاءتك رساله
بالرغائب حتى يرتجعه منك بأى ثمن قال فاذا خذ من ثيابك ما تريد فاخذت من
ثيابي ما احتجت اليه وأخذ الخاتم فخباه في جيبه واركبني راحلة موطاة واعطاني
اداتين كبيرتين وسار معي والناس يهلكون عطشاً ولم يزل يسيرني حتى بلغت إلى
حصن في البرية يعرف بالزيتونة من بناء هشام بن عبد الملك فيه رجل من بني
أمية يكنى بابي مروان معه في الحصن نحو من مائتي رجل فلما حصلت عنده وامنت
انصرفت الاعراب وعرفت أبا مروان خبري في القطع ومن أنا فاعظم أمرى
وأكرمني وأنفذ معي من أصحابه من بلغني الرقة سالماً * عن رجل من الدقاقين
في دار ابن الزبير بالبصرة قال أورد على رجل غريب سفتجة بأجل وكان يتردد عليّ
إلى أن حل ميعاد السفتجة ثم قال دعها عندك حتى آخذها متفرقة وكان يجيء
في كل يوم فيأخذ بقدر نفقته إلي أن نفدت وصار بيننا معرفة وألف الجلوس
عندي وكان يراني اخرج كيساً من صندوق فاعطيه منه فقال لي يوماً ان قفل
الرجل صاحبه في سفره وامينه في حضره وخليفته على ماله والذي ينفي الظن عن
أهله وعياله فإن لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل عليه واري قفلك هذا وثيقاً فقل

لى ممن ابتعته لا بتاع مثله لنفسى فقلت له من فلان بن فلان الاقفالى عند باب
 الصفارين قال فما شعرت يوما وقد جئت إلى دكاني فطلبت صندوق لآخذ شيئا
 من الدراهم فحمل إلى ولما فتحته وجدته خاليا من الدراهم فقلت للغلامى وكان غير
 متهم عندي هل انكرت من الدرابات شيئا قال لا فقلت فتش هل ترى في الدكان
 نقبا قال لا فقلت من السقف حيلة قال لا قلت فاعلم ان الدراهم قد ذهبت فقلق
 الغلام فسكنته وقت لا ادري ما اصنع وتأخر الرجل عنى فلما غاب اتهمته وذكر
 مسألته عن القفل فقلت للغلام اخبرني كيف تفتح دكاني وتقفله قال رسمى ان
 ادرب درابين والدرابات في المسجد فأحملها في دفعات اثنين أو ثلاثة فأشرحها
 ثم افعل كذا وكذا فقلت الباردة واليوم فعلت قال نعم فقلت فاذا مضيت لترد
 الدرابات أو تحضرها فامن تدع الدكان قال خاليا قلت من هنا وقع الشر ومضيت
 إلى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت جاءك انسان اشترى منك مثل هذا
 القفل قال نعم رجل من صفته كذا وكذا واعطاني صفة صاحبي تماما فعلمت
 أنه احتال على الغلام وقت المساء لما انصرفت أنا وذهب الغلام يحمل الدرابات
 فدخل هو إلى الدكان فاخترى فيه ومعه مفتاح القفل الذي يقع على قفلى وأنه
 أخذ الدراهم وجلس طول الليل خلف الدرابات فلما جاء الغلام ليفتحها وحمل
 بعض الدرابات ليرفعها خرج هو وانه ما فعل ذلك إلا وقد خرج إلى بغداد
 فسألت دكاني إلى الغلام وقلت له من يسأل عنى فعرفه انى خرجت إلى ضيعتى
 قال ثم خرجت ومعى قفلى ومفتاحه فقلت ابتدى بطلب الرجل بواسط قال فلما
 صعدت من السميرية طلبت خانا في الكتبيين بواسط لانزله فارشدت اليه فصعدت
 فاذا بقفل مثل قفلى سواء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال قدم
 رجل من البصرة أمس فقلت أى شىء صفته قال فوصف لى صاحبي بعينه فلم
 اشك أنه هو وإن الدراهم في بيته فاكرت بيتا بجانبه ورصدت البيت حتى
 انصرف قيم الخان ففتحت القفل بمفتاحى فحين دخلت البيت وجدت كيسى بعينه
 فأخذه وخرجت واقفلت الباب ونزلت في الحال إلى السفينة التي جئت فيها ودعوت
 الملاح وانحدرت إلى البصرة فما أقت بواسط إلا ساعتين من النهار ورجعت إلى
 منزلي بمالي عينه * حدثني عبد الله بن محمد البصرى قال حدثني اكار بنهر سايس

يقال له سارخ قال خرجت من نهر سايس إلى موضع من طرف يقال له كوخ
 راذويه فبلغني أن في طريقي رجلا يقطع الطريق وحده وحذرت منه فلما خرجت
 من القرية رأيت رجلا تدل فراسته على شدته ونجدته وفي يده زقاية فحسرتني على
 الطريق فترفقنا فانهينا إلى سقاية في البرية فخرج علينا اللص متحزما متسلحا
 فصاح بنا فطرح رفيقي كارة كانت على ظهره واخذ عصاة وبادر اللص وضربه بها
 فعطل اللص الضربة واستلقاها على سيفه فقطع العصاة ثم ضرب بسيفه رجل الرجل
 فأقعده ثم وشحه بالسيف حتى قتله وحمل على ليقتلني فقلت له ما حاربك ولا
 امتنع من اخذك ثيابي فلا شيء تقتلني فقال استكثف فكثفتي بتكتي ثم حمل
 الثياب وانصرف وبقيت متحيرة مشفيا على التلف بالعطش والشمس والوحوش
 فما زلت أتمطى في التكة إلى أن قطعها فقامت أمشي إلى أن جنبنى الليل فرأيت
 في الصحراء على بعد ضوء نار خفيا فقصده فمشيت إلى نصف الليل فوجدته يخرج
 من قبة في الصحراء فقربت منها واطلعت فإذا هو اللص جالس في القبة يشرب
 نبذا ومعه امرأته فلما ابصرني صاح وتناول السيف وخرج إلى فما زلت أناشده
 وأحلف له أنني ما علمت أنه هو ولا قصده وإنما رأيت النار فقصدها فلم يعبأ بقولي
 وحلفته المرأة أن لا يقتلني بحضرتها فحذبنى إلى نهر جار بقرب من اقبة وطرحني
 على شاطئته تحته وجرّ سيفه ليذبني فسمع صوت اسد قريباً فارتعدت يده وسكن
 وأخذ يسكني فأنت بالسبع استيحاشاً منه وزدت في الصباح فما شعرت إلا والسبع
 قد تناوله من صدرى فقامت فاخذت السيف وجئت إلى القبة فلم تشك الجارية
 أني هو فقالت قتلتك فقلت لها الله عز وجل قتله وقصصت عليها القصة وسألتها
 عن شأنها فقالت أنا امرأة من القرية القلانية اسرنى هذا الرجل وخبأني في هذا
 الموضع وهو يتردد إلى في كل ليلة فارهبته فدلتنى على دقائن له في الصحراء فاستخرجتها
 وحملت الجارية وبلغتها القرية وسلمتها فيها وفزت بمال عظيم اغناني عن مقصدي
 فعدت إلى بلدي * وحدثني أيضاً عن ابن الدنانيري التمار الواسطي قال حدثني
 غلام لي قال كنت ناقداً بالابل لرجل تاجر فاقتضيت له من البصرة نحو الخمسمائة
 دينار عينا وورقا ولقفتها في فوطة واستعديت على السفر مساء إلى الابل فما زلت
 اطلب ملاحاً فلم أجد إلى أن رأيت ملاحاً مجتازاً في خيطية خفيفة فارغة فسألته أن

يحملني فسهل علىَّ الاجرة وقال أنا راجع إلى منزلي بالابلة فانزل فنزلت قال وجعلت
الفوطة بين يدي وسرنا إلى أن تجاوزنا مسماران فاذا رجل ضرير على الشط يقرأ
أحسن قراءة تكون فلما رآه الملاح كهروصاح هو بالملاح احملني فقد جنبني الليل
واخاف على نفسي فشتمه الملاح فقلت احملة فدخل إلى الشط فحملة فلما حصل معنا
رجع إلى قراءته فخلب عقلي بطيها فلما قربنا من الابلة قطع القراءة وقام ليخرج
في بعض المشارع إلى الابلة فلم أر الفوطة فقممت واقفا فاستغاث الملاح وقال الساعة
تقلب الخيطية وخاطبني بخطاب من لا يعلم حالي فقلت يا هذا كانت بين يدي فوطة
فيها خمسمائة دينار فلما سمع ذلك بكى وقال لم ادخل الشط بعد ولا لي موضع اخبي
فيه شيئا فتهمني بسرقة ولي أطفال وأنا ضعيف فاتق الله عز وجل وفعل الضرير
مثل ذلك ففتشت الخيطية فلم اجد شيئا فوجت وقلت هذه محنة لا أدري كيف
اتخلص منها وخرجنا فعملت على الهروب واخذ كل واحد منا طريقا وبت ولم
امض إلى صاحبي وأنا بليلة عظيمة فلما أصبحت عملت على الرجوع إلى البصرة
لاستخفي فيها أياما ثم ارجع إلى بلد شاسع فأنحدرت وخرجت من مشرعة بالبصرة
وأنا امشي واتعثر وابكى قلقا على فراق أهلي وولدي وذهاب معيشتي وجاهي إذ
اعترضني رجل فقال لي يا هذا ما وراءك ولماذا أنت قلق البال فاعرضت عنه فاستحلفني
فاخبرته بالايجاز على سبيل السلوى فقال امض إلى السجن بيني نبير واشتر معك
خبزا وشواء جيدا وحلوى وسل السجن أن يوصلك إلي رجل محبوب هناك يقال
له أبو بكر البغاش وقل له اني زائر فانك لا تمنع فان منعت وهبت للسجان شيئا
يسيرا فانه يدخلك اليه فاذا رأيته فسلم عليه ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه مامعك
فاذا اكل وغسل يده يسألك عن حاجتك فاخبره خبرك فانه سيدلك على من
أخذ مالك ويرتجعه لك قال فشكرته وانصرف وفعلت ذلك ووصلت إلى الرجل
فاذا شيخ منقل بالحديد فسأمت عليه وطرحت مامعي بين يديه فدعى رفقاء كانوا
معه وأقبلوا يأكلون فلما استوفى وغسل يده قال من أنت وما حاجتك فشرحت
له القصة فقال امض الساعة لوقتك ولا تتأخر إلى بني هلال فادخل الدرب الفلاني
حتى تنتهي إلى آخره فانك تشاهد بابا شعبا فافتحه وادخله بلا استئذان فتجد
دهليزا طويلا يؤدي إلى بابين فادخل الايمن منهما فسيدخلك إلى دار فيها أوتاد

وبواري وعلى كل وتد ازار ومئزر فانزع ثيابك والقمها على الوتد واتزر بالمئزر اتشح
بالازار فيجىء قوم يفعلون كما فعلت إلي أن يتكاملوا ثم يأتون بطعام فكل معهم
وتعهد أن تفعل في كل شيء كما يفعلون فاذا أتوا بالنبيذ فاشرب معهم اقداحا
يسيرة ثم خذ قدحا كبيرا واملاه وقم فقل هذا شادي خالي أبو بكر البغاش فسيضحكون
ويفرحون ويقولون هو خالك فقل نعم فسيقومون ويشربون لي فاذا تكامل
شربهم لي جلسوا فقل نعم خالي يقرأ عليكم السلام ويقول لكم بحياتي يا فتيان
ردوا علي ابن اختي القوطة التي اخذتموها أمس في السفينة بنهر الابله فانهم يردونها
عليك فخرجت من عنده وفعلت ما قال ووجدت الصورة على ما ذكر فردت القوطة
علي بعينها ولم يحل شدها فلما حصلت لي قلت لهم يا فتيان هذا الذي فعلتموه بي
هو قضاء لحق خالي ولي حاجة تخصني فقالوا مقضيه فقلت عرفوني كيف أخذتم
القوطة فامتنعوا ساعة فأقسمت عليهم بحياة أبي بكر البغاش فقام واحد منهم
وأومى إلي رجل فتأملته جيدا فاذا هو الضرير الذي كان يقرأ وإنما يتعمى وأومى
إلي آخر وقال اتعرف هذا فتأملته فاذا هو الملاح بعينه فقلت كيف فعلتما فقال
الملاح أنا ادور المشارع في أول أوقات المساء وقد سبقت بهذا المتعمى فأجلسته
حيث رأيت فاذا رأيت من معه شيئا له قدر ناديته وأوجبت الأجرة عليه وحملته
فاذا بلغت إلي القاري وصاح بي شتمته حتى لا يشك الراكب في براءة صاحبي
فان حمله الراكب فذاك وإن لم يحمله رقت عليه حتي يحمله وجلس هذا يقرأ
بقراءته الطيبة ويذهل الرجل كما ذهلت أنت فاذا بلغت الموضع الفلاني فان فيه
رجل متوقعا لنا يسبح حتى يلاصق السفينة وعلى رأسه قوصرة والراكب لا يظن
له فيأخذ الأعمى الشيء الذي مع الراكب بحيلة خفية ويلقيه في القوصرة فيأخذه
هذا ويسبح إلى الشط فاذا أراد الراكب النزول وافترقا ما معه عملنا كما رأيت
فلا يتهمنا وتتفرق فاذا كان في الغد اجتمعنا واقتسمنا ما أخذناه واليوم كان
يوم القسمة فلما جئت برسالة استاذنا خالك سلمنا اليك القوطة قال فأخذتها وانصرفت
إلي بلدي عاجبا حامدا * حدثني عبد الله بن عبد الصوري قال حدثني بعض
اخواني أنه كان ببغداد رجل يتلصص في حدائقه ثم تاب وصار يزانا قال فانصرف
ليلة من دكانه وقد أغلقه فجاء رجل لص متزى يزى صاحب الدكان في كفه شمعة

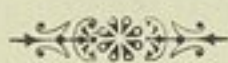
صغيرة ومفاتيح فصاح بالحارس واعطاه الشمعة في الظلمة وقال اشعلها وجئني بها فان لي في هذه الليلة في دكاني شغلا فمضى الحارس وأشعل الشمعة وركب اللص المفاتيح على الأقفال ففتحها ودخل الدكان وجاء الحارس بالشمعة مشعلة فأخذها منه وهو لا يتبين وجهه وجعلها بين يديه وفتح سنفط الحساب فأخرج مافيه وجعل ينظر في الدفاتر ويورى بيده انه يحسب فدخلت الحيلة على الحارس ولم يشك أنه هو صاحب الدكان إلي أن قارب السحر فاستدعاه اللص وكلمه من بعيد وقال له اطلب لي حمالا فجاء بحمال فحمل عليه من متاع الدكان أربع رزم واقفل الدكان وانصرف معه واعطى الحارس درهمين فلما أصبح الناس جاء صاحب الدكان ليفتحه فقام اليه الحارس يدعوا له فعل الله بك وصنع كما اعطيني البارحة الدرهمين قال فانكر الرجل ما سمع ولم يرد جواباً وفتح الدكان فوجد سيلا من الشمعة وحسابه مطروحا وفقد الرزم الأربع فاستدعى الحارس وقال من الذي حمل الرزم البارحة معي فقال قد استدعيت فلانا الجمال وهو الذي حملها فقال له على به فمضى الحارس وجاء بالجمال فأغلق الرجل الدكان وأخذ الجمال معه ومشى وقال له إلى أين حملت الرزم البارحة فاني كنت منتبذا فقال إلى المشرعة الفلانية واستدعيت لك فلانا الملاح فركبت معه فقصد الرجل المشرعة وسأل عن الملاح فحضر وركب معه وقال اين عدت اليوم يا أخى الذى كان معه الأربع رزم فقال إلى المشرعة الفلانية فقال اطرحنى اليها فطرحه فقال من حملها قال فلان الجمال فدعى به فقال امش فمشى واعطاه شيئا واستدل منه برفق على الموضع الذى حمل اليه الرزم فجاء به إلى باب غرفة في موضع بعيد عن الشط قريب من الصحراء فوجد الباب مقفلا واستوقف الجمال الى ان فش القفل وفتح الباب ودخل فوجد الرزم فيه على حالها فدعى الجمال وحملها عليه ووجد يركانا فافخذه أيضاً ووضع مع الرزم وحين خرج من الغرفة استقبله اللص وفهم الأمر فاتبعه إلى الشط فجاء إلى المشرعة ودعى الملاح ليعبر فدعى الجمال من يحط عنه فجاء اللص فخط عنه كأنه مجتاز متطوع ثم ادخل الرزم إلى السفينة مع صاحبها إلى أن انتهى إلى اليركان فأخذه ووضع على كتفه وقال للتاجر يا أخى استودعتك الله قد ارتفعت رزمك فدع كسائي فضحك منه وقال انزل ولا خوف عليك فنزل معه فاستتابه ووهب له شيئا ولم يسيء

اليه * عن رجل يعرف بأبي العرب قال كنت مع أهل قرية من نواحي الشام
 اسكنها أنا واسلافي وكنت اطحن مع أهل القرية في رحى ماء على فراسخ من
 البلد يخرج اليها أهل البلد وأهل القرى المجاورة بغلاتهم وتكثر فلا يتمكن من
 الطحن إلا القوي فالقوي فضيت مرة ومعى غلة وحملت معى خبزاً ولحماً مطبوخاً
 يكفيني لأيام وكان الزمان شتاء فلما وصلت حططت اعدالي وانتظرت حتى يخف
 الناس فاطحن فيها على عادتي فأخذني الجوع فتحولت إلى موضع نزه وفرشت
 سفرتي لا كل فاجتاز بي رجل عظيم الخلقة فدعوته إلى الأكل فلم يتأخر وجلس
 فاكل جميع ما كان في سفرتي حتى لم يدع فيها ولا اوقية واحدة فعجبت من
 ذلك عجباً بان له منى فأمسكت وغسلنا ايدينا فقال على أى شىء مقامك هنا قلت
 لأطحن هذه الغلة قال ولم لم تطحنها فأخبرته بسبب بعد ذلك على فثار كالجل حتى
 شق الناس وهم مزدحمون على الرحى وهى تدور فجعل رجله عليها فوقفت ولم تدر
 فعجب الناس وقال من فيكم يتقدم فجاء رجل معجب بشدته فأخذ بيده ورمى
 به كالكرة وجعله تحت رجله الأخرى فما قدر أن يتحرك وقال قدموا غلتى
 إلى الطحن وإلا كسرت الرحى وكسرت عظام هذا فقالوا الى هات الغلة فجئت بها
 فطحننت وفرغ منها وجعلها فى الأعدال وقال لى قم فقلت إلى أين قال إلى منزلك
 فقلت لا أسلك الطريق وحدى فهو خفيف ولكن اصبر حتى يفرغ أهل قريتي
 فارجع معهم فقال قم وأنا معك ولست تخاف باذن الله عز وجل فقلت فى نفسى
 من كانت تلك قوته يجب ان آنس به فقممت وحملت الغلة على الحمير وسرنا ولم نر
 فى طريقنا أحدا فلما بلغت المنزل عجب قومى من سرعتى وورودى بالغلة لوحدى
 ورأوا الرجل وسألونى عن القصة فأخبرتهم وسألناه أن يقيم عندنا أياما فى ضيافتنا
 ففعل فذبحننا له بقره واصلحننا له سكباجا وقدم اليه فاكل الجميع بنحو المائة رطل
 خبزاً فقال له أبى يا هذا مارأيت مثلك قط فأى شىء أنت ومن أين معاشك قال
 أنا رجل من الناحية الفلانية وكان لى أخ أشد بدنا وقلباً منى اسمه عاد واسمى
 شداد وكننا بדרך القوافل من قريتنا إلى مواضع كثيرة لانستعين بأحد وتخرج
 علينا الرجال الكثيرة فالقاهم أنا وأخى فقط ونهزمهم واشتهر أمرنا حتى كان إذا
 قيل قافلة عاد وشداد لم يعرض لها أحد فمكثنا بذلك سنين كثيرة فخرجنا مرة

أنا وأخي نسير قافلة قد خفرتنا فلما صرنا بالقلاة رأينا سوادا مقبلا نحونا فانتظرنا أن يقدم علينا أحد ثم بان لنا شخص وهو رجل اسود على ناقة حمراء ثم خالطنا وقال هذه قافلة عاد وشداد فقلنا نعم فترجل ودعانا للبراز فانقضضنا عليه فضرب ساق أخي بالسيف ضربة اقعدته وعاد إلي فقبض على كتفي فما اطلقت الحركة فكتمني ثم كتف أخي وطرحنا على الناقة كالزاملتين ثم ركبها وسار بعد أن أخذ من القافلة ما كان فيها من عين وورق وحلى وشيئا من الزاد واوقر الراحلة بذلك وسار بنا على غير محجة في طريق لا نعرفه بقية يومنا وليلتنا وبعض الثاني حتى أتى جبلان لا نعرفهما واوغل فيهما وانتهى إلى مغارات وأناخ الراحلة ثم رمى بنا عنها وتركنا في الكتاف وجاء إلى مغارة على بابها صخرة لا ينقلها إلا الجماعة الكثيرة فنحناها عن الباب واستخرج منها جارية حسناء وسائلها عن خبرها وجلسا يا كلان مما جاء به من الزاد ثم قال لها قومي فقامت فدخلت إلى الغار ثم جاء إلى أخي فذبحه وأنا أراه وشواه واكله وحده حتى لم يدع منه غير عظامه ثم استدعى الجارية فخرجت فجعلنا يشربان فلما توسط شربه جرنني فلم اشك في أن يريد ذبحي فاذا هو قد طرحني في غار من تلك المغارات وحل كتافي واطبق الباب بصخرة عظيمة قال فآيست من الحياة وعلمت أنه انما اخبرني لغد فلما كان في الليل لم احس إلا بالمرأة تكلمني فقلت مالك فتالت إن هذا العبد قد سكر ونام وهو يذبحك في الغد كما ذبح صاحبك فان كانت لك قوة فاجتهد في دفع الصخرة واخرج واقتله وانج بنفسك وبني فقلت ومن أنت فقالت أنا امرأة من أهل البلد الفلاني ذات نعمة خرجت أريد أرضا بالبلد الفلاني فخرج هذا عدو الله على القافلة التي كنت فيها فاستهلكها واخذني غصباً وأنا منذ كذا وكذا شهرا على هذه الصورة ويرتكب مني الحرام واشاهد ذبح الناس واكله لهم ولا يوصف له إنسان بشدة بدنه إلا قصده ثم يقهره ويحبي به فيأكله ويعتقد أن شدته تنقل اليه وإذا خرج حبسني في الغار وخلف عندي مأكولا وماء لا يام ولو اتفق أنه يحتبس عني ولو يوما لمت جوعا وعطشا فقلت انني والله ما اطبق قلع الصخرة قالت ويملك فحرب نفسك قال فجئت إلى الصخرة واعتمدتها بقوتي فتحركت فنظرت فاذا قد وقعت تحت الصخرة حصاة صغيرة وقد صارت الصخرة متركبة تركيباً صحيحاً

وذلك لما أراد الله سبحانه وتعالى من خلاصي فقلت لها ابشري ولم ازل اجتهد حتى زحزحت الصخرة شيئاً أمكنتي الخروج منه قال فخرجت واخذت سيف الأسود واعتمدت بكتايدى وضربت ساقيه فاذا قد ابنت احدها وكسرت الأخرى فانتبه ورام الوثوب فلم يقدر فضربته الأخرى على حبل عاتقه فسقط فضربته أخرى فابنت رأسه وعمدت إلى المغارات واخذت كما وجدت فيها من عين وورق وجوهر ووثوب فاخر خفيف الحمل واخذت زادا لأيام وركبت راحلته واردفت المرأة ولم ازل اسير في طريق لا أعرفها حتى وقفت على محجة فسلكتها فافضت بي إلى بعض القرى فسلمت الراحلة إلى المرأة واعطيتها نفقة تكفيها إلى بلدها وسيرتها مع خفراء وعدت إلي بلدي بتلك الفوائد الجليلة وعاهدت الله عز وجل ان لا أعرض للطريق ولا للخفارة أبداً فانا أأتاجر في ضياع اشتريتها من ذلك المال وغيره واقوم بعمارتها واعيش من غلتها إلى الآن * وعن رجل كردى يعرف بابي على كان قد انحاز إلى عمران بن شاهين بن عبيد حسنويه بن الحسن الكردى وكان شجاعاً قال خرجنا مرة بالجبال في أيام موسم الحاج وعددنا سبعون رجلاً من فارس وراجل فاعترضنا الحاج للخراسانية وكان لنا عين من القافلة فعادوا عرفنا ان في القافلة رجل من أهل شاس وفرغانة معه اثني عشر رجلاً وجارية في قبة عليها حلى ثقیل فجعل اعيننا عليه حتى وثبنا عليه هو والجارية في عماريته فقطعنا قطاره وكتفناه وادخلناه وما معه بين الجبال ووقفنا على مامعه وفرحنا بالغنيمة وكان للرجل برذون اصفر يساوى مائتي درهم فلما رأنا نريد القفول قال يافتيان هنا كم الله بما أخذتم ولكننى رجل حاج بعيد الدار فلا تتعرضوا لسخط الله بمنعى من الحج فاما المال فيذهب ويحییء وتعلمون أنه لا نجاة لى إلا على هذا البرذون فاتركوه لى فليس يبين ثمنه في الغنيمة التى اخذتموها فتشاورنا فقال شيخ مجرب لا تردوه عليه واتركوه مكتوفاً هنا فان كان فى اجله تأخير فسيقض له من يحل كتافه فكنت فيمن عزم على هذا وقال بعضنا ما مقدار دابة بمائتي درهم حتى نمنعها رجل حاج وجعلوا يرققون بقلوب الباقين حتى سمحنا بذلك فاطلقناه ولم ندع عليه إلا ثوباً يستر عورته فقال يافتيان انتم منتم على وردتم دابتي والخشى إذا أنا مرت ان يأخذها غيركم فاعطوني قوسى ونشابى اذب بها عن نفسى وفرمى

فقلنا لا نرد سلاحا على أحد فقال بعضهم لبعض وما مقدار قوس ثمنها درهمان وما نخشى من مثل هذا فاعطيناه قوسه ونشابهه وقلنا انصرف فشكرنا ودعا لنا ومضى حتى غاب عن اعيننا فما كدنا نسير والجارية تبكي وتقول أنا حرة ولا يحل لكم أن تأخذوني فنحن في هذا وإذا بالرجل قد كر راجعاً وقال يا فتيان أنا لكم ناصح فانكم قد احسستم إلى ولا بد لي من مكافأتكم على احسانكم بنصيحتي لكم فقلنا ما نصيحتك فقال دعوا ما في ايديكم وانصرفوا سالمين بانفسكم ولكم الفضل فانكم منتم على رجل واحد وأنا آمن على سبعين رجلا منكم وإذا به قد انقلبت عيناه في أم رأسه وخرج الزبد على اشدائه كالجلل الهائج فهزأنا به وضحكنا فأطاد علينا النصيحة فقال يا قوم قد مننت عليكم لا تجعلوا لارواحكم سبيلا فزاد غيظنا عليه فقصدناه وحملنا عليه فانحاز عنا ورمى خمس نشابات كانت بيده فقتل بها منا خمسة انفاد واخذ خمسة آخر وقال ان جماعتكم تموت على هذا إن لم تخلوا عن ما في ايديكم فلم نزل ندافعه ويقتل منا حتى قتل خمسين رجلا وبقي معه الشاب في جعبته ثم قتل منا جماعة آخرين فاضطربنا إلى أن ترجلنا فحاز دوابنا وحده وساقها قليلا ثم رجع وقال اطلبكم بحلمكم من رمى بسلاحه فهو آمن ومن تمسك به فهو ابصر فرمينا سلاحنا فقال آمين واخذ جميع السلاح والدواب وفاتتنا الغنيمة والخيل والسلاح وكان ذلك سبب توبتي عن قطع الطريق انما لما لحقني منه وأنا على ذلك الحال إلى اليوم



الباب الثاني عشر

﴿من أُلجأه الخوف إلى هرب واستتار فادرك بأمن ومستجد نعم ومسار﴾

عن محمد بن زكريا العلأى قال غنى الرشيد يوما بهذا الشعر

الا هل إلى شم الخزامى ونظرة إلى قرقرى قبل الممات سبيل

فيا ائلات القاع من بطن توضح حنيني إلى اضلال لكن طويل

أريد نهوضاً نحوكم فيصديني إذا رمته دين على ثقیل

قال مؤلف الكتاب ووجدت الشعر في غير هذه الرواية
ويا اثلاث القاع قد مل صحبتي صحابي فهل في ظلكن مقيل
أحدث نفسي عنك ان لست راجعا اليك فحزني في الفؤاد دخیل
(رجع للحديث) فاستحسن الرشيد الشعر وسأل عن قائله فعرف أنه ليحيى
ابن طالب الحنفي الياامي فقال هو حي أم ميت فقال بعض الحاضرين هو
حي كميت فقال ولم قال هرب من الياامة لدين عليه ثقیل فصار إلى الري فأمر
الرشيد أن يكتب إلى عامله بالري يعرفه ذلك وأن يدفع اليه عشرة
آلاف درهم ويحمل إلى الياامة على دواب البريد وكتب إلى عامله بالياامة بقضاء
دينه فلما كان بعد أيام قال الرشيد لمن حضره ان الكتب وردت بامتنال
مأمرت به وعاد يحيى إلى وطنه موسرا وقد قضى دينه عنه من خير سعى منه في
ذلك * ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء قال حدثني عبد الواحد بن
محمد يعني الحصني قال حدثني يموت بن المزرع قال كان العتابي يقول بالاعتزال
فاتصل ذلك بالرشيد وكثر عليه في أمره فأمر عليه بأمر غليظ فهرب إلى اليمن
وكان مقيما فيها على خوف وتوق واحتال يحيى بن خالد إلى أن أسمع الرشيد شيئا
من خطبه ورسائله فاستحسنها الرشيد وسأل عن الكلام لمن هو فقال يحيى هو
كلام العتابي وإن رأيت يأمر المؤمنين أن يحضر حتى يسمع الأمين والمأمون
ويضع لهما خطبا لكان في ذلك صلاح لهما فأمنه الرشيد وأمر باحضاره ثم لما اتصل
خبر ذلك بالعتابي قال بمدح يحيى بن أبي خالد

مازلت في سكرات الموت مطر حكا قد غاب عني وجه الأرض من خبلي
فلم تزل دأببا تسعى لتنقذني حتى اختلست حياتي من يد الأجل
* ذكر في بعض كتب الدولة أن أبا سلمة الخلال لما قوى الدعاة وشارفوا العراق
وقد ملكوا خراسان وما بينها وبين العراق استدعى لبني العباس فسيرهم في منزله
بالكوفة وكان له سرداب فجعل فيه جميع من كان حيا في ذلك الوقت من ولد
عبدالله بن العباس وفيهم السفاح والمنصور وعيسى بن موسى وهو يراعى الاخبار
وكان الدعاة يأمرؤن بقصده إذا ظهروا وغلبوا على الكوفة ليصرفهم الامام
فيسلمون الأمر إليه فلما أوقع قحطبة وابن هبيرة الواقعة العظيمة على الفرات وغرق

قحطبة وانهزم ابن هبيرة ولحق بواسط وتمحصن بها ودخل ابنا قحطبة الكوفة
 بالعسكر كله قالوا لأبي سلمة أخرج إلينا الامام فدافعهم وقال لم يحضر الوقت الذي
 يجوز فيه ظهور الامام وأخفى الخبر عن بني العباس وعمل على نقل الأمر عنهم إلى
 ولد فاطمة رضى الله عنهم وكاتب جماعة منهم فتأخروا عنه وساء ظن بني العباس
 فاحتالوا حتى أخرجوا مولى لهم أسود كان معهم في السرداب وقالوا له أعرف لنا
 الأخبار فصار يعرفهم أن قحطبة غرق وأن ابن هبيرة انهزم وأن ابني قحطبة
 قد دخلا الكوفة بالعسكر منذ كذا وكذا فقالوا أخرج وتعرض لابني قحطبة
 واعلمها بمكاننا ومرها أن يكبسا الدار علينا ويخرجانا فخرج المولى وكان حميد
 ابن قحطبة صارفاً به فتعرض له فلما رآه أعظم رؤيته وقال ويلك ما فعل سادتنا وأين
 هم نخبره بخبرهم وأرى اليه رسالتهم فركب في قطعة من الجيش وأبو سلمة غافل فجاء
 حتى ولج الدار وأراه الاسود السرداب فدخل ومعه نفر من الجيش فقال السلام
 عليكم ورحمة الله وبركاته فقالوا وعليكم السلام فقال أيكم ابن الحارثية وكانت أم
 أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله وكان ابراهيم بن محمد الذي يقال له
 الامام لما بث الدعاة قال لهم ان حدث بعدى حدث فالامام ابن الحارثية الذي معه
 العلامة وهي (وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة
 ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض إلى قوله تعالى ما كانوا يحذرون) قال فلما
 قال ابن قحطبة أيكم ابن الحارثية ابتدره أبو العباس وأبو جعفر كلاهما يقول أنا
 ابن الحارثية فقال ابن قحطبة فأيكما معه العلامة فقال أبو جعفر فعلمت اني قد
 أخرجت من الأمر لأنه لم يكن معي علامة فقال أبو العباس وزيد أن نمن وتلا
 الآية فقال له حميد بن قحطبة السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته
 مديك فبايعه ثم انتضى سيفه وقال بايعوا أمير المؤمنين فبايعه اخوته وبنو عمه
 وعمومته والجماعة الذين كانوا معه في السرداب وأخرجه إلى المنبر بالكوفة وأجلسه
 عليه فحصر أبو العباس عن الكلام فتكلم عنه عمه داود بن علي فقام دونه عمه علي
 المنبر بمرقاة وجاء أبو سلمة وقد استوحش وخاف فقال حميد يا أبا سلمة زعمت أن
 الامام لم يقدم بعد فقال أبو سلمة إنما أردت أن أدفع بخروجهم إلى أن يهلك
 مروان وإن كانت لهم كرة لم يكونوا قد عرفوا بها فيهلكوا وإن هلك مروان

أظهرت أمرهم على ثقة فظهر أبو العباس قبول هذا العذر منه واقعده إلى جانبه ثم
دبر عليه بعد مدة حتى قتله وقد دار هذا الخبر على غير هذا السياق فقالوا قدم
أبو العباس السفاح وأهله على أبي سلمة سرا فستر أمرهم وعزم أن يجعلها شورى
بين ولد علي والعباس حتى يختاروا منهم من أرادوا ثم قالوا خاف أن لا يتفق الأمر
فعزم أن يعدل بالأمر إلى ولد الحسن والحسين رضي الله عنهم وهم ثلاثة جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين وعبد الله ابن الحسن بن الحسين بن علي وعمر بن علي بن الحسن
ووجه بكتبهم مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة فبدأ بجعفر بن محمد فلقبه
ليلاً فأعلمه أني رسول أبي سلمة وإن معه كتاباً إليه فقال ما أنا وأبو سلمة هو شيعة
لغيري فقال له الرسول تقرأ الكتاب وتحجب عنه بما رأيت فقال جعفر لخادمه قرب
منى السراج فقربه فوضع عليه كتاب أبي سلمة فأحرقه فقال ألا تحجب عنه فقال
قد رأيت الجواب ثم أتى عبد الله بن الحسين فقبل كتابه وركب إلى جعفر
فقال جعفر أمر جاء بك يا أبا محمد لو أعلمتني لجئتك فقال وأي أمر هو مما يحل عن
الوصف فقال وما هو قال هذا كتاب أبي سلمة يدعوني إلى الأمر ويراني
أحق الناس به وقد جاء به شيعة منا من خراسان فقال له جعفر رضي الله عنه
ومتى صاروا شيعتك أنت وجهت أبا مسلم إلى خراسان وأمرته بلبس السواد
أتعرف أحدا منهم باسمه ونسبه قال لا قال كيف يكونوا شيعتك وأنت لا تعرف
واحدا منهم ولا يعرفونك فقال عبد الله هذا الكلام كان منك لشيء فقال جعفر
قد علم الله تعالى أني أوجب النصح على نفسي لكل مسلم فكيف أدخره عنك
فلا تمنين نفسك الباطيل فإن هذه الدولة ستم لهؤلاء القوم وما هي لأحد من
ولد أبي طالب وقد جاءني مثل ما جاءك فأنصرف غير راض بما قال له وأما عمر بن
علي بن الحسن فرد عليه الكتاب وقال لا أعرف من كتبه قال وابطأ أبو سلمة على
أبي العباس ومن معه فخرج أصحابه يطوفون بالكوفة فلقي حميد بن قحطبة وعبد
ابن صول أحد مواليهم فعرفاه لأنه كان يحمل كتب محمد بن علي وإبراهيم
ابن محمد إليه فسألاه عن الخبر فأعلمهما أن القوم قد قدموا وأنهم في سرداب
يعرف ببني أود فصارا إلى الموضع فسلما عليهما وقالا أيكما عبد الله فقال المنصور
وأبو العباس كلانا عبد الله فقال أيكما ابن الحارثية فقال أبو العباس أنا فقالا السلام

عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ودنوا فبايعوه وأحضروه إلى المسجد الجامع فصعد على المنبر فخصروا تكلم عنه عمه داود بن علي وقام دونه بمراقبة * وعن طارق ابن المبارك عن أبيه قال جاءني رسول عمرو بن عتبة فقال لي يقول لك عمرو قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن كثير العيال منتشر الأموال فما أكون في قبيلة إلا وشهر أمرى وقد عزمتم أن أفدى حرمي بنفسى وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن علي فصر إلى فوافيته فإذا عليه طيلسان مطبق أبيض وسراويل وشيء مشدود فقلت سبحان الله ما تصنع الحادثة بأهلها أيها الإنسان تلقى هؤلاء القوم الذين تريد لقاهم وعليك مثل هذا قال والله ما ذهب علي ذلك ولكن ليس عندي ثوب إلا أشهر من ذلك فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه ولويت سراويله إلى ركبته فدخل ثم خرج مسرورا فقلت حدثني بما جرى بينك وبين الأمير قال دخلت إليه ولم يرني قط فقلت أيها الأمير لفظتني البلاد إليك ودلني فضلك عليك فاما قبلتني غائما واما رددتني سالما فقال من أنت فانتسبت إليه فقال مرحبا أقعد فتكلم غائما مسرورا ثم أقبل علي وقال ما حاجتك يا ابن أخي فقلت ان الحرم اللواتي أنت أقرب الناس إليهن قد خفن بخوفنا ومن خاف خيف عليه فوالله ما أجابني عليه إلا بدموع تسيل على خديه فقال يا ابن أخي يخفر الله دمك ويحفظك في حرمك ويوقر عليك مالك والله لو أمكنني ذلك في جميع أهلكت لفعلت ولكن كن متواريا كظاهر وآمنا كخائف ولتأتينى رقادك قال وكان والله يكتب إليه كما كان يكتب الرجل إلى ابن عمه قال فلما فرغ من كلامه رددت عليه طيلسانه فقال مهلا فان ثيابنا إذا خرجت عنا لم ترجع إلينا ووجدت هذا الخبر باسناد ليس هولي برواية عن العتيبي قال حدثنا طارق الزراع البصري ولم يتجاوزوه قال قدم جدك عمرو ابن معاوية البصري حين نكب بنو أمية قال فجعل لا ينزل بحى إلا أجهزوه واشتهر فقال لي اذهب بنا أضع يدي في يد هذا الرجل يعنى سليمان بن يحيى وذكري نحوه وقال في آخره فلما صار عمرو إلى منزله دفعت إليه ثوبه وطلبت ثوبي فردها علي جميعا وقال انا لم نأخذ ثوبك لنحبسه ولم نعطك ثوبنا لنرده * عن عبد الله بن قيس الرقيات قال لما خرجت مع مصعب بن الزبير حين بلغه شخص عبد الملك بن مروان فلما نزل مصعب مسكن وتبين الغدر ممن معه دعاني ودعا بمال فملا المناطق

منه والبسني منها وقال امض حيث شئت فاني مقتول فقلت لا والله لا أروح حتى آتي سبيلك فأقمت معه حتى قتل ومضيت إلى الكوفة فأول بيت دخلته إذا فيه امرأة معها بنتان لها كأنهما ظبيتان فرقيت في درجة لها إلى مشرف فقعدت فيه قال فأصعدت لي ما احتاج إليه من الطعام واشراب والفرش والماء والوضوء فأقمت كذلك عندها أكثر من حول تقوم بكل ما يصلحني وتغدوا على في كل صباح فتسألني عن حوائجي فما سألتني من أنا ولا أنا سألتها من هي وأنا في أثناء ذلك أسمع الصباح في والجعل فلما طال بي المقام وفقدت الصباح والجعل وعرضت بمكاني عادت إلى تسألني ما الصباح والحاجة فأعلمتها اني قد عرضت بموضعي وأحببت الشخوص إلى أهلي فقالت لي يأتيك ما تحتاج إليه ان شاء الله تعالى قال فلما أمسيت وضرب الليل بأرواقه رقت إلى وقالت ان شئت فنزلت وقد أعدت راحلتين عليهما جميع ما احتاج إليه ومعهما عبد واعطت العبد تفقة الطريق وقالت العبد والراحتان لك فركبت وركب معي العبد حتى أتيت مكة فدققت منزلي فقالوا من أنت يا هذا فقلت عبدالله بن قيس الرقيات فولولوا ونكوا وقالوا لم يردنا طلبك إلا في هذا الوقت فوقفت عندهم حتى اسحرت ونهضت فقدمت المدينة ومعى العبد فجئت إلى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنهم وهو يعشى أصحابه فجلست معهم وجعلت أتعاجم وأقول نبا ربنا وأى طيار فلما خرج أصحابه كشفت له عن وجهي فقال ابن قيس قلت طائفا بك فقال ويحك ما أجدهم في طلبك واحرصهم على الطنز بك ولكنى أكتب إلى أم البنين بنت عبدالعزیز بن مروان وهي زوجة الوليد بن عبدالملك وعبدالملك أرق شيء عليها فكتب اليها يسألها التشفع إلى عمها عبدالملك فلما وصلها الكتاب دخلت على عمها فسألها هل من حاجة قالت نعم لي حاجة فقال قد قضيت كل حاجة لك قالت وإن كان ابن قيس الرقيات فقال لا تستثنين على ونفخ بيده فأصاب حروجهما فوضعت يدها على خدها فقال لها ارفعى يدك فقد قضيت كل حاجة وإن كانت ابن قيس الرقيات فقالت تؤمنه فقد كتب اليّ يسألني أن أسألك قال فهو آمن قالت فمر به يحضر المجلس العشية فحضر ابن قيس وحضر الناس حين بلغهم مجلس عبد الملك قال فأخر الاذن لابن قيس وأذن للناس فدخلوا وأخذوا مجالسهم ثم أذن له فلما دخل عليه قال

عبد الملك يأهل الشام أتعرفون هذا قالوا لا قال هو ابن قيس الرقيات الذي يقول
 كيف نومي على الفراش ولما تشمل الشام غارة شعواء
 تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي عن خدام العقيلة العذراء
 فقالوا يا أمير المؤمنين اسقنادم هذا المنافق قال الآن وقد أمنتته وصار في منزلي
 وعلى بساطي وقد أخرجت الأذن لتقتلوه فلم تفعلوا فاستأذنه ابن قيس ان ينشده
 مديحه فأذنه فأنشدته قصيدته التي يقول فيها

عادله من كثرة الطرب فعيّنه بالدموع تنسكب
 والله ما أن صبت إلى فلا يعرف بيني وبينها نسب
 إلا الذي أورثت كثرة في القاب وللحب سورة عجب

حتى قال فيها

إن الأغر الذي أبوه أبو العاص عليه الوقار والحجب
 يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب
 فقال له عبد الملك يا ابن قيس أتمدحني بالتاج كأنني من العجم وتقول في مصعب
 ابن الزبير

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء
 ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ولكن الله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبدا وأخبرني
 أبو الفرج المعروف بالاصفهانى عن حماد بن إسحاق عن أبيه ان عبد الله بن قيس
 الرقيات منعه عبد الملك بن مروان عطاءه من بيت المال وطالبه ليقتله فاستجار
 بعبد الله بن جعفر وقصده فالتقاه نائما وكان ابن قيس صديقا لسائب خاثر فطلب
 الأذن على ابن جعفر فتعذر فجاء بسائب خاثر ليستأذن له فقال له سائب خاثر
 فجئت من قبل رجلى عبد الله بن جعفر ونبحت بنباح الجرو الصغير فانتبه ولم
 يفتح عينيه ورفسنى برجله قال فدرت إلى عند رأسه فنبحت بنباح الكلب الهرم
 فانتبه وفتح عينيه فقال مالك ويلك فقلت ابن قيس الرقيات بالباب فقال ائذن له
 فأذنت له ودخل فرحب به عبد الله وقربه فعرفه ابن قيس خبره فدعى بظبية
 فيها دنانير وقال لى عدله ما فيها فجعلت أعدله وأطرب وأحسن صوتي بمجهدى حتى

عددت له ثلثمائة دينار وسكت فقال عبد الله ويلك لماذا سكت ما هذا وقت قطع الصوت الحسن فجعلت أعد ما في الظبية وفيها ثمانمائة دينار فدفعتها إليه فلما قبضها التفت لابن جعفر وقال له أسأل أمير المؤمنين في أمرى قال نعم إذا دخلت عليه ثم أنه دعى بالطعام فأكل أكلاً فاحشاً وركب ابن جعفر فدخل معه إلى عبد الملك فلما قدم الطعام جعل يسىء إلا كل فقال عبد الملك لابن جعفر من هذا قال هذا رجل لا يجوز أن يكون كاذباً إن استبقى وإن قتل كان كاذب الناس قال كيف قال لأنه يقول

مانقموا من بنى أمية إلا أنهم يحملون أن غضبوا
فان قتلته بغضبك عليه اكذبكم فيما مدحكم به قال فهو آمن ولكن لا أعطيه
عطاء من بيت المال قال أحب أن تهب عطاءه لي أيضاً كما وهبت لي دمه قال قد
فعلت وأمرت له بذلك * عن حماد الراوية قال كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك
جعل هشام يحفوني دون سائر أهله من بنى أمية في أيام يزيد فلما مات يزيد
وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ومكنت في بيتي سنة لا أخرج إلا إلى من أثق به
من اخواني سرا فلما لم أسمع أحداً يذكرني آمنت فخرجت فصليت الجمعة عند
باب القيل فاذا بشرطين قد وقفا على وقالا يا حماد أحب الأمير يوسف بن عمر
فقلت في نفسي من هذا كنت أحذر ثم قلت للبشرطين هل لكما أن تدعاني آتي
بيتي فاودع أهلي وداع من لا يرجع إليهم أبداً ثم أصير معكما فتالا ما إلى ذلك
سبيل فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى الأمير وهو في الأيوان الأحمر فسلمت
عليه فرد علي السلام ورمى إلى كتاباً فيه بسم الله الرحمن الرحيم من
عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعد فاذا قرأت كتابي
هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به من غير أن يروع ولا يتعتع وأدفع
إليه خمسمائة ديناراً وجلاً مهنياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق فأخذت
الخمسمائة ديناراً وإذا جل مرحول فجعلت رحلي في الغرر وسرت اثنتي عشرة
ليلة حتى وافيت دمشق ونزلت على باب هشام واستأذنت عليه فاذن لي فدخلت
عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام وبين كل رخمتين قضيب ذهب وحيطانه كذلك

وهشام جالس على طنفسة حمراء وعليه ثياب خز حمر وقد تضحخ بالمسك والعنبر
وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلبه بيده فتفوح رائحته فسلمت عليه
فرد على واستدناي فدنوت منه حتى قبلت رجله وإذا جاريتان لم أر مثلهما وفي
أذن كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتوقدان فقال لي كيف أنت يا حماد
وكيف حالك قلت بخير يا أمير المؤمنين قال أتدرى فيم بعثت إليك قلت لا قال بعثت
بسبب بيت خطر في بالي لم أدر من قائله قلت وما هو قال

ودعوا بالصباح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريق
فقلت هذا يقوله عدى بن زيد العبادي في قصيدة له قال أنشدنيها فأنشدته
بكر العاذلون في وضح الصبح يقولون لي الاتستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق
لست أدري إذا كثرت العذل فيها أعدو يلومني أم صديق
ودعوا بالصباح يوماً فجاءت قينة في يمينها إبريق
ندمته على عقار كعين الد يك صفي سلافها الراووق

قال فطرب ثم قال أحسنت يا حماد والله يا جارية اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثالث
عقلي وقال أعد فاعدته فاستخفه الطرب حتى نزل عن فراشه ثم قال للجارية الأخرى
اسقيه فسقتني شربة ذهبت بثالث عقلي فقلت ان سقيت الثالثة افتضحت ثم قال
لي سل حوائجك قلت كائنة ما كانت قال نعم قلت احدي الجاريتين قال همالك بما
عليهما وما لهما ثم قال للأولى اسقيه فسقتني شربة سقطت منها ولم أعقل حتي
أصبحت فاذا بالجاريتين عند رأسي وإذا عشرة من الخدم مع كل واحد منهم
بدرة وقال لي أحدهم ان أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك خذ هذا
فانتفع به في سفرك فأخذتها والجاريتين وانصرفت * عن عبد الله بن عمران أبي
خروة قال كان عبد الله بن الحجاج الثعلبي من أشرف قيس وكان مع ابن الزبير فلما
قتل دخل عبد الله بصفة اعرابي على عبد الملك بن مروان ليلاً وهو يتعشى مع الناس
فجلس وأكل معهم ثم وثب فقال

منع القرار فجئت نحوك هارباً جيش يحمر ومقنب يتلمع

فقال أي الأخايث أنت فقال

أرحم أصيبية هديت كأنهم حجل تدرج بالسرية جوع
فقال اجاع الله بطونهم فانت اجعتهم فقال

مال لهم مما تظن جمعته يوم القليب خيز عنهم أجمع
فقال كسب سوء خبيث فقال

ولقد وطئت بنو سعيد وطأة وابن الزبير فعرشه متضعع
وأرى الذين رجوا تراث محمد افلت نجومهم ونجمك يسطع
فقال الحمد لله على ذلك فقال

أدنوا لترحمي وتقبل توبتي وأراك تدفعني فإين المدفع
فقال إلى النار فقال

ضاقت ثياب الملبسين فأولني عرفا وألبسني فتوبك أوسع
قال فرمى إليه بمطرف خز كان عليه فقال عبد الله أمنت والله فقال له عبد الملك
كن شئت إلا عبد الله بن الحجاج فقال والله ما أنا إلا هو وقد أمنتني أكلت طعامك
ولبست ثيابك فأى خوف على قال ما هداك إلا جدك وامنضى له الامان * ووجدت
في بعض كتبي هذا الخبر ان ابن الزبير لما قتل اهدر عبد الملك دم عبد الله بن الحجاج هذا
فاشتد عليه الطلب فجاء ليلا ولم يكن عبد الملك ليجمع بين اسمه وجسمه فجلس بين الناس
مستخفيا على الطعام إلى ان أكل وتحرم وراه عبد الملك ثم قام وقال الأبيات وموضوع
هذا الخبر يدل على هذا ولعله سقط من الرواية المتقدمة والله أعلم * عن أبي طلوت كاتب
ابن طاهر قال سمعت الفضل بن الربيع يقول لما استترت عن المأمون اخفيت نفسي حتى
على عيالي وولدي وكنت انتقل وحدي فلما قرب المأمون من بغداد ازداد حذري
وخوفي على نفسي فتشددت في الاحتياط والتواري فافضيت إلى منزل يراز
كنت اعرفه في درب على باب الطاق وتشدد المأمون في طلي فلم يعرف لي خبرا
فتذكرني يوما فاغتاط على اسحق بن ابراهيم وحد به في طلي فاغاط له فخرج
اسحق من حضرته وجدا بصحاب الشرط ووقع ببعضهم المكاره ونادى في الجانبين
من جاء به فله عشرة آلاف درهم واقطع غلته ثلاثة آلاف دينار في كل سنة وان
كل من وجد عنده بعد النداء يضرب خمسمية سوط ويؤخذ ماله وتهدم داره

ويحبس طول عمره ونودي بذلك عشاء فما شعرت بصاحب الدار حتى دخل على وأخبرني به وقال والله ما أقدر بعد هذا على حفظ روحك ولا آمن على روعي وغلماني وجارياتي أن تشره نفوسهم إلى المال فيبدلون عليك واهلك بهلاكك فان صفح الخليفة عنك لم آمن أن تهمني أني دللت عليك فيكون ذلك اقبح وليس الرأي لك ولا لي إلا أن تخرج فوردا على اعظم واردفقلت إذا جاء الليل خرجت عنك قال ومن يطيق الصبر على هذا وهذا وقت حار وقد طال عهد الناس بك فتكر واخرج قلت وكيف اتكر قال تأخذ لحيتك وتغطي رأسك وتلبس قميصاً ضيقاً وتخرج فقلت افعل فناء بمقراض فأخذ أكثر لحيتي وتنكرت وخرجت في أول اوقات العصر وأنا ميت خوفاً فمشيت في المزارع حتى بلغت الجسر فوجدته قد رش وهو متزلق فلما توسطته فاذا بفارس من الجند الذين كانوا ينوبون في داري أيام وزارتي قرب مني وقال طلبة أمير المؤمنين والله وعدل الي ليقبض على من حلاوة النفس دفعته ودابته فزلق ووقع في بعض سفن الجسر وتعادى الناس لخلاصه وظنوا انه زلق بنفسه وتشاغلوا به وزدت أنا في المشي ولم اعد لئلا ينكر حالي من يراني إلى ان عبرت الجسر ودخلت دار سليمان فوجدت امرأة على باب دار مفتوح فقلت لها يا امرأة انا خائف من القتل فأجيريني واحفظيني فقالت ادخل واومأت إلى غرفة فصعدت اليها فلما كان بعد ساعة إذا زوجها على الباب ففتحته له ودخل فتأملته فاذا هو صاحبني على الجسر وهو مشدود الرأس من شجة لحقته وسأله المرأة عن خبره فأخبرها بالقصة وقال لها قد زمنت دابتي وانفذتها لتباع في سوق اللحم وقد فاتني الغناء وجعل يشتمني وهو لا يعلم بوجودي معه في الدار وأقبلت المرأة تترفق به إلي أن هدا فلما صليت المغرب وأقبل الظلام صعدت المرأة إلى وقالت اظنك صاحب القصة فقلت نعم فقالت قد سمعت ما عنده فاتق الله واخرج فدعوت لها ونزلت ففتحت الباب فتحتا رقيقا وكانت الدرجة في الدهليز فافضيت إلى الباب فلما انتهيت إلى آخر الدرب وجدت الحراس قد اغلقوه فتحيرت فرأيت رجلا يفتح بابا بمفتاح رومي فقلت هذا رومي وهو ممن يقبل مثلي فدنوت وقلت استرني سترك الله قال ادخل فدخلت فرأيت رجلا فقيرا وحيدا فأقمت ليلتي فبكر من غد ثم عاد نصف النهار ومعه جملان يحمل

احدهما حصير ومخدة وجرار وكيزان وغضائر جدد وقدر جديد والاخر يحمل
خبز وفاكهة ولحم وتلج فدخل وترك ذلك كله عندي واغلق الباب فنزلت
وعذلته وقلت له لم كلفت نفسك هذا فقال أنا رجل مزين واخاف أن تستقذرنى
فاطبخ أنت واطعمنى في غضارة اجىء بها من عندى فشكرته على ذلك ومكثت
عنده ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ضاق صدرى فقلت له الضيافة ثلاثة وقد
احسنت واجملت واريد الخروج فقال لا تفعل فانى وحيد وخبرك لا يخرج من
عندى أبدا فأقم إلى أن يفرج الله عنك فلست اثناقل بك فاييت للحين قال فخرجت
حتى بلغت باب التين إلى دار عجوز من موالينا فدفعت الباب عليها فخرجت فلما
رأتنى بكى وحمدت الله تعالى على رؤيتى وادخلتنى الدار فلما كان فى السحر وانا
نائم غير مكترث وبكرت فسعت إلى أبواب اسحق فما شعرت إلا فاسحق نفسه
فى خيله ورجله قد احاط بالدار ثم كبسها فاستخرجنى منها حتى اوقفنى بين يدى
المأمون حافيا حاسرا فلما رأى سجد طويلا ثم رفع راسه فقال يا فضل اتدرى لم
سجدت قلت شكرا لله على ظفرك بعدوك وعدودولتك والمغرى بينك وبين اخيك
قال ما اردت هذا ولكن سجدت شكرا على ما اهتمني من العفو عنك فخذتنى
بخبرك فشرحت له من أوله الى آخره فأمر باحضار المرأة مولاتى وكانت فى الدار
تنتظر الجائزة فقال ما حملك على ما فعلت مع انعامه وانعام اهله عليك قالت رغبة
فى المال قال هل لك ولد أو زوج أو أخ قالت لا فأمر بضربها مائتى صوت وتخليدها
فى الحبس ثم قال لاسحق احضر الساعة الجندى وامراته والمزين فاحضروا فى
المجلس فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على فعله فقال الرغبة فى المال ووالله
أنه الذى اثبتنى فى الجيش ولكنى رغبت فى المال العاجل فقال أنت بأن تكون
حجاما أولى بك من ان تكون من اوليائنا وامر بان يسلم للمزينين فى الدار
ويوكل به من يعسفه حتى يتعلم الحجامة وأمر باستخدام زوجته على قهرمه دور
حرمه وقال هذه امرأة عاقلة دينة وأمر بتسليم دار الجندى وقماشه إلى المزين وان
يجعل رزقه له ويجعله جنديا مكان ذلك الجندى واطلقنى إلى دارى فرجعت اليها
آخر النهار آمنا مطمئنا ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا فى كتاب الوزراء لابن
عبدوس فانه ذكر أن الفضل ابن الربيع استتر فطال استتاره واستعجمت عليه

الأخبار فغير زيه وخرج في السحر وكان استتر بناحية الخريبة من الجانب الغربي
 فمشى وهو لا يدري اين يقصد لحيرته وبعد عهده بالطرق فاداه المشى إلى الجسر
 وقد اسفر الصبح فايقن بالعطب وقصد منزلا لرجل كانت بينه وبينه مودة بسويقة
 نصر فلما صار صار ببعض المشارع سمع النداء عليه ببذل عشرة آلاف درهم
 فتخفى حتى جاوزه الركبان والمنادي ومشى فرآه رجل فانتبه له وقال يا فضل وكان
 في أحد جانبي الطريق الذي الفضل فيه فامه إلى الجانب الذي كان فيه ليقبض
 عليه فاعترضته حمير وجمال عليها حص ونظر الفضل يمينا وشمالا فلم يجد مذهباً
 وبصر بدرب فدخله فوجده لا ينفذ ووجد في صدره باباً مفتوحاً فهم على المنزل وفيه
 امرأة فاستغاث بها فاجارته وبادرت إلى الباب فغلقتة وناشدها الله ان تستره إلى
 الليل فامرته بالصعود إلى غرفة لها فلم يستقر به القعود حتى دق الباب فلما فتح
 الباب دخل الرجل الذي رآه وعزم على القبض عليه وإذا المنزل له فقال لزوجته
 فأتني الساعة عشرة آلاف درهم قالت له وكيف ذلك قال لها مربى الفضل فمددت
 يدي لاقبض عليه فابتلعتة الأرض فقالت له امرأته الحمد لله عز وجل على أن كفناك
 أمره وبقي دينك عليك ولم تكن سبباً لسفك دمه أو مكروه يلحقه فلما خرج صعدت
 إليه فقالت قد سمعت وما هذا لك بموضع فخرج إلي بعض منازل معامليه فلما صار
 إليه نبه العامل عليه واسلمه إلى طالبيه فحمل إلى المأمون فلما رآه وسأله عن خبره
 شرح له قصته فأمر للمرأة بثلاثين ألف درهم وقال للرسول قل لها يقول لك الفضل
 هذا جزاء لك على ما فعلته من الجميل فردتها وابت قبولها وقالت لست آخذ على
 شيء فعلته لله تعالى جزاء إلا منه * حدثنا أبو الحسن محمد بن عمر بن شجاع
 المتكلم البغدادي الملقب بجنيذ قال حدثنا الفضل بن همام السيرافي وكان مشهوراً
 بسلوك اقاصى بلاد البحر قال قال لي رجل من بعض بياسة بلاد الهند والبیسر
 هو المولود على ملة الاسلام هناك قال كان في احدى بلادهم ملك حسن السيرة
 وكان لا يأخذ ولا يعطى بمواجهة وانما كان يقلب يده وراء ظهره فيأخذ ويعطى
 بها اعظاماً منهم للملك وسنة لهم هناك ولا اولادهم وانه توفي فوثب رجل من غير
 أهل المملكة فاحتوى على ملكه وهرب ابن له كان يصلح للملك خوفاً على نفسه
 من المتغلب ورسوم ملوك الهند أن الملك إذا قام عن مجلسه لأي حاجة عرضت

له كان عليه صدرة قد جمع فيها كل نفيس وفاخر من اليواقيت والجواهر مضروب
بالابريسم في الصدرة ويكون فيها من الجوهر مالمو أراد أن يقيم به ملكه لا قامه
قال ويقولون ليس يملك من اذا قام عن مجلسه وليست معه حتى اذا حدثت عليه
حادثة وهرب بها امكنه اقامة ملك منها فلما حدث على الملك تلك الحادثة أخذ
ابنه صدرته وهرب بها خفي عن نفسه أنه مشى ثلاثة أيام قال ولم اطعم طعاما
ولم يكن معي فضة ولا ذهب فابتاع به مأكولا ولم اقدر على اظهار ما معي واتقت
ان استطعم قال جلست على قارعة الطريق فاذا رجل هندي مقبل على كتفه كارة
خبطها وجلس حذائي فقلت أين تريد قال الحرام الفلاني ومعنى الحرام الرستاق
فقلت وأنا أيضا أريد هذا الحرام قال فنصطحب قلت نعم فصحبته طمعا في أن
يعرض على شيئا من مأكوله قال خل الكاره وأكل وأنا أراه ولم يعرض على
شيئا من مأكوله ولم تقو نفسي على ان تبدئه بالسؤال فلما فرغ قام يمشي فمشيت
معه وبت معه طمعا في أن تحمله المزاملة على العرض على فعمل بالليل كما عمل بالنهار
قال واصبحنا في غد فمشينا فعاملني بمثل ذلك أربعة أيام قال فصار لي سبعة أيام لم
اذق فيها شيئا فأصبحت في الثامن ضعيفا مهووسا لا قدرة لي على المشي فعدلت عن
الطريق وفارقت الرجل فرأيت قوما يبنون وقفا عليهم فقلت للقيم استعملني مثل
هؤلاء باجرة تعطينيها عشاء فقال نعم ناوهم الطين قلت عجل لي اجرة يوم ففعل
فابتعت بها مأكلته وقت ناوهم الطين فكنت لعادة الملك اقلب يدي إلي ظهري
واعطيتهم الطين فلما اذكر ان ذلك خطأ ينبه على سفك دمي ابادر بتلافي ذلك فارد
يدي بسرعة من قبل أن يفطنوا بي قال فلمحتني امرأة قائمة فاخبرت سيدتها خبري
وكانت صاحبة البناء وقالت لا بد أن يكون هذا من أولاد الملوك قال فتقدمت إلى
القيم بحبسي عن المضي مع الصنيع فاحتبسني وانصرف الصنيع فجاءتني بالدهن
والعروق لاغتسل بهما وهذه مقدمة اكرامهم وسنة لعظماهم فتغسلت بذلك
وجاؤوني بالارز والسمك فطعمت فعرضت المرأة على نفسها في التزويج فاجبت
وعقدت ودخلت بها من ليلتي واقت معها أربع سنين ادبر حالي وحالها وكانت
لها نعمة فانا يوم جالس على باب دارها اذا برجل من بلدي فاستدعيته فجاء فقلت
له من اين أنت قال من بلد كذا وكذا فذكر بلدي فقلت ما تصنع ها هنا قال كان

فينا ملك حسن السيرة فمات فوثب على ملكه رجل ليس من أهل بيت الملك
 وكان للملك الأول ابن يصلح للملك فخاف على نفسه فهرب وان المتغلب اساء عشرة
 الرعية فوثبنا عليه فقتلناه وانبثينا في البلدان نطلب ابن ذلك الملك المتوفى فنجلسه
 مكان أبيه فما عرفنا له خبرا قال فقلت اتعرفني قال لا قلت أنا طلبتكم قال وأعطيته
 العلامات فعلم صحة ماقلته له فكفر لي فقلت اكتم امرنا إلى أن ندخل الناحية قال
 افعل ففعل قال فدخلت إلى المرأة واعلمتها بالخبر وحدثتها بأمرى كله واعطيتها
 الصدرة وقلت هذه قيمتها كذا وكذا ومن حالها كذا وكذا وأنا ماض مع الرجل فان كان
 ما ذكر صحيحا فالعلامة أن يحيئك رسولى ويذكر لك الصورة وإن كانت مكيدة كانت
 الصدرة لك قال ومضى الرجل وكان الأمر صحيحا فلما قرب من البلد استقبلوه بالتكفير
 واجلسوه في الملك فانفذ إلى زوجته من حملها فجاءت اليه خين اجتمع شمله واستقام
 أمره أمر فبنيت له دار ضيافة عظيمة وأمر أن لا يجوز في عمله مجتاز إلا حمل اليها
 فيضاف فيها ثلاثة أيام ويزود لثلاثة أيام آخر فكان يفعل ذلك وهو يراعى الرجل
 الذى صحبه في سفره ويقدر أن يقع في يديه فلما كان بعد حول استعرض الناس قال
 وكان يستعرضهم في كل يوم فلا يرى الرجل فيصرفهم فلما كان في ذلك اليوم رأى
 الرجل فيهم خين وقعت عينه عليه اعطاه ورقة تابول وهذه علامة غاية الاكرام
 ونهاية رتبة الاعظام إذا فعله الملك برعيته قال خين فعل الملك ذلك بالرجل كفر
 له وقبل الأرض فأمره الملك بالنهوض ونظر اليه فاذا هو ليس يعرف الملك فأمر
 بتغير حاله واحسان ضيافته ففعل ثم استدعاه فقال اتعرفني فقال وكيف لا اعرف
 الملك وهو من عظم شأنه وعلو سلطانه بحيث هو قال لم أرد هذا اتعرفني قبل هذا
 الحال قال لا فذاكره الملك بالحديث والقصة في منعه اياه الطعام في السفر قال فبهت
 الرجل فقال ردوه إلى الدار فردوه فزاد في اكرامه وحضر الطعام فاطعم فلما أراد
 النوم قال الملك لزوجته امضى فغمز به حتى ينام قال فجاءت المرأة فلم تزل تغمره
 الى أن نام ثم رجعت إلى الملك فقالت قد نام قال ليس هذا نوم حركوه فحركوه
 فاذا هو ميت قال فقالت له المرأة أى شىء هذا قال فساقلها حديثه معه وقال وقع
 في يدي فتناهيت في اكرامه والهند لهم اكباد عظام واوهام ظريفة فادخلت عليه
 حسرة عظيمة اذ لم يحسن إلى فقتلته وقد كنت اتوقع موته قبل هذا بما توهمه

واستشعره من العلة في نفسه لفرط الحسرة * حدثنا أبو عبد الله بن أحمد بن
شيرزاد قال حدثني خالي وابن عم أبي أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد قال لما سعى
على عند بحكم حتى صرفني عن كتبه ونكبي والزمني بمائتي ألف دينار فأديت
أكثرها من غير أن أبيع شيئا من أملاك الظاهرة فلما قاربت على وفائها استحضرتني
أحمد بن علي الكوفي كاتبه وأخذ يخاطبني بكلام طويل هو مقدمة واعتذار لشيء
يريد أن يخاطبني به فقلت له ياسيدي ما تريد وما بك حاجة إلى التسبب فاني بمودتك
وائق فقال ان هذا الرجل يعني بحكم قدرجع عليك في صلحك وطمع فيك وطلبني
ان آخذ منك مائتي ألف دينار أخرى ووالله ما هذا عن رأي ولا لي فيه مدخل
ولو قدرت على ازالته عنك لفعلت قال فأخذت أحلف اني لا أهتدي اليها ولا إلى
عشرها وان النكبة قد استنفدت مالي ولم يبق لي شيء إلا دارى وضياعى وانى اسميهما
ولا اكنم شيئا منهما واخرج له عنهما ليهب لي روى قال فطال الخطاب بيننا
فلما قام في نفسه صدقي فكر طويلا ثم قال ياسيدي هذا رجل اعجمي وعنده ان
وراءك اضعاف هذا المال وان فيك من الفضل ما يصلح لقلب دولته عليه وأنت
والله معه في طريق القتل إلا أن يكفيك الله عز وجل ووالله ما احب أن يجرى
مثل هذا على يدي ولا في أيامي فيلزمني عاره إلى الابد واجسره على قتل كتابه
فدبر خلاصك فتحيرت ثم سكنت وقلت له تعطيني ميثاقك وتحلف لي ان سرلك في
محبة خلاصى كعلائيتك حتى أقول ما عندي ففعل خلفت له انى قد صدقته وانى
لا امتنع مما يجر عني به بعد هذا اليمين ولو شاء منى ان افتح دوائى واكتب
بين يديه وقلت له أنت وقتك مقبل ووقتي مدبر وانت فارغ القلب وأنا ذاهل
بالحنة فدبر امرى الآن كيف شئت فانه ينفتح لك بهاتين الخلتين ما قد استتبهم
على قال ففكر ثم قال أنا ان آيست هذا الرجل من مالك لم آمنه على دمك وان
اطمعت في مالك وليس لك ما تعلله به ادت بك المطالبة إلى التلف ولكن الصواب
عندي ان اطمعه في ضيعتك فاشترىها له منك واقول ان ضياع السواد الخراجية
قد اجمع شيوخ الكتاب بالحضرة قديما وحديثا على ان كل ما كان منها غلته درهم
فقيمتها اربعة دراهم وأبو جعفر يقول ان غلات الضياع بعد الخراج خمسة وعشرون
ألف دينار وانه يضمنها بذلك حاصلها خالصا بعد الخراج والمئون ويقيم بذلك كفلاء

فاشترها منه بمائتي الف دينار كملا ويحصل لعقبك ملك جايل مع هذا وهو يؤدى
 باقى المصادرة الاولى وتصير ضامنا لضيعة فادفع ذلك اليك أيضا ومن ساعة إلى
 ساعة فرج وأنا احتال بحيلة في أن يكون الكتاب عندي فلا اسمعه اليه فلمعل حادثة
 تحدث وترجع اليك ضيعة وتكون بالعاجل قد تخلصت وسلم دمك في اربع سنين
 قال فعلمت أنه قد نصحتنى وآثر خلاصى واجبت فدخل إلى بحكم ولم يزل معه في
 محادثات إلى أن تقرر الأمر على ما قالونى عليه واحضر الشهود وكتب على الكتاب
 بالابتياح والكتاب بالاجارة وقال لي الوجه أن تقيم كفلاء ببقية المصادرة الاولى
 فقد استأذنته في صرفك إلى منزلك وإذا انصرفت فانضم ولا يراك أحد وكن متحذرا
 ولا تظهر انك مستتر فتغرية بك قال فشكرته واقت الكفلاء بالمال إلى أيام معلومة
 فصرفتني فعدت إلى دارى وكنت متحذرا اجلس في كل يوم فيدخل إلي بعض الناس
 بمقدار ما يعلم انى في دارى فاذا كان نصف النهار خرجت إلى منازل اخوانى واقت يوما
 عند هذا ويوما عند الآخر وراعت اخبار دارى اتوقع أن يحببها من يكسبها فيطلبني
 فاكون بحيث لا يعرف خبرى فانجوا فطال ذلك والسلامة مستمرة وانحدر بحكم إلى
 واسط فآنت بالجلوس والاستقرار في دارى فلما كان في بعض الأيام ضاق صدرى
 ضيقا لا أعرف سببه واستوحشت وفكرت في امرى وقلت ان كبست على غفلة
 فماذا اصنع قال وكان لدارى أربعة عشر بابا إلى أربعة عشر سكة وشارعا وزقاقا فاذا
 ومنها عدة أبواب لا يعرف جيرانها انها تفضى إلى دارى واكثرها عليه الأبواب
 الجديدة قال فترآلى ان ارسلت نعلما في المقاتلة وكانوا متفرقين عنى قد صرفتهم
 لثلا يصير لى حديث فجاؤني واجتمع منهم ومن أولادهم نحو ثلاثمائة غلام فقلت
 لهم إذا كان الليلة فاحضروا جميعا بسلاحكم وبيتوا عندي ليلا وأقيموا نهرا إلى
 أن أدبر أمرى قال ففعلوا ذلك وفرقتهم في الحجر المتقاربة للمجلس الذى كنت
 أجلس فيه وقلت ان كبست فشاغلوا عنى من يطلبني لأنجو قال وكنت ادبر كيف
 أعمل في قلب الدولة أو استصلاح بحكم فلم يقع لى رأى ولا اجد إلى ذلك طريقا
 وكنت أوصيت بوابي أن يغلق بابي المعلوم للناس ولا يفتحه لاخذ من خلق الله
 إلا بامرى واجلست غلاما كان يحجبني في أيام الدولة ومعه عشرون غلاما بسلاح
 خلف الباب وكان لا يفتح لاحد فمضى لهذا إلا يوما أو ثلاثة حتى جاءنى حاجي

وقال قد دق الباب فقلنا من الطارق قال أنا غلام لمحمد بن ثبال البرجمان وهو وأبو بكر النقيب بالقرب منكم يستأذنون على سيدنا في الدخول فقلت في نفسي بليت والله وأمرت الغلمان فاجتمعوا بأسرهم متسلحين في بيت له قبة كبيرة كنت جالسا في أحد أروقتيه وأمرتهم أن لا ينبسوا بكلمة وقلت للحاجب اصعد على السطح فانظر ما ترى واخبرني به ففعل وعاد وقلت رأيت الشارع مملوء بالخيل والرجل وقد احاطوا من جنبات كثيرة ولما رأوني اراقبهم تنحيت فصاح بي البرجمان قائلا كلمني وما عليك بأس فاخرجت رأسي فقال ويحك ما جئنا لمكروه وما جئنا إلا لبشارة فعرف سيدنا بذلك فقلت ليس هو في الدار ولكن أرسله ثم أخبر الأمير أيده الله في غد برسول إلى داره فقال انا ههنا واقف ساعة إلى أن يرى رأيه ففكرت وقلت هذه حيلة للقبض على لاشك ويجوز أن يكون بحكم قد تغير على الكوفي ولا يجحد خدمته غيري واعترضني الطمع وكاد يفسد رأبي ثم قلت للغلمان ان قلت لكم اخرجوا فضعوا على أبي بكر النقيب والبرجمان ايديكم فاخرجوا وخذوا رأسيهما ولا تستأذنوا البتة فاجابوا فقلت احذروا أن تخالفوا فأهلك فقالوا نعم ثم قلت للحاجب اطلع السطح وقل له اني على حال من اختلال الفرش والكسوة لا أحب معهما دخول أحد الى فان رضيت أن تدخل أنت وأبو بكر النقيب فقط وإلا فأنا اصالح امرى واجيء إلى دارك الليلة قال فعاد الغلام وقال كلمته فقالوا رضينا بذلك فقلت يا فلان اخرج واحذر أن يفتح الباب كله فتدخل الجماعة واري أن تقول له ان يتباعد عن الباب إلى الشارع قليلا فان ازدحم الناس وتكاثروا فهي حيلة فدعهم يدخلون وصح يا هذا فاعلم أنا انها حيلة فاخرج من بعض الأبواب امامهم فيفضون إلى هذا الباب وهو مقفل ووراءه الغلمان وان حضرا وحيدين فقل لها الشرط ان اقفل الباب بينكما وبين اصحابكما ثم افتح الباب الذي يلي الشارع حتي يدخلوا ثم اقفله وارم مفاتيحه من تحت الباب الثاني الينا إلى الصحن ودق هذا الباب فاني واقف وراءه لا تقدم بفتحه ويدخلان ففعل الحاجب ذلك وحصل أبو بكر النقيب والبرجمان في الدهليز وحيدين فلما سمعت صوت قفل الباب الخارجى وأنا عند الباب الداخلى ودق الحاجب الباب الثاني ورمى بالمفتاح عدت الى مجلسي فجلست فيه ونحيت من كنت اقته وراء الباب الثاني بالسلاح واعدت على الجماعة

الوصية بقتلهما ان صحت يا غلمان اخرجوا ثم تقدمت إلي غلام كان واقفا بلا سلاح ان يفتح الباب ويدخلهما ففعل ذلك والقيت نفسي على الفرش كأني عليل ودخلا فلم أوفهما الحق واخفيت كلامي كما يفعل العليل فقالا ما خبرك فقلت أنا منذ أيام عليل وارتعت لحضوركما فاخذ البرجمان يحلف أنه ما حضر إلا ليردني إلى منزلي واستكتابي للامير بحكم فشكرته على ذلك وقلت اني تائب من التصرف ولا اصلح له فقال قد امرني الامير بمخاطبتك في الخروج اليه الى واسط لتقرير هذا الأمر فلا يجوز أن أكتب اليه بمثل هذا عنك ولكن ان كنت زاهدا في الحقيقة فاخرج اليه واحداث خدمته عهدا واستعفه فانه لا يجبرك فقلت هل كاتبني بشيء توصله الى فقال قد اقتصر على ما كتب به إلى لما يعلمه من مودتي لك ولكي لا ينفشوا الخبر بذلك فقلت تفقني على كتابه اليك قال لم احمله معي فعلمت انه كوتب بالقبض على فقلت أنا عليل كما ترى ولا فضل في للسفر ولكن تجيب الامير عني بالسمع والطاعة واني سأخرج لحضرته بعد اسبوع إذا شممت نفسي قليلا قال انه يقبض هذا الوجه واري أن تخرج قلت لا أقدر فراجعني وراجعته إلى أن قال لا بد من خروجك فقلت اني لا أخرج ولا كرامة لك فاجهد جهدك وهممت أن اصيح بالغلمان وكان أبو بكر النقيب خبيثا فقام وقال اسئل سيدنا بالله العظيم أن لا يتكلم بحرف ويدعني وهذا الأمر ثم اخذ بيد البرجمان وقاما إلى ناحية من المجلس بعيدة لا أسمع ما يجري بينهما فاطالا السر ثم جاءني فأخذ أبو بكر يعتذر إلى مما جري ويخاطبني باللين ويقول فبعدكم يوم يخرج سيدنا حتى نقنع بوعدده ونتصرف فقلت بعد عشرة أيام فقال قد رضينا وأخذ بيد البرجمان والبرجمان يتبزق على في الكلام وأبو بكر يغمزه ويترفق به فلما بلغا إلى قريب من الدهليز رجع أبو بكر ورد البرجمان معه وقال هذا ليس يعرفك حق معرفتك وعنده أنه يقدر ان يستوفي عليك الحجة فبالله إلا عرفته ما كان في نفسك ان تعمل بنا لو استوفينا عليك المطالبة لئلا اقع أنا في مكروه معه ومع الامير اطل الله بقاءه فقلت في نفسي أنا أريد الهرب الساعة فما معنى مساترتي عنهما ما أريد ان أفعله ولم لا أظهره ليكون اهيب في نفوسهما فقلت للغلام الذي كان واقفا امض إلي أصحابنا ومرهم ان يخرجوا ولا يعلموا

ما كنت تقدمت به إليهم فمضى الغلام وفتح الباب عنهم وقال اخرجوا ولا تتحدثوا
 حادثة فخرج القوم بالسلاح فقلت هؤلاء اعددتهم لدفعكم عن نفسي ان رمتما
 قسرى قال فهات البرهان في جلدك واصفر وتحير وقال له أبو بكر أنت تظن انك
 بالجبل ولست تعلم بين يدي من أنت علمت الآن ان الرأي كان في يدي لاني يدك
 والله لو زدت في المعنى لخرج هؤلاء فأخذوا رأسك ورأسي قلت معاذ الله ولكن
 كانوا يمنعونكم من اذاي ثم قلت للغلمان كونوا معهما إلي ان يخرجوا وتغلقوا
 الأبواب خلفهما ففعلوا وقت في الحال فلبست خفا وازارا على صورة النساء
 واستصحبت جماعة من عجائز داري وخرجت من باب من تلك الأبواب الخفية
 متحيرا لا أدري أين أقصد فقصدت عدة مواضع كلما أتيت موضعا علمت أنه
 لا يحملني فاتجاوزه إلى غيره إلى ان كدني المشي وقربت من الرصافة فعن لي ان
 أقصد خالة المقتدر واطرح نفسي عليها فصرفت جميع من كان معي إلا واحدة
 وقصدت دار الخالة ودخلت دهليزها فقام إلي الخادم وقال من أقول فقالت العجوز
 تقول امرأة لا تحب أن تسمى نفسها فدخل فاذا الخسالة قد خرجت إلى الدهليز
 فقالت لها العجوز ياستي تأمرين الخادم بالانصراف فلما انصرف كشفت وجهي
 وقلت ياستي الله الله في دمي اشتريني فقالت يا أبا جعفر ما الخبر قلت ادخليني
 احديثك قالت كن بمكانك فاني قد خمنت انه ما جاءني إلا مستتر فلهذا خرجت
 بنفسي ثم دخلت فابطأت حتي قلت قد كرهت دخولي وستخرج من يصرفني
 وتعتذر وهممت بالانصراف من نفسي فاذا بها قد خرجت وقالت ارعبتك بالانتظار
 وما كان ذلك إلا احتياطا لك فادخل فدخلت فاذا دارها الأولى ذرعة على عظمها
 وليس فيها أحد فسلكت بي وبالعجوز إلى موضع من الدار فدخلنا حجرة
 واقفلتها بيدها ومشيت بين أيدينا حتي انتهينا إلى سرداب فدخلتنا فيه ومشيينا
 طويلا وهي بين أيدينا حتي صعدت منه إلى درجة افضت بي منها إلى دار في نهاية
 الحسن والشرف وفيها من الآلات والفرش كل شيء حسن وقالت إنما احتسبت
 عليك حتى أصلحت لك هذه الدار واخليت الأولى لئلا يراك الذين كانوا فيها
 فيعرفون خبرك فاجلس ههنا ماشئت فوالله انك لتسرني بذلك واحفظ نفسك
 من ان ينتشر خبرك من جهتك فليس معك من جهتي من يعرف خبرك فيفضيه

ولا أعرفه أحد من أسباني واحتفظ لنفسك ممن يخرج من عندك أو يدخل عليك
فتهلك نفسك وتهلكنى معك فانك تعلم ان هذا الرجل ظالم جاهل لا يعرف حق
مثل فقلت لها مامعى غير هذه العجوز ولست أدعها تخرج فقالت هذا هو
الصواب وأقمت عندها مدة وكانت تخبئنى كل يوم فتعرفنى أخبار الدنيا
وتحادثنى ساعة وتنصرف وتحمل إلى كل شىء فاخر من المأكول والمشروب
والبخور وأخدم بما لا أخدم بمثله فى أيام دولتى فلما كان فى غد يوم حصولى عندها
قالت يا أبا جعفر أنت وحدك وليس يصلح ان يخدمك كل احد وقد حملت إليك
هذه الجارية وأومأت إلى وصيفة فى غاية الحسن والملاحة فاستخدمها فانها تقوم
مقام فراشة وقد اهديتها لك فان احتجت إلى ما تحتاج إليه الرجال صلحت لذلك
أيضاً فقبلتها وشكرتها وقالت الجارية فاذا هى تغنى أحسن غناء وأطيبه فكان
عيشى معها أطيب عيش ومضى على استتاري نحو شهرين لا يخرج من عندى أحد
ولا يدخل عندي غير الخالة فقلت لها قد تطلعت نفسى إلى معرفة الأخبار وانفذ
هذه العجوز إلى من تتعرف ذلك منه قالت افعل واحتفظ جهدي فكتبت مع
العجوز كتاباً إلى وكيل كان لي أثق به أمره ان يتعرف لى الأخبار ويكتبها إلى
مع العجوز ورسمت له ان ينفذ طيوراً مع غلام اسميته له وكنت به واثقاً ويأمره
بالقيام بواسطة المكاتبة على الطيور فى كل يوم بالأخبار ورسمت للعجوز أن
لا تعرف الوكيل موضعى لئلا يفشوا شىء من الأمر ويقع الوكيل فيطالب بى
فيدل على فعاد إلى الجواب بما عنده من الأخبار وانه لا ينقضى يوم إلا وينفذ
الغلام والطيور وأمهله عشرة أيام ثم رددت العجوز فاتخذ على يدها كتاباً ورد
على الطيور فقرأته ومضت على ذلك مدة وأنا على الغاية من النشاط والسرور فقلت
للعجوز يوماً امض إلى فلان فاعرفى خبره وهل ورد كتاب من واسط فمضت
وللاتفاق سقط طائر عند دخولها بكتاب ففضه وسلمه إليها دون أن يقف عليه
فجاءتنى به فاذا هو بتاريخ يومه وأكثره رطب يذكر فيه غلامى ورود الأخبار
إلى واسط بقتل الاكراد لبحكم وان الناس قد هاجوا فما نالت رجلاى الأرض
فرحاً وسروراً وكتبت فى الحال رقعة إلى كاتبه الكوفى اشكره فيها على جميله
واعرفه انى ما طويت خبرى عنه إلى الآن إلا اشفاقاً عليه من أن يسأل عنى

فيكون متى حلف انه لا يعرف خبري صادقا وان من حق ما علمني به ان أعرفه
ما يجب أن يتحرز عنه وذكر ماورد من قتل سيده وأشير عليه بالاستتار مع
الاستظهار وانفذت الرقعة في طي رقعة كتبها لوكيلي وأمرته أن يمضي بها إليه
في الحال ولا يسلمها إلا بيده وقالت للعجوز إذا مضى الوكيل فارجمي أنت ولا
تتعدى في داره ففعلت وعادت فعرفتني ان الوكيل قد توجه إلى الكوفي فلما كان
بين العشاءين رددت العجوز إلى الوكيل وقلت لها طريقي بابا فان كان في بيته على حال
سلامة فادخلي وان بان لك ان معتقل أوداره موكل بها فأنصرفي ولا تدخل في فعات
إلي برقعة الوكيل وفيها انه حين أوصل الرقعة إلى الكوفي بان له في وجهه الاضطراب
وانه ماضى العصر من ذلك اليوم حتى امتلأ في البلد بان الكوفي قد استتر وان
بمحكم حدث به حادثة لاندري ما هي وقد عدت بعد العصر إلى دار الكوفي فوجدتها
مغلقة ليس فيها أحد وانه قد أنفذ جوابه إليك فقرأته فاذا هو يشكرني ويقول
قد علمت ان مثلك ياسيدي لم يكن ليفتعل هذا الخبر ولا يضيع مروءته وقد تشاغل
الذين مع الأمير بالهرب على أن يكتبوا لي بالحادثة وكتب به من رتبته أنت كما
ذكرت في رقعتك فان كان الخبر صحيحا وهو عندي صحيح فالرأي معي في الاختفا
وان كان باطلا فما يضرني ذلك عند صاحبي ان كان حيا لأنه يتصورني جبانا لا غير
فيكون اسلم في العاجل وقد انفذت إليك ياسيدي طي رقعتي هذه الكتابين اللذين
كتبتهما عليك في ضيعتك بالابتياح والاجارة ابتغاء اتمام مودتك ولتعلم صدقي
فيما كنت توسطته ونصحي فيما علمتك به فان كان مات الرجل قد رجعت إليك
ضيعتك وان كان باطلا فانه لا يسألني عنهما وان ذكرهما يوما وسألني اجده اني
تساعتهما وقضيت حقك بذلك وأعدت نعمتك عليك فأخذت الكتابين ومزقتهما
في الحال ولبست من عند الخالة خفا وازارا بعد ان عرفت بها الصورة وخرجت مع
العجوز وجئت إلى داري فدخلتها من بعض أبوابها الخافية فلما كان الندى قوى
الخبر بقتل محكم ففتحت بابي وفرج الله عني الخنة فلما كان العشاء أتاني رسول
الخالة ومعه الجارية وقال ياسيدي سيدتي تقريكم السلام وتقول لك لم تدع جاريتك
عندنا وإذابها قد أرسلتها وحملت معها كلما كانت أخدمتني من فرش وآلة وأضافت
عليه أشياء كثيرة جليلة القدر وقالت انه جهاز الجارية وأحب ان تقبله فأخذت

الجميع ورددت الرسول شاكرا ومن الله على بالعود إلى أحسن حال * قال محمد
ابن عبدوس في كتاب الوزراء عن سليمان البرقي قال انصرفت عن بعض العمال
فألقيت عمر بن الفرج الرجعي يتقلد الديوان وكان في نفسه شيء على فأخفيت
شخصي وتسترت عن أصحابي فطلبني واركن العيون على فلم يصل إلي وأمر أن يعمل
لي مؤامرة تشتمل على ثلاثمائة ألف درهم وكان بيني وبين الحجاج بن سلمة مودة
فأتاني عشية من عشايا استتاري رقعة يأمرني بالمصير إليه فقدمت عليه فلما دارني
قال صر إلى عمر بن الرجعي فسلم عليه وعرفه اني قد بعثت بك إليه قال فقلت
يا سيدي أنظر فيما تقوله فانه يهدر دمي كيف امضي إليه هكذا قال أعلم انه قال لي
اليوم ان فلسطين قد انغلقت عليه وفسدت وقصر مالها مع جلالة ارتفاعها وقد
أكلها العمال وانه في طلب من يكفيه أمرها ويحفظ مالها وليس يعرف من يرضى
كفائه فقلت لو أردت الكفاءة وجدتهم هذا سليمان بن سهل وهو من الاكفاء
ولا يشك فيه فلم عطلته واخفته فقال وكيف لي به فقلت تؤمنه وتزيل ما عليه من
المطالبة وتقلده فلسطين فانه يكفيك أمرها ويوفر عليك مالها ويحمي إليك وأنا
أبعث به إليك فقال ابعث به فهو آمن فصر إليه فانه لا يتعرض لك إلا بما تحب
قال فبكرت إليه فاذا هو في ديوانه فلما دخلت صحن الدار رأيت العمال على اكتافهم
الحجارة والمقارع تأخذهم فهالني ما رأيت فلما وصلت إليه سلمت عليه وقلت
اني كنت خادم أبي الفضل أعنى أباه فرجا الرجعي واحد صنائعه فقال لولما أتيت
به من هذه الحرمة لكنت أحدهمؤلاء الذين تراهم ثم رفع مصلاه وأخرج الكتب
بولاية فلسطين وأمرني بكتمان أمري واعداد السير فأخذت الكتب واشخصت
إلى هناك فأرضيته وقضيت حق نفسي * عن الحكم بن عتبة ان حارثة بن بدر
الغداني كان يسعى في الأرض فسادا فهدر أمير المؤمنين على رضى الله عنه دمه
فهرب واستجار بأشراف الناس فلم يجروه أحد فقبل له عليك بسعيد بن قيس الهمداني
فلعله ان يجيرك فطلب سعيدا فلم يجده فجلس في طلبه حتى جاء فأخذ بلجام دابته
وقال أجرني أبارك الله فقال له مالك قال هدر أمير المؤمنين دمي قال وفيه قال
مسعيت في الأرض فسادا قال ومن أنت قال أنا حارثة بن بدر الغداني قال أقم وانصرف إلى على
رضى الله عنه فوجده قائما على المنبر يخطب فقال يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون

الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا قال ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم
وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض قال يا أمير المؤمنين الامن تاب قال إلا من
تاب قال فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً وقد أجرته قال أنت رجل من المسلمين
وقد أجرناه ثم قال رضي الله عنه وهو على المنبر أيها الناس اني كنت أهدرت دم
حارثة بن بدر فمن لقيه فلا يتعرض له فانصرف إليه سعيد فأعلمه وكساه وحمله
وأجازه فقال فيه شعرا

الله يحزى سعيد الخير نافله أعنى سعيد بن قيس قوم همداني
انقذني من شفا غبرا مظلمة لولا شفاعته البست اكفاني
قالت تميم بن مر لا تخاطبه وقد أبت ذلكم قيس بن غيلاني
اساغ في الحلق ريقا كنت أحرضه وأظهر الله سترى بعد كتمانى
اني تداركني عمر شائلة أبأوه حين ينمى خير قحطاني
* عن عطاء بن العاصم بن الحذثان قال كان أبو النمير الثقفي شبيب بن زنب بنت
يوسف بن الحكم وكان الحجاج أخوها يتهده ويقول لولا أن يقول قائل لقطعت
لسانه فهرب إلى اليمن ثم ركب بحر عدن فقال في هربه شعرا

أتنتى في الحجاج والبحر بيننا عقارب تسرى والعيون هواجع
فضقت بها ذرعا واجهشت خيفة ولم آمن الحجاج والأمر ناصع
وحل بي الخطب الذي جاءني به سميع فليست تستقر الأضالع
فبت دبير الأمر والرأى ليلتي وقد أخلقت خدى الدموع الهواطع
وما أمنت نفسي الذي خفت شره ولا طاب لي مما خشيت المضاجع
ففي الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف إذا شئت منأى لا أبالك واسع
فان نلتني حجاج فاشتف جاهدا فان الذي لا يحفظ الله ضائع
فطلبه الحجاج فلم يقدر عليه فطال على النميري الهروب واشتاق إلي وطنه فجاء
حتى وقف على رأس الحجاج فقال ايه يا نميري أنت القائل (فان نلتني حجاج
فاشتف جاهدا) فقال بل أنا الذي أقول

أخاف من الحجاج مالست خائفا من الأسد العرم باض لم ينهه دعر
أخاف يديه ان تمال مفاصلي بأبيض غضب ليس من دونه ستر

وأنا الذي أقول

فها أنا ذا طوفت شرقاً ومغرباً وأنت وقد دوخت كل مكانى
فلو كانت العنقاء منك تطيرنى خلعتك الا أن يصد ترانى

* عن مروان أبى حفصة قال كان المنصور قد طلب معن بن زائدة الشيبانى طلباً شديداً وجعل لمن يأت به مالا خديتى معن باليمن انه اضطر لشدة الطلب الى ان نام فى الشمس حتى لوحى وجهه وخفف عارضيه ولبس جبة صوف غليظة وركب جملاً من الجمل الثقالة وخرج عليه ليمضى الى البادية وكان قد أبلى فى حرب يزيد بن عمرو بن هبيرة بلاء حسناً فخاف فاغتاظ المنصور وجد فى طلبه قال معن فلما خرجت من باب حرب تبعنى عبد أسود متقلداً سيفاً حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطم الجمل فأناخه وقبض على فقلت مالك قال طلبه أمير المؤمنين قلت ومن أنا حتى يطلبنى أمير المؤمنين قل أنت معن بن زائدة فقلت يا هذا اتق الله وابن أنا من معن قل دع هذا عنك فانا والله أعرف بك منك فقلت فان كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معى بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاء به فخذ ولا تسفك دمي فقال هاته فاخرجته اليه فنظر اليه ساعة وقال صدقت فى قيمته ولست قابله حتى أسألك عن شىء فان صدقتنى اطلقتك فقلت قل فقال ان الناس يصفوك بالجود فأخبرنى هل وهبت قط مالك كله قلت لا قال فنصفه قلت لا قال فثلثه حتى بلغ إلى عشره فاستحييت وقلت اظن أنى فعلت هذا فقال ما أراك فعلته وأنا والله راجل ورزقى من أبى جعفر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته ألف دينار وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك وجودك المأثور بين الناس لتعلم أن فى الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحتقر بعد هذا كل شىء فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى بالجوهر فى حجرى وخرى خطام البعير وانصرف فقلت خذ ما وهبته اليك فاني عنه غنى فضحك وقال أردت ان تكذبنى فى مقالى هذا والله لا آخذ ولا آخذ للمعروف ثمناً أبداً ومضى فوالله لقد طلبته بعد ان أمنت وبذلت لمن جاءنى به ما شاء فما عرفت له خبراً وكان الأرض ابتلعه قال وكان سبب رضا المنصور عن معن انه لم يزل مستترا حتى يوم الهاشمية فلما وثب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه وثب معن وهو مثلهم فانتفضى سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسناً وذب القوم عنه

ثم جاء والمنصور راكب على بغلة لجامها بيد الربيع فقال له تنح فاني احق بلجامها في هذا الوقت فقال المنصور صدق فادفعه اليه فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال فقال له المنصور من أنت لله أبوك قال أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن ابن زائدة قال قد أمنك الله على نفسك ومالك ومثلك يصطنع ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وقربه ثم دعا به يوماً فقال اني اهلتك لا امر كيف تكون فيه قال كما يحب أمير المؤمنين فولاه البصرة وتوجه اليها فبسط فيهم العطاء حتى اسرف قال مروان وقدم معن عقيب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل قد بلغني عنك شيء لولا مكانك عندي ورأيي فيك لغضبت عليك قال وما رابك يا أمير المؤمنين فوالله ما تعرضت لسخط قال اعطاك لمروان بن أبي حفصة في قوله فيك

معن بن زائدة الذي زادت به شرفاً على شرف بنو شيبان
ان عد أيام الفعّال فأنما يوماه يوم ندى ويوم طعان
قال والله يا أمير المؤمنين ما اعطيته ما بلغك لهذا الشعر ولكن اعطيته ما اعطيته لقوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاه من وقع كل مهند وسان
قال فاستحيا المنصور وقال انما اعطيته لمثل هذا القول قال نعم يا أمير المؤمنين ولولا مخافة الشنعة لأمكنته من مفاتيح بيوت الأموال وابحثه اياها فقال المنصور لله درك من اعرابي ما اهون عليه ما يعز على الناس وأهل الحزم * عن قطن بن معاوية الكلابي قال كنت ممن سارع إلى ابراهيم بن عبد الله واجتهد معه فلما قتل اطلبني أبو جعفر فاستخفيت منه فطلب أموالى وذريتي ولحقت بالبادية وجاورت في بني نصر بن معاوية ثم في بني كلاب ثم في بني فزارة ثم في بني سليم ثم تنقلت في بوادي قيس اجاور فيهم حتى ضقت ذرعاً بالاستخفا فازمعت القدوم على أبي جعفر والاعتراف له وقدمت البصرة ونزلت بها ثم ارسلت إلى عمرو بن أبي العلاء وكان لي وداً فشاورته في الأمر الذي ازمعت فلم يقبل رأيي وقال والله ليقتلنك فلم التفت اليه وشخصت إلى بغداد فنزلت خاناً وليس بالمدينة أحد يركب خلا المهدي ثم

قلت للغلمان أنا ذاهب إلى أمير المؤمنين فامهلوا ثلاثا فان جئتمكم فيها وإلا فانصرفوا
ودخلت المدينة وجئت إلى دار الربيع والناس ينتظرونه فلم البث ان خرج وهو
يمشى وقام الناس اليه وقت معهم فسلمت عليه فرد علي السلام وقال من أنت قلت
قطن بن معاوية قال انظر ما تقول قلت أنا هو قال فاقبل علي من معه وقال احتفظوا
بهذا فلما حرس لحقني الندم وذكرت رأي أبي عمرو فتأسفت ودخل الربيع فلم
يطل حتى خرج خصي فأخذ بيدي وادخلني قصر الذهب ثم أتى بيتا حصينا فادخلني
واغلق علي وانطلق فاشتدت ندامتي وايقنت بالبلاء وخلوت بنفسي الوها فلما
كان الظهر اتاني الخصى بماء فتوضأت وصليت واتاني بطعام فاخبرته اني صائم فلما
كان المغرب اتاني بماء فتوضأت وصليت وارضخى علي الليل سدوله فانسيت الحياة
وسمعت أبواب المدينة تغلق فامتنع عني النوم فلما ذهب صدر من الليل اتاني الخصى
ففتح عني ومضى بي فادخلني صحن دار ثم اتاني من وراء ستور مسدولة واخذني
وادخلني محلا فاذا أبو جعفر وحده والربيع قائم علي حاله ناحية فأكب أبو جعفر
هنيهة مطرقا ثم رفع رأسه فقال هيه فقلت يا أمير المؤمنين أنا قطن بن معاوية فقال
والله جهدت عليك جهدي حتى من الله علي بك فقلت يا أمير المؤمنين لقد عصيت
امرك وواليت عدوك وخرجت علي ان اسلبك ملكك فان عفوت فانت أهل
لذلك وان طابت فباصغر ذنوبي تقتلني قال فسكت هنيهة ثم قال هيه فاعدت مقالتي
فسكت ثم قال ان أمير المؤمنين قد عفا عنك فقلت يا أمير المؤمنين اني امر من
ورائك فلا أصل بعدها اليك وضياعي ودوري مقبوضة فان رأى أمير المؤمنين
ان يردها علي قال فدعى بخادم معه الدواة ثم امره وهو يكتب باملأته إلى عبد الملك
ابن ثور النميري وهو يومئذ علي البصرة ان أمير المؤمنين قد رضى عن قطن بن
معاوية فاردد عليه ضياعه ودوره وجميع ما قبض له فاعلم ذلك وانفذه ان شاء الله
تعالى ثم ختم الكتاب ودفعه الي فخرجت من ساعتى لأدري اين اذهب فاذا
الحرس بالباب فجلست مع احدهم احده فلم البث ان خرج الربيع وقال اين الرجل
الذي خرج الساعة فقامت اليه فقال انطلق أيها الرجل فقد والله سلمت ثم صيبنى
إلي منزله فعشاني وفرش لي فلما أصبحنا ودعته وأتيت غلماني وارسلتهم يكترون
لي سميرة فوجدوا صديقا لي من الدقايق من أهل نيسان وقد اكترى سميرة لنفسه

فحملني معه فقدمت على عبدالأعلى بن أيوب بكتاب أبي جعفر فاقعدني عنده حتى
 رد ما اصطفي لي * حدثني عبد الله بن أحمد بن معروف بن أبي القاسم قال كنت بمصر
 وكان بها رجل يعرف بالناظري من أبناء حلب قد قبض سيف الدولة ضيعته وصادره
 فهرب منه إلى كافور الأخشيدي فاجرى عليه جراية سابعة في كل شهر كما كان
 يجرى على جميع من يقصده من الجرايات التي تسمى الراتب وكان له مالا عظيما
 قدره في السنة خمسون الف دينار لا رباب النعم واجناس الناس وليس فيها لاحد من
 الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين في الأعمال شيء قال فجرى يوما ذكر
 الناظري بحضرة كافور فقبل له انه فاسق بغاء وكثرت عليه الحكايات في ذلك فامر
 بقطع جرايته فرفع اليه قصته يشكوا فيها انقطاع راتبه ويسأل التوقيع باعادة صرفه
 فامر كافور فوقع على ظهرها قد صح عندنا انك رجل تصرف ما تجريه عليك فيما
 يكرهه الله من الفساد وما نرى أن نعينك على ذلك فالحق بمن شئت فلا خير لك
 عندنا بعدها قال فلما قرأها الناظري عمل محضرا فيه خطوط كثير ممن يعرف أنه
 مستور ولم يعهد فيه البغاء واحتج بالمحضر وجعله طي رقعة قال فيها ان الذي كان
 يدفع اليه لم يكن لأجل حفظه فرجه وهتكته وانما كان لأنه منقطع غريب هارب
 مفارق لنعمته وان الله عز وجل أقدر على قطع ارزاق من يرتكب المعاصي وما
 فعل ذلك بارزاقهم بل امهلهم وامرهم بالتوبة فان كان مانسب اليه صحيحا فهو تأب
 إلى الله عز وجل ويسأل رده إلى رسمه ورفع القصة إلى كافور قال صاحب الحديث
 ولم أدر إلى أي شيء انتهى امره إلا أنه صار مفضوحا بين الناس وتحدثوا بحديثه
 واتفق خروجي من مصر عقيب ذلك إلى حضرة سيف الدولة فلقيته بحلب وحدثته
 باحاديث المصريين وكان يتشوق إلي مماعها صغرت أو كبرت ثم سقت له حديث
 الناظري فضحك منه ضحكا شديدا وقال هل هذا المشؤم بلغ إلى مصر فقال لي محمد بن
 اسمر النديم اعلم ان هذا الرجل كان صديقي جدا وقد هلك وافتقر وفارق نعمته
 فاحب أن تخاطب الأمير في امره عقيب ما جرى آنفا لا عونك فلعل الله عز وجل
 ان يفرج عنه فقلت افعل ولما اخذ سيف الدولة يسألني عن الأمر فاعدت شرحه
 عليه وطاد فضحك فقلت اطل الله بقاء مولانا الأمير سررت بهذا الحديث ويجب
 أن يكون له ثمرة اما لي واما للرجل الذي قد صيرته فضيحة بحلب زيادة على فضيحتة

بمصر قال اما لك فنعيم واما له فلا يستحق فانه فعل وصنع واخذ يطلق القول فيه
فقلت اما لي فلست اريده لأن فوائدي من مولانا متصلة ولست احتاج مع انعامه
على وترادف احسانه الى السبب إلى الفوائد ولكن اري ان تجعلها لهذا المفتضح
المشؤم فقال تنفذ اليه سفتجة بثلاثة آلاف درهم فشكرته الجماعة وخاطبته في أن
يأذن له في العود إلى حضرته ويؤمنه ويكتب له امانا مؤكدا قال فغمزني الاسمر في
الاستزادة فقلت اطال الله بقاء مولانا الامير ان الثلاثة آلاف درهم لو انفذت إلى
مصر ما كفته فيمن يحمله معه على نفقته لأن أكثر أهل مصر بغاؤون وضايقوه
في الناكه وغلّبوه باليسار لأنه لا يصل هو إلى شيء إلا بالغرم الثقيل وبلغني وأنا
بمصر ان رجلا من البغائين اشتد به حاله فطلب من يأتية فلم يقدر فخرج إلى الموضع
الفلاني قرية قريبة من مصر فاقام بها فكان إذا اجتاز بها المجتازون استدعى منهم
من يصلح لهذا الحال فحمله على نفسه وكان يعيش بالمجتاز ويتمكن من ارضاء بما
لا يتمكن منه بمصر فعاش بذلك برهة حتى جاءه يوما بغاء آخر وسكن معه فكان
إذا جاء الغلام الذي يصلح لهذا الحال سأل عنه ففسد على الأول امره فجاء الثاني
وقال له يا هذا افسدت على امرى وابطلت عملي وأنا هربت من مصر لأجل المنافسة
فليس لك أن تقيم معي ههنا فقال له الثاني سواء العاكف فيه والباد ولا ابرح
ههنا فقال الأول بيني وبينك شيخنا ابن العجمي الكاتب رئيس البغائين بمصر
وجذبه معه إلى مصر واحتكما اليه فحكم بن العجمي للاول ومنع الثاني من المقام
في الناحية فكيف يمكن للناظرى ايد الله مولانا أن يكتفى بثلاثة آلاف درهم وقد
امرت له بها في بلد هذا قدر الناكه فيه وكثرة البغائين لو كان مقيما فكيف وقد
انعمت عليه بالأذن في المسير ويحتاج إلى بغال يركبها في الطريق باجرة ونفقة وديون
عليه يتضيقها فضحك ضحكا شديدا من حكاية البغائين وحكم ابن العجمي بينهما
وقال اجعلوها خمسة آلاف درهم فقلت له أنا والاسمر فترد إلى الرجل اطال الله
بقاء مولانا ضيعته فقال لقد اطلتم على في أمر هذا الصانع الفاعل فاطلقوا له عن
ضيعة بأسرها ووقعوا بذلك إلى الديوان وعن مستغله واخلاوا له عن داره وان
تفرش له احسن من الفرش الذي ذهب له لماسيخه عليه قال فاكبت الجماعة تقبل
يديه ورجليه وقلت اطال الله بقاء مولانا الأمير ماسمع بهذا الكرم قط مع سوء

رايك في الرجل وسوء حديثه فما على الأرض بغاء ابرك على صاحبه من هذا قال
فضحك ونفذت الكتب والتوقيعات بما رسمه فلما كان بعد مدة وانا بحلب عاد
الرجل إلي بلده ونعمته * عن أبي عمرو بن العلاء قال خرجت هاربا من الحجاج إلى
مكة فبينما أنا اطوف بالبيت اذا اعرابي ينشد

ربما تجزع النفوس من الالم ر لها فرجة كحل العقال
فقلت مه قال مات الحجاج قال فلا ادري بأى القولين كنت افرح بقوله فرجة
بفتح الفاء أو بموت الحجاج ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب وفيه ان أبا عمرو
سمع الاعرابي ينشد

يا قليل العزاء في الأهوال وكثير الهموم والأوجال
صبر النفس عند كل مهم ان في الصبر حيلة المحتال
ربما تجزع النفوس من الالم ر لها فرجة كحل العقال
قيل والفرجة من الفرج والفرجة فرجة الحائط * وعن أبي عمرو قال كنت
مستخفيا من الحجاج وذلك ان عمى كان عاملا له فهرب فهم بأخذى به فبينما
انا على حالي اذ سمعت منشد ينشد ربما تكرر النفوس من الأمر البيت وذكر
الحديث وزاد فيه ان أبا عمرو يقرأ الا من اغترف غرفة بيده وفرجة بالفتح شاهد
له في هذه القراءة وذكر أبو الحسين المدايني في كتابه ان القمير الثعلبي قال في
الوليد بن عبد الملك

اتلنى يا وليد بلاء قومي بمسكن والزيريون صيد
اتنسانا إذا استغنيت عنا وتذكرنا اذا صل الحديد
فطلبه الوليد فهرب منه حيناً فلما ضاقت به البلاد واشتد به الخوف انصرف
إلى دمشق حتى حضر عشاء الوليد فدخل مع الناس فلما أكلت الجماعات بعض
الأكل عرف رجل النميري فاخبر الوليد به فدعا به وقال له يا عدو الله الذى امكننى
منك بلا عقد ولا ذمة انشدنى ما قلت فبكى ثم انشده فقال ما ظنك بى قال قلت
ان امهلت حتى اطأ بساطه وآكل طعامه فقد امنت وان عوجلت قبل ذلك فقد
هلكك وقد امهلت حتى وطأت بساطك يا امير المؤمنين واكلت طعامك فقد
امنت اذا فقال له الوليد قد امنت فانصرف راشدا فلما ولى تمثل الوليد بقول

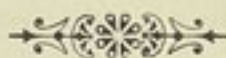
من قال .

شمس العداوة حتى يستفاد لهم واعظم الناس احلاما اذا قدروا
 * عن الفضل بن العباس من ولد نافع مولي العباس بن عبد المطلب عن أبيه
 قال ما أتيت زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي فأنصرفت من عندها إلا يبروان
 قل وكان لها وصيفة يقال لها كتات فعلقتها وقلت لابي يا أباي أنا والله مشغول القلب
 بكتاب جارية زينب فقال يا بني اطلبها من عندها فانها لا تمنعها عنك فقلت كنت
 احب ان تكون حاضرا لتعينني عليها فقال ليس لك الى ولا الى غيري احتياج
 فغدوت اليها فلما انتقضى السلام قلت لها جعلني الله فداك اني فكرت في حاجة
 سألت ابي ان يحضر كلامي اياك فيها لاستعين به فاسكتني فقالت يا بني ان حاجة
 لا تقضى حتى يحضر أبوك لحاجة عظيمة القدر فما هي قلت كتات وصيفتك احب
 ان تهيبها لي فقالت انت صبي احمق اقعد احدثك حديثا احسن من كل كتات على
 ظهر الأرض وانت من كتات على وعد فقلت هاتني جعلني الله فداك قالت كنت
 أول امس عند الخيزران ومجلسي ومجلسها اذا اجتمعنا في صدر المكان وفوقنا
 سبتية لأمير المؤمنين المهدي وهو كثير الدخول اليها فاذا جلس في ذلك الموضع
 رفع عنه وإذا انصرف طرحت عليه السبتية إلي وقت حضوره فانا لجلوس إذ دخلت
 علينا حاجبة وقالت يا ستي بالباب امرأة مارأيت أحسن منها ولا اسوأ حالا عليها
 قميص ماتستر ببعضه موضعاً من بدننها إلا انكشف مريضع آخر استأذن عليك
 فالتفتت اليّ وقالت ماترين فقلت تسألين عن حالها واسمها ثم تأذنين لها على علم
 فقالت الجارية قد والله جهدت بها كل الجهد ان تفعل فما فعلت وارايت الانصراف
 فمنعتها فقلت للخيزران وما عليك ان تأذني لها فانك منها بين مكرمة أو ثواب
 فاذنت لها فدخلت امرأة اكثر مما وصفت الجارية في الجمال وسوء الحال فجعلت
 تمشي وهي مستحدثة حتى صارت إلى عمارة الباب فجعلت مايليني وكنت متسكئة
 فقالت السلام عليكم فرددنا عليها السلام ثم قالت للخيزران أنا مزنة امرأة مروان
 ابن عبد فلما وقع كلامها في سمعي قلت لحياتك الله ولا قربك الحمد لله الذي ازال
 نعمتك وعزك وصيرك نكالا وعبرة تذكركين يا عدو الله خير اناك أهل بيتي يسألونك
 ان تكلمني صاحبك في انزال ابراهيم بن محمد من خشبته فتلقينيتهن ذلك اللقاء

واخرجتني ذلك الاخراج الحمد لله الذي ازال نعمتك قالت زينب فضحكت المرأة والله يا بني حتى كادت تقهقه وبدأ لها ثغر مارايت أحسن منه ثم قالت أي بنت عم أي شيء اعجبك من صنع الله عز وجل بي على العقوق حتى اردت أن تتأسي بي السلام عليكم ثم ولت خارجة وهي تمشي بخلاف الأول فقلت للخيزران انها مخبئة من الله عز وجل وهدية منه الينا والله يا خيزران لا يكون اخراجها مما هي فيه الا بي ثم نهضت على اثرها حتى وافيتها عند الستر ولحقتني الخيزران فتعلقت بها وقلت يا اخية المعدرة الى الله عز وجل واليك فاني ذكرت بوجودك مانالنا من المصيبة بصاحبنا فكان مني ماوددت اني منعت منه وقطعت عنه ولم املك نفسي واردت معانقتها فوضعت يدها في صدري وقالت لا تفعل يا اخية فاني على حال أصونك من الدنو منها فرددتها وقلت للجواري ادخلن معها الحمام وقلت للمواشط اذهبن معها حتى تصلحن حفافها وما تحتاج الى اصلاحه من وجهها ففضت ومضين معها ودعونا بكرسيين فجلست أنا والخيزران عليهما ننتظر خروجهما في صحن الدار فخرجت احدى المواشط وهي تضحك فقلت لها ما يضحكك قالت يا ستي انا لرى من هذه الغريبة عجباً فقلت وما هو قالت نحن معها في انتهار وزجر وخصومه ماتفعلين أنت ولا ستنا مثله اذا خدمنا كما قالت فقلت للخيزران حتى تعلمي والله يا اختي انها حرة رئيسة والحر لا يحتشم من الاحرار ثم خرجت الينا جارية ثانية فاعلمتنا انها قد خرجت من الحمام فوجهت اليها الخيزران بصنوف الخلع فتحيرت منه ما لبسته وبعثنا اليها بطيب كثير فتطيبت ثم خرجت الينا فقمنا جميعاً فعانقناها فقالت اما الآن فنعم ثم جئنا الى الموضع الذي كنا جلوساً فيه وامرنا بكشف السبئية عن الموضع الذي كان يجلس فيه أمير المؤمنين واقعدناها فيه ثم قالت الخيزران غداؤنا قد تأخر فهل لك في الطعام فقالت والله ما فيكن احوج اليه مني فدعونا بالطعام فجعلت تأكل وتضع بين ايدينا كأنها في منزلها فلما فرغنا قالت لها الخيزران من لك ممن تعتنين به قالت مالي وراء هذا الحائط أحد من خلق الله تعالى فقالت لها الخيزران فهل لك في المقام عندنا على ان نخلي لك مقصورة ونحول إليها جميع ما تحتاجينه ويستمتع بعضنا ببعض فقالت وردت وأنا على أقل حال وإذ قد تفضل الله عز وجل

على بكما وبهذه النعمة فلا أقل من الشكر للمبتدى بكل نعمة ولكما فافعل
ما أحببت وبدالك فقامت الخيزران وقت معها وأقناها معنا وجعلنا نطوف في
المقاصير فاخترت والله أوسعها وأحسنها فملا ثيابها الخيزران بالجوارى والوصائف
والخدم والفرش والكسوة والآلات ثم قالت لها ننصرف عنك وعليك بمنزلك
حتى تصلحينه نخلقناها في المقصورة وانصرفنا إلى موضعنا فقالت لى الخيزران ان
هذه امرأة تعيسة قد عضها الفقر وليس يملأ عينها إلا المال ثم بعثت إليها بخمسة
آلاف دينار ومائتي ألف درهم وأرسلت إليها يكون هذا في خزانتك تحت تصرفك
ووظيفتك ووظيفة حشمك قيام في كل يوم مع وظيفتنا ثم لم نلبث ان دخل
علينا المهدي فقلت والله ياسيدي عندي خبر ظريف فقال ماهو فحدثته به فلما
قلت له ما كان منى من الثوب عليها واسماها اقشعر واصفر ثم قال يازينب هذا
مقدار شكرك لربك عز وجل وقد أمكنك من عدوك وأظفرك به على هذه الحالة
التي تصفينها والله لولا مكانك منى لحلفت أن لا أكلمك أبدا أين المرأة قالت فوفيته
خبرها فقال لخدام بين يديه ادفع إليها عشرة آلاف دينار ومائتي ألف درهم
وأبلغها سلامي وقل لها لولا خو في ان احتشمها لصرت اليها مسلما ومخبرا اياها
بسروري بها وقل لها انى أخوك وجميع ما نفذ فيه أمرى فأمرى أنفذ فيه ثم
قالت زينب فاذا بها قد وردت علينا مع الخادم وعلى رأسها دواج ملحم حتى قعدت
ولقيها المهدي أحسن لقاء واقامت عنده ساعة محدثة ثم انصرفت إلى مقصورتها
فهذا الحديث يابنى خير من كتات قال فامسكت فقالت لى قد اغتممت فقلت
ما اغتم ابقاك الله قالت الليلة توافيك كتات فلما كان الليل وجهت بها إلى ومعه
مايساوى ثمنها من كل صنف من الرقيق والكسا والآلة وفي رواية أخرى ان الذى
حملته الخيزران خمسمائة ألف درهم وان المهدي حمل إليها ألف ألف درهم * عن
أبي عبد الله الحسين بن محمد النافطائى قال كنا نتعلم ونحن احداث في ديوان إسحق
ابن إبراهيم الطاهري وكنت ملازما لمجلس فتى من الكتاب له خلق جميل يعرف
بابى غالب فزور جماعة من الكتاب تزويرا بمال أخذوه ووقف إسحق على الخبر
فطلبهم فظفر ببعضهم فقطع أيديهم وهرب الباقيون وكان فيمن هرب الفتى الذى
كنت الزم مجلسه فغاب سنين كثيرة حتى مات إسحق فبينما أنا ذات يوم في بعض

شوارع بغداد إذا أنا به فقلت أبو غالب قال نعم فاذا تحته دابة فاره وسرج محلي
وعليه ثياب حسنة فقلت عرفني حالك قال إلى المنزل فسرت معه
فاحتبسني ذلك اليوم عنده فرأيت فيه مروءة حسنة فسألته عن حاله فقال لما
طلبنا إسحق استترت فلما بلغني ماعامل به من كان معي في الخيانة ضاقت علي
بغداد فخرجت على وجهي خوفاً من العقوبة حتي وافيت ديار مصر مستخفياً
وطلبت التصرف فتعذر علي وتفرق من كان معي ولم يصبر إلا غلام واحد فرقت
حالي جدا حتي بعث ما في البيت عن آخره على قلة فأصبحت يوماً فقال لي غلامي
أي شيء تعمل اليوم فما معنا حبة فقلت خذ مبطنتي فبعها واشتر لنا ما نحتاج
إليه فخرج الغلام وبقيت في الدار وحدي أفكر فيما وقعت فيه من الغربة والشدة
والوحدة والعطلة وتعذر المعيشة والتصرف ومن اقترض منه فكاد عقلي أن يزول
فبينما أنا كذلك وقد استلقيت على قفاي إذا بمجرذ قد خرج من كوة البيت وفي
فيه دينار فوضعه ثم عاد فخرج دينارا آخر وما زال كذلك حتى أخرج ثمانين
دينارا فصفها وجعل يتمرغ ويلعب وأنا أنظر إليه وأظهر التناوم وقد قويت
نفسي ولست أتحرك لئلا يستوحش الجرذ ولا يحضر غيرها فما زال يلعب حتى
أخذ واحدا ودخل الكوة فقممت وأخذت الدنانير وشدتها وجاء الغلام ومعه
ما قد ابتاعه فتغذينا وقلت له اشتر لنا فاساً فقال ماذا نصنع به فحدثته الحديث
وأريته الدنانير وقلت عزمتم على أن اقلع الكوة فلعل فيها شيء آخر فمضى
وجاء به فحفرنا الكوة فافضى بنا الحفر إلى بركة فيها سبعة آلاف دينار فأخذناها
وأصلحنا الموضع على ما كان وخرجت فأخذت بالمال سفائح بعد أن تركت بعضه
وأنفذت الغلام بالسفائح إلى بغداد وانتظرت حتى ورد كتابه بصحة تلك السفائح
وتحصي له المال في بيتي وإن إسحق قد مات فأنحدرت إلي بغداد وابتعت بالمال ضيعة
فأثمرت ونمت فلزمتها وترك التصرف



الباب الثالث عشر

من نالته شدة في هواه * فكشفها الله تعالى وملكه من هواه *
 عن عاصم بن عدي قال كان لعمر بن دويرة السمعي أخ قد كاف بابنة عم له
 كلفاً شديداً وكان أبوه يذكره ذلك ويأباه فشكاه إلى خالد بن عبد الله القشيري وهو
 أمير العراق أنه يسئ جواره فخبسه أياماً ثم تركه فلما زاد ما في نفس الفتى وحمل عليه
 الحب تسور الجدار إلى ابنة عمه فلما حصل معها أحس به أبوها فقبض عليه وأتى
 خالداً وادعى عليه بالسرقه وأتاه بجماعة يشهدون أنهم وجدوه في منزله ليلاً وقد
 دخل دخول اللص فسأل خالد الفتى فاعترفت أنه دخل ليسرق وما سرق شيئاً ليدفع
 بذلك الفضيحة عن ابنة عمه فأراد خالد أن يقاصيه فدفع عمرو أخوه إلى خالد رقعة
 فيها هذا الشعر

أخالد قد أوطيت والله عشوة وما العاشق المظلوم فينا بسارق
 أقر بما لم يحسنه المرء أنه رأى الموت خيراً من فضيحة عاشق
 ولولا الذي قد خفت من قطع كفه لا لفيت في أمر لهم غير ناطق
 إذا مدت الغايات في السبق للعلی فأنت ابن عبد الله أول سابق
 فأرسل خالد مولى له من الخبر ليتجسس على جليلة الأمر فأتاه بتصحيح ما قاله
 عمرو في شعره فأحضر بالجارية وأخذ بتزويجها من الفتى فامتنع أبوها وقال ليس
 هو بكفو لها قال بلى أنه لكفو لها إذا كف يده عنها ولئن لم تزوجه لازوجته
 وانت كاره فزوجه العم وساق خالد المهر إلى العم من ماله وكان يسمى العاشق
 إلى أن مات * عن أبي العلا صاعد بن ثابت النصراني الذي كان خليفة الوزراء
 عن أبي الحسين بن ميمون الافطس الذي كان وزيراً للممتق قال لما دخل أبو عبد الله
 اليزيدي بغداد متقلداً للوزارة المرة الثانية للممتق قبض عليه وأحضره للبصرة
 فلما وردها اليزيدي منهزماً أحسن إليه وأطلقه وأمرني بانزاله بالقرب مني
 وائتناسه بملازمتي وافتقاده بالدعوات ففعلت فكنا متلازمين لانفترق ووجدته
 أحلى الناس حديثاً وأحسنهم أدباً وأتمهم عقلاً ولم أرقط أشد تغزلاً ولا تهالكاً

في العشق منه فحدثني يوما قال عشقت مغنية في القيان عشقا مبرحا شديدا
 فراسلت مولاتها في بيعها مني فطلبت فيها ثلاثة آلاف دينار وكنت أعرف من
 نفسي الملل فخشيت ان اشتريتها ان املها فدافعت بذلك ومضت أيام فأنصرفت
 من عندي يوما وقد كان المقتدر بالله أمر أن يشتري له مغنيات وأنا لا أعلم
 فكانت الجارية حسنة الوجه والغنا فحملت إلى المقتدر في جملة جوار فأمر بشراهن
 كلهن فاشتريت في جملتهن وأنفذت من غد أستدعيها من مولاتها فأخبرت بالخبر
 فقامت على القيامة ودخل على قلبي من الاحزان أمر ما دخل مثله على قط من نكبة
 فضلا عن عشق وزاد الأمر على حتى انتهى بي الى حد الوسواس وامتنعت عن
 النظر في أمر داري وتشاغل بالبكاء ولم يكن لي سبيل إلى العزاء وكنت أكتب
 حينئذ لام المتقي وله وكان حدثا فتأخرت عنهما أياما واخلفت بأمرها وأنا متوفر
 تلك الأيام على الطواف في الصحارى ولا آكل ولا أشرب ولا أتشغل بأكثر من
 الهيمان وأنكر المتقي وأمه أمرى لتأخرى فاستدعاني وخطبني في شيء من أمري
 فوجدني لا أعنى ما يقوله فسألني عن سبب اختلاطى فصدقته وبكيت بين يديه
 وسألته أن يسأل اياه ببيع الجارية على أوهبتها فقال ما أجسر على هذا قال فزاد على
 الأمر وبطلت وبلغ أم المتقي الخبر ورأسلتها بما سألت به ابنها فرقت لي وحملت
 نفسها ان خاطبت أم المقتدر في أمري فقالت لها السيدة ما العجب من الرجل فان
 الذي في قلبه من العشق أعماه عن وجه الرأي انما العجب منك كيف وقع لك
 انه يجوز ان تقول للخليفة انزل عن جاريته لرجل يعشقها فراسلتني أم المتقي بما
 جرى فزاد ما بي من القلق وكنت لألقى أحدا من رؤساء البلد كالوزير ونصر
 القسورى وحاشية الخليفة الا واقصدهم وأبكي بين أيديهم وأحدثهم حديثي
 واسألهم مسألة الخليفة تسليم الجارية إلى ببيع أوهبة فمنهم من ينكر على ومنهم
 من يوبخني ومنهم من يرثي لي فيعذرنى ومنهم من يقول ان علم الخليفة هذا منك
 وانك تتعرض لخدمه فان فيه تلف نفسك ومنهم من يطنز بي وأنا ملازم لهم
 ولأبوابهم وقد تركت خدمة صاحبي وبطل أمر داري وضيعت فطال هذا على المتقي وأمه
 واضاقا من أجل اخلاي بالنظر في أمورهما فطلبنا كاتباً يصرفانني به وبلغ الخبر
 إلى وقد كنت آيست من الجارية فعزلت نفسي وقلت ليس بعد الصرف الا الفقر

والنكبة وذهاب الخير ولو كنت اشتريتها لكنت الآن قد ملكتها فلم أفقر نفسي
واقطع تصرفي واقبلت أعظم نفسي وأسليها ليلتها كلها الي ان طاوعتني على الصبر
فبكرت الي دار المتقي وبدأت بالنظر في أموره ورأوا مني خلاف ماتقدم فسروا
بذلك وقالوا أنت أحب الناس إلينا من غيرك ومن الغريب الذي نسمأ نفه فضمنت لهما
الملازمة وتمشية الأمور وأتت على ذلك معهم مدة ثم اشتقت إلى الشرب وكنت
قد هجرته منذ فقدت الجارية إلى ذلك اليوم فقلت للغلام امض فاصالح لنا مجلسا
للشرب وعد أصحابنا أغني أصدقاء لي كانوا يعاشرونني للروح إلى ولا تدع غناء فلما
قضيت شغلي عدت إلى داري واجتمع أصدقائي وصوبوا رأبي وجلسنا نشرب ونتحدث
ونلعب بالشطرنج فقالوا لودعوت غناء فقلت أخاف ان اتذكر به أمرى فجلسوا عندي
إلى ان صليت العشاء الآخرة وانصرفوا وجلست وحدي اشرب القدح بعد
القدح فلما مضت قطعة من الليل إذا بابي يدق دقا غنيفا فقال بوابي من هذا
فقال خادم من دار أمير المؤمنين فقامت قيامتي ولم أشك ان خبري قد اتصل به
فانكره وقال مثل هذا لا يصلح أن يكون كاتباً لامرأة ولا مدبرا لغلام حدث
وأنه قد أنفذ للقبض عليّ ويريد نكبتى فقمتم أمشى في صحن الدار لاخرج من
باب آخر كان لي فاستتر فاذا الخدم قد دخلوا ومعهم بغلة عليها عمارية وشموع
وإذا قد نزل من العمارية جاريان احدهما معشوقتي فبهت وقال أحد الخدم وهو
كالرئيس لهم مولانا يقرؤك السلام ويقول عرفت خبرك مع هذه الجارية فرحمتك
وقد وهبتها لك مع جميع مالها وتركها الخدام وعدة بغال عليها ائقال من صنوف
التياب والفرش والآلات والقماش وعدة جوار وانصرف الرسول فاخذت بيد
عشيقتي وأدخلتها المجلس فلما رآته والشرب قالت سلوت عني وشربت بعدى
خلفت لها ما شربت نبيذا مذ فارقتها إلا في هذا اليوم بلا غناء وحادثتها حديثي
بطوله وقلت لها ما سبب ماجرى فقالت اعلم أن الخليفة لم يرني مذيوم عرضني وأمر
بشرائي الا الليلة وكان قد اتصل مزاح السيدة معى بك وذلك أنها استدعتني
منذ مدة ثم سألتني عن خبرى معك وحدثتني مادار بينك وبين أم المتقي فصدقتها
وبكيت أيضا فقالت كأنك تحبينه فسكت وتغامز الجوارى على وصار شعار
السيدة المزاح معى فيك فلما كانت هذه الليلة قعد الخليفة يشرب مع السيدة

والجوارى فاستدعيت وغنيت للخليفة فقال إن كنت تحسنين الصوت الفلاني تغنيه وكان صوتك على فغنيته وتمثلت لي صورتك وذكرت سرى معك فلم أملك دموعي حين جرت فقال المقتدر ما هذا فتحيرت وجزعت ونظرت إلى السيدة فضحك الجوارى فقال المقتدر للسيدة ما القصة فدافعتة فقال بحياتي خدثته الحديث فلما استوفاه قال يا جارية الأمر هكذا إنما بكيت ابن ميمون فسكت فقال إن صدقت وهبتك له فقلت نعم فأقبل على أمه وقال ما هو بكثير ان وهبتها لخادم لنا فقالت والله أردت أن أسألك هذا ولكن رأيت أنك ان تفضلت به ابتداء كان أحسن فقال لبعض الخدم القيام خذ هذه وجميع ما في حجرتها فاحمله إلى دار ابن ميمون كاتب ابني ابراهيم واقراه السلام وعرفه إني وهبتها له فلما نقلت تصايح الجوارى قد جاء فرجك وبلغت منك فقمت في حجرتي وحملت إليك وما تراه معي فخدمت الله عز وجل وجلست معها وما شلت ما في المجلس حتى شربت معها فيه وغنت لي وبت بآتم ليلة وبكرت نشيطا إلى دار أم التقي لادعوا لها وأقامت الجارية عندي إلى أن ماتت * حدثني عبدالله بن محمد الصروي قال حدثني أبي قال كان ببغداد من أولاد النعم فتى ورث من أبيه مالا عظيما وكان يعشق قينة فأنفق عليها شيئا ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها فلم يزل ينفق ماله عليها إلى أن أفلس فقالت الجارية يا هذا قد بقينا كما ترى فلو طلبت معاشا كان الأمر أسهل قال وكان الفتى لشدة حبه للجارية واحضاره الاستارات لها ليزيدها في صنعتها قد تعلم الغناء والضرب والحدق فيهما فشاو ببعض معارفه فقال ما أعرف لك أصلاح من أن تغني الناس وتحمل جارياتك اليهم وتأخذ على هذا الكثير من الأموال ويطيب عيشك فانف من ذلك وعاد اليها فاخبرها بما أشير عليه وأعلمها أن الموت أسهل عنده من ذلك فصبرت معه مدة على الشدة ثم قالت له قد رأيت لك رأيا قال قولي قالت تبديعني فانه يحصل لك من ثمنى ما أردت أن تتجربه أو تقتنى ضيعة وتعيش عيشة صالحة وتتخلص من هذه الشدة وأحصل أنا في نعمة لأن مثلي لا يشتريها إلا ذو نعمة فحملها إلى سوق النخاسين فأول من اعترضها فتى هاشمي من أهل البصرة قد ورد ببغداد للعب والتمتع فاشتراها بألف وخمسمائة دينار عينا قال الرجل حين لفظت بالبيع وأعطيت المال ندمت واندفعت في بكاء عظيم وحملت

الجارية في أقبح من صورتي وجهت في الاقالة فلم يكن الى ذلك سبيل وأخذت
الدنانير في الكيس لأدري إلى أين أذهب لأن بيتي موحش منها وورد على من
اللطيم والبكاء ما قد أهوسني فدخلت مسجدا وجلست ابكي فحملتني عيني وتركت
الكيس تحت رأسي كاللحمة ونمت فما شعرت الا بالانسان قد جذبني من تحت رأسي
فانتبهت فزعاً فاذا شاب قد أخذ الكيس وهو يعدوا فقمت لأعدوا وراه فاذا
رجلي مشدودة بحبل قنب في وتد مضروب في أرض المسجد فما امكنني أن اتخلص
من ذلك حتي غاب الرجل عن عيني فبكيت ولطمت ونالني أمر عظيم أشد من
الاول وقلت فارقت من أحب لاستغني بضمنه عن الصدقة وقد صرت الآن
فقيرا مفارقاً فجئت إلى دجلة ونفقت رأسي ووجهي برداء كان على ولم أكن أحسن
السباحة فرميت بنفسي إلى الماء فظن الحاضرون ان ذلك لغلط وقع على فطرح
قوم نفوسهم خلفي فاخرجوني وسألوني عن أمري فاخبرتهم فبعضهم رحمني والبعض
استجهلني الى ان خلا بي شيخ فاخذ يعظني ويقول يا هذا ذهب مالك فكان ماذا حتى
تتلف نفسك أو ماعامت أن فاعل هذا في نار جهنم ولست أول من افتقر بعد غني
واستغني بعد فقر فلا تفعل وثق بالله عز وجل اين منزلك قم معي اليه فما فارقتني
حتى حملني إلى منزلي فأدخلني إليه وما زال يؤانسني فيه ويعظني إلى أن رأى مني
السلوان فأنصرف فكادت أقتل نفسي لوحشة منزلي على ثم ذكرت النار فخرجت
ولحقت به فبكي لي رقة وأعطاني خمسين درهماً وقال خذ هذه واخرج الساعة
من بغداد واجعلها نفقة لك إلى حيث وجدت قلبك يساعدك على قصده وأنت
من أولاد الكتاب وخطك صالح وأدبك جيد فأقصد بعض العمال واطرح نفسك
عليه فأقل ما في الأمر أن تصير محرراً بين يديه وتعيش معه ولعل الله أن يخلف
عليك فقبلت نصيحته وعملت على ذلك وجئت إلى الكتبيين وقد قوى في نفسي
ان أقصد واسطاً وكان لي بها أقارب فأجعلهم ذريعة إلى التصرف مع عاملها خين
جئت إلى الكتبيين إذا بزال مقدم وجراية كثيرة وقماش فاخر كثير ينقل إلى
الزال فسألت من يحملني إلى واسط فقال أحد ملاحي الزلال نحن نملك
الى واسط بدرهمين ولكن هذا الزلال لرجل هاشمي من أهل البصرة
ولا يمكننا حملك معه على هذه الصورة ولكن تلبس ثياب الملاحين وتجلس معنا

كأنك واحد منا فحين رأيت الزلال وسمعت أنه لرجل هاشمي من أهل
البصرة طمعت أن يكون هو مشترى جاريتي فانفرج لسماعها لحد واسط
فدفعت الدرهمين إلى الملاح وعدت فاشتريت جبة من جباب الملاحين وبعثت تلك
التياب التي على واضفت ثمنها إلى مامعي من النفقة واشترت خبزاً وادما وجلست
في الزلال فما كان الا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان تخدمانها فسهل
على ما كان بي وما أنا فيه وقلت أراها وأسمع من غناءها من ههنا لحد البصرة
واعتقدت أن جعلت البصرة مقصدي وطمعت في أن أداخل مولاها وأصير أحد
ندمائهم وقلت لا تخليني هي من المودة فاني واثق بها ولم يكن بأسرع من أن جاء
الفتى الذي اشتراها راكباً ومعه عدة من الغلمان ركباً وركبوا في الزلال
وانحدر بهم فلما وصلوا الي كلوا اذ أخرج الطعام فأكل وأكل الباقيون على سطح
الزلال واطعموا الملاحين ثم أقبل على الجارية فقال إلى كم هذه المدافعة عن الغناء
ولزوم الحزن والبكاء ما أنت أول من فارق مولاي كان له فعلت ما عندها من أمرى
ثم ضرب ستارة في جانب الزلال واستدعى الذين في سطحه وجلس معهم خارج
الستارة فسألت عنهم فاذا هم أخوته وبنو عمه فخرجوا الصواني ففرقها عليهم
فيها النبيذ وما زالوا يرفقون بالجارية الي أن استمدت بالعود فاصلحتهم واندفعت
تغني من الثقيل الأول باطلاق الوتر الذي في مجرى الوسطى

بان الخليط بمن عرفت فادجوا عمدا لقتلك ثم لم يتخرجوا
وغدت كأن على ترائب نحرها جمر الغضا في ساعة يتأجج
ثم غلبها البكاء فقطعت الغناء وتنغص على القوم سرورهم ووقعت أنا مغشياً على فظن
الملاحون اني قد صرعت فأذن بعضهم في أذني فافقت بعد ساعة وما زالوا
يدارونها ويرفقون بها ويسألونها الغناء إلى أن أصلحت العود واندفعت تغني في
الثقيل الثاني

فوقفت أسئل بالذين تحملوا وكأن قلبي بالشفار يقطع
فدخلت دارهم أسائل عنهم والدار خالية المنازل باقع
ثم شهقت فكادت تلتف وارتفع لها بكاء عظيم وضعقت أنا فتبرم بي الملاحون

وقالوا كيف حملنا هذا المجنون وقال بعضهم إذا بلغت بعض هذه القرى فاخرجوه
 وأريحونا منه فجاءني أمر عظيم من كل ما أصابني وجاءني في نفسي التضرع والحيلة
 في أن أعلم الجارية بمكاني بالزلال لتمنع من اخراجي فأفقت وبلغنا إلى قرب
 المدائن فقال صاحب الزلال اصعدوا بنا إلى الشط فطرحوا إلى الشط وصعدت
 الجماعة وكان المساء قريباً وصعدوا كثر الملاحين يتنوطون وخلا الحريري وكان
 الجوارى فيمن صعد إلى مستراح ضرب لهن فثيت سارقاً نفسي حتى صرت
 خلف الستارة فغيرت طريقة العود عما كانت عليه إلى طريقة أخرى ورجعت إلى
 موضعي من الزلال وفرغ القوم من حاجتهم في الشط ورجعوا والقمر منبسط
 فقالوا لها هوذا ترين وقتنا فتكفي الغناء ولا تنغصى علينا فأخذت العود فحسته
 وشهقت وقالت قد والله أصلح هذا العود مولاي على طريقة من الضرب كان بها
 معجباً وكان يضربها معي والله أنه معنا في الزلال فقال لها مولاي والله يا هذه
 لو كان معنا ما امتنعنا من عشرته فلعله أن يخف بعض ما بك فننتفع بغنائك ولكن
 هذا بعيد فقالت لا أدري ما تقولون هو والله معنا فقال الرجل للملاحين ويلكم
 هل حملتم معنا انسا قالوا لا فاشفقت أن ينقطع السؤال فصحت نعم هوذا أنا فقالت
 كلام مولاي والله وجاء بي الغلمان إلى الرجل فلما رأى فقال ويحك ما هذا الذي
 أصابك وصيرك في مثل هذا الحال فصدقته عن أمري وبكيت وعلى نحيب الجارية من
 خلف الستارة وبكى هو وأخوته بكاء شديداً رقة لنا ثم قال يا هذا والله ما وطمئت
 هذه الجارية ولا سمعت غناها إلا اليوم وأنا رجل موسع على الله الحمد وردت
 بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاق من الخليفة وقد بلغت من الأمرين ما أردت
 ولما عملت على الرجوع إلى وطني أحببت أن أستبيع من غناء بغداد شيئاً فاشتريت
 هذه الجارية لاضمها إلى عدة مغنيات عندي بالبصرة وإذا كنتم على هذه الحال
 فأنا والله أغتم المكرومة والثواب فيكما وأشهد الله أني إذا صرت إلى البصرة
 اعتقتها وزوجتك منها وأجريت عليكما ما يكفيكما ويسعكما على شريطة إذا اجبتني
 إليها قلت ما هي قال ان تحضرنا كلما أردنا الغناء خلف ستارتنا وتنصرف بانصرافك
 إلى دار أفرادها لكما وقاش أعطيكما إياه فقلت ياسيدي وكيف البخل بهذا على من
 هو المعطى لي وعلى من رد على حياتي واخذت أقبل يده فمنعني ثم أدخل رأسه

إلى الجارية فقال يرضيك هذا فأخذت تدعوا له وتشكره فاستدعى غلاماً فقال
 خذ بيد هذا الرجل وغير ثيابه وبخره ووقدم إليه ماياً كله وجئنا به فأخذني الغلام
 ففعل بي ذلك وعدت وتركت بين يدي صينية واندفعت الجارية تغني بنشاط
 وسرور وانبساط واستدعت النبيذ فشربت وشربنا وأخذت اقترح عليها
 الأصوات الجياد فتضاعف سرور الرجل وما زلنا على ذلك أياماً إلى أن بلغنا إلى
 نهر معقل ونحن سكارى فشد الزلال في الشط وأخذتني بولة فصعدت إلي ضيعة
 بنهر معقل لأبول فحملني النوم فيها بالسكر ودفع الزلال وأنا لا أعلم واصبحوا فلم
 يجدوني ودخلوا البصرة ولم انتبه إلا ببحر الشمس جئمت إلى الشط فلم أر لهم عيناً
 ولا أثراً وقد كنت أجهلت الرجل أن أسأله بمن يعرف وأين داره من البصرة
 واحتشمت أن أسأل غلامانه عن ذلك فبقيت على شاطئ نهر معقل كأول يوم
 بدأت بي المحنة وكأن ما كنت فيه منام واجتازت بي سميرية فركبت فيها ودخلت
 البصرة وما كنت دخلتها قط فنزات خاناً وبقيت متحيرة لا أدري ما عمل ولم يتوجه
 لي معاش إلى أن اجتاز بي يوماً انسان عرفته من بغداد فتبعته لا كشف له حالي
 واستميجحه فأنفقت من ذلك ودخل الرجل الي منزله فعرفته وجئمت إلى بقال كان
 هناك على باب الخان الذي نزلته فأعطيته دنانقاً وأخذت منه ورقة ودواة وجلست
 اكتب رقعة إلى الرجل فاستحسن البقال خطي ورأى رثاءة ذلي فسألني عن أمري
 فاخبرته أنني رجل ممتحن فقير وقد تعذر عليّ التصرف وما بقي معي شيء ولم
 اشرح له أكثر من ذلك فقال أعمل معي في كل يوم على نصف درهم وطعامك
 وكسوتك وتضبط حساب دكاني قلت نعم فقال أصعد فخرقت الرقعة وصعدت
 فجلست معه ودبرت أمره وضبطت دخله وخرجه وكان غلامانه يسرقونه فأديت
 إليه الأمانة فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائداً وخرجه ناقصاً فحمدني
 فكنت معه كذلك شهوراً ثم جعل رزقي في كل يوم درهما ولم يزل حالي يقوى معه
 إلى أن حال عليه الحول وبأن له الصلاح في أمره فدعاني إلي أن أتزوج ابنته
 ويشاركني في الدكان ففعلت ودخلت بزوجتي فلزمت الدكان والحال يقوى
 إلا أنني في خلال ذلك منكسر القلب ميت النشاط ظاهر الحزن وكان البقال ربما
 شرب فيجتذبني إلى مساعدته فامتنع وأظهر أن ذلك حزناً على موتى لي واستمرت

بي الحال على هذا سنين فلما كان يوما رأيت قوما يجتازون بخون ونبیذا اجتياز
 متصلا فسألت على ذلك فقالوا اليوم الشعانين ويخرج أهل الظرف واللعب بالشراب
 والطعام والقيان إلى الابله فيرون النصاري ويشربون ويتفرجون فدعنتي نفسي
 إلى التفرج وقلت لعلی أقف لأصحابي على خبر لأن هذا من مظانهم فقلت أريد
 أن أنظر هذا المنظر فقال لي شأنك فاصالح لي طعاما وشرابا وسلم إلى غلاما وسفينة
 فخرجت وأكلت في السفينة وبدأت أشرب حتي وصلت إلى الابله وابتصرت
 الناس وابتدأوا ينصرفون فانصرفت فاذا بالزلال بعينه لقيته في أوساط الناس سائرا
 في نهر الابله فتأملته فاذا بأصحابي على سطحه ومعهم عدة مغنيات فحين رأيتهم لم
 اتمالك فرحاً وطرحت اليهم فلما رأوني وعرفوني كبروا وأخذوني اليهم وقالوا
 ويحك أنت حي وعانقوني وفرحوا وسألوني عن قصتي واخبرتهم بها على أتم
 شرح فقالوا إنا لما فقدناك في الحال وقع لنا أنك بالسكر وقعت في الماء وغرقت ولم
 نشك في هذا فخرقت الجارية ثيابها وكسرت العود وجزت شعرها وبكت ولطمت
 فما منعناها عن شيء من هذا ووردنا البصرة فقلنا لها ماتختارين أن نعمل بك
 فقد كنا وعدنا مولاك بوعد تمنعنا المرؤة من استخدامك معه في حال فقد
 والاستمتاع بغنائك فقالت تمكنوني من القوت اليسير ولبس الثياب السود وان
 أعمل قبرا في بيت من الدار وأجلس عنده وأتوب من الغنا فمكناها من ذلك فهي
 جالسة عنده إلى الآن واخذوني معهم فحين دخلت الدار رأيتها بتلك الصورة
 ورأيتني فشقت شهقة عظيمة ماشكت في تلفها واعتنقنا فها افترقنا ساعة طويلة
 ثم قال لي مولاها خذها فقلت بل تعتقها وتزوجني بها كما وعدتني ففعل ذلك
 ودفع لي ثيابا كثيرة وفرشا وقماش وحمل لي خمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما أردت
 أن أجرى عليك في كل شهر من منذ أول دخولي البصرة وقد اجتمع طول هذه
 المدة فخذ هذه والجارية لك مستأنفة في كل شهر وشيء آخر لكسوتك وكسوة
 الجارية والشرط في المنادمة وسماع الغنا من الجارية من وراء ستارة باق وقد
 وهبت لك الدار الفلانية قال فجئت إليها فاذا بذلك الفرش والقماش الذي أعطانيه
 فيها والجارية فجئت إلى البقال فحدثته حديثي وطلقت ابنته ووفيتها صداقها وأتت
 مع الجارية على تلك الحالة والهاشمي سنين وصرت رب ضيعة ولعنة وعدت إلى

قريب مما كنت عليه وأنا أعيش كذلك الى الآن مع جاريتي * حدثني أبو دوق
الهراني عن الرباشي أن رجلا من أهل النعيم بالبصرة اشترى صبية فاحسن أدبها
وتعليمها وأحبها كل المحبة وانفق عليها حتي أملق ومسها الضر الشديد فقالت
الجارية اني لارثي لك يامولاي مما أرى بك من سوء الحال فلو بعتنى واتسعت
بشئني فلعل الله أن يصنع بك وأقع أنا بحيث يحسن حالي فيكون بذلك أصلح لكل
واحد منا قال فحملها إلى السوق فعرضت على عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي
وهو أمير البصرة يومئذ فاعجبته فاشتراها بمائة ألف درهم فلما قبض المولى الثمن
وأراد الأنصراف استعبر كل واحد منهما الى صاحبه باكيا وأنشأت الجارية تقول

هنيئا لك المال الذي قد أخذته ولم يبق في كفي غير التذكر
أقولى لنفسي وهى فى غشى كربة أبكى فقد بان الحبيب واكثرى
إذا لم يكن للمرء عندك حيلة ولم تجدى شيئا سوى الصبر فاصبرى
فاشتد بكاء المولى ثم أنشد يقول

فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن يفرقنا شيء سوى الموت فاعذرى
أروح بهم فى الفؤاد مبرح أناجى به قلبا طويل التفكير
عليك سلام الله لازيارة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال له ابن معمر قد شئت فخذها ولك المال وانصرفا راشدين فوالله لا كنت
سببا لفرقة مجتمعين * حدثني أبو الفرج على بن الحسين المعروف بالاصهباني املاء
من حفظه قال حدثني الحسين بن يحيى المرقاشي قال حدثنا حماد بن اسحاق بن
ابراهيم الموصلي قال لما دخل الرشيد بالبصرة حاجا كنت معه فقال لى جعفر بن يحيى
يوما يا أبا محمد قد وصفت لى جارية مغنية حسناء تباع وذكروا أن مولاهما ممتنع
من عرضها إلا فى داره وقد عزمتم أن أركب متخفيا فأعرضها فتساعدنى فقلت
السمع والطاعة فلما كان فى نصف النهار حضر النخاس فاعلم بحضوره فخرج جعفر
بعامة وطيلسان ونعل عربية وأمرنى فلبست مثل ذلك وركبنا حمارين قد أسرجا
لنا بسروج التجار وركب النخاس معنا وتخللنا الطريق حتي أتينا دارا ذات باب
شاهق يدل على نعمة قديمة فقرع النخاس الباب وإذا شاب حسن الوجه عليه آثار
ضرب باد وعليه قميص ففتح وقال انزلوا ياسادة فدخلنا وإذا بدهليز شعث ودار

قوراء خراب منقوضة وإذا في الدهليز بيت كالعامر مغلق الباب فاخرج لنا
الرجل منه قطعة من حصير كبير خلق ففرشها لنا فجلسنا عليها وقال له النخاس
احضر لنا الجارية فقد حضر المشتري فدخل البيت وإذا بجارية قد خرجت في
القميص الغليظ الذي كان على الفتى بعينه وهي فيه مع خشونته كأنها في الحلوى
والحلل لحسن وجهها وفي يدها عود فأمرها جعفر بالغناء فجسته وضربت ضربا
حسنا واندفعت تغنى

ان يمس حبلك بعد طول تواصل خلقاً ويصبح بيتكم مهجورا
فلقد رأني والجديد الى بلى دهرًا بوصلك راضياً مسرورا
جدلا بمالى عندكم لا ابتغى بدلا بوصلك خلة وعشيرا
كنت المنى واعز من وطىء الحصى عندى وكنت بذاك منك جديرا

قال ثم غلبها البكاء حتى منعها الغناء وسمعنا من البيت نحيب الفتى وقامت الجارية
تتعر في قميصها حتى دخلت البيت فارتفعت لها ضجة بالبكاء والشهيق ثم خفتا
حتى ظننا أنهما قد ماتا وهما بالانصراف فاذا الفتى قد خرج وعليه ذلك القميص
بعينه فقال أيها القوم اعذروني فيما أفعله واقوله فقال له جعفر قل فقال أشهد الله
وأشهدكم ان هذه الجارية حرة لوجه الله تعالى وأسألكم أن تزوجوني بها فتحير
جعفر أسفا على الجارية ثم خاطبها فقال اتحبين أن أزوجك من مولاك قالت نعم
فقررروا الصداق وخطب زوجها ثم أقبل على الفتى فقال له يا هذا ما حملك على ما فعلت
فقال حديثي طويل ان نشطت له حدثتك فقال لأقل من أن نسمعه فلعلنا نبسط
عذرك فقال أنا فلان بن فلان وكان أبي من وجوه أهل هذه البلد ومياسره وهو
عارف بهذا وأشار إلي النخاس وأنه اسلمني إلى الكتاب وكانت لأمي صبية ومنها
قريب من سني وهي جاريتي هذه وكانت معي في الكتاب تتعلم ما أعلم وتنصرف معي
فبلغت ثم عطلت عن المكتب وعلمت الغناء فكنت لمحبتى بها أتعلمه منها وعلق بقلبي
منها حباً شديداً وبلغت فخطبني وجوه أهل البصرة لبناتهم فخيرني أبي فظهرت له
الزهد في التزويج ونشأت متوفرا على الأدب متقلبا في نعمة أبي غير متعرض لما
يتعرض له الأحداث لتعلق قلبي بالصبية ورغبة أهل البلد تزاد في وعندهم أن
عفتي لصالح وما كانت إلا لتعلق قلبي بالجارية وإن شهوتي لا تتعدها لاحد

وبلغت الجارية في الغناء ما قد سمعتموه فعزمت أمي على بيعها وهي لا تعلم بما في
نفسى منها فاحسست بالموت واضطرت إلى أن صدقت أمي عن الصورة فحدثت
أبي فاجمع رأيهما على أن وهبا الجارية لي وجهازها كما يجهز أهل البيوتات بناتهن
وجليت على وعمل العرس الحسن فنعمت معها دهرا فمات أبي فلم أحسن أن أرب
نعمته فأسأت تدبيرها وأسرعت في الأكل والشرب والقيان وأنامع ذلك اجدد
في كل يوم خمسين ديناراً وأكثر ولا أتجاوزها في جماع أوجب إلى أن تلفت النعمة
وأفضت الحال إلى نقض الدار والنقر إلى ماترون فأنا على هذا منذ سنين فلما كان
هذا الوقت بلغني دخول الخليفة ووزيره وأكثر مملكته بالبصرة فقلت لها يا اختي
إن شبابك يبلى وعمرك في الدنيا ينقضي ووالله ما في نفسي رغبة في بيعك فاني
اعلم اني تالف متي فارقتك ولكني أؤثر تلفها مع وصولك إلي نعمة ورفاهية فدعيني
اعرضك فلعله يشتريك بعض هؤلاء الكتاب فتحصلي معه في رغد من العيش
فإن مت بعدك فتلك أمنيته ويكون كل واحد منا قد تخلص من الشقا وإن حكم
الله عز وجل على بالبقاء صبرت لفضل الله واضطربت في معاشي بشمك فبكت من
ذلك وقلقت ثم قالت افعل نخرجت إلي هذا النحاس واطلعت على امرى وقد كان
يسمع غناها في أيام نعمتي وعرف حالها وحالي وعلمته اني لا اعرضها أبدا إلا عندى
فانها والله ما تسلفت عتبه هذه الدار قط وارتدت بذلك أن يراها المشتري وحده
ولا تتمهن بسوق ولا دخول إلى بيوت الناس وانه لم يكن لها ما تلبسه إلا قميصي
هذا وهو مشترك بيننا البسه إذا خرجت لا بتياع القوت وتتشح هي بازارها فاذا
جئت إلى البيت البستها اياه واتشحت انا بالازار فلما جئنا لعرضها خرجت فغنتكم
فلحقني من البكاء والقلق أمر عظيم ودخلت إلى وقالت لي يا هذا ما اعجب امرك
انت مللتني واثرت فراقى وتبكي هذا البكاء على فقلت يا هذه والله لفراق نفسي
أسهل على من فراقك وانما اردت ان تتخلصي من هذا الشقاء فقالت والله يا مولاي
لو تملكك منك ما تملكته منى ما بعثك أبدا وأموت جوعا فيكون الموت هو
الذي يفرق بيننا فقلت لا عليك تربدين أن تعلمي صدق قولي قالت نعم قلت
هل لك ان اخرج الساعة إلى المشتري فاعتقك بين يديه واتزوجك ثم اصير معك
على ما نحن عليه إلى أن يأتي الله بفرج أو صنع أو موت وراحة فقالت إن كنت

صادقا ففعل هذا فما أريد غيرك فخرجت اليكم وكان منى ما قد علمتم فاعذروني فقال جعفر أنت معذور ونهض فنهضت والنخاس فلما قدمت الحمار لتركب دنوت منه فقلت يا سبحان الله مثلك في جودك ترى هذه الكرامة ولا تنهز الفرصة فيها والله لقد تقطع قلبي على الفتى فقال ويحك وقلبي والله ولكن غيظي من فوت الجارية منعني من التكرم عليه فقلت فإين الرغبة في الثواب فقال صدقت والله ثم التفت إلي النخاس فقال له كم كان الخادم سلم اليك عند ركوبنا لثمنها قل ثلاثة آلاف دينار قال فإين هي قال مع غلامي فقال لي وللنخاس خذاها وادفعها إلي الفتى وقولا له يكتسى ويركب ويحييئني لأحسن اليه واستخدمه فرجعت إلى الفتى وأنا ابكى فقلت له قد عجل الله عز وجل عليك بالفرج ان الذي خرج من عندك هو الوزير الأمير جعفر بن يحيى البرمكي وقد امر لك بهذا وهو يقول لك كذا وكذا قال فصعق حتى قلت قد تلف ثم افاق فقبل يدعو ويشكرني فركبت فاحضت بجعفر فأخبرته فحمد الله عز وجل على ما وفقه له وعاد إلى داره وأنا معه فلما كان العشاء جئنا إلى الرشيد فاخذ يسأل جعفر عن حاله في يومه وهو يخبره بالأمور السلطانية ثم فاضه فيما سوى ذلك إلى ان قص عليه حديث الفتى والجارية فقال له الرشيد فما عملت فأخبره فاستصاب رأيه وقال وقع له برزق سلطاني في رسم أرباب النعم في كل شهر كذا وكذا واعمل بعد ذلك ماشئت فلما كان من الغد جاءني الفتى راكبا بشياب حسنة وهيئة جميلة وإذا هو أحلى الناس كلاما وأتمهم ادبا فحملته معي إلي جعفر وأوصلته إلى مجلسه فأمر بتسهيل وصوله اليه وخلطه بحاشيته ووقع له عن الخليفة بما كان رسمه له وعن نفسه بشيء آخر وشاع حديثه بالبصرة وفي أهل العسكر فلم يبق فيهما متغزلا ولا متظرف إلا أهدى إليه شيئا جليلا فما خرجنا من البصرة إلا وهو رب نعمة صالحة ووجدت هذا الخبر بخلاف هذا على ما ذكره ابن علي بن محمد بن الحسن بن جهور العجمي البصري الكاتب في كتابه كتاب السمار والندما فزعم أن الرشيد لما حج كان معه ابراهيم الموصلي واقتصر الخبر على قريب مما ذكرناه وان الجارية بدأت فغنت بصوت من صنعة ابراهيم وهو .

يارب كم فرجت من كل كربة عني فهذه المرة الواحدة
 وان الذي حضر لتقليب الجارية الرشيد وجعفر بن يحيى متكررين ومعهما
 ابراهيم الموصلى والنخاس وانهم انصرفوا وقطعوا الثمن على مائتي الف درهم
 ثم عادوا بالمال معهم فامروا باعادة التقليب فخرجت الجارية فغنت لابراهيم أيضاً
 ومن عادة الأيام أن صروفها إذا سر منها جانب ساء جانب
 وما اعرف الأيام إلا ذميمة ولا الدهر إلا وهو بالنار طالب
 ثم ذكر بقية الحديث على قريب من هذا وفي الخبر الأول زيادات ليست في
 حديث ابن جهور * وبلغني خبر لجعفر بن يحيى مع جارية تقارب هذا اخبرني
 به أبو عبد الحسن أبو عبد الرحمن بن خلاد الوانهرزي خليفة أبي على القضاء بها قال
 أخبرنا محمد بن الصلت الجاني قال حدثني بيلخ وشير النخاسان قال أرسل الينا جعفر
 ابن يحيى البرمكي يطلب جارية قوالة ذات ادب وظرف على صفة ذكرها وحدها
 فبقينا نحيل الرأي ونخوض في ذكرهن ونتواصف من يعرف منهن وإلي جانبنا
 شيخ من أهل الكوفة يسمع كلامنا فاقبل علينا فقال عندي بغية الوزير فانهمضوا
 ان شئتم لتنظروا اليها فنهضنا معه حتى إذا وصلنا إلى داره وجدناها ظاهرة الاختلال
 ولم نر فيها إلا مسحاً خلقاً وثلاث قصبات عليها مسرجة فارتبنا لقوله لما ظهر من
 سوء حاله ثم صوت بها فخرجت والله الينا جارية كأنها فلقة قرئتني كالقضيبي فاستقرها
 فقرأت آيات من القرآن حركت منا ما كان ساكناً واتبعنا بقصيدة مليحة شوقتنا
 واطربتنا فقلنا أصناع وأشرنا إلي يدها فقالت نعم علمت العود وأنا صغيرة فقلنا
 اتحفينا به فقالت سبحان الله وهل يصلح ذلك العود إلا لمولي مالك ان دعاني اليه
 فعلته قال وراح الرسول إلى جعفر فاخبره بما شاهده فلم يتمالك جعفر حين سمع
 بقصة الجارية حتى استنهض الرسول إلى منزل الشيخ وتبعه حتى دخل عليه وسأله
 اخراجها اليه ففعل فلما رآها جعفر اعجب بها قبل أن يستنطقها ثم استنطقها فاخذت
 بمجامع قلبه فقال ما شاء فقال الشيخ لست احدث أمراً حتى استأذنها ولولا
 الضر الذي نحن فيه ما عرضتها ولكن حالي ما يشاهده الوزير ووراء ذلك دين
 كثير قد قدحني ومن أجله فارقت وطني وعرضت على البيع ثمرة قلبي فقال جعفر
 فما مقدار ما في نفسك ان أردت بيعها قال ثلاثون ألف دينار قال جعفر فهي لك

ان بعثنيها فلما سمعت ذلك استعبرت فلما رأى الشيخ استعبارها اقبل على جعفر
ومن حضر معه فقال اشهدكم اني قد اعتقتها وجعلت عتقها صداقها والله لا ملكتها
أحدا أبدا فغضب جعفر واقبل من حضر على الشيخ يؤنبونه ويستجهلونهم ويقولون
ضيعت هذا المال الجليل وعجلت وحمقت فقال الشيخ النفس اولي ان يبقى عليها
من المال والزقاق الله جل وعز وعاد جعفر إلى أبيه فاخبره بما كان من الرجل
والجارية فقال أبوه له فما صنعت بهما قال تركتهما وانصرفت قال ويحك ما أنفت
ان تنصرف عن متحايين مثلهما فقيرين لا تجبر حالهما أَرْضيت أن يكون الكوفي
اسمك منك ودعا بسلام فحمل معه إلى الشيخ ثلاثين الف دينار على بغل فلما وصل
المال إلى الشيخ اخذه وحمد الله جل وعز وعاد بالجارية والمال إلى منزله بالكوفة*
وجدت في بعض كتب ان عمرو بن شيبه قال حدثني أبو غسان قال اخبرني بعض
أصحابنا ان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنهما اشترى جارية من
مولدات أهل مكة وكان يتعشقها غلام من أهلها فقدم في أثرها المدينة فنزل قريبا
من منزل عبد الله بن جعفر ثم جعل يلطف عبد الله بظرائف مكة حتى عرفه
وجعلت الجارية ترأسه فادخلته ليلة في اصطبيل دواب عبد الله بن جعفر فعبر
عليه السائيس فاعلم عبد الله بن جعفر فأتى به فقال مالك قبحك الله أبعد تحرمك
بنا تتعرض لحرمنا قال لا انك لما ابتعت الجارية كنت لها محبا وكانت تجدني
مثل ذلك قال فدعا الجارية فسألها فجاءت بمثل قصة الفتى فقال خذها فهي لك
فلما كان بعد ذلك بقريب عشق عبد السلام بن أبي سليمان مولى اسلم جارية لآل
طلحة ابن عبد الله بن معمر التميمي يقال لها رواح فطلبها منهم ورجا ان يفعلوا
به مثل ما فعل ابن جعفر بالفتى المسكى فلم يفعل الطلحيون ذلك فسأل في ثمنها
حتى اجتمع له فاشتراها منهم وقال عبد السلام

وأنت فلا تعدل نوال بن جعفر وابن لعمرى من نوال بن معمرى

يطير لذي الجنات هذا لفضله وقد قص هذا في الجحيم المسعر

وقد كان في عصرنا ما يقارب مثل هذا وهو ما حدثني به أبو الحسن علي بن عمر
الدارقطني الحافظ قال حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الجرجاني الفقيه الذي كنا
ندرس عليه مذهب الشافعي قال كنا ندرس على أبي اسحاق المروزي الشافعي وكان

يدرس عليه معنا فتى من أهل خراسان له والد هناك يوجه اليه في كل سنة مع
الحجاج قدر نفقته للسنة فاشترى جارية فوقع في نفسه وألفته وألفها وكانت معه سنين
وكان رسمه ان يستدين في كل سنة ديناً بقدر ما يعجز عن نفقته فاذا جاء ما ينفذه
اليه أبوه قضي دينه وانفق الباقي مدة ثم عاد إلى الدين فلما كان سنة من السنين جاء
الحجاج وليس معهم نفقة من أبيه فسألهم عن ذلك فقالوا ان اباك اعتل علة
عظيمة صعبة فاشتغل بنفسه فلم يتمكن من انفاذ شيء معنا قال فقلق الفتى قلقاً
شديداً وخاف غرماؤه يطالبونه بالعادة في قضاء الدين وقت الموسم فاضطرب
واخرج الجارية إلى النخاسين فعرضها وكان الفتى ينزل بقرب منزلي ويختلف
إلى مجلس الفقه ولا يكاد يفترق فباع الجارية بألف درهم وكسر لينفق منها على
غرماؤه قدر ما لهم ويتمرر بالباقي وعند رجوعنا من النخاسين كان قلقاً
موجعاً فلما كان الليل لم اشعر إلا وبابي يدق ففتحته فاذا بالفتى فقلت مالك
فقال قد امتنع على النوم وحشة للجارية وشوقاً اليها قال ووجدته من القلق
على أمر عظيم حتى انكرت عقله فقلت ما تشاء قال لا أدري وقد سهل الله على
ان ترجع الجارية إلى ملكي وابكر غدا فافر لغرمائي بما لهم واحتبس في
حبس الحاكم إلى أن يفرج الله جل وعز ويحييني من خراسان نفقتى في
العام المقبل بعد ان تكون الجارية في ملكي فقلت له انا كفيتك ذلك في غد ان
شاء الله واعمل في رجوع الجارية إليك إذا كنت وقد وطنت نفسك على هذا قال
وبكرنا إلى السوق فسألنا من اشترى الجارية فقالوا امرأة من دار أبي بكر بن أبي حامد
الخراساني صاحب بيت المال فحجنا إلى مجلس الفقه فشرحت لأبي إسحاق المروزي
بعض حديث الفتى وسألته أن يكتب إلى أبي بكر بن أبي حامد رقعة يسأله فيها فسخ
البيع والاقالة وأخذ الثمن ورد الجارية فكتب رقعة مؤكدة في ذلك فقممت
وأخذت بيد الخراساني صديقي وجئت إلى أبي بكر بن أبي حامد فاذا مجلس حاشد
فأملنا حتى خف فدنوت أنا والفتى فعرفني وسألني عن المروزي فقلت هذه
رقعته في حاجة له فلما قرأها قال أنت صاحب الجارية قلت لا ولكنه صديقي هذا
وأومأت إلي الخراساني وقصصت عليه القصة في سبب بيعه الجارية فقال لي والله
ما أعلم انني ابتعت جارية ولا ابتيعت لي فقلت ان امرأة جاءت فابتاعها وذكرت

انها من دارك فقال يجوز يا فلان فجاء خادم فقال ادخل إلى دور الحرم وسل عن
جارية ابتيعت أمس فلم يزل يدخل ويخرج من دار إلى أخرى حتى وقع عليها فقال
عثرت عليها فقال نعم فقال أحضرها فاحضرت فقال لها من مولاك فأومأت إلى
الخراساني فقال لها أتخمين ان اردك عليه فقالت والله ليس مثلك من يختار عليه
ولكن لمولاي حق التربية فقال هي كيسة عاقلة قال فأخرج الخراساني الكيس
وتركه بحضرة فقال للخادم امض إلى الحرم فقل لهن ما كنتم وعدتن به هذه
الجارية من احسان وبر فعجلنه الساعة فجاء الخادم بأشياء لها قدر فدفعها إليها
ثم قال للخراساني خذ كيسك فاقض منه دينك ووسع بياقيه على نفسك وعلى
جارتك والزم الدرس فقد أجريت لك في كل شهر تميز دقيقاً ودينارين تستعين
بها في دارك فوالله ما انقطعت عن الفتى حتى مات قال مؤلف هذا الكتاب وجدت
هذا الخبر مستفيضاً ببغداد وأخبرت به على جهات مختلفة الا انني اذكر بعض
الطرق الاخر التي بلغتني « حدثني أحمد بن عبدالله عن شيخ من دار القطن ببغداد
قال كان لأبي بكر ابن أبي حامد جارية ظريفة وكان ثم رجل يعرف بعبد الرحمن
الصيرفي باعها له بثلاثمائة دينار وكان يهواها فلما جاء الليل استوحش لها وحشة
شديدة ولحقه من القلق والهيام والجنون والأسف على فراقها مامنعه من النوم
ولحقه من البكاء والسمهر ما كاد يخرج نفسه فلما أصبح خرج إلى دكانه ليتشغل
بالنظر في أمره فلم يكن إلى ذلك سبيل وزاد عليه القلق والشوق فأخذ ثمن الجارية
وجاء إلى دار أبي بكر بن أبي حامد ودخل ومجلسه حافل فسلم وجاس في أخريات
الناس إلى ان انقضوا فلما لم يبق منهم غير أبي بكر بن أبي حامد قال له ان كانت لك
حاجة فاذكرها فحصر وجرت دموعه وشق فرفق به ابن أبي حامد وقال له قل
طافك الله ولا تستحي قال بعث أمس جارية كانت لي أحبها واشتريت لك أطال الله
بقاك وقد أحسست بالموت أسفاً على فراقها وأخرج الثمن ووضعته بحضرة وقال
أنا أسألك ان ترد على حياتي بأخذ هذه الدنانير واقتل البيع قال فتبسم له ابن
أبي حامد وقال فلما كانت بهذا الحل من قلبك فلم يعثرها قال أنا رجل صيرفي وكان
رأس مالي ألف دينار فلما اشتريتها تشاغلته بها عن لزوم الدكان فبطل كسبي وكنت
أنفق عليها من رأس مالي نفقة لا يحتملها مالي فلما مضت مدة خشيت الفقر ونظرت

فاذا لم يبق معي من رأس مالي إلا ثلثه أو أقل وصارت تطالبني من النفقة بما ان
 اطعتها فيه ذهبت هذه البقية فلما منعتها ساءت أخلاقها عليّ وتنقصت عيشتي
 فقلت أبيعها واردمنها فيما اختل من دكاني ويستقيم عيشتي واستريح من اذاها
 وأتصبر على فراقها وينضبط أمري بسقوط النفقة عليّ وتوفري على التجارة ولم أعلم
 انه يلحقني هذا الأمر العظيم وقد آثرت الفقر الآن بأن تحصل لي الجارية فان
 الموت أسهل مما أنا فيه فقال ابن أبي حامد يافلان خذ خادم أسود فقال أخرج
 الجارية التي اشتريت لنا أمس قال فأخرجت الجارية قال يا بني ان مثلي لا يطاق قبل
 الاستبراء والله ما وقعت عيني عليها منذ اشتريت إلى الآن وقد وهبتها لك فخذها
 وخذ دنائيرك بارك لك فيها ورد الدنانير إلى دكانك ثم قال للخادم هات ألف درهم
 فجاء بها فقال للجارية قد كنت عملت على ان اكسوك فجاء من أمر مولاك ما رأيت
 وليس من المروءة منعه منك فخذى هذا الدراهم واتسعى بها على نفسك ولا تحملى
 مولاك مالا يطيق فيه تنقر ويحتاج لبيعك وأين تجددين من يرغب فيك مثل رغبتك
 فأعزى له حق هذه المحبة وهذه الألف درهم لك عندنا كل سنة يجيء مولاك
 ويأخذها لك إذا شكرك ورضى طريقك ثم قال له لا تنفق عليها إلا بقدر طاقتك
 وهذه الألف درهم لها في كل سنة كفاية مع ما تطيقه أنت من الاتفاق عليها وتوفر
 على دكانك ومعاشك وليس كل وقت يتفق لك ما تفق الآن فقام الرجل وقبل يديه
 ورجليه وجعل يبكي ويدعو له ورجع إلى بيته بماله وجاريته وأصلح دكانه ومعيشتك
 وفرج الله عز وجل ما كان من الشدة وكان ما فعله أبو بكر بن أبي حامد سببا
 لصالح حاله * ويشبه هذا الحديث ما وجدته في كتاب أعطانيه أبو الحسين
 عبدالعزيز بن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان وهو يومئذ كاتب الوزير المهلبى
 على ديوان السواد وذكر انه نسخ من كتاب أعطاه أبو الحسن الخصيبى وكان فيه
 اصلاحات بخط ابن ما يبداد اشترى الحسن بن سهل من القسطنطينى التاجر جارية
 بألف دينار فعملت إلى منزل الحسن وكتب للقسطنطينى بشئها فأخذ الكتاب حاله
 عليه بالمال وانصرف فوجد منزله مفروشا نظيفا وفيه ريحان قد عي تعبئة حسنة
 ونبيذا قد صنى فقال ما هذا فقبل له جاريته التي بعثها الساعة أعدت لك هذا
 لتصرف إليها فبعثتها قبل انصرفك قال فقام القسطنطينى فرجع إلى الحسن وقال

أيها الأمير اقلني بيع الجارية أؤلك الله في الآخرة فقال ما إلى هذا سبيل وما دخلت
قط دارنا جارية فخرجت منها قال أيها الأمير انه الموت قال وما ذلك فقص عليه
القصة وبكى ولم يزل يتضرع فرق له الحسن ورد الجارية عليه وقال له الألف
دينار لا يرجع إلى ملكي منها دينار واحد فأخذ القسطنطيني الجارية والدنانير وعاد
إلى منزله وجلس مع جاريته على ما أعدته له * عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال غدوت
يوما وأنا ضجر من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها وركبت بكرة وعزمت على
أن أطوف الصحراء واتفرج بها فقلت لغلماني ان جاء رسول الخليفة فعرفو داني
بكرت في مهم لي وانكم لا تعرفون أين توجهت ومضيت وطففت ما بدالي ثم عدت
وقد حمى النهار فوقفت في شارع الخزم في الظل عند جناح ربح في الطريق لاستريح
فلم البث ان جاء خادم يقود حمارا فارها عليه جارية راكبة تحتها منديل ديبقي
وعليها من اللباس الفاخر مالا غاية ورأيت لها قواما حسنا وطرفا فتناوشمائل
ظريفة فحدثت انها مغنية فدخلت الدار التي كنت واقفا عليها وعلقها قلبي في
الوقت علوقا شديدا لم استطع معه البراح فلم ألبث إلا يسيرا حتى أقبل رجلان
شبان جميلان لهما هيئة تدل على قدرهما راكبان فاستأذنا فأذن لهما فحملني حب
الجارية على ان نزلت معهما ودخلت بدخولهما فظنا ان صاحب الدار دعاني وظن
صاحب الدار اني معهما فجلسنا قاتى بالطعام فاكلنا وبالشراب فوضع وخرجت
الجارية وفي يدها عود فرأيتها حسناء وتمكن مني قلبي منها وغنت غناء صالحا
وشرابا وقت قومة للبول فسأل صاحب المنزل من الفتيين غنى فأخبراه أنها
لا يعرفاني فقال هذا طفيلي ولكن ظريف فاجلوا عشرته وجئت فجلست وغنت
الجارية في الحن لي

ذكرتك إذ مرت بنا أم شادن امام المطايا تستريب وتطمح
من المولات الرمل ادماء خرة شعاع الضحى في بيتها يتوضح
فأدته أداء صالحا ثم غنت أصواتا فيها من صنعتي
الطول الدوار فارقتها الأوانس أوحشت بعد أهلها فهي قفر يابس
فكان أثرها فيه أصلح من الأول ثم غنت أصواتا من القديم والمحدث وغنت
في أضعافها من صنعتي في شعري

قل لمن صدعنا بما ادعيت وان كنت لا عبا
واعترفنا بما ادعيت وان كنت كاذبا

فكان أصلح مما غنته فاستعدته منها لاصححه لها فأقبل على رجل منهم فقال
مارأيت طفيليا اصفق وجها منك لم ترض بالتطفل حتى اقترحت وهذا تصديق
المثل طفيلي ويقترح فاطرقت ولم أجبه وجعل صاحبه يكفه عنى فلم يكف ثم قاموا
إلى الصلاة وتأخرت وأخذت العود واشددت طيقته واصلحته اصلاحا محكما
وعدت إلي موضعى فصليت وعادوا وأخذ الرجل فى عربدته على وأنا صامت ثم
أخذت الجارية العود وجسته فانكرت حاله وقالت من مس عودى فقالوا مامسه
أحد قالت بلى والله قدمسه حاذق متقدم وشد طيقته واصلحه اصلاحا متمكن من
صنعتة فقلت لها أنا أصلحته قالت بالله عليك خذه فاضرب به فأخذته وضربت
مبداء عجيبا فيه نقرات محرقة فما بقى فى المجلس أحد إلا ووثب فجلس بين يدى
وقالوا بالله عليك ياسيدنا تغنى قلت نعم وأعرفكم نفسى أيضا أنا إسحق بن إبراهيم
الموصلى واني والله لا تيه على الخليفة وأنتم تشتمونى اليوم لأنى تملحت معكم
بسبب هذه الجارية والله لا نطق بحرف ولا جلست معكم أو تخرجوا هذا المعاند
ونفضت لأخرج فتعلقوا بى فلم أرجع فلحقتنى الجارية فتعلقت بى فلنت وقلت
لا أجلس حتى تخرجوا هذا البغيض فقال له صاحبه من هذا كنت أخاف عليك
فأخذ يعتذر فقلت أجلس ولكن والله لا انطق بحرف وهو حاضر فأخذوا
بيده وأخرجوه فبدأت أغنى بالأصوات التى غنتها الجارية من صنعتى فطرب
صاحب البيت طربا شديدا وقال هل لك فى أمر أعرضه عليك فقلت وما هو
قال تقيم عندى شهرا والجارية والحمار لك مع ما عليه من حلية والجارية
من كسوة فقلت افعل فأقمت عنده ثلاثين يوما لا يعرف أحد أين
أنا والمأمون يطلبنى فى كل موضع فلم يعرف لى خبرا فلما كان بعد ذلك
سلم إلى الجارية والحمار والخادم وجئت بذلك إلى منزلى وهم فى أقبح صورة ظهري
وتأخرى عنهم وركبت إلى المأمون من وقتى فلما رآنى قال لى يا إسحاق
ويحك أين انت واين تكون فأخبرته بخبرى فقال على بالرجل الساعة فدللتهم على
بيته فأحضر فسأله المأمون عن النصبة فأخبره بها فقال أنت ذو مروءة وسبيلك

أن تعاون عليها فأمر له بمائة ألف درهم وقال لاتعاشر ذاك المعربد السفلى فقال
 معاذ الله يا أمير المؤمنين وأمر لي بخمسين ألف درهم وقال لي احضر الجارية فأحضرتها
 إياها فغنته فقال لي قد جعلت لها نوبة كل يوم ثلاثاء تغنيني من وراء الستارة مع
 الجوارى وأمر لها بخمسين ألف درهم فربحت والله بتلك الركبة وأربحت * عن
 نعيم بن خلف الهلالي قال كان منافتي يقال له سيرين بن عبد الله ويعرف بالاشتر
 كان يهوى جارية من قومه يقال لها جيداء وكانت ذات زوج وشاع خبره في حبها
 فنع منها وضيق عليه حتى لم يقدر أن يلم بها فجاءني يوماً فقال يا أخى قد بلغ منى
 الوجد وضاق على الصدر فهل تساعدني على زيارتها فأجبتته فركبنا وسرنا يومين
 حتى نزلنا قريباً من حبها فكنم في موضع وقال لي اذهب إلى القوم فكن ضيفاً
 فيهم ولا تذكر شيئاً من أمرنا حتى ترى راعية لجيداء صفتها كذا وكذا فتعلمها
 خبري وتأمرها بأخذ موعد منها فمضيت وفعلت ما أمرني به حتى لقيت الراعية
 فحاطبتها فمضت إلي جيداء وعادت وقالت موعدك الليلة عند تلك الشجرة من
 موضع كذا فمضيت إليه وجلسنا عند الشجرة إلى الوقت المعلوم فاذا بجيداء قد
 أقبلت فوثب الاشتري قبل عينها فقمت مولياً عنهما فقالا نقسم عليك إلا رجعت
 فوالله ما بيننا ما نستره عليك فرجعت وجلسنا نتحدث فقال لها يا جيداء ما فيك
 من المصاحبة الليلة فنتعلمل بها قالت لا والله إلا بأن يعود حالى إلى ما تعرف من
 البلاء والشدة فقال ما من ذلك بد ولو وقعت السماء على الأرض فقالت هل في
 صاحبك هذا خير فقلت أي والله فقالت وقد خلعت ثيابها خذها والبسها واعطني
 ثيابك ففعلت فقالت اذهب فإن زوجي سيأتيك بعد العتمة يطلب منك القدح
 ليحلب فيه الابل فلا تدفعه إليه من يدك فهكذا كنت أفعل به ودعه بين يديه
 فإنه سيذهب فيحلب فيه ثم يأتيك به فيقول هاك غبوقك فلا تأخذه منه حتى
 تطيل نكدك عليه ثم تأخذه أو تدعه حتى يضعه هو ثم لست تراه حتى يصبح
 فذهبت وفعلت ما أمرتني وجاء بالقدح فلم آخذه وأطلت النكد عليه ثم أهويت
 لآخذه وأهوى ليضعه فاختلفت أيدينا فانكفا القدح فقال إن هذا الطماح مفرط
 وضرب بيده إلى سوط ثم تناول جمتي فضرب ظهري بذلك السوط ثلاثين خفأت
 أمه وأخته وانتزعاني من يده بعد أن زال عقلي وهممت أن أوجه بالسكين فلما

خرجوا عني لم ألبث إلا يسيراً فاذا بأم جيداء قد دخلت علي تكلمني وتزبرني
فلزمت الصمت والبكاء فقالت يا بنتي اتق الله وأطيعي زوجك أما لا شتر فلا سبيل
لك إليه وأنا ابعث إليك أختك الليلة ثم مضت وبعثت إلي بالجارية فجعلت تكلمني
وتدعو علي من ضربني وتبكي وأنا ساكت ثم اضطجعت إلي جنبني فشددت يدي
علي ففها وقلت يا جارية ان أختك مع الاشترا وقد قطع ظهري بسببها وأنت أولى
بسترها مني وان تكلمت بكلمة فضحيتها وأنا لست بأبلى فاهتزت مثل القضيب
فزعا ثم ضحكت وباتت معي أظرف الناس ولم نزل نتحدث حتى برق الفجر ثم
خرجت وجئت إلي أصحابي فقالت جيداء ما الخبر فقلت سلى أختك عنه فلمعمرى
أنها عالمة به ودفعت إليها ثيابها وأريتها ظهري فبكت وجزعت ومضت مسرعة وجعل
الاشترى يبكي وأنا أحدثه وأرتحلنا * عن بعضهم قال حضرت في دعوة عند صديق
لي من البزازين كان مشهوراً فقدم إليه في جملة طعامه داجيراجه فلم يأكلها فامتنعنا
من أكلها فقال أحب أن تأكلوا وتعفوني من أكلها فلم ندعه حتى أكل فلما غسلنا
أيدينا انفردي يغسل يديه ووقف غلام يعد عليه حتى قال لقد غسلت يدك أربعين
مرة فقطع الغسل فقلنا ما سبب هذا ذمتنع فالحجنا عليه فقال مات أبي وسني
نحو العشرين سنة وخلف عليّ حالا ضعيفة وأوصاني قبل موته بتقضاء ديونه
وملازمة السوق وان أكون أول داخل إليها وآخر من يخرج منها فرأيت في
ذلك منافع كثيرة وبينما أنا جالس ذات يوم ولم يتكامل السوق إذا بامرأة راكبة
حمارا على كفله منديل ديبقي وخادم يمسك العنان فنزلت عندي فقامت إليها
ولزمتها وسألتها عن حاجتها فطلبت شيئاً من الثياب ذكرته فسمعت منها أحسن
نعمة ورأيت وجهها لم أر أحسن منه قط فذهب عليّ أمرى وهمت بها في الحال فقلت
تصبري حتى يتكامل السوق وأخذ لك ماتريدين فأجابت وأخذت تمحادثني وأنا
كدت أن أموت عشقاً وخرج الناس فأخذت لها ما أرادت فجمعتهم وركبت ولم
تخاطبني في ثمنه بحرف وكان يبلغ الخمسة آلاف درهم فلما غابت عن عيني أفقت
وأحسست بالفقر وقلت محالة خدعتني بكشف وجهها ورأيتني حدثاً ولم أكن سألتها
عن منزلها ولا طالبتها بالثمن لدهشتي بها فكتمت خبري لئلا افضح واتعجل

المكروه وعملت على اغلاق دكاني وأن أبيع كل ما فيه وأفي الناس حقوقهم وأجلاس في بيتي مقتصرا على شيء يسير من عقار خلفه أبي فلما كان بعد أسبوع إذا بها قد باكرتني ونزلت عندي خير رأيتها أنسيت ما كنت فيه وقت إليها اجلا لا فقالت يافتي قد تأخرنا عنك وما شككنا أن قد روعناك وظننت أننا احتلنا عليك فقلت قد رزع الله قدرك عن هذا فاستدعت الميزان ووفتني دنانير بقيمة ماقلت لها أنه ثمن المتاع وأخذت تذكر متاعاً آخر فأجلستها أحدثها واتمعت بالنظر إليها إلى أن تكاملت السوق فقمت فدفعت إلى كل انسان ممن كان له شيء ماله وطلبت منهم ما أردت فاعطوني فجئت به معي فأخذته وانصرفت ولم تخاطبني في ثمنه ولا خاطبتها في صفة موضعها بحرف فلما غابت عن عيني ندمت وقلت المحنة هذه لأنها اعطتني خمسة آلاف درهم وأخذت متاعاً ثمنه ألف دينار والآن لم أقف لها على خبر فليس إلا الفقر وبيع المحكم لمتاع الدكان وما ورثته من أبي وتطاوت غيبته عني أكثر من شهر وأخذ التجار يشدون على المطالبة فعرضت عقاري على البيع واشرفت على الهلاك وأنا في ذلك وإذا بها قد نزلت عندي خير رأيتها ورأيتني زال عني الفكر وانسيت ما كنت فيه وأقبلت عليّ تحادثني وقالت هات الطيار فوزنت لي بقيمة المال فأخذت أطاؤها ونشطت لكلامها فباسطتني فكنت فرحاً وخجلاً إلى أن قالت لي هل لك زوجة فقلت لا والله ياستي ما عرفت امرأة قط وبكيت فقالت مالك قلت خيراً وأخذت بيد خادمها وأخرجت إليه دنانير كثيرة وسألته التوسط بيني وبينها فضحك وقال إنها والله أعشق منك لها وما بها حاجة إلى ما اشترته منك وإنما تحبيك لمطالبتك بخاطبها بما تريد فانها تقبله وتستغني عني فعدت وقلت لها اني مضيت لا نقد الدنانير فضحكت وكانت قد رأيتني مع الخادم فقلت ياستي الله الله في دمي وخاطبتها بما في نفسي فأعجبها ذلك وقبلت الخطاب أحسن قبول ثم قالت الخادم يحبيك برسالتني بما تعمله وقامت ولم تأخذ ثياباً فوفيت الناس أموالهم وحصل لي ربح واسع واغتممت غمماً شديداً خوفاً من انقطاعها عني ولم اتم ليأتي قلقاً وحزناً فلما كان بعد أيام جاءني الخادم فأكرمه وأعطيته دنانير وسألته عنها قال هي والله عليلة شوقاً إليك قلت فاشرح لي أمرها قال هذه صبية ربتها السيدة أم المقتدر وهي من أخص جوارها واشتهت رؤية

الناس والدخول والخروج فتوصلت إلى أن صارت تخلف القهرمانة فتخرج لقضاء بعض الحوائج فتري الناس وقد والله حدثت السيدة بحديثك وسألتها أن تزوجها منك فقالت لا أفعل حتى أراه فإن كان يستحقك والالم أدعك باختيارك ويحتاج أن تحتال في دخولك الدار بحيلة أن تمت وصلت إلى حاجتك وإن انكشفت ذلك ضرب عنقك فما تقول قلت اصبر على هذا فقال إذا كان الليلة فأعبر المحزم وأدخل المسجد الذي بنته السيدة على شاطئ دجلة وعلى الحائط الآخر مما يلي دجلة اسمها مكتوب بالأجر المقطوع وهو المسجد الذي سد بابه الآن سبعين الحاجب الكبير مولي معز الدولة المعروف بشاشنكير وأدخله إلى ميدان داره وجعله مصلى لغلمانه فبت فيه تصل لمشتهاك فعمات فلما كان السحر إذا بطيار لطيف قد قدم وخدم قد نقلوا صناديق فارغة وجالوها في المسجد وانصرفوا وبقي منهم واحد فتأملته فاذا هو الواسطة بيني وبينها ثم ظهرت الجارية فاستدعتني فقامت وطانقتها وقبلت يدها وقبلتني قبلا كثيرة وتحدثنا ساعة ثم اجلسني في واحد من الصناديق كبير واقبلته واقبل الخدم يتراجعون بثياب وما ورد وعطر وأشياء قد أحضروها من مواضع ففرقت في باقي الصناديق وأقفلت ثم حملت الصناديق في الطيار وانحدر فلحقني أمر عظيم من الندم وقلت قتلت بشهوة لعلها لا تم ولو تمت ما ساوت قتل نفسي وأقبلت أبكي وأدعو الله عز وجل وأتوب إليه وأنذر إلى أن حملت الصناديق بجهازها في دار الخليفة وحصل صندوق خادمان أحدهما الواسطة ومشت هي أمام الصندوق والصناديق كلها خلف صندوق فلما اجتازت بطائفة من الخدم الموكلين بأبواب الحرم قالوا نريد نقتل الصناديق فكانت تصيح على بعضهم وأتشم بعضهم وتدارى بعضهم إلى أن انتهينا إلى خادم ظننته رئيس القوم فخاطبته بنزع وخضوع وذلة وحقق أن لا بد من فتح الصناديق فبدأ بصندوق فأنزله فحين حسست بذلك ذهب عقلي وغاب على أمري وبلت في الصندوق فزعا جرى البول حتى خرج من خلاله فقالت يا أستاذ أهلكني وأهلك التجار ذهب على الأمر كله وهلك علينا ما في الصندوق من متاع وثياب وغيره قيمة الجميع عشرة آلاف دينار لأن فيه قارورة من ماء زمزم وقد انقلبت وجرت على الثياب والآن تستحيل ألوانها فقال لها خذي صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو ومرى فحمل الخادم صندوقي

بعد أن اشتد عليه وتلاحقت الصناديق فيما بعد وما راغني بعدها إلا حين سمعتها تقول ويلاه الخليفة فمت رعباً وجاءني مالم أحتسبه فقال لها الخليفة ويحك أي شيء في صناديقك قالت يامولاي ثياب للسيدة فقال افتحي حتى أراها فقالت يامولاي الساعة أفتحها بين يديك وتراها قال مري هوذا ساجيء اليك قالت لا يخدم أسرعوا فأسرعوا ودخلت حجرة وفتحت صندوقاً وقالت اصعد تلك الدرجة ففعلت وأخذت مما في بعض تلك الصناديق وجعلته في صندوقي وجاء المقتدر ففتحت الصناديق بين يديه ثم أغلقت الحجرة ومضت ومعها الصناديق بحيث تجلس ثم عادت إلي وطيبت نفسي وأحضرتني طعاماً وشراباً وما احتاج إليه واقفلت الحجرة ومضت فلما كان من الغد جاءتني فصعدت إلي وقالت السيدة تجي الساعة لتراك فانظر كيف تكون فما كان بأسرع من أن جاءت السيدة فجلست على كرسي وفرقت جواربها ولم يبق معها واحدة منهن ثم أنزلتني الجارية فحين رأته السيدة قبلت الأرض وقت ودعوت لها فقالت لجارتها ما بئس ما أخذت هو كيس ونهضت فجاءتني صاحبتني بعد ساعة وقالت ابشر فقد وعدتني والله إن تزوجني بك وما بين أيدينا الآن إلا عقبة الخروج فقلت يسلم الله تبارك وتعالى فلما كان من غد حملتني في الصندوق فخرجت كما دخلت وكان الحرص على التفتيش أيسر وترك في المسجد فرجعت وتصدقت ووفيت بنذري فلما كان بعد أيام جاءني الخادم برقعة بخطها الذي أعرفه وكيس فيه ثلاثة آلاف دينار عيناً وتقول في الرقعة أمرتني السيدة باتصال هذا إليك من مالها وقالت اشتر ثياباً ومركوباً ومملوكاً يسعي بين يديك وأصلح به ظاهره وتجميل بكل ما تقدر عليه وأحضر يوم الموكب إلى باب العامة وقف حتى تطلب فتدخل على الخليفة فتزوج بحضرته فاجبت على الرقعة وأخذت المال واشترت منه ما قالوه بأحسن ما يكون واحتفظت الباقي وركبت دابتي يوم الموكب إلى باب العامة ووقفت إلي أن جاءني من استدعاني فدخلت على المقتدر وهو على السرير والقضاة والهاشميون والجيش قيام فدخلني هيبة عظيمة وخطب بعض القضاة وزوجني فلما صرت في بعض الممرات عدل بي إلى دار عظيمة مفروشة بأنواع الفرش الناعم والآلات والخدم فاجلست وتركت وحدي وانصرف من أدخلني فلبثت يوم لا أدري من أعرف إلا خدم يدخلون

ويخرجون وطعام عظيم ينقل وهم يقولون الليلة تزف فلانة اسم زوجتي إلى فلان.
 البزاز فلما جاء الليل اثر الجوع بي وأقفلت الأبواب وآيست من الجارية فقمت
 أطوف في الدار فوقعت على المطبخ وإذا قوم طبّاخون جلوس فاستطاعمهم فلم
 يعرفوني فقدموا إلى داجيراجة فاكلتها ومسحت يدي بأشنان كان في المطبخ وأنا
 مستعجل لثلاث يفظن بي وظننت اني نقيت من ريحها وعدت إلى مكاني فلما انتصف
 الليل إذا بطبول وزمور والأبواب تفتح وصاحبتي قد اهديت إلى وجاؤا بها
 بحملونها وأنا أقدر ان ذلك في النوم ولاأصدق فرحاً به وقد كادت مرادتي تنشق
 مروراً ثم خلوت بها وانصرف الناس فحين تقدمت إليها وقبلتها رفستني فرمت بي
 عن المنضدة وقالت انكرت ان تفلح يا عامي وقامت لتخرج فتعلقت بها وقبلت
 الأرض بين يديها وقلت عرفيني ذنبي واعلمي بعده ما شئت فوقفت وقلت هات
 حديثك عن يومك كله فقصصت عليها القصة كلها فلما وقفت عليها قالت قل على
 وعلى وحلفتني بإيمان غليظة لا أكلت داجيراجة إلا غسلت يدي أربعين مرة
 فاستحييت وتبسمت قلت فرجعت إلى المنضدة وصاحت يا جوارى فجاءت عدة
 وصائف فقالت هاتن ماناً كل فقدمت إلينا مائدة حسنة وألوان فاخرة من موائد
 الخلفاء وألوانهم فاكلت وأكلت معها واستدعت شراباً فشربت أنا وهي وغنى
 لنا أولئك الوصائف وقمنا إلى الفراش فدخلت معها وافتضضتها وبت بلبلة من
 ليالى الجنة ولم نفترق أسبوعاً ليلاً ونهاراً إلى ان انقضت وليمة الاسبوع وكانت
 عظيمة فاخرة فلما كان من الغد قالت لي ان دار الخلافة لا تحتمل المقام فيها أكثر
 من هذا وما تم لاحد أن يدخل فيها بعروس غيرك وكل ذلك بعناية السيدة
 وقد اعطتني خمسين الف دينار من عين وورق وجوهر وقماش ولى خارج القصر
 أموال وذخائر وكلها لك فاخرج وخذ معك مالا واشتر لنا داراً عظيمة حسنة
 واسعة الصحن فيها بستان كبير كثيرة الحجر ولا تضيق على نفسك كما تضيق
 نفوس التجار فاني ما تعودت السكن إلا في الصحون الواسعة واحذر أن تبترع
 شيئاً ضيقاً فلا اسكنه وإذا تم البيع فاصلحها ونظفها وعرفني لا نقل اليك مالى
 وانتقل فقات افعل كما تأمرين فسلمت لي عشرة آلاف دينار فاخذتها وخرجت
 وآتيت دارى فانها لى الناس على واعترضت الدور حتى ابتعت ما وافق اختيارها

وكتبت اليها بالخبر فنقلت إلى تلك النعمة بأسرها وعندى ما لم اظن اني أراه فضلا
عن ان املكه واقامت عندي كذا وكذا سنة اعيش معها بعيش الخلفاء واتجر
في خلال ذلك لأن نفسي لم تسمح بترك الصنعة وابطال المعيشة فتزايد مالي وجاهي
وولدت لي هؤلاء الشبان وأومى إلى أولاده وماتت رحمها الله وبقي على مضرة الداجيراجة
اني لا آكلها إلا غسلت يدي أربعين مرة * وجدت في بعض الكتب ان عيسى
ابن موسى الهاشمي كان يحب زوجته حباً شديداً فقال لها انت طالق ان لم تكوني
أحسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت قد طلقني وباتت بليلة عظيمة فلما
أصبح عدا على المنصور واخبره الخبر وقال له يا امير المؤمنين ان تم على طلاقها
تلفت نفسي عنها وكان الموت أحب إلى من الحياة واطهر للمنصور جزعاً شديداً
فاحضر المنصور الفقهاء واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت إلا رجلاً واحداً
من أصحاب أبي حنيفة رضى الله عنه فانه سكت فقال له المنصور مالك لا تتكلم
فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين
لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم فلا شيء يا امير المؤمنين أحسن من الانسان
فقال المنصور لعيسى بن موسى قد فرج الله عز وجل عنك والأمر على ما قال هذا
فاقم على زوجتك وراسلها ان طبعى زوجك فما طلقك * عن محمد بن يونس قال
لما سالت عمل دمشق إلى أبي المغيث الرافعي سألتني ان اكتب له عليه ففعلت
فلما تأملت أنا وهو حدثني أول خبره في تقلده الناحية فقال لي كنت قصدت
عيسى بن موسى وهو يتقلد حمص فصرفتني وقلده ابن عم لي فالصرفت عنه إلى
الرافقة وكان لابنة عم لي جارية نفيسة قدرتها وعلمتها الغناء وكنت ادعوها فالتفتها
ووقعت في قلبي موقعا عظيماً واشتد حبي لها فعملت على بيع منزلي وابتاعها
وناظرت مولاتها في ذلك فخلعت انها لا تنقص ثمنها عن ثلاثة آلاف دينار فنظرت
فاذا أنا افتقر ولا تنفي حالي كلها بنمنها فقامت قيامتي واشتد وجدى وانحدرت
إلى سر من رأى أطلب تصرفاً أو ما به شراها وكان محمد بن اسحق الطاهري وأبوه
يوهبان لي فتصدت محداً ومعى دواب وبقية من حالي فأقت عليه مدة لم يسبح لي
فيها تصرف فأبدت لي رقة الحال فانحدرت إلى بغداد اقصد اسحق بن ابراهيم
الطاهري فوردت في زورق وفكرت في أمري وعلى من انزل فلم اثق بغير محمد بن

الفضل الحوحوائي لمودة كانت بيني وبينه فقصدته ونزلت عليه ووقع ذلك منه
أجل موقع وفائتي عن أمري وسألني عن حالي فذكرت له قصتي مع الجارية فقال
والله لا تبرح من مجلسك حتي تقبض ثمنها وأمر خادمه فأحضر كيسا فيه ثلاثة
آلاف دينار وسلمت إلي وتأيت عليه خلفا يمانا مؤكدة ان اقبله وقال ان اتسعت
لتفضائه واحتجت اليه لم امتنع من أخذه منك فأخذت الكيس وشكرته وتشاغلنا
بالشرب فلما كان من الغد أتى رسول اسحاق بن ابراهيم الطاهري يطلبني فصرت
اليه فأخفى بي واكرمني وقال ما ظننت انك توافي بلدا احله فتنزل غير داري
فقلت والله ما وافيت إلا قاصدا إلى الأمير ولكن دوابي تأخرت فتوقعت ورودها
لاصير إلى باب الأمير عليها فدعا بكتب وردت من محمد بن عبد الملك وفيها كتاب
من أمير المؤمنين المعتصم بولايتي دمشق وأراني كتابا يعلمه فيه ما خبا على بن
اسحاق من قتل رجاء بن الضحاك بدمشق وان أمير المؤمنين رأى تقليدك وطلبت
بسر من رأى فذكر له انك انحدرت إلى اسحاق بن ابراهيم فأمر بتسليم كتبك
إلي ودفع مائة الف دينار لك معونة على خروجك واحضر المال ووكّل بي من
يستحسني على البدار فورد على من السرور ما أدهشني وودعته وخرجت إلى محمد بن
الفضل فعرفته ما جري وودعته أيضا وأخرجت دنائره فرددتها عليه خلفا يمان
غليظة عظيمة لاعادت إلي ملكه أبدا وقال ان جلست في عملك واتسعت لم امتنع
أن أقبل منك غير هذا فشخصت ومررت بالرقّة وابتعت الجارية وبلغت مناي
بملكها واجتزت بمحمص بابن عمي وأنا أجل منه عملا ودخلت عملي فصنع الله سبحانه
ووسع ووجدت في كتاب السمر للمدايني أن رجلا من بني أسد علق امرأة
من همدان بالكوفة وشاع امرها فوضع قوم المرأة عليه عيوننا حتى أخبروا أنه
قد اتاها في منزلها فأتوا دارها واحتاطوا بها فلما رأته ذلك ولم تجد للرجل مهربا
وكانت المرأة بادية فقالت له ما أرى لك موضعا أستر من أن أدخلك خلف ظهري
وتلزمني فأدخلته بينها وبين القميص ولزمها من خلفها ودخل القوم فداروا في الدار حتى
لم يتركوا موضعا إلا فتشوه فلما لم يجدوا الرجل استحيوا من فعلهم وأغلظت المرأة
عليهم وعنفتهم فخرجوا وأنشأ الرجل يقول

حبك اشهاني وحبك قادني لهمدان حتى امسكوا بالمحنق

فجاشت إلى النفس أول مرة فقلت لها ماتفرقي حين مفرقي
رويدك حتى تنظري عم تنجلي عماية هذا العارض المتعلق

* ذكر الهيثم بن عدي أن جماعة من عذرة حدثوه أن جميل بثينة حضرات
ليلة عند خباء حتى إذا صادف منها خلوة تنكروا منها وكانت الليلة ظلماء ذات
غيم ورعد وريح فحذف بمحاصة فأصاب بعض أترابها ففزعت وقالت ما حذفتني
في هذه الليلة إلا الجن ففطنت بثينة أن جميلا فعل ذلك فقالت لربتها الا فانصرفي
يا أخية إلى منزلك حتى تنامي فانصرفت وبقت مع بثينة أم الحسين وروى أم
اليسير بنت منظور وكانت لا تكتمها فقامت إلى جميل فدخلته الخباء معها ونحدثوا
جميعا ثم اضطجعوا وذهب بهم النوم حتى أصبحوا وجاء غلام زوجها بصبح
من اللبن بعث به اليها فراها نائمة ونظر جميلا فمضى لوجهه حتى أخبر سيده وكانت
ليلي رأت الغلام والصبح معه وقد عرفت خبر جميل وبثينة فاستوقفته كأنها
تسأله عن حاله وطاولته الحديث وبعثت بجارية لها وقالت حذري جميلا وبثينة
فجاءت الجارية ونبهتهما فلما تبينت بثينة أن الصبح قد اضاء والناس قد انتشروا
ارتفعت لذلك وقالت يا جميل نفسك قد جاء غلام بعلي بصبح من اللبن فآنا
نأمن فقال جميل وهو غير مكترث

لعمرك ما خوفتني من مخافة علي ولا حذرتني موضع الحذر
وأقسم ما يلتقي لي اليوم عزة وفي الكف مني صارم قاطع ذكر
فأقسمت عليه أن يلتقي نفسه تحت المنضد وقالت انما أسألك ذلك خوفا على نفسي
من الفضيحة لا خوفا عليك ونامت واضجعت أم الحسين إلى جانبها فجاء زوجها
إلى أخيها وأبيها فعرفهما الخبر وجاءوا بأجمعهم إلى بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها
الثوب فرأوا أم الحسين إلى جانبها نائمة فحجل زوجها وسب عبده وقالت ليلي
لا يبها وأخيها قبحكما الله في كل يوم تفضحان المرأة في فنائكما ويلكما هذا
لا يجوز فقالا انما فعل ذلك زوجها فقالت قبحه الله واياكما فجعل يسبان زوجها
وانصرفوا وأقام جميل تحت المنضد إلى الليل ثم ودعها وانصرف * عن أبي القاسم
علي بن أحمد الكاتب المعروف بابن كردويه قال كان لي صديق من أهل واذان عظيم
النعمة والضيعة فحدثني قال تزوجت في شبابي امرأة من آل وهب ضخمة النعمة

حسنة الخلقة والآداب كثيرة المروءة ذات جوار مغنيات فعشقتها عشقاً مبرحاً
وتمكن لها من قلبي أمر عظيم ومكث عيسى بها طويلاً مدة طويلة ثم جرى بيني
وبينها بعض ما يجري بين الناس فغضبت عليّ وهجرتني واغلقت باب حجرتها من
الدار دوني ومنعتني الدخول إليها وراسلتني بأن اطلقها فترضيته بكل ما يمكنني
فلم ترض ووسطت بيننا أهلها من النساء فلم ينجع فلحقني الكرب والغم والقلق
والجزع حتى كاد يذهب بعقلي وهي مقيمة على حالها فجئت إلى باب حجرتها وجلست
عنده مفترشاً التراب ووضعت خدي على العتبة أبكي وانتحب واتلافها واسألتها
الرضا وأقول كلما يجوز أن يقال في مثل هذا وهي لا تكلمني ولا تفتح الباب ولا
تراسلني ثم جاء الليل فتوسدت العتبة إلى أن أصبحت واقمت على ذلك ثلاثة أيام
بلياليها وهي مقيمة على الهجران فأيست منها وعزلت نفسي ووبختها ورضيتها على
الصبر وقت من باب حجرتها عاملاً على التشاغل عنها ومضيت إلى حمام في داري
فأمطت عن جسدي الوسخ الذي كان لحقه وجلست لا غير ثيابي وأتبخر فاذا
بزوجتي قد خرجت إلى وجواربها المغنيات حوالها بآلاتهن يغنين ومع بعضهن
طبق فيه اوساط وسنوسج وماء ورد وما اشبه ذلك فحين رأيتها استطرت فرحاً
وقت إليها واكبيت على يديها ورجليها وقلت ما هذا يا ستي فقالت تعال حتى نأكل
ونشرب ودع السؤال وجلست وقدم الطبق فأكلنا جميعاً ثم جرى بالشراب
واندفع الجوارى بالغناء واخذنا في الشراب وقد كاد عقلي يزول سروراً فلما توسطنا
امرنا قلت لها يا ستي انت هجرتيني بغير ذنب كبير اوجب ما بلغته من الهجران
وترضيته بكل ما في المقدرة فما رضيت ثم تفضلت اسداء بالرجوع الي وصالي
بما لم تبلغه امالي فعرفيني ما سبب هذا قالت كان الامر في سبب الهجر ضعيفاً
كما قلت ولكن تداخلني في التجني ما يتداخل المحبوب ثم استمررتي اللجاج وأراني
الشیطان الصواب فيما فعلته فأقمت على ما رأيته فلما كان الساعة اخذت دفترًا كان
بين يدي وتصفحته فوقعت عيني على قول الشاعر

الدهر اقصر مدة من ان يضيع في الحساب فيعمى ساعاته فرورها من السحاب
قالت فعلمت انها عظة لي وان سبيلي ان لا اسخط الله عز وجل باسخط زوجي
ولا استعمل اللجاج فاسوءك واسوء نفسي فجئتكم لا ترضاك وارضيكم فانكبيت

على يديها ورجليها وصفا ما كان بيننا * عن عبد الملك بن عمر قال قدم علينا عمرو
ابن هبيرة الكوفي فارسل إلى عشرة من اصحابه واذا احدهم من وجوه أهل الكوفة
فسهرنا عنده ثم قال ليحدثني كل رجل منكم احدثه وابدأ انت فقلت اصلح الله
الأمير احدث الحق أم حديث الباطل قال بل حديث الحق قلت ان امرئ القيس
ابن حجر الكندي حلف ان لا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية واربعة واثنتين
وجعل يخطب النساء واذا سألهن عن هذا قلن اربعة عشر فبينما هو يسير في الليل
اذا برجل يحمل بنتاً له صغيرة كأنها البدر لثمه فاعجبته فقال يا جارية ما ثمانية
واربعة واثنان قالت اما الثمانية فاطباء الكلبة واما الأربعة فاخلاق الناقة واما
الاثنان فتدنيا المرأة فخطبها الي أبيها فزوجه اياها وشرطت عليه ان تسأله ليلة بناءها
عن ثلاثة خصال فجعل لها ذلك على أن يسوق لها مائة من الابل وعشرة عبيد
وعشرة وصائف وثلاث افراس ففعل ثم انه بعث عبداً له الى المرأة واهدى اليها
نحياً من سمن ونحياً من عسل وحلة من عصب فنزل العبد ببعض المياه ونشر الحلة
فلبسها فتعلقت بشجرة فانشقت وفتح النحيين واطعم أهل الماء منهما ثم قدم على
المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها واخيها ودفع اليها هديتها فقالت اعلم مولاي
ان أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريباً وان امي ذهبت تشق النفس نفسين
وان اخي يراعى الشمس وإن سماءكم قد انشقت وان وعاءكم قد تضبا فقدم الغلام
على مولاه فاخبره فقال ما أقوى قولها انها تعنى بقولها ان أباهما ذهب يقرب بعيدا
ويبعد قريباً ان اباهما ذهب يحالف قوماً على قوم وقولها ذهبت امي تشق النفس
نفسين فان أمها ذهبت تقبل امرأة نفسها وأما قولها اخي يراعى الشمس فان اخاهما
في سرح له يرعاه فينتظر وجوب الشمس ليروح به وأما قولها ان سماءكم قد
انشقت فان البرد الذي بعثت به انشق وأما قولها ان وعاءكم قد تضبا فان النحيين
الذين بعثت بهما نقصا فصدقني قال يا مولاي اني نزلت بماء لبنى تميم فسألوني عن
نسي فاخبرتهم اني اعمك ونشرت الحلة فلبستها فتعلقت بشجرة وانشقت ثم فتحت
النحيين واطعمت منهما أهل الماء فقال أولى لك ثم ساق الابل وخرج نحوها ومعه
الغلام فنزلاً منزلاً فقام الغلام يستقي فاعانه امرئ القيس فرمى به الغلام في البئر
وخرج حتى أتى المرأة بالابل وأخبر أباهما أنه زوجها فقيل لها قد جاء زوجك

فقالت والله ما ادرى أهو زوجي أولا ولكن انحروا له جزورا واطعموه بن
 كرشها ففعلوا فاكل ما اطعموه فقالت استقوه لبنا خازرا وهو الحامض فسقوه
 فشرب فقالت افرشوا له عند الفرث والدم ففرشوا له فنام فلما اصبح ارسلت
 اليه اني اريد ان اسألك فقال سلى ماشئت فقالت مم يختلج شفتاك فقال لتقبيلي
 اياك فقالت مم يختلج كشحك فقال لا التزامي اياك فقالت مم يختلج فخذاك فقال
 لتوركي اياك قالت عليكم بالعبد فشدوا ايديكم به ففعلوا قال ومرفوم فاستخرجوا
 امرىء القيس من البئر فرجع إلى حيه واستاق من الابل واقبل إلى امرأته فقالت
 والله لا ادرى أهو زوجي أولا ولكن انحروا له جزورا واطعموه من كرشها واذنبا
 ففعلوا فلما اتوه بذلك قال ابن الكبد والسنام والملحاء وأبي أن يأكل فقالت
 استقوه لبنا خازرا فأبي أن يشربه وقال ابن الضريب والرايب فقالت افرشوا له
 عند الفرث والدم ففرشوا له فاني أن ينام وقال افرشوا الى عند التلعة الحمراء واضربوا لي
 عليها خبثا ثم ارسلت اليه هلم شرطى عليك في المسائل الثلاث قال فارسل اليها ان سلى عما
 شئت قالت مم يختلج شفتاك قال لشرب المشعشات قالت مم يختلج كشحك قال للبسي
 الخبرات قالت فمم يختلج فخذاك قال لكضي المطهات قالت هذا زوجي فعليكم به واقتلوا
 العبد فقتلوه ودخل امرىء القيس بالجارية قال ابن هبيرة حسبكم فلاخير في الحديث
 سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن تأتينا باعجب منه فقمنا وانصرفنا وأمر لي
 بجائزة سنبة * وجدت في كتاب الاغانى الكبير لأبي الفرج المعروف بالاصمهاني
 الذي اجاز لي روايته في جملة ما اجاز له اخبار قيس بن دريج الكنانى قال في
 صدرها أخبرني بخبر قيس بن دريج ولبنى امرأته جماعة من مشائخنا في قصص
 متصلة ومنقطعة وأخبار منشورة ومنظومة فألفت جميع ذلك ليتسق حديثه إلا
 ما جاء منفردا وحسن اخراجه عن جملة النظم فذكرته على حدة فمن أخبرنا بخبره
 أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوز به إلى غيره
 وابراهيم بن أيوب عن أبي شبة والحسن بن علي عن محمد بن موسى عن حماد البريدي
 عن أحمد بن يوسف عن جرير بن قطن عن حساس بن محمد عن محمد بن أبي السرى
 عن هشام بن محمد الكلبي وعلى روايته أكثر المعول ونسخت أيضا من أخباره
 المنظومة أشياء ذكرها عن رجاله وخالد بن كلثوم عن نفسه ومن روى عنه وخالد

ابن حمل و تنفأ حكاها التوسعي صاحب الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حماد جميل
عن ابن أبي جناح الكعبي وحكى كل متفق فيه متصلا وكل مختلف في معانيه
منسوبا إلى قالوا جميعا كان ينزل قيس برصة في ظاهر المدينة وكان هو وأبوه من
حاضرة المدينة فمر قيس لبعض حوائجه بجناء من بني كعب من خزاعة والحى
جلوس فوقف على خيمة لبني بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت
به اليه وكانت امرأة شديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام فلما رآها وقعت
في نفسه وشرب الماء فقالت له اتنزل عندنا قال نعم فنزل بهم وجاء أبوها فنهض
له واكرمه فانصرف قيس وفي قلبه من لبني حر لا يطفى فجعل ينطق الشعر فيها
حتى شاع وروى ثم اتاها يوما آخر وقد اشتد وجده بها فسلم وظهرت له وردت
عليه سلامه وتحفت به فشكا اليها ما يجد بها وما لقي من حبها فشكت مثل ذلك
فاطالت وعرف كل واحد منهما ماله عند صاحبه فانصرف إلى أبيه فاعلمه حاله وسأله
أن يزوجه اياها فأبى عليه وقال يا بني عليك باحدى بنات عمك فهن احق بك
وكان دريج كثير المال فاحب أن لا يخرج ابنه عن يده فانصرف قيس وقد ساءه
ما خاطبه به أبوه فأتى امه وشكا ذلك اليها واستعان بها على أبيه فلم يجدها عندها
ما يحب فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما وروى أبو الفرج قبل
هذا في أخبار قيس باسناد مفرد لم يذكره ههنا خوف الاطالة انه كان رضيع
الحسين عليه السلام واتي إلى ابن أبي عتيق وكان صديقه فشكا اليهما مابه وما
رد عليه أبوه فقال له الحسين عليه السلام انا اكفيك فمضى معه إلى أبي لبني
فلما بصر به اعظمه ووثب اليه وقال يا ابن رسول الله ما جاء بك إلا بعثت الي فأتيتك
فقال ان الذى جئت له يوجب قصدك وقد جئتك خاطبا لبني لقيس بن دريج
فقال يا ابن رسول الله إلا بعثت الى وما كنا لنعصى لك امرا وما بنا عن الفتى
رغبة ولكن احب أمرين اليها ان يخطبها أبوه دريج وأن يكون ذلك عن امره
فانا نخاف ان سمع أبوه بعد هذا يكون عارا وسبة علينا فأتى الحسين رضى الله
عنه دريجا وقومه مجتمعون عليه فقاموا اليه اعظاما وقالوا له مثل قول الخزاعيين
فقال يا دريج اقسمت عليك الا خطبت لبني لابنك قيس قال السمع والطاعة
لامرك فخرج معه في وجوه قومه حتى أتى حى لبني فخطبها دريج على ابنه لا يها

فزوجه اياها وزفت اليه فاقام معها مدة لا ينكر احدهما من صاحبه شيئاً وكان
 أبر الناس بأمه فاهلته لبنى وعكوفه عليها عن بعض ذلك فوجدت أمه في نفسها
 وقالت لقد شغلت هذه المرأة ابني عن برى ولم تر للكلام موضعاً حتى
 مرض قيس مرضاً شديداً فلما برأ قالت أمه لأبيه لقد خشيت أن يموت قيس ولم
 يترك خلفاً وقد حرم الولد من هذه المرأة وأنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة
 فزوجه بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً وألحت عليه في ذلك فامهلها حتى اجتمع
 قومه ثم قال يا قيس انك اعتللت هذه العلة ولا ولد لك ولا لى سواك وهذه المرأة
 ليست بولود فتزوج احدى بنات عمك لعل الله تعالى ان يهب لك ولداً تقربه أعيننا
 وعينك فقال قيس لست متزوجاً غيرها أبداً فقال أبوه ان في مالي سعة فتسرى
 بالاماء فقال ولا اسؤها بشيء أبداً فقال أبوه اني أقسم عليك إلا تطلقها فابي وقال
 الموت والله أسهل عليّ من ذلك ولكن اخيرك خصلة من خصال قال وما هي قال
 تتزوج أنت فلعل الله أن يرزقك بولد غيري قال ما بي فضل لذلك قال فدعني
 ارحل عنك باهلي قل ما كنت لا صنع قال فدع لبني عندك وارتحل أنا عنك لعل
 اسلوها فآتي ما تحب بعد ان تكون نفسي طيبة بأنها في حبالى قال لا أرضى أو تطلقها
 ثم أحلف انه لا يكنه سقف بيت أبداً حتى تطلق لبني وكان يخرج فيقعد في حر
 الشمس ويحجى قيس فيقف إلى جانبه ويظله بردائه ويصلى وهو بحر الشمس حتى
 يفيء الفاء وينصرف إلى لبني فيعانقها ويبكى وتبكي معه وتقول يا قيس لا تطع
 أباك تهلك وتهلكنى معك فيقول ما كنت لا طيع أحداً فيك أبداً فيقال انه
 مكث على ذلك سنة وقال خالد بن كلثوم ذكر ابن عائشة انه أقام كذلك أربعين يوماً
 ثم طلقها وحكى ليث بن عمرو انه سمع قيس بن دريج يقول ليزيد بن سليمان هجرني
 أبوأي في لبني عشر سنين استأذن عليهما فيرد اننى حتى أطلقها قال ابن جريج
 فاخبرت ان عبد الله بن صفوان الطويل لقي دريجا أباقيس فقال له ما حملك ان فرقت
 بينهما أو ما علمت ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ما أبالي فرقت بينهما أو مشيت
 إليهما بالسيف وروي هذا الخبر من طريق آخر ان الحسين بن علي رضى الله عنهما
 قال لدريج أباي قيس أحل لك ان فرقت بين قيس ولبنى اما انى سمعت عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه يقول ما أبالي أفرقت بين الرجل وامراته أو مشيت إليهما

بالسيف قتلوا فلما بان لبني منه بطلاقه اياها وفزع من الكلام لم يصمت حتي
استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون وجعل يبكي ويتشنج أحر تشنج وبلغها
الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحملها وقيل بل أقامت حتي انقضت عدتها وقيس يدخل
إليها فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبابل يحمل أثاثها فلما رأى ذلك قيس أقبل على
جارتها وقال ويحك مادها نى فيكم قالت لا تسألنى وسل لبني فذهب ليلم بخبائها
فمنعه قومها وأقبلت إليه امرأة من قومه فقالت مالك تسأل ويحك كأنك جاهل
أومتجاهل هذه لبني ترحل الليلة أو غدا فسقط مغشيا عليه لا يعقل ثم أفاق
وهو يقول

واني لمن دمع عيني بالبكا حذار الذي قد كان أو هو كائن
وقالوا غدا أو بعد ذاك بليلة فراق حبيب لم يبن وهو بائن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفى إلا ان من خان خائن
قال أبو الفرج من هذه الأبيات غناء ولها أخبار قد ذكرت في أخبار المجنون
يعنى قيس بن الملوح مجنون بنى عامر ثم ذكر أبو الفرج بعد هذا عدة قطع من
شعر قيس بن دريج ثم قالوا فلما ارتحل بها قومها اتبعها مليا ثم علم ان اباها سيمنعه
من المسير معها فوقف ينظر إليها ويبكي حتى غابوا عن عينه ففكر راجعا ونظر
إلى خف بعيرها فأكب عليه يقبله ورجع يقبل موضع مجلسها وأثر قدميها فلم
على ذلك وعنفه قومه في تقبيل التراب فقال

وما أحببت أرضكم ولكن أقبل أثر من وطئ التراب
لقد لاقيت من كفى بلبنى بلاء ما أسيغ له شرابا

ثم ذكر أبو الفرج قطعة من شعر قيس وأخبارا من أخباره في لبني مشهورة
بأسانيد مفردة عن الاسناد الذي رأته عنه هاهنا ثم رجع إلى موضع من الحديث
الذي جمع فيه أسانيد وأتى بسباقه تطول عن ان اذكرها في كتابي هذا جملتها
عظيم ما لحق قيسا من التمليل والسهو والكمد والاسف والبكاء العظيم والجزع
المفرط والصاق خده بالأرض على أثارها وخروجه في أثرها يشم روائحها وعتابة
نفسه في طاعة أبيه على طلاقها وعلة اعتلها أشرف منها على الموت وجمع أبيه له
فتيات الحى يعللنه ويحدثنه طمعا في أن يسلاوا عن لبني ويلق واحدة منهن

فزوجها منه وقصة له مع طبيب حضره وقطع شعر كثيرة له في خلال ذلك
وذكر في جملة أخبار كثيرة بأسانيد متفرقة وبالسناد الذي ذكره ان ابابنبي شكا
قيساً إلى معاوية بن أبي سفيان وذكر تعرض لها بعد الطلاق فكتب إلى مروان
ابن الحكم يهدر دمه أن تعرض لها فكتب مروان بذلك إلى صاحب الماء وان
أباها زوجها فبلغ ذلك قيساً فاشتد جزعه وجعل يتشنج أحر تشنج ويبكي أشد
بكاء واتي محلة قومها فنزل عن راحلته وجعل يبكي في موضعها ويمرغ خده على
ترابها ويبكي أحد بكاء ثم قال قصيدة آتي بها أبو الفرج وبأخبارها أولها

إلى الله أشكو فقد لبني كما شكا إلى الله فقد الوالد ين يتيم
وذكر بعدها أخباراً له معها واجتماعات عفيفة كانت بينهما بحيل ظريفة
ووجدتها به وبكاها وانكار زوجها ذلك عليها ومكاشفتها له به وعلة أخرى لحقت
قيساً واشهارها وافتضاها وخالق قيساً ولبنى من الخبل واختلال العقل وقطع
شعر كثيرة آخر لقيس في خلال ذلك وان قيساً مضى إلى يزيد بن معاوية فدحه
وشكى إليه مابه فرق عليه وأخذله كتاب أبيه بأن يقيم حيث ما أحب ولا يعترض
عليه أحد وأزال ما كان كتب به في هدر دمه وقطع شعر كثيرة لقيس في خلال
ذلك وأخبار مفردة ومتصلة ثم قال وقد اختلف في كثير من أمر قيس ولبنى
وذكر كلاماً كثيراً في ذلك والجمع في نيف وعشرين ورقة طلحية ثم قال بعد ذلك
كله وذكر الفخذي وابن عائشة وخالد بن حمل ان ابني عتيق صار إلى الحسن والحسين
عليهما السلام وعبدالله بن جعفر رحمهما الله وجماعة من قریش فقال لهم ان لي
حاجة أخشى ان تردوني فيها واني استعين بجاهكم وأموالكم عليها قالوا ذلك
مبذول لك منا فاجتمعوا ليوم وعدهم فيه فضى بهم إلى زوج لبنى فلما رأهم
أعظم مصيرهم إليه وأكبره فقالوا قد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق فقال
مقضية كائنة ما كانت قال ابن أبي عتيق قد قضيتها كائنة ما كانت من أهل أو مال
قال نعم قال فتهب لي اليوم لبني زوجتك وتطلقها قال فاني أشهدكم انها طالق ثلاثاً
فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا والله ما عرفنا حاجته ولوعلمنا انها هذه ماسألناك
أياها قال ابن عائشة فعوضه الحسن عليه السلام في ذلك بمائة ألف درهم وحملها ابن
أبي عتيق إليه ولم تزل عنده حتى انقضت عدتها فأتي القوم أباها فزوجها قيساً

ولم نزل معه إلى ان ماتا فقال قيس بن دريج يمدح بن أبي عتيق
 جزى الرحمن أفضل ما يجازى على الاحسان خيرا من صديق
 فقد جربت اخواني جميعا فما انيت كابن أبي عتيق
 سعى في جمع شملي بعد صدع ورأى حرت فيه عن طريق
 واطفا لوعة كانت بقلبي أغصتني حرارتها بريق
 قال فقال له ابن أبي عتيق يا حبيبي امسك عن هذا الحديث فما يسمعه أحد إلا
 ظنني قوادا * أخبرني أبو الفرج المعروف بالاصبهاني قال أخبرني حبيب بن نصر
 المهلب قال حدثنا عبد الله بن سعد قال حدثني عبد الله بن نصر المروزي قال حدثنا
 محمد بن عبد الله الطلحي قال حدثني سليمان بن يحيى بن معاذ قال قدم على بني سابور
 إبراهيم بن سبابة يعني الشاعر البصري الذي كان جده حجاما فاعتقه بعض بني
 هاشم فصار مولى لهم فأزلته على فجاءني ليلة من الليالي وهو مكروب وقد هام فجعل
 يصيح بي يا أبا أيوب نخشيت أن يكون قد غشيته بلية فقلت له ما تشاء فقال (أعياني
 الشاذن الريب) فقلت له ماذا تقول فقال (أشكو إليه فلا يجيب) فقلت داره
 وداه فقال

من أين ابغى شفاء مابى وإنما دائي الطبيب
 فقلت فلا إذا إلا أن يفرج الله تعالى فقال (يارب فرج اذن وعجل) (فانك
 السامع المجيب) * ثم انصرف * أخبرني أبو الفرج المعروف بالاصبهاني قال حدثني
 محمد بن مزيد أبي الأزهر قال حدثنا حماد بن إسحق قال حدثني أبي قال سرت إلى
 سر من رأى بعد قومي من الحج فدخلت إلى الوراق فقال بأى شئ اطرقتني من
 الأحاديث التي استفدتها من العرب في اشعارهم فقلت يا أمير المؤمنين جلس إلى فتى
 من الاعراب في بعض المنازل يحدثني فرأيت منه أحلى من رأيت من الفتيان منظرا
 وحديثا وطرفا وأدبا فاستنشدته فأنشدني

سقى العلم الفرد الذي في ظلاله غزالان مكتنفان مؤتلفان
 إذا أمنا التفا بجيدى مواصل وطرهما للريب مسترقان
 أردتهما ختلا فلم استطعهما ورميا ففاتاني وقد قتلان
 ثم تنفس تنفسا ظننت أنه قد قطع حياذيمه فقلت مالك بأبي أنت وأمي فقال

لى ورأ هذا الجبلين شجى لى وقد حال قومه بينى وبين المرور بهذه البلاد وهدروا
دمى فانا اتمتع بالنظر إلى الجبلين تعللا به إذا قدم الحاج ثم يحال بينى وبين ذلك
فقلت له زدني مما قلت فانشدني

إذا ما وردت الماء فى بعض اهله حضور فعرض بي كأنك مادح
فان سألت عنى حضورا فقل لها به غير من دائه وهو صالح
فأمرني الوائق فكتبت الشعرين فلما كان بعد أيام دعاني فقال قد صنع بعض
عجائز دارنا فى احد الشعرين لحنا فاصمعه فان ارتضيته أظهرناه وان رأيت فيه موضع
اصلاح اصلحته فغنى لنا فيه من وراء الستارة فكان فى نهاية الجودة وكذا كان
يفعل إذا صنع شيئا فقلت له احسن والله صانعه يا أمير المؤمنين ماشاء فقال بحياتي فقلت
وحياتك وحلفت له بما وثق به فأمر لى بطل فشربه ثم أخذ العود فغناه ثلاث مرات
فلما كان بعد أيام دعاني وقال لى قد صنع بعض عجائز دارنا فى الشعر الآخر لحنا وأمر
فغنى به وكانت حالي به كالحالة الأولى فى الشعر الأول لما استحسنته وحلفت له
على جودته وسقاني ثلاثة ارطال وأمر لى بثلاثة الف درهم ثم قال قد قضيت حق
هديتك قلت نعم يا أمير المؤمنين اطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك ولا افقدنيها
منك ربك فقال ولكنك لم تقض حق جليسك الاعرابي ولا سألتنى معونة على
امره وقد سبقت منه مسئلتك ثم قال ولكنى كتبت بخبره إلى صاحب الحجاز
وامرته باحضاره وخطبة المرأة له وحمل صداقها إلى قومها من مالى ففعل فقبلت
يده وقلت السبق إلى المسكارم لك وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس
قال أبو الفرج وصنعة الوائق فى الشعرين جميعاً من الرمل * وجدت فى بعض كتبي
قال أبو عبيد الله محمد بن على بن حمزة كانت لزوجتى جارية حسنة الوجه فعشقتها
فعلمت زوجتى بذلك فحجبتها عنى واشتد ما بى من الوجد عليها وتنغصت على
حياتى وقاسيت شدة شديدة فبينما أنا ذات ليلة نائم ومولاتها زوجتى إلى
جانبي إذ رأيت فى النوم كان الجارية حيالى وأنا أبكى وقد لاح انسان انشدني
وقفت حبالك اذرى الدموع واخلط بالدمع منى دما
واشكو الذى بى إلي عاذلي ولا خير فى الحب ان يكتما

رضيت بما ليس فيه رضا بتسليم طرفك ان سلمنا
 فتهت على واقضيتني واعزر على بأن ارغما
 قال فانتبهت جزا ودعوت بدواة وبياض وجلست في فراشي فكتبت الشعر
 فقالت زوجتي مالك ماذا تصنع فقصصت عليها الرؤيا فقالت هذا كله من حب
 فلانة قد وهبتها لك * أخبرني أبو الفرج القرشي المعروف بالاصمعي قال نسخت
 من كتاب محمد بن موسى بن حماد ذكر الرياشي قال حماد الرواية اتيت مكة فجلست
 في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة الخزومي فتذاكرنا العذريين فقال عمر بن أبي
 ربيعة كان لي صديق من بني عذرة يقال له الجعد بن مهجع وكان أحد بني سلامان
 وكان يلتقي من الصباغة بالنساء على أنه كان لا طهر الخلوة ولا سريع السلوة وكان
 يوافي الموسم في كل سنة إذا جاء وقته وترجت عنه الأخبار وتوكت له الاسفار
 فغمي ذات سنة ابطاؤه حتى قدم حجاج عذرة فأتيت القوم انشد صاحبي وإذا
 غلام قد تنفس الصعدا ثم قال عن أبي المسهر تسأل قلت نعم عنه اسأل واياه
 اردت قال هيهات هيهات اصبح أبو المسهر لا مايوس منه فيهمل ولا مرجو فيعمل
 والله كما يقول الشاعر

لعمري ما حيي لاسماء تاركي اعيش ولا اقضي به فأموت

فقلت وما الذي به قال مثل الذي بك من الهيمان في نهوك كما في الضلال
 وجركما اذبال الخسار كانكما لم تسمعا بحجة ولا نار قلت ومن أنت منه يا ابن أخي
 قال أخوه قلت فما يمنعك ان تسلك مسلك أخيك من الأدب وان تركب
 منه مركبه وأخوك كالبرد والبحار لا ترفعه ولا يرفعك ثم صرفت وجه ناقتي
 وأنا أقول .

ارائحه حجاج عذرة وجهه ولما يرح في القوم جعد بن مهجع
 خليلان نشكو ما نالاق من الهوى متى اقل يسمع وان قال اسمع
 ألا ليت شعري أي شيء أصابه بلى زفرات هجن من بين اضلع
 فلا يبعدنك الله خلا فاني سألتني كالأقيت في الحب مصرعي
 ثم انطلقت حتى رفقت موقفي من عرفات فبينما أنا كذلك إذا بانسان قد تغير
 لونه وساءت هيأته فادنى ناقتي من ناقتي ثم خالف بير اعناقهما وعانقني وبكا حتى

اشتد بكاؤه فقلت ما وراءك فقال نوح العذل وطول المظل ثم انشأ يقول

لئن كانت غدية ذات لب لقد علمت بأن الحب داء
ولا تنظر إلى تغيير جسمي واني لا يفارقني البكاء
فاني لو تكلفني كلاما لعف الكلم وانكشف الغطاء
وان معاشرى ورجال قومي حتوفهم الصباية واللقاء
اذا العذرى مات حليف قوم فذاك العبد تبكيه الرشاء

فقلت يا أيا المسهر انها ساعة يضرب اليها اكباد الابل من شرق الأرض وغربها
فلو دعوت كنت تتمنى أن تظفر بحاجتك قال فتركني وأقبل على الدعاء فلما نزلت
الشمس للغروب وهم الناس أن يفيضوا منه سمعته يتكلم بشيء فاصغيت اليه
فاذا هو يقول

يارب كل غدوة وروحة من محرم يشكو الضنا ولوحة
أنت حسيب الخطب يوم الدوحة

فقلت وما يوم الدوحة فقال والله لا خبرتك ولو لم تسألني وتيممنا نحو
مزدلفة فأقبل على وقال اني رجل ذو مال من نعم وشأو ذو المال لا يعذره القل
ولا يرويه الثمار واني خشيت عام الأول على مالي التلف ونصر الغيث أرض كلب
فانتجعت اخوالي منهم فإوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني حمة الماء وكنت
معه في خير أحوال ثم اني عزمت على مرافقة ابلي بماء لهم يقال له الحردان
فركبت فرسي وسمطت خلفي شرابا كان أهدها إلي بعضهم ثم مضيت حتي إذا
كنت بين الحى ومرعى الغنم رفعت لي دوحة عظيمة فنزلت عن فرسي وشدته
بغصن من أغصانها وجلست في ظلها فبينما أنا كذلك إذ سطع غبار من ناحية
الحى ثم رفعت لي شخوص ثلاثة ثم تبينت فاذا فارس يطرد مسحلا وأتانا فتأملته
فاذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء وإذا فروع شعره تضرب خصره فقلت
غلام حديث عهد بعرس أعجلته لذة الصيد فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته فما جاز
على إلا يسيرا حتي طعن المسحل وثني طعنة للاتان فصرعهما وأقبل راجعا نحوى
وهو يقول (نظعنهم سلكى ومخلوجة * كرك لامين على نابل) (١) فقلت إنك قد

تعبت وأتعبت فرسك فلو نزلت فثنى رجله فنزل فشد فرسه بغصن من أغصان
الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتي جلس فجعل يحدثني حديثا ذكرت به قول
أبي ذؤيب .

وإن حديثا منك لو تبذلينه جنى النحل في ألبان عوذ مظافل
فقممت إلى فرسى فأصلحت من أمره ثم حسر العمامة عن رأسه فاذا غلام كأن
وجهه الدينار المنقوش فقلت سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأحسن صنعتك
فقال لي مم ذاك قلت مما راغنى من جمالك وبهرني من نورك قال وما الذي يروعك
من حبيس التراب و أكيل الدواب ثم لا يدري بعد ذلك أينعم أم ييأس قلت
لا يصنع الله بك إلا خيرا ثم تحدثنا ساعة فأقبل على فقال ما هذا الذي أرى قد
سمطت في سرجك فقلت شراب أهداه لي بعض أهللك فهل لك فيه من أرب
قال أنت وذاك فأتيته به فشرب منه وجعل والله ينكت بالسوط أحيانا على ثناياه
فجعل والله يتبين لي أثر السوط فيهن فقلت مهلا فاني خائف أن تكسرهن قال
ولم قلت لانهن رفاق عذاب فرفع عقيرته يتغنى وأنشد

إذا قبل الانسان آخر يشتهى ثناياه لم يأتهم وكان له أجرا

فان زاد زاد في حسناته مثاقيل يحو الله عنه بها الوزرا

قال ثم قام إلى فرسه فأصلح امره ثم رجع قال فبرقت لي بارقة من تحت الدرع
فاذا الذي كأنه حق حاج فقلت نشدتك الله امرأة انت قالت نعم والله (١) إلا أنها
تكره الغارة وتحب الغزل ثم أجلسها فجعلت تشرب معي ما أفقد من أنسها شيئا
حتى نظرت إلى عينيها كأنهما عينا مائة مذعورة فوالله ماراغنى إلا ميلها على الدوحة
سكرى فزين لي والله الغدر وحسن في عيني ثم إن الله عز وجل عصمني منه فجلست
حجرة منها فما لبثت إلا يسيرا حتى انتبهت فزعة فلاث عمامتها برأسها وجالت في متن
فرسها وقالت جزاك الله عن الصحبة خيرا قلت ألا تزوديني منك زادافناولتني
يدها فقبلتها فشمت منها والله رائحة الشباب (٢) المطول وذكرت قول الشاعر

(١) الذي في الأغاني إلا أني أكره العشير وأحب الغزل (ولعل الصواب

العزلة) ثم جلست

(٢) الذي في الأغاني المسك المفقوت

كانها إذ تقضى النوم وانتبهت سحابة ما لها عين ولا أثر
فقلت لها وأين الموعد قالت إن لي إخوة شوساً وأبا غيوراً والله لأن أسرك
أحب إلى من أن أضرك وانصرفت فجعلت أتبعها بصرى حتى غابت فهي والله
يا ابن أبي ربيعة أحلتني هذا المحل وأبلغتني هذا الموضع فقلت له يا أبا المسهر إن
الغدر بك مع ما تذكر للمليح فبكى واشتد بكاءه فقلت لا تبك فما قلت لك ما قلت
إلا ما زحاً ولو لم أبلغ حاجتك بمالى لسمعت في ذلك حتى أقدر عليه فقال لي خيراً
فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته ودعوت غلامى فشدد على بعير
له وحملت عليه قبة حمراء من آدم كانت لأبي ربيعة الخزومي وحملت معى ألف
دينار ومطرف خزو انطلقنا حتى أتينا بلاد كلب فنشدنا عن أبي الجارية فوجدناه
في نادى قومه وإذا هو سيد الحى وإذا الناس حوله فوقفت على القوم وسلمت
فرد الشيخ السلام ثم قال من الرجل قلت عمر بن عبد الله ابن أبي ربيعة بن المغيرة
الخبزومي قال المعروف غير المنكر فما الذى جاء بك قلت خاطباً قال الكفاء
والرغبة قلت إني لم آت ذلك لنفسى عن غير زهادة فيك ولا جهالة بشرفك ولكنى
أتيت في حاجة ابن أخيكم (١) هذا العذرى وها هو ذاك فقال والله انه لكفاء
الحسب رفيع البيت غير أن بناتى لم يتفقن (٢) إلا في هذا الحى من قریش فوجت
لذلك وعرف التغير في وجهى فقال أما إني صانع بك ما لم أصنع بغيرك قلت
مثلى من شكر فما ذلك قال أخيرها فهي وما اختارت قلت ما انصفتني إذ تختار
لغيرى وتولي الخيار غيرك فأشار إلى العذرى أن دعه يخيرها فأرسل إليها أن من
الأمركذا وكذا فأرسلت إليه ما كنت لأستبد برأى دون القرشى فالخيار في قوله
وحكمه فقال لي إنها قد وكلتك فاقض ما أنت قاض فحمدت الله تعالى وأثنيت عليه
بما هو أهله وصليت على النبي ﷺ وقلت أشهدوا أني قد زوجتها من الجعد
ابن مهجع وأصدقها هذه الألف دينار وجعلت تكرمها العبد والبعير والقبة
وكسوت الشيخ المطرف وسألته أن يبني (٣) عليها من ليلته فأرسل إلى أمها

(١) الذى فى الأغاني أختكم

(٢) الذى فى الأغاني يقعن ولعل الصواب يقمن

(٣) الذى فى الأغاني بها عليه فى ليلته

فأبت وقالت أخرج ابنتي كما تخرج الأمة فقال الشيخ فعجلى في جهازها فما
برحت حتى ضربت القبة في وسط الحرم وأهديت إليه ليلا وبث أنا عند الشيخ
فلما أصبحت أتيت القبة فصحت بصاحبي فخرج إلي وقد أثر السرور فيه فقلت
كيف كنت بعدى وكيف هى بعدك فقال لى أبدت لى والله كثيرا مما كانت تخفيه
عنى يوم لقيتها فسألته عن ذلك فأنشأت تقول هذه الأبيات

كتمت الهوى لما رأيته جازما وقلت فتي بعض الصديق يريد
وإن تطرحنى أو تقول فتية يضر بها برح الهوى فيعود
(١) فواريت ما ألقى وفي داخل الحشا من الوجد جرح فاعلمن شديد (٢)
فقلت أقم على أهلك بارك الله لك فيهم وانطلقت وأنا أقول
كفيت أخى العذرى ما كان نابه وانى لأعباء النوائب حمال
أما استحسنت منى المكارم والعلا إذا طرحت إني لما لي بذال (٣)
فقال العذرى

إذا ما أبو الخطاب خلى مكانه فأف لدنيا ليس من أهلها عمر
فلا حى فتیان الحجازين بعده ولا سقيت أرض الحجازين بالمطر
* أخبرني أبو الفرج الأصبهاني إجازة قال أخبرني عمى الحسن بن محمد قال حدثنا
عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال
حدثني معبد الصغير المغنى مولى على بن يقطين قال كنت منقطعا إلى البرامكة فبينما
أنا ذات يوم في منزلي إذا بابي يدق فخرج غلامى ثم رجع إلى فقال على الباب فتي
ظاهر المروءة يستأذن عليك فأذنت له فدخل على شاب فما رأيت أحسن وجهها
ولا أنظف ثوبا ولا أجمل زيا منه من رجل دنف (٣) عليه أثر السقم ظاهر فقال
لى إني أحاول لقاك مذ مدة فلا أجد إليه سبيلا وإن لى حاجة قات ما هى فأخرج
ثلاثمائة دينار ووضعها بين يدي ثم قال أسألك أن تقبلها وتصنع فى بيتين قلتها

(١) رواية الأغاني فوريت عما بي

(٢) رواية الأغاني برح

(٣) الزيادة عن الأغاني

لحناً تغنيني به فقلت له هاتهما فأنشدني

بالله يا طرفي الجاني على بدني لتطفئ بدمعي لوعة الحزن
أولاً أبوحن حتى يحجبوا سكني فلا أراه ولو أدرجت في كفني

قال فصنعت له فيهما لحناً من الثقيل الأول مطلقاً في مجرى الوسطى ثم غنيته
إياه فأغنى عليه حتى ظننته قد مات ثم أفاق فقال أعد فديتك فناشدته الله في
نفسه وقلت أخشى أن تموت فقال هيهات أنا أشقى من ذلك وما زال يخضع لي
ويتضرع حتى أعدته عليه فصعق صعقة أشد من الأولى حتى ظننت أن نفسه قد
فاضت فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتها بين يديه وقلت يا هذاخذ دنانيرك
وانصرف عني فقد قضيت حاجتك وبلغت وطراً مما أردته ولست أحب أن أشرك
في دمك فقال لا حاجة لي في الدنانير وهذه مثلها ثم أخرج ثلثمائة دينار أخرى
وقال أعد على الصوت مرة أخرى وخذها فقلت لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا
على ثلاث شرائط قال وما هن قلت أولها أن تقيم عندي وتتجرم بطعامي والثانية
أن تشرب اقداحاً من النبيذ تشد قلبك ويسكن مابك والثالثة أن تحدثني بقضيتك
فقال أفعل ما تريد فأخذت الدنانير ودعوت بطعام فأصاب منه إصابة معذر
دعوت بالنبيذ فشرب اقداحاً وغنيته بشعر غيره في معناه وهو يشرب ويبكي ثم
قال أعزك الله أعد على صوتي فغنيته صوته فجعل يبكي أحر بكاء وينشج أشد
نشيج وينتحب فلما رأيته (١) قد خف عما كان يلحقه والنبيذ قد شد من قلبه
كررت عليه صوته مراراً ثم قلت له حدثني حديثك فقال أنا رجل من المدينة
خرجت متنزهاً في ظاهرها - وقد سال العقيق - في فئة من أقاربي (٢) فبصرنا
بفتيات قد خرجن لمثل ما خرجنا له فجلسن حجرة منا وبصرت منهن بفتاة كأنها
قضيبة قد طله الندى تنظر بعين ما ارتد طرفها إلا بنفس ملاحظها فأطلن وأطلنا
حتى تفرق الناس وانصرفن وانصرفنا وقد أبقت بقلبي جرحاً بظيماً اندماله فعدت إلى
منزلي وأنا وقيد وخرجت من الغد إلى العقيق وليس فيها أحد فلم أر لها ولا لصواحباتها

(١) في الأغاني رأيت مابه قد خف عما كان يلحقه ورأيت النبيذ

(٢) في الأغاني من أقراني وأخذني فبصرنا بقينات

أثرا ثم جعلت أتتبعها في طرق المدينة وأسواقها فكان الأرض قد ابتلعتها فلم أحس لها بعين ولا أثر وسقمت فقمت حتى أيس مني أهلي ودخلت بيت ظئري فسالته عن حالي وضمنت لي حالها والسعي فيما أحبه منها فأخبرتها بقصتي فقالت لا بأس عليك هذه أيام الربيع وهي سنة خصب وأنواء وليس يبعد عنك المطر فيمده (١) العقيق والنسوة سيحجن فاذا رأيتهما اتبعهما حتى أعرف خبرها وموضعها وأسعى لك في تزويجها فكانت نفسي اطمأنت وتراجعت وجاء المطر فسال العقيق فخرجت مع إخواني إليها فجالسنا مجلسنا الأول كما كنا إلا والنسوة أتت كنفر من رهان فأومأت إلي ظئري فجلست حجرة قريبة منا ومنهن فأقبلت على إخواني فقلت لهم أحسن القائل

رمتني بسهم أقصد القلب وانثنت وقد غادرت جرحا بها (٢) وندوبا
فأقبلت هي على صواحبها فقالت أحسن والله القائل وأحسن من أجابه
حيث يقول

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا نرى فرجا يشفي السقام قريبا
فأمسكت عن الجواب خوفا من أن يظهر مني ما يفضحني وإياها وعرفت ما أرادت ثم تفرق الناس وانصرفنا وتبعها ظئري حتى عرفت منزلها وصارت إلى فأخذت بيدي ومضينا إليها فلم تزل تتلطف حتى وصلنا إليها فتلاقينا وتزاورنا على حال مخالسة ومراقبة وشاع حديثي وحديثها حتى ظهر ما بيني وبينها فحجبها أهلها وتشدد عليها أبوها فلم أقدر عليها فشكوت إلى أبي مانالني وشدة ما ألقى وسألته خطبتها لي فمضى أبي ومشىخة أهلي إلى أبيها وخطبوها فقال لو كان بدأ بهذا قبل أن يشهرها لأسعفته بحاجته وبما التمس ولكنه قد فضحها فلم أكن لاحقق قول الناس بتزويجها إياه فانصرفنا على يأس منها ومن نفسي قال معبد فسألته أين تنزل فخبرتني فصارت بيننا عشرة ثم جلس جعفر بن يحيى يوما للشرب فأتيته فكان أول بيت غنيته به شعر الفتى وصوتى الذي صنعته فيه فطرب منه

(١) في الأغاني وهذا العقيق ثم فيه اختلاف في العبارة فيما سيأتي أيضا

(٢) رواية الأغاني به

طربا شديدا وقال ويحك لمن هذا فقلت إن للصوت حديثا فقال ما هو
 خدثته فأمر باحضار الفتى فأحضر من وقته واستعادته الحديث فأعاده عليه
 فقال هي في ذمتي حتى أزوجه فطابت نفسي ونفس الفتى فأقمتا ليلتنا حتى أصبح
 وغدا جعفر إلى الرشيد خدثه الحديث فعجب منه وأمر باحضارنا جميعا وأمر
 بأن أغنيه الصوت فغنيته فشرب عليه وسمع حديث الفتى وأمر من وقته بالكتاب
 إلى عامل الحجاز باشخاص الرجل وابنته وسائر أهله إلى حضرته فلم يمض إلا مسافة
 الطريق حتى حضروا فأمر الرشيد بإيصاله إليه فأوصله وخطب إليه الجارية للفتى
 فأجابه وزوجه إياها وحمل الرشيد إليه ألف دينار لمهرها وألف دينار لجهازها وألف
 دينار لنفقة الطريق وأمر للفتى بالفي (١) دينار وكان المديني بعد ذلك في جملة
 ندماء جعفر * أخبرنا أبو الحسين محمد بن جعفر البصري المعروف بابن لنكك في
 رسالة في فضل الورد على النرجس فقال من سمى بنته من سادات العرب وردة
 شرحبيل التنوخى وعابد الطائي وهي التي كان داود التيمي عاشقا لها فاستقبل
 النعمان بن المنذر في يوم بؤسه - وقد خرج يريد ها وهو لا يعلم بيوم النعمان - فقال
 ما حملك على استقبالي في يوم بؤسى قال شدة الوجد وقلة الصبر فقال ألسنت القائل:

وددت وكانت الحسنات أنى أقارع نجم وردة بالقداح

على قتلى بأبيض مشرفى وكونى ليلة حتى الصباح

فإن تكن القداح على تلقى ذبحت على القداح بلا جناح

وإن كانت على يمين خدي لهوت بكاءب خود رزاح

قال بلى قال فاني مخيرك إحدى اثنتين فاختر لنفسك قال ماها أبيت اللعن قال
 أخلى سبيلك أو أمتعك سبعة أيام ثم أقتلك قال بم تمتعنى قال بوردة قال قبلت الثاني
 فساق النعمان مهرها إلى عمها وجمع بينهما فاما انقضت الأيام أقبل على النعمان وهو يقول:

إليك ابن ماء المزن أقبلت بعد ما مضت لى سبع من دخولي على أهلى

مجيء مقر لاصطناعك شاكر مننت عليه بالكريم من الفعل

لتقضى فيه ما أردت قضاءه من العفو أهل العفو أو عاجل القتل

فإن يك عفوا كنت أفضل منعم وإن تكن الأخرى فمن حكم عدل
فأحسن جائزته وخلي سبيله وأنشد النعمان يقول

إذ حوى من كان يهوى ونجى من كل بوس
وكذاك الطير يحرى بسعود ونحوس

قال مؤلف الكتاب ووجدت كتابا لأحمد بن أبي طاهر سماه كتاب فضائل
الورد على النرجس أكثر قدرا وأغزر فائدة من رسالة ابن لنسك فوجدته وقد ذكر
فيه الخبر قال وممن سمى بنته وردة شرحبيل بن مسعود الشرجي وهو صاحب
العين على مسيرة يوم وليلة من مسيرة يوم وليلة من مسخ وبها التقى سليمان بن مبرد
أمير الجيش الذين يقال لهم البوابون للطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما وخيل
عبيد الله بن زياد وسمى عائد الطائي بنته وردة وهي التي كان داود بن موسى
التميمي ثم السعدي عاشقا لها وساق الخبر كما ذكره بن لنسك والله تعالى أعلم



الباب الرابع عشر

* ما اختير من ملح الأشعار *

* في أكثر معاني ما تقدم من الأمثال والأخبار *

قال لقيط بن زرارمة التميمي

قد عشت في الناس أطوارا على طرق شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا
كلا لبست فلا النعماء تبطرنى ولا تجمعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الأمر صدرى قبل موقعه ولا أضيق به ذرعاً إذا وقعا
ماسد مطلع ضاقت ثنيته إلا وجدت وراء الضيق متسعا

وقال أبو ذؤيب الهذلي

فاني صبرت النفس بعد ابن عنبس وقد لج من ماء الشؤون لجوج
لأحسب (١) جلدا أولي خبر شامت وللشر بعد القارعات فروج
ويروي لأمير المؤمنين على رضي الله عنه

إني أقول لنفسي وهي ضيقة وقد أناخ عليها الدهر بالعجب
صبرا على شدة الأيام إن لها عقي وما الصبر إلا عند ذي الحسب
وروي لعثمان بن عفان رضي الله عنه

خليلى لا والله ما من ماسة تدوم على حى وإن هى جلت
وإن زلت يوما فلا تخضعن لها ولا تكثر الشكوى إذا النعل زلت
فكم من كريم قد بلى بنوائب فصابرها حتى مضت واضمحلت
فكانت على الأيام نفسى عزيزة فلما رأت صبرى على الذل ذلت
وأنشد معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنه

ولا تيأسن واستمعون الله إنه إذا الله يسر عقد شئ تيسرا
لأبي دهب الجمحي من قصيدة له

عست كربة أمسيت فيها مقيمة يكون لنا منها رخاء ومخرج
فيكبت أعداء ويحذل آلف له كبد من لوعة الحب تلعب
وإني لمحزون غداة أزورها وكنت إذا ناديتها لأعرج
لجارية بن بدر الغدائي

(٢) قل للفؤاد إذا نزا بك نزوة من ألهم أفرخ أكثر الروع باطله
لتوبة بن الحمير العقيلي الخفاجي

(٣) وقد تذهب الحاجات يطلبها الفتى شعاعاً وتخشى النفس ما لا يضرها

(١) رواية اللسان ليحسب

(٢) رواية اللسان فقل للفؤاد إن من الخوف

(٣) رواية تزيين الأسواق

وقد تذهب الحاجات يسترها الفتى فتخفى وتهوى النفس ما لا يضرها

الجرير

يعافى الله (١) بعد بلاه جهدا وينهض بعد ما يبلى السقيم
 (٢) لزيد بن عمر من بني الحرث بن كعب - وقيل لزيد العذري - من أبيات
 إذا مذهب سدت عليك فروجه فانك لاق لا محالة مذهبها
 فلا تجعلن كرب الخطوب إذا عرت عليك رتاجا لا يزال مضيبا
 وكن رجلا جلدا إذا ما تقلبت به صيرفيات الهموم تقلبا
 ذكر أبو تمام الطائي في كتاب الحماسة لجابر بن ثعلب الطائي
 كأن الفتى لم يعر يوما إذا اكتسى ولم يك صعلوكا إذا ماتمولا
 ولم يك في بؤس إذا بات ليلة يناغى غزالا ساجي (٣) الطرف أحكلا
 وقريب منه ما أنشدني أبي عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي
 عن عمه الأصمعي رحمه الله

كأن قوما إذا ما بدلوا نعماً بنكبة لم يكونوا قبلها نكبوا
 ومثله أيضاً

إن البطون إذا جاءت متى شبت كأنما لم يقاس الجوع طاوئها
 لسعيد بن رمضان الأسدي

فما نوب الحوادث باقيات ولا بؤس يدوم ولا نعيم
 كما يمسي سرورك وهو هم كذلك ما يسوءك لا يدوم
 فلا تهلك على ما فات وجدا ولا تغررك بالأسف الهموم
 وقريب منه لكثير في ابن عمه بن الحنفية رضي الله عنه لما حبسه عبد الله بن الزبير
 رضي الله عنه - من أبيات

تحدث من لا قيت أنك طائد بل العائد المظلوم في سجن عادم

(١) رواية الديوان بعد بلاء سوء ويبرأ

(٢) في الأرج زيد بن عمر وفي حل العقال زيد بن عمرو العذري

(٣) رواية الحماسة فاطر

فما ورق الدنيا بياق لأهلها (١) وماشدة (٢) الدنيا بضربة لازم
فزاد فيه بعض إخواننا

لهذا وهذا مدة سوف تنقضي ويصبح ملاقيته حلم حلم
لأعرابي

فلا تحسبن سيجف اليمامة دائماً كما لم يدم عيش بسفح أبان
مغرس الأسدي

ولا تيأسن من صالح إن ماله وإن كان قدما (٣) بين أيد تبادره
حوط بن ريان الأسدي

تعلمني بالعيش عرسي كأنها تعلمني الشيء الذي أنا جاهله
يعيش الفتي بالفقر يوما وبالغنى وكل كأن لم يلق حين يسأله
وقريب منه

يعيش الفتي بالفقر يوما وبالغنى وكل كأن لم يلقه حين يذهب
كانك لم تعد من الدهر لذة إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب
للاضبط بن قريع من جملة أبيات (٤)

(٥) لكل ضيق من الأمور سعة والمساء والصباح لأفلاج معه
(٦) لا تحقرن الوضيع علمك أن تلقاه يوما والدهر قد رفعه
قد يجمع المال غير آكله ويأكل المال غير من جمعه

(١) رواية اللسان لأهله

(٢) رواية اللسان البلوى

(٣) كذا بالأصل

(٤) موجودة في أمالي القالي ج ١ ص ١٠٧

(٥) رواية الأمالي لكل هم من الهنوم... والمساء والصباح

(٦) رواية الأمالي ولا تعاد الفقير... تركع يوما والمشهور في كتب اللغة

والنحو ولا تهين الفقير

قال مؤلف هذا الكتاب في المعنى

أصبر فليس الزمان مصطبرا وكل أحداثه فمنقشه
كم من فقير غناه في شبع قد نال خفضا في عيشه ودعه
ومن جليل جلت مصائبه ثم تلافاه بعد ما وضعه
فعاد بالعز آمنا جذلا وطاد أعداؤه له خضعه

أنشد أبو العباس ثعلب

رب ريح لأناس عصفت ثم ما إن لبثت أن ركدت
وكذاك الدهر في أفعاله قدم زلت وأخرى ثبتت
وكذا الأيام من عاداتها أنها مفسدة ما أصلحت
ثم يأتيك مقادير بها فترى مصلحة ما أفسدت

للحسين بن مطير الأسدي

إذا يسر الله الأمور تيسرت ولانت قواها واستقاد عسيرها
فكم طامع في حاجة لا ينالها وكم آيس منها أتاه يسيرها (١)
وكم خائف صار الخوف ومقتر تمول والأحداث يحلو مريرها
وقد تغدر الدنيا فيمس غنيها فقيرا ويغني بعد بؤس فقيرها
وكم قدر أينما من تكدر عيشة وأخرى صفاء بعد اكدر ارغديرها
فلا تقرب الأمر الحرام فانه حلاوته تفنى ويبقى مريرها (٢)

لمسكين الدارمي

وإني لأرجو الله حتى كأنتي أرى بحميل الظن ما الله صانع

أنشدني محمد بن الحسين قال أنشدني ثعلب (٣)

إلى الله كل الأمر في الخلق كله وليس إلى الخلق شيء من الأمر

(١) رواية حل العقال والأرج بشيرها

(٢) الزيادة عن الأغاني والأرج

(٣) قيل لما حوصر عثمان رضي الله عنه أنشد هذه الأبيات

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تكرهت منه طال عتي على الدهر
ووسع صدري للآذي كثرة الأذي وإن كان أحيانا يضيق به صدري
وصيرني يأسى من الناس واثقاً بحسن صنيع الله من حيث لا أدري
تعودت مس الضر حتي ألفتة وأسأمتني حسن العزاء إلى الصبر

غيره

إذا ضاق صدري بالأمور تفرجت لعلمي بأن الأمر ليس إلى الخلق

غيره

يضيق صدري بغم عند حادثة وإنما الخير لي في الغم أحيانا
ورب يوم يكون الغم أوله وعند آخره روحا وريحانا
ما ضقت ذرعا بغم عند نائبة إلا ولي فرج قد حل أوحانا
للزبير رضي الله عنه

لأحسب الشر جارا لا يفارقني ولا أحز على ما فاتني الودجا
ولا لقيت من المكروه نازلة إلا وثقت بأن ألقى لها فرجا
ولا تراني لما قد فات مكتئباً ولا تراني بما قد نلت مبتهجا

لأعرابي

ما كل وجه يضيق إلا ودونه مطلب فسيح
من روح الله عنه هبت من كل وجه إليه ريح
لسليمان بن مهاجر البجلي من جملة أبيات
إن المساءة قد تسر وربما كان السرور ربما كرهت جدرا
عن المارستاني قال أنشدني إبراهيم بن العباس الصولي وهو في مجلسه في
ديوان الضياع
ربما تكره النفوس من الأم ر له فرجة كحل العقال (١)

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت وقبله

لا تضيقن في الأمور فقد تك شف غماؤها بغير احتيال

ونسكت بقلمه ثم قال

ولرب نازلة يضيق بها الفتي درما وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحسنت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

لأبي العتاهية

ولربما استيأست ثم أقول لا إن الذي ضمن النجاح كريم
أنشدني أحمد بن عبد الله الوراق قال أنشدنا دعبل قصيدته (مدارس آيات)
فذكر القصيدة إلى آخرها وفيها ما يدخل في هذا الباب وهو قوله

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدا تقطع قلبي إثرهم حسرات (١)
فيا نفس طيبي ثم ياتقن أبشري فغير بعيد كل ما هو آت
ولا تجزعي من دولة الجور إنني كافي بها قد آذنت ببيات
عسى الله أن يرتاح للخلق إنه إلى كل حي دائم اللحظات

لعلي بن الجهم من ضمن قصيدة له

غير الليالي باديات عود والمال طارية يباد وينفد
ولكل حال معقب ولربما أجلى لك المكروه عما تحمد
لا يؤيسنك من تفرج كربة خطب رماك به الزمان الآنكد
كم من عليل قد تخطاه الردى فنجبا ومات طيبه والعود

لغيره في مثله

قد يصح المريض بعد إياس كان منه ويهلك العواد
ويصاد القطا فينجو سليما بعد هلك ويهلك الصياد

لعبد الله بن المعتز

وكم نعمة لله في صرف نقمة ومكروه أمر قد حلا بعد إصرار
وما كل ما تهوى النفوس بنافع وما كل ما تخشى النفوس بضرار

لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من أبيات
لا تعجلن فر بما * عجل الفتى فيما يضره فالعيش أحلاه يعو * د على حلاوته أمره
ولر بما كره الفتى أمرا عواقبه تسره

لأعرابي

كم مرة حفت بك المكاره خار لك الله وأنت كاره
آخر و بروى لأمير المؤمنين على رضى الله عنه
لا تكره المكروه عند نزوله إن المكاره لم تزل متباينه
كم نعمة لا تستقل بشكرها لله فى جنب المكاره كامنه
غيره

رب أمر تهق النفس له جاءها من خلل اليأس فرج
لا تكن من روح ربي آيساً ربما قد فرجت تلك الفرج
بينما المرء كئيب مومع جاءه الله بروح فبهج
رب أمر قد تضايقت له فأذاك الله منه بالفرج

غيره

البؤس يعقبه النعيم وربما لا قيت ما ترجوه مما ترهب

غيره

أتى من حيث لا ترجوه صنع ويأبى أن تهتم به الظنون
فحيث تراك تيأس فارح خيرا فان الغيث محتجب مصون
وكن أرحى لأمر لست ترجو من المرجو أقرب ما يكون
لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

أراها تمتخض بالمعضلات ألا ياليت شعرى ما الزبد
ألا إن زبدتها فرجة تحمل العقال من العقده
لأبي إسحاق إسماعيل بن القاسم الملقب بابي العتاهية

إنما الدنيا هبات * وعوار مستردة شدة بعد رخاء * ورخاء بعد شدة

وله (١) أيضا

الناس في الدين والدنيا ذوو درج والمال ما بين موقوف ومختلج
 من ضاق عنك فأرض الله واسعة في كل ضيق وهم (٢) وجه منفرج
 قد يدرك الراقد الهادي برقدته وقد يخيب أخوار الروح (٣) والدج
 خير المذاهب في الحاجات أنجحها وأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

غيره

يا صاحب الهم إن الهم منقطع أبشر بذلك كأن قد فرج الله
 اليأس يقطع أحيانا بصاحبه لا تيأسن فإن الكافي الله
 الله حسبك مما عذت منه به وأين أمنع ممن حسبه الله
 من البلاء ولكن حسبك الله والله حسبك في كل لك الله
 هون عليك فإن القادر الله والخير أجمع فيما يصنع الله
 قرب مستصعب قد سهل الله ورب شر كثير قد كفى الله
 إذا بليت فتق بالله وأرض به إن الذي يكشف البلوى هو الله
 الحمد لله شكرا لا شريك له ما أسرع اليسر جدا إن يشأ الله

لمحمد بن حازم الباهلي

طوبى لمن يتولى الله خالقه ومن إلى الله يلجأ يكفه الله
 ورب خائف أمر يستكين له ينجو وخيرته ما قدر الله

ليحيى بن خالد بن برمك من أبيات

ألا أعلم إنما الدنيا غرور وليس بدائم فيها نعيم
 سينقطع التلذذ عن أناس إذا ماتوا وتنقطع الهموم
 أنشدني أبي رحمه الله من قصيدة لسلم بن عمرو الخاسر
 إذا أذن الله في حاجة أذاك النجاح على رسله

(١) نسب في الأرج هذه الأبيات إلى هلال بن العلاء الرقي (٢) رواية الديوان
 والأرج في وجه كل مضيق (٣) في الأصل إخاء الراح والتصحيح عن الديوان والأرج

(وقرب ما كان مستبعدا ورد الغريب إلى أهله
 يفوز الجواد بحسن الثناء ويبقى البخيل على بخله) (١)
 فلا تسأل الناس من فضلهم ولكن سل الله من فضله
 ووجدت مكتوبا بخط عمي القاضي أبي جعفر أحمد بن محمد بن أبي الجهم التنوخي
 إذا أذن الله في حاجة أذاك النجاح بها يركض
 فان طاق من دونها طائق أتى دونها عارض يعرض

أنشدني عبيد الله بن محمد الحسن العتبي المعروف بالبصري لنفسه

إذا أذن الله في حاجة أذاك النجاح بغير احتباس
 فيأتيك من حيث لا تدره مرادك للنجاح بعد الایاس

لمحمد بن حازم الباهلي

وارحل إذا أجذبت بلاد منها إلى الخصب والربيع
 لعل دهرنا غدا بنحس بكر بالسعد في الرجوع
 لأبي تمام الطائي

وما من شدة إلا سيأتي لها من بعد شدتها رخاء

وأنشدني الأمير أبو الفضل جعفر المكتفي بالله قال أنشدني بعض أصحابنا منسوباً (٢)

وكل شديدة نزلت بقوم سيأتي بعد شدتها رخاء
 فان الضغط يحويه (٣) وجاء ويتركه إذا فرغ الوعاء
 وما ملئ الا اناء وشد إلا ليخرج مابه امتلاء الاناء
 أنشدت

متى تصفوا لك الدنيا بخير إذا لم ترض منها بالمزاج

(١) الزيادة عن حل العقال وحواشي معجم الأدباء (٢) نسب في حل العقال هذه
 الأبيات إلى قيس بن الخطيم والأول منها مع أبيات أخرى منسوبة إلى قيس أيضاً
 في الحماسة ونقل التبريزي عن أبي الرياش أنها للربيع بن أبي الحقيق اليهودي
 (٣) في الأصل يحوى وفي حل العقال قد يحوى

ألم تر جواهر الدنيا المصنفي ومخرجه من البحر الاجاج
 ورب مخيفة فجأت بهول جرت بمسرة لك وابتهاج
 ورب سلامة بعد امتناع ورب مثقف (١) بعد اعوجاج

غيره

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقى نوائب هذا الدهر أم كيف يحذر
 يرى الشيء مما يتقى فيخافه وما لا يرى مما يقى الله أكبر
 وما عسر رمى الفتى بشماله بل الدهر إلا ما وقى الله أعسر

لمحمد بن عبد المهلب

إني لرحال إذا الهم برك رحب اللسان عند ضيق المعترك
 عسرى على نفسي ويسرى مشترك لا تهلك للنفس على شيء هلك
 فليس في الهم إذا فات درك ولم يدم شيء على دور الفلك
 رب زمان ذله أرفق لك لا طار إن ضاقت دهر أو ملك

آخر غيره

لكل غم فرج عاجل بأتيك في المصبح والممسا
 لا تنهم ربك فيما قضى وهون الأمر وطب نفساً

لعبد الله بن المعتز (٢)

سواء على الأيام حفظ وإعقال وتارك سعى واحتيال ومحتال
 ولا هم إلا سوف يفتح قفله ولا حال إلا بعدها للفتى حال

آخر غيره

جزعت كذا ذوالهم يحزع قلبه ألاب يا سجا من بعده فرج
 كانك بالمحبوب قد لاح نجمه وذوالهم من بين المضائق قد خرج

عن أبي بكر بن أبي الدنيا قال أنشدني رجل من قریش

ألم تر أن ربك ليس تحصي أياديه الحديثة والتقديمه

تسل عن الهموم فليس شيء يقيم ولا همومك بالمقيمه

لعل الله ينظر بعد هذا اليك بنظرة منه رحيمه

آخر غيره (١)

بينى وبين الدهر فيك عتاب سيطول إن لم يحجحه الاعتاب (٢)
يا غائباً بمزاره وكتابه هل يرتجى من غيبتيك إياب
لولا التعلل بالرجاء تقطعت نفس عليك شعارها الأوصاب
لا يأس من روح الاله فرما يصل القطوع ويقدم الغياب
(وإذا دنوت مواصلاً فهو المنى سعد المحب وساعد الأحباب
وإذا نأيت فليس لى متعلل إلا رسول بالرضا وكتاب) (٣)
آخر غيره

فلا تيأس وإن أعسرت يوماً فقد أيسرت في الدهر الطويل
(ولا تيأس فإن اليأس كفر لعل الله يغنى عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار وقيل الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقا لكان المال عند ذوى العقول) (٤)

آخر غيره (٥)

فلا تيأس وإن صحت * عزيزتهم على الدلج فان إلى غداة غد * سيأتى الله بالفرج
فتصبح عيسهم عرجا وقد كانت بلا عرج
آخر غيره

ربما يطلع التفرج للسكر به كالبدرد من خلال السحاب
وتزول الهموم في قدر الزر يعرى عن عروة الجلباب
آخر غيره

رميت بالهم لما أن رميت به ولم أقم عرضاً للخطب يرمينى

(١) هو أبو الحسن على بن هارون المنجم كما في الأراج والمعجم (٢) في الأصل
تحججه (٣) الزيادة عن معجم الأدباء (٤) الزيادة عن حل العقال (٥) هو جحظة
كما في الأراج

ولست آيس من روح ومن فرج ومن لطائف صنع سوف تكفيني
وقل ما كان من دهري إلي سوى ما سلم الله من أحداث ديني
آخر غيره

وكم من ضيقة كدت بغم وكان عقيبها فرج مفاجي
فأضيق ما يكون الأمر أدنى وأقرب ما يكون إلى انفراج
للعكوك (على بن جبلة)

عسى فرج يكون عسى * نعلل أنفسا بعسى فلا تقنط وإن لاقية * تها يغيظ النفسا
فأقرب ما يكون المرء من فرج إذا أيسر
لبعضهم

لعمرك ما المحبوب من يتقى ويخشى ولا المحبوب من حيث يطمع
وأكثر خوف النفس ليس بكائن فما (١) درك الهم الذي ليس ينفع
أنشدني أبو يوسف المهيلي عن المنجع الشاعر
لالبؤس يبقى ولا النعيم ولا حلقة ضيق ستفرج الحلقة
صبرا على الدهر في تجوره كم فتح الصبر مرة علقه
غيره

جديد همك يبليه الجديدان فاستشعر الصبر إن الدهر يومان
يوم يسوء فيسليه ويذهبه يوم يسر وكل زائل فان
مفرد

لا تعجلن هابما لست تدري إن تراخي يكون أولا يكون
غيره

عادني الهم فاعتلج كل هم إلي فرج
آخر غيره

الغم فضل والقضاء مغالب وصروف أيام الفتي تتقلب

لا تيأسن وإن تضايق مذهب فيما تحاول أو تعذر مطلب
وانظر إلى عقبي الأمور فعندها لله عادة فرجة تترقب

لسعيد بن حميد

يوم عليك مبارك ماشئت (١) من فرج وطيب
عاد الحبيب لوصله وحجبت عن عين الرقيب
(وكذا الزمان يدور بالـ أفرح من بعد الكروب) (٢)
فاشرب شراباً نعله * تقبيل سائلة الحبيب ودع الهموم فانها * تنأى عن الصدر الرحيب
لا بد من فرج قريب يأتيك بالعجب العجيب

من إنشاد ابن هانيء المغنى على الطنبور

علل همومك بالمني * ترجع إلى فرج قريب لا بد من صنع قريب * يأتيك بالعجب العجيب
لا تيأسن وإن ألح * الدهر من فرج قريب روح فؤادك بالرضا * ترجع إلى روح وطيب
غيره

يس لي صبر ولا جلد * قد براني الهم والسهد من ملهمات تؤرقني * ما لها من كثرة عدد
ولعل الله يكشفها فيزول الحزن والكمد

أنشدني محمد بن عبد الواحد بن الحسن بن طرخان لنفسه
هاكها صرفاً تلالاً * لم يدنسها المزاج واترك الهم لشانية * ك فلهم انقراج
يا أبا وهب صديقي * كل ضيق إلى انقراج اسقني صهباء صرفاً * لم تدنس بمزاج
آخر غيره

رضيت بالله أن يعطى شكرت وإن يمنع قنعت وكان الصبر من عددي
إن كان عندك رزق اليوم فاطرحن عنك الهموم فعند الله رزق غد

آخر غيره

سهل على نفسك الأمور وكن على مرها وقورا
فإن أملت صروف دهر فلا تكن عندها ضجورا

فكم رأينا أبا هموم أعقب من بعدها سرورا
ورب عسر آتي بيسر فصار معسوره يسيرا
آخر غيره

تعز ولا تأسي على وتبتئس جدى محظوظ وأمرى مقبل
لعل الليالى أن تعود كعهدنا ويجمعنا حال يسر ويحذل
ويعقب هذا البؤس نعمى وهما سرور وبلوانا سراح معجل
أنشدنى سعد بن عبد (الازدى) البصرى (البغدادى) لنفسه
ن الزمان غرور * له صروف تدور فاصبر فرب اغتنام * يأتيك منه سرور
قال مؤلف الكتاب وفى محنة لحقتنى فكشفها الله تعالى فقلت
هون على قلبك الهموم فكم قاسيت ها أدنى إلى الفرح
ما الشر من حيث تتقيه ولا كل مخوف يفضى إلى الترح
ولآخر من قصيدة أولها .

هل مشتكى لغريب الدار ممتحن أوراخى لضعيف الأسر مرتين (١)
يقول فيها

كأن جلدى سجن فوق أعظمه والروح محبوسة لهم فى بدنى
فالحمد لله حمد الصابرين على مأسائى فى قضاياه وأنجنى
لعل دهرى بعد اليأس يسعنى بما أحب وما أرجو ويعرفنى
وأن أنال المنى يوماً وإن طويت من فوق جثماني الأيام من كفى
ولآخر (٢) غيره .

وما زال هذا الدهر يأتى بأضرب أسر وتبكي كلها تتنقل
فلا حزن يبقى على ذى كآبة ولا فرح يحظى به من يؤمل
ولآخر غيره .

فى ذمة الله من سارت بسيرهم مسرتى وأقام الخوف والحرق

(١) فى الأصل أوراخى لم يبق الأسر مرتين

(٢) هو أبو الفرج الأصهبانى كما فى حل العقال

لئن أشطهم دهر قضى شططا وأزهق النفس هم حكمه الزهق
لقد أناب بعيني بعد غيبتهم نجب عوائقها وامتدت العلق
ولآخر غيره .

ياقارع الباب رب مجتهد قد أدمن القرع ثم لم يلج
ورب مستفتح (١) يوماً على مهل لم يشق في قرعه ولم يهج
علام يشقى الحريص في طلب الرزق بطول الرواح والدج
وهو إن كف عنه طالبه الرزق وإن حاج عنه لم يعج
فاطو على الهم كشح مصطر فأخر الهم أول الفرج
غيره .

إصحب الدنيا مياومة * وادفع الأيام تندفع وإذا ماضية عرضت * فالتقها بالصبر تتسمع
غيره (٢)

درج الأيام تندرج * وبيوت الهم لا تلج رب أمر عز مطلبه * قربته (٣) ساعة الفرج
غيره .

كما لم يكن عصر العصاره باقياً كذلك عصر البؤس ليس بثابت
وأنشدني أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج الكاتب البغدادي لنفسه
تسل عن الهموم مصطبرا وكن لما كان غير منزعج
فكل ضيق يتلوه متسع وكل هم يفضى إلي فرج
ولآخر .

إذا ضيقت أمرا ضاق جدا وإن هونت ماقد عز هانا
فلا تهلك لما قد فات غما فكم شيء أصعب ثم لانا

(١) في الأصل مستورد وما أثبتناه رواية الأرج

(٢) كان الامام مالك رحمه الله يتمثل بهذين البيتين

(٣) في الأصل هونته وما أثبت رواية حل العقال

ولآخر غيره .

لا يؤيسنك من مخبأة أمر تغلفه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة فالصعب يمكن بعد ما جمحا
ولآخر غيره .

عرضن للذي يحب بحب ثم دعه يروضه إبليس
فلعل الزمان يدنيك منه إن هذا الهوى نعيم وبوس
ولآخر غيره .

تحبب فان الحب داعية الحب وكم
تبين فان حدثت أن أها هوى
(وأحسن أيام الهوى يومك الذي
إذ لم يكن في الحب سخط ولا رضى
من بعيد الدار مستوجب القرب
نجا سألما فارج النجاة من الكرب
تروع بالهجران فيه وبالعتب) (١)
فأين حلاوات الرسائل والكتب
للعباس بن الأحنف

تعز وهون عليك الأمورا عساك تزي بعد هم سرورا
لعل الذي بيديه الأمورا رسيجعل في الكره خيرا كثيرا
(أ كاتم ما بي فلا أستطيع
أما تحسبيني أرى العاشقية
ع من شدة الوجد أن أستشير) (٢)
ن مثلي ولست أرى لي نظيرا
ولآخر غيره .

قربت لي أملا فأصبح حسرة ووعدتني وعدا فصار وعيدا
فلا أصبرن على شقائي في الهوى فلربما عاد الشقي سعيدا
ولآخر (٣) غيره

أيا سرورة البستان طال تشوقي فهل لي إلى ظل لديك سبيل
متي يلتقى من ليس يقضى خروجه وليس لمن يهوى إليه وصول
عسى الله أن نزاح من كربة لنا فيلقى اغتباطاً خلّة وخليل

(١) الزيادة عن زهر الآداب وهو وما بعد منسوبان فيه للعباس بن الأحنف

وإن كانا وما قبلهما غير موجودة بالديوان

(٢) الزيادة عن الديوان (٣) هو عليّة بنت المهدي

ولآخر غيره .

لعل التلاقي في ليالٍ * وأيام من الدنيا بقينا حبيباً نازحاً أمسيت منه * على يأس وكنت به فتية

ولآخر غيره .

لئن درست أسباب ما كان بيننا من الوصل ما توقي اليك بدارس

وما أنا من أن يجمع الله بيننا كأحسن ما كنا عليه - بآيس

ولآخر (١) غيره .

وقد يجمع الله الشيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

غيره .

وما أنا منه بعد ذاك بآيس بأن يأذن الله لي في اجتماع

فالعس حـد النوى باللقا وأرغم بالقرب أنف الزماع

أنشدني سعد بن محمد (الأزدى) البصري (البغدادى) الوحيد (٢) الشاعر

كانت على رغم العدى أيامنا مجموعة النشوات والأضطراب

ولقد عتبت على الزمان لبينهم ولعله سيمن بالأعتاب

ومن الليالى ان علمت أحبة وهى التى تأتيك بالأحباب

وله أيضاً .

إن راعنى منك الصدود * فلعل أيامى تعود إذ لاتنا ولنا بد النع * به إلا ما نريد

ولعل عهدك باللوى * يحيا فقد تحيا العهد والغصن يبس مرة * وتراه مخضرا يמיד

نى لأرجو عطفة * يبكى لها الواشى الحسود فرجاتقربه العيو * ن فينجلى عنها السهود

مما أنشده على بن مقلة فى نسكته عقيب الوزارة الأولى .

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب

وأوطنت المكاره واطمأنت وأرست فى أماكنها الخطوب

(١) هو قيس بن الملوح مجنون بنى طامر وهذا البيت من قصيدة طويلة

منبته فى تزيين الأسواق (٢) فى الأصل الوجيه وهو خطأ لأن المعروف بالوجيه

هو المبارك بن المبارك أحد أدباء القرن السادس كما فى المعجم وأيضا فقد صرح

ياقوت فى ترجمة سعد هذا بأنه المعروف بالوحيد

(ولم تر لا نكشاف الضر وجها ولا أغنى بحيلته الأريب) (١)
أفالك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
فكل الحادثات إذا تناهت فوصول بها الفرج القريب
ولغيره . (وهو جعفر بن ورقاء الشيباني)

الحمد لله على ما قضى* في المال لما حفظ المهجه ولم تكن من ضيقة هكذا* إلا وكانت بعدها فرجه
للحسين بن عبد الرحمن

لعمري بنيني الذين أراهما جزوعين إن الشيخ غير جزوع
إذا ما الليالي أقبلت بأساءة رجونا بأن تنأى بحسن صنيع
عن ابن أبي الدنيا (لرجل من قریش)

حلبنا الدهر أشطره ومرت بنا حقب (٢) الشدائد والرخاء فلا (٣) تأسف على دنيا تولت
ولا تنزع إلى غير الدعاء هي الأيام تكلمنا وتأسو وتأتي بالسعادة والشقاء
توكلنا على رب السماء وسلمنا لأسباب القضاء
ولغيره .

عسى فرج من حيث تأتي مكارهى يحىء به من جاءنى بالمكاره
سيرتاح لى مما أطنى بفرجة فينتاشنى منه بحسن اقتداره
عسى منقذ موسى بحسن جواره وقد طرحته أمه بالمكاره
لمحمود الوراق .

إذا من بالسراء عم سرورها وإن مس بالضراء أعقبها الأجر
وما منهما إلا له فيه منة تضيق بها الأوهام والبر والبحر (٤)
للعباس بن الأحنف (٥)

قالوا لنا إن بالقاطول مشتانا ونحن نأمل صنع الله مولانا

(١) الزيادة عن الأرج وهذه الأبيات لسيدنا على رضى الله عنه

(٢) فى الأصل عقب (٣) فى الفرج لابن أبى الدنيا فلم ولم

(٤) فى حل العقال والوصف والشكر

(٥) البيتان غير مثبتين بديوانه

والناس يأنمرون الرأي بينهم والله في كل يوم يحدث شانا
قال مؤلف هذا الكتاب

لئن عداني الدهر عنك يا أملئ وسل جسمي بالأسقام والعلل
وشت شمل تصافينا والفتنا والدهر ذو غير والدهر ذو دول
الحمد لله حمد الشاكرين على ما شاء من حادث يوهي قوى الأمل
قد اشتكت لصروف الدهر والتحقت على فيك غواشي الحزن والوجل
واعترضت منك بسقم شأنه خلل ومن وصالك بالهجران والملل
وبعد أمني من عذر ومثنية عذرا يسرح بالألفاظ والرسل
ومن لقاءك لقي الطب أرحمهم فظ وأرفقهم يدني إلى الأجل
فلمست آيس من رجع الوصال ولا عود العوافي ولا آمن من السبل

وله في محنة لحقته من قصيدة

أما للدهر من حكم رضى يدال به الشريف من الدنى
ويستعلى الرأس من الذنابي وينتصف الذكي من الغبي
ومن طاصه دمع في بلاء فليس بكاء عيني بالعصى
وما أبكى لوفر لم يفده زمان خان عهد فتى وفي
ولا آسى على زمن تولى بعيش ناضر غض ندى
ومن حدث تفوتني المعالي على عهد بها حدث في (١)
وإن يدى لتقصر عن هلاك ال عدو وعن مكافأة الولي
وما تلقى الحوادث إن أملت سوى قلب عن الدنيا سخي
وصبر ليس تنزحه الليالي كنزح الدلو صافية الركي
وليس بآيس من كان يخشى ويرجو الله من صنع قوى

وله عند صرفه من تقلده القضاء بالأهواز وقبض ضيعة من ضياعه وحضوره إلى بغداد
لئن أشتت الأعداء صرفي ورحلتي فناصرفوا فضلي ولا أنصرف المجد

مقام وترحال وقبض وبسطة
ومازلت جلدافى المهمات (١) قبلها
فكم ليث غاب شردته ثعالب (٢)
وكم جيفة تعلو وترسب درة
ألم تر أن الغيث يجري على الربا
وكم فرج والخطب يعتاد (٣) نيله
لقد أقرض الدهر السرور فان يكن
فكم فرحة تأتي على إثر ترحه
وكم منحة من محنة تستفيدها
على أننى أرجو لكشف الذي غدا
فيمنع منا الخطب والخطب صاغر
ونعتاض باللقيا من البين أعصرا
مضاعفة تبقى ويستهلك البعد

أنشدنى سعد بن محمد الشاعر الوحيد رحمه الله

يانفس كونى لروح الله ناظرة فانه للامانى طيب الأراج
كم لحظة لك مخلوس قلبها كانت تردد بين اليأس والفرج
ولا آخر غيره

أتياؤ أن يساعذك النجاح فأين الله واقعدر المتاح
هى الأيام والنعمى ستجزى يحىء بها غدو أرواح
ولا آخر غيره (٤)

إذا اشتد عمر فارح يسرا فانه قضى الله أن العمر يتبعه يسر

(١) فى حل العقال الملمات

(٢) فى الأصل يدلها وما أثبت رواية حل العقال

(٣) فى حل العقال يعتاف

(٤) هو - كما فى الأراج - أبو على محمد بن محمد بن الشاطر الأنبارى

عسى ماترى ألا يدوم وأن ترى له فرجاً يوماً يجيئ به العسر
 (إذا ما أملت شدة فاصطبر لها فخير سلاح المرء في الشدة الصبر
 وإني لأستحي من الله أن أرى إلى غيره أشكو وإن مسنى الضر) (١)
 عسى فرج يأتي به الله إنه له كل يوم في خليقته أمر
 فكن عند ما يأتي به الدهر حازماً صبورا فإن الخير مفتاحه الصبر
 فكم من هموم بعد طول تكشفت وآخر معشور الأمور له يسر

ولغيره

وأكثر ما تلقى الأمانى كواذبا فإن صدقت حادت بصاحبها العذرا (٢)
 وآخر إحسان الليالى إساءة على أنها قد تتبع العسر باليسر (٣)

ولغيره

لا تجزعن فإن العسر يتبعه يسر ولا يؤس إلا بعده ريف
 وللمقادير وقت لا تجاوزه وكل أمر على الأقدار موقوف
 ورب من كان معزولا فيعزل من ولى عليه وللأحوال تصريح

ولغيره .

من ذا رأيت الزمان أيسره فلم يشب يسره يرما بتعسير
 أم هل ترى عسرة تمت على أحد دامت فلم تنكشف إلا بتيسير

ولغيره

(٤) الدهر لا يبقى على حالة والعسر قد يتبعه يسر

ولغيره

صبرا قليلا فإن الدهر ذو غير مادام عسر على حال ولا يسر

(١) الزيادة عن الأرج وحل العقال

(٢) كذا بالأصل فليجرر

(٣) فى الأصل باليسرا

(٤) فى الأصل المرء

قد يرحم المرء من يرضى (١) بحضنته وليس يعلم ما ينجي وله القدر
والدهر حلو ومر في تصرفه خير وشر وفيه العسر واليسر
ولغيره

كل الأمور إلي* من قديتم الأمور وافزع إليه إذالم* يحرك عجزا مجير
فكل صعب عسير عليه سهل يسير
ولغيره

أيها الانسان صبرا* إن بعد العسر يسرا اشرب الصبر وإن* كان من الصبر أمرا
ولغيره

كن عن همومك معرضا وكل الأمور إلي القضا
وابشر بطول سلامة تسليك عما (٢) قدمضي
(فلربما اتسع المضيق وربما ضاق القضا
ولرب أمر مسخط لك في عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء فلا تكن متعرضا) (٣)

ولغيره

صبرا وامهالا فكل ملمة سيكشفها الصبر الجميل فأمل

ولغيره

فقد يأمل الانسان مالا يناله ويأتيه رزق الله من حيث يئأس

ولغيره

إذا استصعبت من دنياك حالا ففكر في صروف كنت فيها
وأحدث شكر من نجاحك منها وابدلها بنعمي تراضيها

ولآخر غيره

الدهر اعراض واقبال وكل حال بعدها حال

(١) في الأصل يغاظ (٢) رواية الأرج بخير عاجل تنسى به ما

(٣) الزيادة عن الأرج وحل العقال

ما أحسن الصبر ولا سيما بالحر إن حالت به الحال
فصاحب الأيام في غفلة وليس للأيام إغفال
أنشدني نصير بن عبد الأزدي مولى الأزدي
إني رأيت - وفي الأيام تجربة - للصبر عاقبة محمودة الأثر
فأصبر على مضض الأدلاج في السحر وفي الرواح إلى الحاجات والبكر
لا يعجزنك ولا يضجرك مطلبها فالنجع يتلف بين العجز والضجر
وقل من جد في أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر
لغيره

قد فرج الله من الهجر ونلت ما أمل بالصبر
في ساعة اليأس أتاني المنى كذاك تأتي دول الدهر
لغيره

فصبرا أبا جعفر إنه مع الصبر نصر من الصانع
فلا تيأسن أن تنال الذي يؤمك من فضله الواسع
ولغيره
إذا ضاق زمن بامرء كان فيه بعد ضيق متسع
ولغيره

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم
محمود الوراق

صابر الصبر على كثر النوائب من كنوز البر كتمان المصائب
والبس الدهر على علاته تجدد الدهر مليئا بالعجائب
أنشدني الوحيد لنفسه

عليك رجاء الله ذي الطول واللفظ بجملة ما تبدى (١) من الأمر أو تخفى (١)
فقد خلق الأيام دائرة بنا تقلبنا من كل (٢) صرف إلى صرف

(١) في الأصل يبدى . يخفى وما ثبت رواية حل العقال (٢) في حل العقال . كر

وكم فرج الله يأتي مرفرفاً على خافق (١) الأحشاء في تلف مشف (١)

فلا تمكن من قلبك اليأس والأسى لعل الذي تجوده في مرجع الطرف
وصبراً جميلاً إن للدهر عادة مجربة إتياعه العسف بالعطف

لابن بسام

ألا رب ذل ساق للنفس عزة ويارب نفس بالتعزز ذلت (٢)
ينزل تبارك (٣) رزاق البرية كلها على مارآه لا على ما استحققت
وكم ماجد (٤) في القيد والباب دونه ترقى به أحواله وتعلت
تشوب القذا بالصفو والصفو بالقذى فلو أحسنت في كل حال مللت
سأصدق نفسي إن في الصدق راحة وأرضى بدنياً وإن هي قلت
وإن طرقتني الحادثات بنكبة تذكرت ما عوفيت منه فقلت
(وما محنة إلا والله نعمة إذا قابلتها أدبرت واضمحلت) (٥)

ولآخر غيره

كأنك بالأيام قد زال بؤسها وأعطتك منها كل ما كنت تطلب
فترجع عنها راضياً غير ساخط وتحمدها من بعد ما كنت تعتب
حدثني الحسن بن صافي قال رأيت على حائط مسجد مكتوباً بالفحم
ليس من شدة تصيبك إلا سوف تمضي ويكشف الضر كشفاً
لا يضر ذرعك الرحيب* فان النار يعلو لهيبها ثم تطفأ
قد رأينا من كان أشقى على الهلاك فجاءت نجاته حين أشقى

ولآخر غيره

الدهر خدن مصاف ذو مخادعة لا يستقيم على حال لإنسان
حلو ومر وذو من وذو قرف يخالط السوء منه فرط إحسان

(١) في الأصل تلف . شف وما ثبت رواية حل العقال

(٢) في الأصل بالتدلل عزت . وفي حل العقال . للتعزز ذلت

(٣) في الأصل ينزل أرزاق وما ثبت عن حل العقال

(٤) في حل العقال فكم حائل

(٥) الزيادة عن حل العقال

لئن قدمت قبل رجال لطالما مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر يعقب صرفه فيبرم منقوضاً وينقض مبرما
وأنشدي أبو الفرج البغواء لنفسه

كم كربة ضاق وسعى عن تحملها فملت عن جلدي فيها إلى جزعي
ثم استكنت فأدنتني إلى فرج لم يحجر بالظن في يأسى ولا طمعى
أنشدي سيدوك الواسطي من قصيدة

أبي الله إلا أن يعيظ (٢) عباده فجلسه تحت الشراع المطنب
إلي أن يموت المرء يرجى ويتقى ولا يعلم الإنسان مافي المغيب
ولا آخر غيره

ما أحسن الصبر في موطنه والصبر في كل موطن حسن
حسبك من حسنه عواقبه عاقبة الصبر ما لها ثمن
وقال غيره

إن ضقت من خطب ألم فعنده فرج يرجى عنده ويخاف
فاصبر على قحب النوائب مثل ما صبرت لها آباؤك الاشراف
أنشدت لعمر بن معد يكرب الزبيدي

وكانت على الأيام نفسى عزيزة فلما رأيت صبرى على الذل ذلت
وكم غمرة دافعتها بعد غمرة تجرعتها بالصبر حتى تولت (٣)
لأبي العتاهية

الدهر لا يبقى على حالة لا بد ما يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه فاصبر فان الدهر لا يصبر

لعلى بن الجهم

هى النفس ما إن حملتها تتحمل وللهدر أيام تجور وتعدل

(١) هو القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني والبيتان من قصيدته المشهورة
في فضل العلم (٢) كذا بالأصل (٣) هذه رواية حل العقال وفي الأصل عنها فولت

وماقبة الصبر الجميل جميلة وأجل أخلاق الرجال التحمل
ولآخر غيره

لا تعبتن على النوائب فالدهر يرغم كل عاتب
واصبر على حدثائه إن الأمور لها عواقب
فلكل صافية قذى ولكل خالصة شوائب
(والدهر أولى ماصبر ت له على رفق المشارب
كم نعمة مطوية لك تحت أنياب النوائب
ومسرة قد اقبلت من حيث تنتظر المصائب) (١)
ولآخر غيره

فاصبر على حلو القضاء ومره فان اعتياد الصبر أدى إلى البر
خير الأمور خيارهن عواقباً وكم قد أتاك النفع من جانب الضر
وقال غيره

وإني لأرجو الله يكشف كربتي ويسمع للمظلوم دعوة مضطر
لقد عجمتني العاجات منقفاً إذا ضاق أمر قد تناهى إلى الصبر
وما حزني أن كر دهر بصرفه على ولكن أن يفوت به وترى
فان فاتني وترى فأيسر فأت إذا أنا عوضت الثواب من الوفر
ولطف كفايات الاله مبشر بنيل الذي أملت لا بيد صفر
فان يهل الأمر امرأ فهو آمل بلوغ الغنى فيما يهول من الأمر
ورب مضيق بالقضاء ووارط رأى مخرجاً بين المثقفة السمر
آخر غيره

ليس لما ليست له حيلة موجودة خير من الصبر
والصبر مر ليس يقوى به غير رحيب الباع والصدر
ولآخر غيره

وما التحف المرء بالصبر إلا وكفت عنه أيدي النائبات
وذو الصبر الجميل يفيد عزا ويكرم في الحياة وفي الممات

ولا آخر غيره

الصبر مفتاح ما يرجى وكل خير به يكون (١)

فاصبر وإن طال الليالي فربما طاع الحرون (٢)

وربما نيل باصطبا رما قيل هيات لا يكون

لابي الحسن الأطروش المصري من أبيات

مازلت أدفع شدتي بتصبري حتى استرحت من الأيادي والمذن

فاصبر على نوب الزمان تكرماً فكأنما ما كان منه لم يكن

ومما وجد على حجر قبر مكتوب

اصبر لدهر نال منك فكذا مضت الدهور

فرح وحزن تارة لا الحزن دام ولا السرور

ولا آخر غيره (٣)

اصبر على الدهر إن أصبحت منغمساً بالضيق في لجج تهوى إلى لجج

فإن تضائق باب (٤) عنك مرتج فاطلب لنفسك باباً غير مرتج

لا تيأسن إذا ما ضقت من فرج يأتي به الله في الروحات والدج

فما تخرج كأس الصبر معتمماً بالله إلا أتاه الله بالفرج

ولا آخر غيره

وألظمت نفسي الصبر في كل محنة فعادت باحسان وخير عواقبه

ومن لم ينط بالصبر والرفق قلبه يكن عرضاً أودت بليل جوانبه

ولغيره (٥)

وإني لأغضى مقلتي على القذي والبس ثوب الصبر أبيض أبلجا

وإني لأدعو الله والأمر ضيق على فما ينفعك أن يتفرجا

(١) رواية حل العقال وكل صعب به يهون (٢) رواية الأرج . ساعد (٣) هو كما

في حل العقال - عبيد الله الحارثي (٤) كذا في الأرج وفي الأصل وحل العقال

أمر (٥) هو كما في الأرج وحل العقال أبو إسحق الثعلبي المفسر

وكم من (١) فتى سدت عليه وجوهه أصاب لها في دعوة الله مخرجا
 (أبو جعفر) محمد بن بشير (الحميري)
 إن الأمور إذا اشتدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتجى
 لا تيأسن -- وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
 (أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومد من القرع للابواب أن يلجا) (٢)
 لمدر ك بن محمد الشيباني

مستعمل الصبر مقرون به الفرج يبلى ويصبر والأشياء ترتج
 حتى إذا بلغت مكنون غايتها جاءتك تزهو في ظلماتها المرسج
 فاصبر ودم واقرع الباب الذي طلعت منه المطالع فالمغرى به يلج
 بقدرة الله فارح الله وارض به فعن إرادته الغناء تنفرج
 ولا آخر غيره

ثبوت الخطب أوله غليل وآخره شفاء من غليل
 فكم من علة كانت إلى ما يحيش عتابة أهدي سبيل
 ورب منيحة بفناء قوم من الأحداث فهي إلى رحيل
 كلا نجمي صروف الدهر خيرا وشرا لابس ثوب الأفول
 ولغيره (٣)

قل من سره رضا الدهر إلا ساء سيخطه بما لا يطاق
 وكذا عادة الزمان شتات والتئام وألفة وافتراق
 لأبي أحمد يحيى بن علي المنجم إلى أبي علي محمد بن عبيد الله بن خاقان
 لما ولي الوزارة من أبيات
 لقد كذبت فيك العدو ظنونه وقد صدقت فيك الصديق المواعد
 وقد تحسن الأيام بعد إساءة وإن كان في الأمرين منها تباعد
 ولغيره

بيد الذي شغف الفؤاد بكم تفريج ما ألقى من الهم

(١) في الأرج ورب (٢) الزيادة عن الأرج وحل العقال (٣) هو - كما في حل
 العقال - عبيد الله الحارثي

كرب بقلبي ليس يكشفه إلا ملك عادل الحكم
ولغيره

أآلفة الحبيب كم افتراق أظل وكان داعيه اجتماعي
وليست فرجة إلا وتأتي لموقوف على نزح الوداع
ولغيره

ولله لطف يرتجى ولعله سيعقبنا من كسر أيدي النداجيرا
ورب أمر (١) مرتجى بابه عليه إن يفتح أقفال (٢) ضاقت بذى الحيلة في فتحة حيلته والمرء محتال
نم تلقته مفاتيحه * من حيث لا يخطر به البال
لعبد الله بن طاهر من أبيات جواباً

دعوت مجيباً يا أبا الفضل سامعاً ويارب مدعو وليس بسامع
فأوقعت شكواي الزمان وصرفه إليه بحق في أحق المواقع
فصبرا قليلا كل هذا سينجلي ويدفع عنه السوء أقدر دافع
فما ضاق أمر قط إلا وجدته يؤول إلي أمر من الخير واسع
لمحمد بن حازم الباهلي

إذا نابني خطب فزعت لكشفه إلى خالقي من دون كل حيم
وإن من استغنى وإن كان معسرا على ثقة بالله - غير ملوم
ألارب عسر قد أتى اليسر بعده وغمرة كرب فرجت لكظيم
وله أيضاً رحمه الله .

ألارب أمر قد أضاق وحاجة لها بين أحشاء الضلوع عويل
فلم تلبث الأيام أن عاد عسرها بيسر ونجح والأمر تحول
ولغيره (٣)

كن لما لا ترجو من الأمر أرجى منك يوماً لما له أنت راجي
إن موسى مضى ليقبس نارا من شعاع يلوح (٤) والليل داجي
فأنثنى راجعاً وقد كلم الله ونجاه وهو خير مناجي

(١) كذا في حل العقال وفي الأصل امرئ (٢) في حل العقال عليه اغلاق واقفال
(٣) هو - كما في الأرج - وهب بن ناجية المري (٤) رواية الأرج من ضياء رآه

وكذا الأمر حين (١) يشتد بالمرء * يؤدي إلى سرعة الانقراج
ولغيره

إصبر على مفضل الزمان وإن رمى بك في اللجج
فلعل طرفك لا يعو د إليك إلا بالفرج
ولغيره

فيا صاحبي رحلي شئ أن أراك كما كنتما إن الزمان ينوب
ولا تياسن من فرحة بعد ترحة فللدهر لغز حادث وخطوب
سيرحمتنا مولي شعيب وصالح وأرحامنا تدلى بنا فتجيب
ولغيره

خاف من فقر تعجله * والغنى أولى المنتظره ليس منكورا ولا عجبا * أن يعود الماء في نهره
ولغيره

ألا أيها الشاكي الذي قال مفصحا لقد كاد فرط اليأس أن يتلف المهج
رويدك لا تياس من الله واصطبر عسى أن يوافينا على غفلة فرج
ولغيره

من صاحب القدر اقتدر أولي بفوز من صبر
ولغيره

إن ساءل الزمان سر الصبر عنوان الظفر

ولغيره

إني وإن عصفت بالعيش نائبة سبط التبخترين اليأس والطمع
لا أستندم إلى صبر بهجرته ولا أسوء زمان السوء بالجزع
كم نكبة في حشاها نعمة ويد الله ناملها من هول مطلع
وكم فزعت من الأيام ثم أتت تمد أيديها نحوي من الفزع
إذا بدت نكبة فالحظ آخرها فانظر إلى فرج للكرب ممتنع
ولغيره

يا هاربا من زمن جائر يحني الملمات على الحر

اصبر فما استمتعت في مطلب بشافع خير من الصبر
وابشر فان اليسر يأتي الفتى أقنط ما كان من اليسر
أنشدني سعد بن عبد الأزدي لنفسه

لا يوحشنيك من جميل تصبر خطب فان الصبر فيه أحزم
العسر أكرمه ليسر بعده ولأجل عين ألف عين تكرم
لم يشك مني عسرة يوما ولا جورا ولا قلنا على ما يحكم
والمرء يكره بؤسه ولعله يأتيه فيه سعادة لا تعلم

ولغيره (١)

كانت اليك من الحوادث ذلة (٢) فاصبر لها فلعلها تستغفر
إنا لننتهض (٣) الخطوب بصبرنا فالخطب ممتن لمن لا يصبر
ولرب ليل بت فيه بكربة وغدا بفرجتها الصباح المسفر

ولغيره

أدبتني طوارق الحدان فتجافيت عن ذنوب زمانى
كنت أشكو من الزمان خطوبا أظهرت لي جواهر الإخوان
فتبينت منهم الخير والشر وأهل الوفاء والخلان
وتوكلت في أموري على الله اللطيف المهيمن المنان
وتيقنت أنه سوف يكفي نى صروف الدهور والازمان
ثم يمحو بالعسر يسرا وبالنعم ضرا كما أتى في القران
إن تصبرت وانتظرت غياث الله وفي كالمح في الأحيان
هو عوني في كل خطب لم عدمت فيه نصرة السلطان

ولغيره

إن يكن خاني اجتهدى (٤) فماذا لك على مطلب الكريم بعاد

(١) هو - كما في حل العقال - سعد بن عبد الأزدي (٢) في حل العقال زلة

(٣) في حل العقال لمتنهن (٤) كذا في حل العقال وفي الأصل إن أكن خبت إذا سألت

يحرم اللبث صيده وهو منه بين حد الانياب والافطار
 ويزل السهم السديد عن القصد وما تلك زلة الأسوار
 ليس كل الاقطار يروى من الغي ث وإن عمها بصوت القطار (١)
 إن يخنى رشاء دلوى فقد أحكمت اكرا به بعقد مغار (٢)
 أو يعد فارغاً إلى فسا ألقيت إلا إلى المياها الغزار (٣)
 إن أساء الزمان بي فلقد أحسنت صبرا وما أساء اختياري
 وعسى فرجة تفتح نحوى ناظر اليسر (٤) بعد طول انتظار
 ما لقيت الاعسار بالصبر إلا بشرتني وجوهه باليسار

ولغيره

صبرا فقد تتحقق الآمال وتحول عما تكره الأحوال
 إن كان قد ظفر الصدود بوصلنا فلسوف يظفر بالصدود وصال

ولغيره

فالأسر في معناها واحد لذاك شكر ولذاك صبر
 حتى أرى الأقدار قد فرجت وكل عسر فله يسر

ولغيره

إن يأذن الله فيما بت آمله أتى النجاح حثيثاً غير ممطول
 مالي سوى الله مأمول للنائبة والله أكرم مسئول ومأمول

ولغيره

حزنت وذو الأحزان يحرح صدره ألا رب حزن جاء من بعده فرج
 كأنك بالمحبوب قد لاح نجمه وباليسر من بين المضايق قد خرج
 لابن الرومي رحمه الله

لعل الليالي بعد سخط من النوى ستجمعنا في ظل تلك المآلف
 ألا إن للأيام بعد انصرافها عواطف من إحسانها المتضاعف

(١) في حل العقال بثوب (٢) كذا في حل العقال وفي الأصل اكرامه (٣) كذا في حل
 العقال وفي الأصل القرار (٤) كذا في حل العقال وفي الأصل ناصر النصر

وله أيضاً

ورب جلاباب هم * له من الصنع جيب وكل خير وشر * دون العواقب غيب
ولغيره

أقول قول حكيم * فأعرف بفهمك شرحه كم فرجة إثر ضيق * وفرحة بعد ترحه
فالعسر يعقب يسرا * والهم يعقب فرحه والعيش فاعلم ثلاث * غنى وأمن وصحة
لمؤلف الكتاب

قل لمن أودى به الترح * كل هم بعده فرح لا تضق ذرعا بنازلة * وارمها بالصبر تنفسح
غالط الأحداث مجتهدا * كل ما قد حل منتزع وأزح بالراح طارقتها * فجلاء الكربة القدح
ألق بالمزج المريح أذى حدها إن شئت تسترح

ولغيره

وكان يرى من ذى هموم تفرجت وذى غربة عن داره وهو مسعود

ولغيره

لا يرعك الشر إن ظهرت * بتهاويل (١) مخائله رب أمر سر آخره * بعدما ساءت أوائله

ولغيره (٢)

فلا تجزع وإن أعسرت يوماً فقد أيسرت في زمن طويل
ولا تيأس فإن اليأس كفر لعل الله يغنى عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

ولغيره

هل اللهم إلا فرجة تتفرج لها معقب يجري إليه ويزعج
أبي لي إغضاء الجفون على القذا يقين بأن لا عسر إلا مفرج
أخطط في ظهر الحصير كأنني أسير يخاف القتل والهم يفرج
وياربما ضاق القضاء بأهله وأمكن من بين الأسنة مخرج

ولغيره

أجارتنا ان التعفف بالباس فقير على استدرار دنيا بأساس

جدير بأن لا يؤذيا بمذلة كريماً فان لا يحوجاه إلى الناس
ولي مقلة تنفي القذا عن جفونها وتأخذ من إيحاش دهر وإيناس
أجارتنا إن القداح كواذب وأكثر أسباب النجاح مع الياس
ولغيره .

ولا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب
ولغيره

ألا لا تموتن إغتما وحسرة وها إذا ما سارح الهم أجذبا
وصبر إذا ما الجذب ليس بدائم كما لم يدم عشب لمن كان أعشبا
ولغيره

إستقدر الله خيرا وارضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير
ولغيره

أما علمت بأن العسر يتبعه يسر كما الصبر مقرون به الفرج
ولغيره .

إذا ما البين أحوجنى فليس على النوى حرج دعى لومى على صلتى سيقطع بيننا حرج
سأركب هول مظامة أفرجها فتتفرج
ولغيره

غدا للبين موعدنا	فان إلى غد فرج	ذني الهجر (١) والدج	فقصدي للمنى يلج
ولى هم يؤرقنى	على بحر له لجج	أطاف بحالك وضع	عليه من البلى بهج
أقول لنفس مكتئب	عليه من الردي ثبج	رضا مادمت سالمة	فان العيش مندعج
ولا تستحفين بها	فوجه الحق منبلج	وزور الحق ممتن	إذا دارت به اللجج
وقائلة تعاتبني	وجنح الفجر منبلج	فقلت رويد معتبتي	لكل ملة فرج
ذريني خلف قاصية	أضايق بي وتنفرج	أسرك أن أكون رفعت	حيث الأمر والمهج
وأنى بت يصهرنى	بحر جهنم وهج	فأدرك ما قصدت له	ويبقى العاد والخرج
إذا أكدت حائلة	فلى في الأرض منعرج		

(١) في الأصل التهجر وهو يخل بالوزن وفي هذه القصيدة تحريف كثير

أصلحناه حسب الامكان

عسى مشرب يصفو فيروى ظمأة أطال صداها المنهل المتكدر
 عسى بالجنوب الغاديات سنلتقى وبالمستأذ المستطاب سنظفر
 عسى جابر العظم الكسير بلطفه سيراتح للعظم الكسير فيجبر
 عسى صور أمسى لها الجور دافنا سيبعثها عدل يحىء فتظهر
 عسى الله لا تيأس من الله إنه يهون عليه ما يعز ويكبر (٢)

ولغيره

نحاول إذلال العزيز لأنه رمانا بظلم واستمرت مرأثره

ولغيره

كفالك بهذا أيها المتجبر وإن قال فيك القائلون وأكثروا

ولغيره

ما شتد باب ولا ضاقت مذاهبه إلا أتاني وشيكا بعده الفرج

ولغيره

إني رأيت مغبة الصبر تقضى بصاحبها إلى اليسر
 لا بد من عسر ومن يسر بهما تدور دوائر الدهر
 فكما يلد اليسر صاحبه فكذلك فليصبر على العسر

ولغيره (٣)

غنى النفس يكفى النفس حتى يكفها وإن أعسرت حتى يضربها الفقر
 فاعسرة - فاصبر لها إن لقيتها بدائمة حتى يحىء لها يسر

ولغيره

وما الدهر إلا ما تراه فومر يصير إلى عسر وذو فاقة يثري

(١) هو كما في الأرج - على بن محمد بن عبد الله الحسنى (٢) في الأرج ويعسر

(٣) هو كما في الأرج وحل العقال - عثمان بن عفان رضى الله عنه وفيهما

ولغيره (١)

لعمرك ما كل التعطل ضائر ولا كل شغل فيه للمرء منفعه
إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى عليك سواء فاعتنم لذة الدعه
فإن ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى ألا رب ضيق في عواقبه سعه

ولغيره (٢)

يقولون صبرا والتصبر شيمتى ألم يعلموا أن الكريم صبور
هل الدهر إلا نكبة وسلامة وإلا فبؤس مرة وحبور

ولغيره

وكل كرب وإن طالت بليته يوما يفرج غماه فينكشف

ولغيره

مفتاح باب الفرج الصبر وكل عسر بعده يسر
والدهر لا يبقى على حالة فكل أمر بعده أمر
والكره (٣) تقنيه الليالى التي يفنى عليها الخير والشر
وكيف يبقى حال من حاله يسرع فيه النفع والضر

ولغيره

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان ويأتى أهله النائي الغريب

ولغيره

فياليت الرياح مسخرات لحاجتنا تصبح أو تنوب
فتخبرنا الشمال إذا أتينا ويخبر أهلها عنا الجنوب

ولغيره

الحمد لله حمدا لا شريك له إن الزمان لدو جمع وتفريق

(١) هو كما في الأرج - محمد بن عبد الله بن عبد الحكم

(٢) هو كما في حل العقال - محمد بن يعقوب

(٣) في الأرج . والكرب

قد ينقل المرء من ضيق إلى سعة ويسلس الأمر يوما بعد تعويق
والدهر يأتي على كل بأجمعه وليس من سعة تبقى ولا ضيق
ولغيره .

ألا فاصبرن مادام في النفس مسكة عسى فرج يأتي به الله في غد
وإن امرأ رب السماء وكيله حرى بحسن الظن غير مبعد
ولغيره .

خلقنا لا أرضى فعالهما تيه الغنى ومذلة الفقر
فاذا غنيت فلا تكن بطرا وإذا افتقرت فته على الدهر
واصبر فلست بواجد خلقا أدنى إلى فرج من الصبر
غيره

النسل من واحد والشكل مختلف والدهر فيه بنو الدنيا على درج
إذا تضايق أمر فانتظر فرجا فاضيق الأمر أدناه إلى الفرج

تم الكتاب



الفرج بعد الشدة

صحيحة

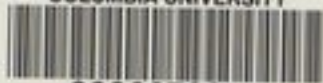
- ٢ ترجمة المؤلف
٤ فاتحة الكتاب
٦ الباب الأول فيما أنبأ الله تعالى به في القرآن من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان
الباب الثاني ما جاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللاواء وما يتوصل به إلى
٣٣ كشف الشدة والبلاء
٣٨ الباب الثالث فيمن بشر بفرج من نطق قال ونجما من محنته بقول أو دعاء أو ابتهاج
الباب الرابع فيمن استعطف غضب سلطان بصادق لفظ أو استوقف
٥٧ مكروهه بموقف بيان أو وعظ
الباب الخامس فيمن خرج من حبس أو أسر أو اعتقال إلى سراح وسلامة
٧٧ وصالح حال
الباب السادس فيمن فارق شدة إلى رخاء بعد بشرى منام ولم يشب صدق
١٣٢ تأويله كذب الاحلام

فهرست الجزء الثاني

- ٢ الباب السابع فيمن استنقذ من كرب أو ضيق خناق بأحدى حالتي عمد أو اتفاق
٤٨ الباب الثامن فيمن اشفى على أن يقتل فكان الخلاص اليه من القتل اعجل
الباب التاسع فيمن شارف الموت بحيوان مهلك رآه فكفاه الله سبحانه ذلك
٨٠ بلطفه ونجاء
١٠٤ الباب العاشر فيمن اشتد بلاءه بمرض ناله فعافاه الله بإسرسبب وأقاله
الباب الحادي عشر فيمن امتحن من لصوص بسرقة أو قطع فعوض من
١١٥ الارتجاع والخلف بأجل صنع
الباب الثاني عشر فيمن الجأ الخوف إلى هرب واستتار فأبدل بأمن ونعم ومسار ١٣٠
الباب الثالث عشر فيمن نالته شدة في هواه فكشفها الله عنه وملكه من بهواه ١٦٤
الباب الرابع عشر ما اختير من ملح الاشعار في أكثر ما تقدم من الامثال والاخبار ٢١٠
تمت الفهرست



COLUMBIA UNIVERSITY



0026678314

893.7T159

S4

2 v. in 1

07089538

893.7T159
S4 V1-2 C1

KITAB AL-FARAS

670 89538

APR 30 1948

